

قَلْبُ الْجَمَانِ فِي وَرْدِ شِعْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

المشهور بـ

عُقُودُ الْجَمَانِ فِي شِعْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ
لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي
المتوفى ٦٥٤ هـ

تحقيق
كمال سلمان البوري
المجلد السابع
الجزء التاسع
الجزء الثامن مفقود

المحتوى:

نصر بن يوسف بن نصر - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى

منشورات محمد رحيم بيضاوي
دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

قَالَ لِلْجَانِّ
فِي فِرَاشِ شَجَرٍ هَذَا الْقَمَرِ

منشورات محمد رشدي بيوت



بيروت
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد رشدي بيوت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
ماتف وفاكس: ٣٤٣٩٨ - ٣٦١٣٥ (٩١١ ١)

فرع عرمون، القببة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

ص:ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٠

هاتف: ١١ / ٨٠٤٨١٠ - ٩١١
فاكس: ٨٠٤٨١٣ - ٩١١

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-3796-4



9 0000 >

9 782745 137968

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله
الطيبين، وصحبه المنتجبين.
وبعد:

هذا هو الجزء التاسع من كتاب:

قلائد الجمان

في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٢٤٨ ورقة. تحمل ورقة الغلاف عنوان الكتاب وعليها
أختام التملك التي أشرنا إليها آنفاً، كما تحمل تملكاً أمحى بعضه والمقروء منه
هذا الاسم «بدر الدين القرافي المالكي»^(١) وهذه العبارة «ثاني جمادى الأولى سنة
٩٩٩»^[٩]، والجدير بالذكر أن ورقة الغلاف هذه هي - كما في بقية الأجزاء -
ليست أصلية إذ هي ملصقة على ورقة الغلاف الأصلية فغطتها، وبالإمكان رؤية
بعض الورقة الأصلية في هذا الجزء فقط، وعليها تملك يحيى الشافعي
سنة ٨٠٠، وتملك آخر باسم عبد البر ابن الشحنة^(٢) مؤرخ في سنة ٨٧١. وعلى هذه
الورقة الأصلية عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط ابن الشعار نفسه، وهو الخط الذي
كتب به هذا الجزء بكامله وبعض الجزء السابع (اعتباراً من الورقة ١٨٦) كما أسلفنا،
واتبع فيه الأسلوب الذي سبق أن تم شرحه على خط الجزء السابع. ونقطة أخرى
جديرة بالملاحظة هي أن الورقة الأخيرة من الجزء التاسع لم يكتب فيها ما هو معتاد
كتابته في نهاية كل جزء، رغم وجود فراغ في أسفل الورقة يتسع لثلاثة أسطر. وربما
كان غرض الكاتب أن يتوسع في الترجمة الأخيرة قبل أن يختم هذا الجزء، إلا أنه لم
يفعل، ثم نسي تسجيل عبارة الختام.
والحمد لله أولاً وآخراً.

المحقق

(١) هو محمد بن يحيى بن عمر القرافي، فقيه مالكي (٩٣٩-١٠٠٨هـ).

انظر ترجمته في: خلاصة الأثر ٢٥٨/٤. الأعلام ١٤١/٧ وغيرها.

(٢) انظر ترجمته في: أعلام النبلاء ٣٨١/٥. المكتبة الأزهرية ١٥٣/١. الأعلام ٢٧٣/٣.

الحزب التاسع من عقود الجمان في شعراء هذا الزمان^١ لابن السعاري

الغرض من هذا الكتاب هو تجميع ما كتبه من شعراء هذا الزمان في فرائد شعراء هذا الزمان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ سُبْحَانَكَ
نَصْر ^{أد} ^{المعروف} ^{بأب} ^{بن} ^{يوسف} ^{نصر} ^{عبد} ^{الرزاق}
 ابن عبد الوهاب بن الخضر عبد الوهاب بن الخضر بن عجلان
 ابن عبد الله بن ربيعة بن المقدم بن لبيد النابغة وهو
 قيس بن عبد الله بن عُدُس بن ربيعة بن جعدة بن كعب
 ابن ربيعة بن عابر بن صعصعة بن معوية بن بكر بن
 هوازن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان
 ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو سعد البلسي المعروف
 بابن قاضي السري يعرف بالجعبري لأنه سكن قلعة جعبر
 وهي قلعة حصينة على طرف القنات من البلاد الجعفرية
 من أبناء القضاة وبنيت على ما الس مشهور وكان يلبس
 العمامة اقتداءً بسلته ثم جندوت بن ابن الجناد في
 الملبوس في خطب بالامام بعد أن كان يدعأ بالقاضي ويسر
 القباوصان واليأ بدمشق من قبل الملك العادل سيف الدين

لا يمكن المرء أن يمسي علي سنان وان غدا الرشد لا تخفي بعالمه
 قد يكتم السر من لم يخفيه ابداع الرجال وقد يغشيه كاتمته
 يسالم الدهر من اضحي بچاربه كما تجارب من اضحي بسالمته
 وقد يكون رفيع القدر جاهله كما يكون موضع العذر عالمه
 اشكوا الى الله دهر البس ينصني وكيف ينصف من الدهر حاكمه
 كم ذا اذل قريضا نجاهله جهلا الى باب من عزت ذراهه
 لو لا ضرورات دهر كان ماردة قد استنوى اليوم في عين دجائه
 بار القريض مصر اليوم فهو اذا اعرضه عن شاريه وشايمه
 لو قدر الله ان ابي الشام به ما اسلمتني الي دهر في عواصمه
 وكنت اذكر ما ارجوه باين ارجوا في حسب انما لي مكارمه
 عليك يا شرف الدين اعتمدتني بشكوا لكد الدهر اذ عمت مظالمه

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ سَهْلٍ وَوَفْقٍ

[تنمة حرف النون]

[ذكر من اسمه نصر]

[٨٥٥]

نصرُ بنُ يوسفَ بن نصر بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن
الخضر بن عبد الوهاب بن الخضر بن عجلان بن عبد الله بن
ربيعة بن المقدّم بن ليث بن النابغة وهو قيس بن عبد الله بن
عُدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،
أبو سعد البالسي، المعروف بابن قاضي بالس.

ويعرف بالجعبري؛ لأنّه سكن قلعة جعبر - وهي قلعة حصينة على طرف الفرات من
البلاد الجزيرية^(١) - .

من أبناء القضاة، وبيت كبير ببالس^(٢) مشهور. وكان يلبس العمامة اقتداءً بسلفه، ثم
تجدّ وتزيّاً بزي الأجناد في الملبوس، وخطب بالإمرة بعد أن كان يدعى بالقاضي، ولبس
القباء وصار والياً بدمشق من قبل الملك العادل سيف الدين / ٢٢٠ / أبي بكر محمد بن أيوب،
وبعده لولده الملك المعظم أبي الفتح عيسى - رحمهم الله

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (جعبر).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة، على الفرات من الجانب الغربي، بينها وبين شاطئ الفرات يسير، وهي
تحت صفين. انظر: معجم البلدان/ مادة (بالس).

تعالى - ولم يزل على ولايته إلى أن توفي بدمشق بقلعتها في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة . وكان قد توفي له ولدان قبله فحملوا جميعهم إلى بالس فدفنوا بها .

وكان شاعراً مطيلاً جيد الشعر فيه ذكاء وفهم ، ولديه أدب وفضل .

أنشدني الشيخ الأجل نجم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن سراج البزاز الحلبي بها ، قال : أنشدني أبو سعد بقلعة دمشق في سنة أربع عشرة وستمائة لنفسه :

[من الخفيف]

وَالَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى غَيْرُ خَافِي
سَلْ وَلَيْلِي بِالْقُرْبِ وَالْإِثْلَافِ
وَلَوْ . . . قَبْلَ التَّلَافِي
بِقَاءَ قَلِيلَةَ الْإِنْصَافِ
عَهْدَ مَنْ عَاهَدَتْ بَأْنَ لَا تُصَافِي
لَا تَرَاهُ مَعَ غَدْرَهَا غَيْرَ وَافِي
كُنْ لَهَا مِنْهُ يَا إِلَهِي كَافِي
أَمْ تُرَى لِي مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِي
فَصَلِيهِ تَسْرِي إِلَيْهِ الْعَوَافِي
سَتَ مَقْرَأَ إِلَيْكَ بِالْأَقْرَافِ
رَيْبَ بَعْدَ الْإِفْرَارِ وَالْإِعْرَافِ

طَالَ مَا بَيْنَنَا النَّوَى وَالتَّجَافِي
فَهَّارِي أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْوَصْ
طَمَعًا كَاذِبًا وَتَسْوِيفَ نَفْسِ
مَا كَذَا كَانَتْ الْعُهُودُ اسْتَقَرَّتْ
طَوَّلَ دَهْرِي أَصْفِي الْوُدَادَ وَأَرْعَى
/ ٢ب / تُخْلِفُ الْوَعْدَ لَا الْوَعِيدَ لَوْافِ
أَضْرَمْتُ فِي حَشَايَ نَارَ اشْتِيَاقِ
أُتْرَاهُ الزَّمَانُ فِيهَا بِصَافِ
أَنْتَ أَمْرَضْتَ بِالْصُّدُودِ مُحِبًّا
إِنْ أَكُنْ إِقْتَرَفْتُ ذَنْبًا فَقَدْ جُدْ
فَاعْفِرِي الذَّنْبَ بِاعْتِرَافِي فَلَا تُدْ

وقال أيضاً : [من البسيط]

مَنْ وَضَلَ خَوْدَ كَعُوبِ أَيْ مُرْتَاكِحِ
عَلَى هَوَاهَا وَمَاذَا يَزْعُمُ الْلَاكِحِ
وَأَسْفَرْتُ خَلْتُ فِيهِ ضَوْءَ مُصْبَحِ
لِلْمُسْكِ رَيْقُتُهَا لِلشَّهْدِ لِلرَّاحِ
دَعْ عَنْكَ يَا صَاحِ إِرْشَادِي وَإِصْلَاحِي
فَلَا أَرَى كُلَّ لَاحِ غَيْرَ تَبَاحِ
بَصِيبٍ مِنْ عَوَادِي السُّخْبِ سَحَّاحِ

أَمْسِي وَأَصْبَحْ مُرْتَاكِحًا بِلَا أَمَلِ
لَا أَسْمَعُ الْكُومَ مِنْ لَاحٍ يُعْنِنُنِي
أَسْلُوفَتَاةً إِذَا جَنَحَ الظَّلَامُ دَجَا
لِلْوَرْدِ وَجَنَّتْهَا لِلدَّرِّ مَبْسَمُهَا
تُرِيدُ بِالْعَدْلِ إِرْشَادِي لِتُصْلِحَهُ
فَمُتَّتْهُ الرُّشْدَ غَيِّي فِي مُجْتَهَدَا
سَقَى مَنَازِلَهَا مُتْعَجِرٌ عَدَقْ

بُقْرَبَهَا حَالِ إِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي
وَمَنْ جِئِن كَضُوءَ الصُّبْحِ وَضَّاحِ
بِالْوَضَلِ مِنْهَا بَلْفَظٍ يُسْكِرُ الصَّاحِي
رَاحِي وَمَنْ [حُمْرَةَ] الْخَدَيْنِ تُفَاحِي
فَقَدْ تَكَفَّلْتَ أَسْعَادِي وَإِنْجَاحِي
مَدْحًا يَقْصُرُ عَنْهُ كُلُّ مَدَاحِ

١٣/ مَا كَانَ أَطْيَبَ أَيَّامًا لَنَا سَلَفَتْ
وَالدَّارُ مُشْرِقَةً مِنْ نُورِ غُرَّتِهَا
أَشْكُو إِلَيْهَا صَبَابَاتِي فَتُطْمَعُنِي
مَنْ لَحْظَهَا نَرَجِسِي مَنْ خَمَرِ رِيقَتِهَا
إِنْ عُدْتَ يَا دَهْرٌ أَذْنَيْتِ الدِّيَارَ بِهَا
فَسَوْفَ أَمْدَحُ نِعْمَكَ الَّتِي شِمَلْتَ

وقال أيضاً: [من مجزوء الرجز]

أَنْ لَنَا أَنْ نُلْتَقَى
وَلَسْتُ بِمُبالٍ بِرَقِ
دَانِيَّةٍ بَلِيَّةٍ
لَهْجَرُكُمْ فِي مَفْرِقِي
وَوَعْدُكُمْ لَمْ يَصْدُقْ
تَأَجَّجِي يَا حُرْقِي
يَا أَعْيُنِي تَرْفَقِي
وَبِالدُّمُوعِ فَأَغْرَقِي
لَمِيَاءَ ذَاتِ الْقُرْطُوقِ
قَدْ الْقَضِيْبُ الْمُورِقِ
وَلَا إِلَهَ يَتَّقِي
تَرُونَ غَيْرَ الرَّمَقِ
وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقْ

أَحْبَابَنَا بِجَلِّقِ
مَا أَنْتُمْ بِلَعْلَعِ
مَا هَجَرُكُمْ وَدَارُكُمْ
قَدْ رَاعَنِي شَيْبٌ بَدَا
يَصْدُقُنِي وَعَيْدُكُمْ
حَتَّى الْخَيْالِ هَاجِرِي
تَقْطَعُنِي يَا كَبِدِي
٣/ وَلِلرُّقَادِ فَاهْجُرِي
عَلَيَّ فَتَلَاةَ حَيْهَمِ
حُسْنًا يَحْكِي قَدْ هَا
يَرْقُ لِي مِنْ أَرْقِي
فَمَا بَقِي فِي كَمَا
فَلَيْتَهُ لَا أُخْلَقْتُ

وقال أيضاً: [من مخلّع البسيط]

وَأَبَدْتَ الْهَجَرَ وَالصُّدُودَا
يَا خَوْدٌ قَدْ خَدَدَ الْخُدُودَا
مَنْ مُقْلَةٌ عَاقَتْ الرُّقُودَا
خَوَامِشُ تَبْتَغِي الْوُرُودَا
عَسَاكَ يَا قُرْبُ أَنْ تَعُودَا

تَنَاسَتِ الْوُدَّ وَالْعُهُودَا
قَدَمْعُ عَيْنِي مِنَ التَّجَافِي
مُتَعَنِّجٌ وَدُقْنُهُ هَتُونٌ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دَمِ أُنْتَهُ
أَمْرَضَنِي الْبَيْنُ وَالتَّنَائِي

لَلْيَبْنَ لَا تَعْرِفُ الْخُمُودَا
 أَنْضَرَكُمُ كُلَّ الْأَنَامِ عُمُودَا
 أَكْرَمَ كُلِّ الْوَرَى جُودَا
 أَدْرَكَ بِالسُّوْدُودُ السُّعُودَا
 رَامَ إِلَيَّ رَبِّهِ الصُّعُودَا
 خَطُّوا الْأَعْدَاءَ هَمَّ لُحُودَا
 فَوَارِسًا تَقَرَّسُ الْأُسُودَا
 تُضْحِي لِأَسِيَّافِهِمْ غُمُودَا
 تَظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ سُجُودَا
 اللَّهُ كَمَ قَدْ حَوَتْ عُقُودَا
 بِحُبِّ مَنْ تَنَكَّثُ الْعُهُودَا
 لَكِنَّهَا تُخْلِفُ الْوُعُودَا
 إِلَّا هَوَى أَضْمَرَ الْخُلُودَا

فَفِي فُؤَادِي لَهَيْبُ نَارِ
 كَمَ ذَا التَّجَنِّي عَلَى مُحِبِّ
 / ١٤ / أَغْرَبُ كُلِّ الْوَرَى لِسَانَا
 جَعْدَةُ أَكْرَمَ بِهِ أَبَوُهُ
 وَالْجَدُّ قَيْسُ فَتَى الْمَعَالِي
 قَوْمٌ إِذَا قَاتَلُوا رَجَالَا
 أَوْ رَكِبُوا خَيْلَهُمْ تَرَاهُمْ
 أَعْنَاقُ مَنْ سَامَهُمْ قَتَالَا
 وَأَنْتَ مِنْ مَعَشَرَ لَدَيْنَا
 تَحْوِي لِأَحْسَابِنَا عُقُودَا
 لَا كَانَ يَوْمٌ بِهِ بُلَيْنَا
 تُنْجِزُ إِنْ أَوْعَدْتَ مُحِبًّا
 فَلَا دُنُو وَلَا سُلُودَا

وقال أيضاً: [من الخفيف]

رَحْمَةً مِنْ لَوَاعِجِ الْأَشْوَاقِ
 قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ التَّفَرُّقُ بَاقِي
 قَا إِلَيَّ قُرْبَهَا وَوَشَكَ التَّلَاقِي
 ضَرَّةَ الْبَدْرِ فِي الْهَوَى مَا الْأَقِي
 بِخِيَالٍ مِنْ طَيْفِكَ الطَّرَاقِ
 نُبَعُونِي عَنْ دَمْعِهَا الْمُهِرَاقِ
 فَيَكُونُ الشَّفِيعَ لِي بِالتَّلَاقِي

أَتَرَاهَا تَرْقُ لِلْعُشَّاقِ
 وَتُرَى وَدَّهَا عَلَى مَا عَهْدَنَا
 / ١٤ ب / كُلَّ يَوْمٍ أَرَى بِقَلْبِي أَشْوَا
 لَمْ أَجِدْهَا بِالْأَمْسِ فِيهِ فَحَسْبِي
 قَدْ حُرِمْنَا مِنْكَ الْوَصَالِ فَجُودِي
 إِنْ وَهَبْتَ الْكَرَى وَأَقْلَعْتَ الْعَيْدِ
 فَلَعَلَّ الْخِيَالِ يَنْظُرُ سُقْمِي

وقال أيضاً: [من البسيط]

تَسُرُّ قَلْبًا إِلَيْكَ الدَّهْرَ مُشْتَاقَا
 أَمْ قَدْ فَقَدْتَ قَدَتِكَ النَّفْسُ أَوْرَاقَا
 حَيَاةُ عَبْدِكَ لَا لَا قَيْتَ مَا لَا قَى

مَا بَالُ كُنْبِكَ لَا تَأْتِي لِعَادَتَهَا
 أَعَاقَهَا غَضَبٌ أَمْ صَدَّهَا مَلَكُ
 مَا رَأَى بَعْدَكَ لِي عَيْشٌ وَلَا نِعَمَتُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أَتَذْكُرُنِي لَيْلَى كَمَا أَنَا ذَاكِرٌ
لَنْ نَسِيَتْ عَهْدِي فَإِنِّي لَذَاكِرٌ
فَمَا أَنَا يَا لَيْلَى قَطُوعًا لِقَاطِعِ
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى وَاعْتَبِرْ بِهِ
/ ١٥ / فَإِنْ نَرَفِيهِ سَلْوَةً أَوْ تَنَاسِيًا
أَسْلُوهُ وَهَوَى لَيْلَى وَلَيْلَى حَيَّةٌ

وقال أيضاً: [من المنسرح]

دَانِيَةُ الدَّارِ وَالْمَزَارِ بِهَا
وَالْوَصْلُ لَا يُرْتَجَى أَصَوْرُهُ
فَالْوَجْدُ يَنْمِي وَمَا أَكْبَدُهُ
غَدَارَةٌ تَخْلِفُ الْوَعْدَ وَلَا
نَأَتْ فَزِدْنَا أَسَى لِفُرْقَتِهَا
وَلَمْ يَكُنْ لِي عَلَى تَعَسُّفِهَا
بِي فَرُطُ شَوْقٍ إِلَيَّ مُقْبِلَهَا
وَضَمُّ ذَاكَ الْقَوَامِ مُعْتَقَا
صَبَا إِلَيْهَا الْفَوَادُ فِي طَرْبِ
وَمَا قَضَيْنَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبَا
فَمَا حَيَاةُ الْمُحِبِّ مَعَ غَضَبِ

/ ٥٥ / وقال أيضاً: [من الخفيف]

أَتَرْجَى دُنُو دَارِكَ سُعْدِي
وَصُرُوفُ الْأَيَّامِ تُحَدِّثُ بَيْنَا
مَا ثَنَانِي عَنِ الْوُدَادِ صُدُودُ
فَارْحَمِي لَوْعَتِي وَفَرُطَ عَرَامِي
لَكَ مِنِّي بُدٌّ وَمَا إِن أَرَى مِنْ

وَالْتَنَائِي يَزِيدُ دَارَكَ بُعْدَا
كُلَّ يَوْمٍ لَشَفَوَتِي مُسْتَجَدَّا
وَلَا وَلَا خُنْتُ بِالتَّنَائِي عَهْدَا
وَارْثِي لِي مَنْ جَوَانِحَ لَيْسَ تَهْدَا
لَكَ [أ] يَا ضَرَّةَ الْعَزَالَةِ بُدَّا

شَبَّهَوْهَا بِالْبَدْرِ وَالْعُصْنِ جَهْلًا
عَلَّ دَهْرِي يُعِيدُ مَا اسْتَقْرَضَ الْبَيْدَ
وَيَعُودُ الزَّمَانُ يَجْمَعُ شَمْلِي
وَتُرِينِي مَنْ قَدَّهَا خُوطَ بَانَ
وَأَرَى مَنْ لَحَاطَهَا أَعْيَنَ الرِّيدَ
وَلَعْمَرِي لَقَدْ رَشَفْتُ زَمَانًا
هِيَ أَسْنَى وَجْهًا وَأَحْسَنُ قَدًا
سَنُ فَشَرَطُ الْقُرُوضُ أَنْ تُسْتَرَدًّا
وَأَرَى فِي جَوَانِبِ الْحَيِّ سَعْدِي
وَمَنْ الْخَدَّ جُلْنَارًا وَوَرْدًا
سَمَ وَلَكِنَّهَا تَصِيدُ الْأَسَدَا
مَنْ جَنَى رِيْقَهَا سَلَفًا وَشُهَدَا

وقال أيضًا: [من الطويل]

لَئِنْ أَصْبَحْتَ عَنِّي سُلَيْمِي غَنِيَّةً
لَئِنْ أَصْبَحْتَ عَنِّي سُلَيْمِي غَنِيَّةً
وَأَنْ قَطَعْتَ حَبْلِي وَصَلْتَ حَبَالَهَا
عَسَى يُعْقِبُ اللَّهُ أَصْطَبَارِي رَاحَةً
فَلِإِنِّي إِلَيْهَا مَا حَيْثُ فَقِيرُ
وَكُنْتُ صَبُورًا وَالْمُحِبُّ صَبُورُ
فَقَدْ قِيلَ عُقْبَى الصَّابِرِينَ حُبُورُ

وقال أيضًا، وقد رحل إلى حمص رسولاً إلى الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث
شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي صاحبها في العشر الأول من جمادى سنة ثلاث
وعشرين وستمائة، يتشوق إلى إخوته وأهل بالس: [من البسيط]

تُنْمِي إِلَيْكُمْ صَبَابَاتِي إِذَا قَرُبْتُ
فَلَا بَعْدُتُمْ وَلَا شَطَّ الْمَزَارُ بِكُمْ
أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضَحَى
فِيهِ وَفِي ظُلْمَةِ الْأَحْشَاءِ أَقْمَارِي
خِيَامُكُمْ وَدَنْتُ مَنْ دَارُكُمْ دَارِي
وَلَا خَلْتُ مِنْكُمْ أَبْكَارُ أَفْكَارِي

ثم عاد مرة ثانية في العشر ٦ب/ الأخيرة من الشهر المذكور، فكتب إليهم أيضًا بهذه

الآيات: [من الوافر]

تُرَى يُقْضَى لَنَا مَنْ بَعْدُ بَعْدُ
وَتَجْمَعُنَا الدِّيارُ كَمَا عَهْدُنَا
وَنُصْبِحُ لَا يُرَوِّعُنَا لَيْلِينَ
بِأَحْبَابِي لِقَاءً وَاجْتِمَاعُ
وَأَسْرَارُ لَدَيْنَا لَا تُذَاعُ
عَنِ الْأَحْبَابِ مَا عَشْنَا وَدَاعُ

وقال أيضًا وقد وصله كتابُ ولد أخيه وخَتَنه القاضي شهاب الدين من بالس يطلب منه

أَنْ يَعمَلَ لَهُ عَلَى وَزْنِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي مِنَ الثَّلَاثَةِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْفَذَهَا إِلَيْهِمْ مِنْ حَمَصَ :

أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَا قَلْبِي وَشَمْسُ ضَحَى
فِيهِ وَفِي ظُلْمِ الْأَحْشَاءِ أَقْمَارِي

فَعَمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ : [من البسيط]

يَنْهَلُ مِنْ دَيْمَةٍ وَطَفَاءٍ مَعْطَارِ
 دَارًا وَلَا أَنْتُمْ فِي الدَّهْرِ زَوَارِي
 وَزَادَ مَقْدَارُهُ عَنْ كُلِّ مَقْدَارِ
 مِنَ اللَّقَاءِ وَلَا قَضِيَتْ أَوْطَارِي^(١)
 دِيَارُكُمْ أَهْلَاتِ حُبِّ مُخْتَارِ
 وَجَدَ كَوْجَدِي وَتَذْكَارُ كَتَذْكَارِي
 عَلَيْكُمْ الشَّمْسُ مِنْ يُسْرِ وَإِسَارِ
 جُودًا يَغْمُ مُقِيمَ الْحَيِّ وَالسَّارِي
 يَقْرِي الضُّيُوفَ وَيَرَعَى حُرْمَةَ الْجَارِ
 يَسْعَى إِلَيْهِ بِقَلْبِ الضَّيْعَمِ الضَّارِي
 مُذْكَانَ مِنْ عُمَرِهِ لَمْ يُسْخَطِ الْبَارِي
 يَسُودُ فِي مَهْدِهِ عَارٍ مِنَ الْعَارِ

/١٧/ سَقَى بِلَادَكُمْ مُثْعَنَجْرُ عَدَقِ
 طَالَ أَشْتِيَاقِي لَكُونِي لَمْ أُرْ لَكُمْ
 شَوْقٌ تَجَاوَزَ حَدَّ الْوَصْفِ أَيْسَرُهُ
 مَضَى زَمَانِي وَمَا أَدْرَكَتُ مَا لَكُنِي
 أُحِبُّكُمْ يَا بَنِي عَجَلَانَ لَا بَرَحَتِ
 مَا شَوْفُكُمْ مِثْلَ أَشْوَاقِي وَلَا بِكُمْ
 فَلَا خَلَوْتُمْ مَدَى الْأَيَّامِ مَا طَلَعَتْ
 وَحَيِّي يَا رَبَّ عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ لَهُ
 وَحَيِّي وَالِدَهُ الْقَاضِي وَزَيْدَ فَتَى
 وَفِي الْوَعَى تَحَذَّرُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتُهُ
 قَوَامُ صَوَامٍ مُصَدِّقُ حَلِيفُ تَقَى
 فَالْشَيْخُ مِنْكُمْ وَمِنْ شَبَابِكُمْ أَبَدًا

وقال أيضاً من أبيات : [من الرجز]

فَلَا يُرَى إِلَّا فَتَى مَقْتُونُهُ
 إِنَّكَ مَعَ قَرْطِ الْجَمَالِ دُونُهُ^(٢)
 تَسْبِي الْعُقُولِ مِنْهُمْ فَنُونُهُ
 وَبِالْكَرَى قَدْ مَلَأَتْ جُفُونُهُ
 غَالَتْ فُؤَادِي مَا جَنَّتْ عِيُونُهُ

/٧ب/ كُلُّ الْوَرَى قَدْ فُتِنُوا بِحُبِّهِ
 فَضَّلَ بِالْحُسْنِ فَقُلْ ...
 فِيهِ فُنُونٌ لِلْأَنَامِ جَمَّةُ
 أَيْتَ طُولِ اللَّيْلِ لَا أَتَامُهُ
 أَسْهَرُ فِيهِ وَيَنَامُ وَادِعَا

وقال أيضاً : [من المنسرح]

وَأَنْتَ دُونَ الْأَنَامِ مَحْجُوبِي
 عَنْ وَجْهِكَ الْيُوسُفِيُّ مَحْجُوبِ
 وَخَانَ دَهْرٌ فَأَنْتَ مَطْلُوبِي
 مِنْ غَيْرِ عَتَبٍ وَغَيْرِ تَشْرِيبِ

كَمْ مِنْ حَنِينٍ إِلَيْكَ مَجْلُوبِ
 إِنْ كَانَ وَجْهِي وَلَيْسَ ذَا عَجَبَا
 فَأَنْتَ دُخْرِي إِنْ تَزَلْ بِي قَدَمٌ
 فَأَبْسَطْ لِي الْعُذْرَ عَشْتَفِي رَعْدِ

(١) المألحة : الرسالة .

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل .

وَعَيْرَ مَا تَبْتَغِي بِمَنْسُوبٍ
مَا سُقِيَ الرَّوْضُ بِالشَّائِبِ
طَاهَا وَيَاسِينَ فِي الْمَحَارِبِ

لَسْتُ إِلَى غَيْرِ سُودَدٍ أَبْدًا
عَمَادَ دَيْنِ الْإِلَهِ عَشْرَ رَعْدًا
وَأَسْلَمَ وَدُمٌ لِلزَّمَانِ مَا قُرِئْتُ

وقال أيضًا: [من معجزه الرمل]

زَائِرٌ جَدَّدَ وَجْهِي
سَ بَاعَ طَافَ وَقَدْ
لَمْ يَخُنْ مُذْ كَانَ عَنْ يَدِي
فِي قَمِيٍّ مِنْ غَيْرِ دُرْدِي
قَالَ لِي: دُونَكَ خَدِّي
لِلرُّدَيْنِي فَقَدْ
لَيْسَ لِلْعُشَّاقِ عُنْدِي
فَهْوَ فِيهِ غَيْرُ مَجْدِي
مُنْتَهَى غَايَةِ رُشْدِي
نَافِذًا عَيْنُ التَّعْدِي

٨٨/ زَارَنِي مِنْ غَيْرِ وَعَدَ
يُخْجِلُ الْغُضْنَ إِذَا مَا
بِأَبِي أَفْدِيهِ وَافَ
رَيْقُهُ الْخُمْرَةَ طَعْمًا
وَإِذَا مَا رُمْتُ نَفْلًا
وَأِنْ أَخْتَرْتُ عَنْ أَقْصَا
وَسَوَى هَذَا فَكَلًا
يَا عَذُولِي خَلِّ عَذْلِي
إِنَّ غِيَّيَ فِي هَوَاهُ
عَدَّ إِنْ حَاوَلْتُ سُلُوهَا

وقال أيضًا: [من معجزه الكامل]

فَمَنْ لَثُوبِ الْحُسْنِ لَا بَسْ
غُلِبَ الضَّرَّاءُ غَمِّ الْقَنَاسِ
رِيَّانُ لَا يَنْفَكُ مَائِسْ
سَ وَحِينَ يُصْبِحُ فِي الْقَوَارِسِ
إِلَّا وَأَشْرَقَتِ الْحَنَادِسُ
لَكِنْ عَلَى الْعُشَّاقِ عَابِسْ
وَصُدُودُهُ جَذَوَاتُ قَابِسْ
فِي خَلْوَةٍ وَاللَّيْلُ دَامِسْ
وَرَقَدْتُ بِأَلَمَامِ أَنْسْ
قَ فَلَيْتَنِي لَا كُنْتُ غَاطِسْ
بَ سُلَاقَةً وَالْجَفْنُ نَاعِسْ

خَلَعَ الْعَذَارُ أَخُو الْوَسَاوِسِ
ظَنِّي يَصِيدُ بِطَرْفِهِ
رَشَاءُ كُغْضَنْ أَرَاكَ
٨٩ب/ فِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ فِي الْعَرُوسِ
مَا لَاحَ فِي عَسَقِ الدُّجَى
طَلَقَ الْمُحْيَا بِاسْمِ
فِي الْقَلْبِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
كَمْ زَارَنِي مُتَخَفِيًا
عَانَقْتُ غُضْنَ قَوَامِهِ
وَعَطَسْتُ فِي بَحْرِ الْعَنَاءِ
وَرَشَفْتُ مِنْ خُمْرِ الرُّضَا

رُفْلَسْتُ مِنْ عَوْدٍ بَآيَسُنْ
 تَلُكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَجَالِسُنْ
 حَسَّادُنَا فِيهَا الْمَعَاطِسُنْ
 يَشْنَا سَجَايَاهُ النَّقَائِسُنْ
 غُلِبُ الْأُسُودَ لَهُ فَرَائِسُنْ
 مِنْ عَلَى مَعَالِيهِ حَبَائِسُنْ
 سُنْ وَبَذَرْتُ فِي الْمَجَالِسُنْ
 مَنْ فَلَا تَرَاهُ الدَّهْرَ عَابِسُنْ
 تَقْعَاسُ الصَّيْدِ الْأَشَاوِسُنْ
 هُ وَنَمَ قَرِيرَ الْعَيْنِ حَارِسُنْ
 تَوَاقٍ مِنْ كَلَفِ أُمَارِسُنْ
 لِمَلِيكِهِمَا وَأَحَبُّ بَالِسُنْ
 فَهُمْ بِوَحْشَتِهَا أَوَانِسُنْ
 مُغْدَوْدَقُ السُّحْبِ الرُّوَاكِسُنْ

إِنْ كَانَ قَدْ شَطَّ الْمَزَا
 وَتَعَوَّدُ تَجَمُّعُ بَيْنَنَا
 مَرُغُومَةٌ بِالْوَضَلِ مِنْ
 إِرْغَامِ نُورِ الدِّينِ مَنْ
 رَسْلَانِ شَاهِ غَضَنَفَرِ
 حَارَ الْمَكَارِمِ فَاغْتَدِي
 / ١٧ / لَيْثُ إِذَا حَمِيَ الْوُطَيْ
 مُتَهَلَّلاً لِلْمُعْتَقِ
 فَلَجُودِهِ وَلَبَّاسِهِ
 عَشْنَ أَمْنًا فَلَيْكَ الْإِلَ
 أَمْسِيَتْ لَلْأَشْوَاقِ وَالْأَ
 فَأَحَبُّ قَلْعَةٍ جَعْبَرِ
 لِأَخِيَوَةِ سَكْنُوا بِهِمَا
 لَا زَالَ يَمْرُغُ مَرْجَهَا

وقال أيضاً: [من السريع]

فَلْيَخْلَعْ الْعُشَّاقُ فِيهِ الْعِذَارُ
 وَأَقْلَعَ السُّلُوفَانُ وَالْإِصْطَبَارُ
 عَلَيْهِ مَعَ فَرْطِ انْخِلَاعٍ وَقَارُ
 لَوْنًا كَمَا يَنْتَسِبُ الْجَلْنَارُ
 فَهَلْ تُرَى مِنْ جَلَدٍ يُسْتَعَارُ
 كَمَ حَيْدَ عَنْهُ وَكَمَ ازْوَارُ
 لَا يَشْتَكِي شَارِبَهَا مِنْ خُمَارُ

زَادَ جَمَالًا حِينَ دَارَ الْعِذَارُ
 وَزِدْتُ وَجْدًا وَعَرَامًا بِهِ
 مُهَفِّفُ الْقَامَةِ مَيَّاسَهَا
 يَنْتَسِبُ الْوَرْدُ إِلَى خَدِّهِ
 فَقَدْتُ صَبْرِي مَذْنَاتِ دَارِهِ
 / ٩ب / قُولُوا لَهُ: يَرْحَمُ ذَا لَوْعَةٍ
 رِيْقَتُهُ الْقَرْقَفُ لَكِنَّهَا

وقال أيضاً: [من الخفيف]

بِرَقَاقِ بَيْضِ مَوَاضِي الْحَدِّ
 عِنْدَهُ سَطْوَةُ الْهَزْبِ الْوَرْدِ
 بَنِي وَلَا وَالْفُؤَادُ مَلِيكَ نَجْدِ

حَجَبُوهَا وَمَا الْحَجَابُ بِمُجْدِي
 وَيَسْمُرُ الْقَنَا وَكُلَّ كَمِي
 لَا يَفِيدُ الْحَجَابُ إِذْ أَنْتَ فِي قَلْدِ

أُتْرِي عَنْدَكَ إِلَيَّ غَرَامٌ
وَحَيْنٌ مُبْرَحٌ وَاشْتِيَاقٌ
بَلْ لَعَمْرِي لَقَدْ نَنَّاكَ التَّنَائِي
كَمْ تَمَالَوْا عَلَى الْمَلَامَةِ لَوْ
يَنْسُبُونِي جَهْلًا إِلَى الْعَيِّ فِي الْحُ

وقال أيضاً ابتداء قصيدة: [من الخفيف]

مَا بَكُمْ مِنْ صَبَابَتِي وَأَكْتَابِي
/ ١١٠ / وَأَتْرَكُوا اللَّوْمَ عُدْلِي فَهُوَ لَا يَجِدُ
أَنَا مُعَرِّي بِحُبِّ مَيَّاسَةِ الْأَعْدِ
تُحْجِلُ الْبَدْرَ إِنْ تَرَأَتْ بَلِيلُ
إِنْ تَكُنْ عَامِلَتْ ذُنُوبِي وَوَدِّي
وَأَنَا السَّامِعُ الْمُطِيعُ وَهَلْ يَعْدُ
لَيْسَ فِيهَا عَتَبٌ سِوَى أَنَّهَُا الدَّهْدُ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

إِنْ يَصُدُّوكَ بِي عَنْ الْإِجْتِمَاعِ
وَعَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ وَشَوْقِي
لَسْتُ أَنْسَاكَ بِالْعِبَادِ وَهِيهَا
لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا الْأَسَى وَدُمُوعُ
وَسَقَامٌ عَسَى يَرْقُ لَهُ الدَّهْدُ
وَعَسَاهُ يَجُودُ لِي مِنْكَ بِالْوَصْدِ
وَتَعُودُ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِي
/ ١١٠ ب / وَأُرَانِي مُعَانِقًا لِلتَّلَاقِي
رَاشِفًا مِنْ رُضَابِ فَيْكِ سُلَافًا
هَذِهِ الْحُلُ لَيْسَ مَا تَطْبُخُ النَّا
أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَوَجْهُكَ فِينَا
عَشْتِ لَا تَرْتَقِي إِلَيْكَ الْمَنَايَا

سَالِبٌ لِلْكَرَى كَمَا لَكَ عِنْدِي
لَا وَلَا وَجْدُكَ يَقَارِبُ وَجْدِي
عَنْ وَدَادِي وَقَدْ تَنَاسَيْتَ عَهْدِي
مُتَصَدِّقًا لِلَّوْمِ بِئْسَ التَّصَدِّي
بٌ وَعَيِّي فِي حُبِّ مِثْلِكَ رُشْدِي

فَافْصِرُوا مِنْ مَلَامَتِي مِثْلَ مَا بِي
سَبِّ نَفْعًا لَكُمْ وَخَلُّوا عَتَابِي
طَافَ تَخْتَالُ فِي ثِيَابِ التَّصَابِي
بِأَيْتِسَامٍ عَنِ الثَّنَايَا الْعَذَابِ
وَوَصَالِي بِالْصَّدِّ وَالْإِجْتَابِ
صَيِّ مُحِبٌّ أَوْ أَمْرُ الْأَحْبَابِ
رَعَى عَنِ الْعَيْنِ مَنْ وَرَاءَ حِجَابِ

فَوُدَادِي لَدَيْكَ غَيْرُ مُضَاعٍ
وَنَزَاعِي كَمَا عَهَدْتَ نَزَاعِي
تَ سُلُوي وَمَالَهُ مِنْ دَوَاعِي
سَحْهًا مُقْلَعٌ عَنِ الْإِفْلَاحِ
رُ وَوَجَدْتُ تَجْنُهُ أَضْلَاعِي
لِلْ وَأَحْظِي بِهِ وَبِالْإِرْتَجَاعِ
بِكَ يَا مُنْتَبِي وَبِالْأَطْمَاعِ
مِنْكَ قَدْ الْقَضِيْبَ لَا لِلْوَدَاعِ
سَلْسِيْلًا يَشْفِي مَنْ الْأَوْجَاعِ
رُ وَقَدْ مَأَّ أَحْلَاهَا الْأَوْزَاعِي
هُوَ شَمْسُ النَّهَارِ ذَاتُ الشَّعَاعِ
وَيَخْطُبُ مِنَ الرَّدَى لَا تُرَاعِي

وقال أيضاً: [من الخفيف]

مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْغَرَامِ الَّذِي بِي
ظَبِيهُ الْأَنْسُ لَا الْكَوَانِسَ تَرَعَى
تَغْرُهُمَ الْأَقَاحَ بَلْ لَلَالِي
فَهِيَ بَذَرُ الظَّلَامِ عِنْدَ التَّجَلِّي
إِنْ تَنَّتْ يَهْزُ مِنْ لَيْنٍ قَدْ
لَسْتُ أَخْلُو إِذَا تَرَأَتْ لَعِينِي
يَعْتَرِينِي الْحَيْنُ نَحْوَكَ إِنْ هَبَّ
يَا لِيَالِي الْوَصَالِ أَوْ بِي فَقَدْ آ
/ ١١١ / وَتَعُودُ الدِّيَارُ تَجْمَعُ شَمْلِي

وقال أيضاً: [من الطويل]

لَعَلَّكَ جَفَنَ الْعَيْنَ لِلنَّوْمِ تَسْرِقُ
وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا أَجْنُ مِنَ الْجَوَى
مُهْمَمَةً الْأَعْطَافِ أَفْنَى تَجْلُدِي
وَأُصْعَبُ مَا أَلْقَاهُ فِي الْحُبِّ أَتْنَى
إِذَا رُمْتُ كَتَمَانَ الْغَرَامِ سَعَتْ بِهِ
وَنَمَّ بِهِ سُقْمِي وَفَرَطُ صَبَابَتِي
فَإِنْ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَسْتُ بَعَاشِقُ
يَقُلُّ مِنْ لِسَانِ الْحَالِ يَكْذِبُ قَائِلُ

وقوله: [من السريع]

مُنِيتُ بِالْوَصْلِ وَعَفْتُ الْفِرَاقُ
وَسَامَحِي الصَّبِّ وَلَا تَبْخَلِي
بِقُبْلَةِ تَحِيَّا بِهِ أَرْوَحُهُ
/ ١١١ ب / أَوْ رَشَفَ رَيْقُ رَاقٍ تَرَوِيْقُهُ
مَاذَا عَلَى قَوْمِكَ لَوْرَقٍ لِي

وَأَلْتِي بِي قَدْ صَيَّرْتَهُ نَصِيْبِي
فِي ذِمَامِ الْغَرَامِ حَبَّ الْقُلُوبِ
يَتَلَالَا وَرَيْقُهَا لِلضَّرِيْبِ
وَهِيَ شَمْسُ النَّهَارِ عِنْدَ الْغُرُوبِ
عُصْنُ بَأْنٍ مُرَكَّبًا فِي كَثِيبِ
يَا لَقَوْمِي مَنْ كَاشَحَ أَوْ رَقِيبِ
سَتْ رِيَاخُ مَنْ شَمَالُ لَا جَنُوبِ
نَ لِيَالِي وَصَالِنَا أَنْ تَوْوُبِي
عَنْ قَرِيبٍ بِالْحَاجِبِ الْمَحْجُوبِ

عَسَى طَيْفُهَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
وَفَرَطُ صَبَابَاتِ خَبَاهَا التَّفَرُّقُ
وَقَلَّ شَبَابُ صَبْرِي إِلَيْكَ التَّشَوُّقُ
أَخَافُ أَتَهَاكَ السَّرَفِيْهِ وَأَفِرُقُ
عَلَى الرُّغْمِ مَنِيْ عِبْرَةٌ تَتَرَقَّرُقُ
فَلَا يَنْفَعُ الْكَتْمَانُ وَالْحَالُ تَنْطَقُ
وَقَدْ جُزْتُ سَبْعِينَ مِنَ الْعُمَرِ أَعَشَقُ
وَرَبَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ وَأَصْدُقُ

فَكَمَّلِي إِحْسَانَكَ بِالْعَنَاقِ
فَعْنَدُهُ فَرَطُ جَوَى وَأَشْتِيَاقُ
وَأَنَّهُمَا مِنْ حُرْقٍ فِي السِّيَاقِ
يَضُوعُ كَالْمَنْدَلِ عَذْبُ الْمَذَاقِ
قَلْبُكَ يَا لَمِيَاءُ مِمَّا الْأَقِ

مَشَايِخُ الْعُشَّاقِ عِنْدَ التَّلَاقِ
فَالْقَوْمُ حَقًّا مَا لَهُمْ مِنْ خَلَاقِ

هَلْ سَمِتَ إِلَّا قُبْلَهُ سَنَهَا
إِنْ يَغْضَبُوا مِنْهَا وَإِنْ يَعْتَبُوا

وقال : [من الطويل]

وَأَنْتَ إِلَى شَأٍوِ الْمَعَالِيِ أَسْبَقُ
رَقِيقُ الْحَوَاشِيِ حِينَ طَالَ التَّفَرُّقُ

أَتَتْنَا خِيُولٌ بِالْبَشَارَةِ تَسْبِقُ
وَكَانَ بَنَانُحُوا الْبَشِيرِ تَشَوُّقُ

وقوله من أول أبيات : [من الخفيف]

حِينَ لَاحَتْ مِنَ الْغُويرِ الْبُرُوقُ
وَبَدَا حَاجِرٌ وَلَا حَ الْعَقِيقُ
وَتَوَارَى بِالْأَبْرِقَيْنِ فَرِيقُ
وَحِينًا مِنْهُ الْفُوَادُ الْمَشُوقُ
قُ وَمَنْ لَا يَشُوقُهُ الْمَعْشُوقُ
وَلَطَبِي الْفَلَاةُ جِيدٌ وَمُوقُ
كُلْ مُدَامٌ وَتَغَرَّهَا الرَّأُوقُ
دَائِمُ السُّكْرِ فِي الْهَوَى لَا أَفِيقُ
مَا إِلَى الْقَلْبِ لِلْسُّلُوكِ طَرِيقُ

عَاوَدَ الْقَلْبَ وَجَدَهُ وَالْخُفُوقُ
وَتَرَأَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ سَلْعِ
وَبِرَأْسِ الْجَرَعَاءِ بَانَ فَرِيقُ
أَذْكَرَتْهُ الْأَحْبَابُ فَارْتَاخَ شَوْقًا
وَكَذَا كُلُّ مُغْرَمِ الْقَلْبِ يَشْتَا
/ ١١٢ / عَادَةُ لِلْقَضِيبِ مِنْهَا التَّشْيِ
رَيْفُهَا لِلْمُحَسَّبِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ
أَنَا سَكْرَانٌ جُبَّهًا لَيْتَ أَتِي
لَا يُرْجِي الْعَدُولُ مِنِّي سُلُوكًا

وقال : [من الوافر]

وَأَثَرَتِ الْقَطِيعَةُ وَالْمَلَالَا
أَهْجَرَانَا أَرَادَتْ أَمْ دَلَالَا
تُحَاكِيه قَوَامًا وَاعْتَدَالَا
وَأَشْبَهَتْ الْعَزَالَةَ وَالْعَزَالَا
فَلَا أَعْتَدُهُ إِلَّا ضَلَالَا
وَحَرَّمْتَ التَّدَانِيَّ وَالْوَصَالَا
وَحَرَّمَ مَنْ جَهَّالَتِهِ الْحَلَالَا

سَلَاهَا لَمْ تَجَنَّبِ الْوَصَالَا
وَأَظْهَرْتَ التَّجَنُّبَ لَا لَجَرَمِ
فَيَا شَبَّهَ الْقَضِيبَ إِذَا تَنَتَّ
حَكَيْتَ لَنَا الْعَزَالَةَ حِينَ تَبْدُو
هَوَاكُ هُدَى وَكُلُّ هُدَى سَوَاهُ
لَقَدْ حَلَلْتَ إِبْعَادِي وَهَجْرِي
فَكُنْتُ كَمَنْ أَحَلَّ دَمًا حَرَامًا

وقال أيضاً وقد وصله كتاب من / ١٢ب / أخيه جمال الدين أبي الحسين في المحرم

سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وفيه أبيات شعر فكتب إليه أبو سعد هذه الأبيات

في الوزن والروي وهي : [من الوافر]

لَثَمْتُ كِتَابَكَ الْمَحْبُوبَ عَشْرًا
فَبَلَّ غَلِيلَ وَجَدٍ وَاشْتِيَاقَ
إِذَا مَا مَرَّ يَوْمٌ لَا أَرَاكُمْ
فَكَيْفَ إِذَا انْقَضَى شَهْرٌ وَشَهْرٌ
وَقَدْ مَلَأَ الْأَسَى وَالشُّوقُ قَلْبِي
فَمَا عُذْرِي إِلَى إِخْلَاصِ وَدِّي
هِيَ الْأَقْدَارُ لَا تَجْرِي بِحُكْمِي
فَتُورِقُ بِالْدُّنُو غُصُونٌ وَصَلِي
/ ١١٣ / وَعُدَّ مَنْ بِالشَّبَابِ يَعُودُ حَتْمًا
فَعَنْ كُتُبِ تَبْلُغْنِي اللَّيَالِي
وَأَسْتَعْنِي أَخِي إِذَا التَّقِينَا
كَمَا تُغْنُونُ عَنْ قَاصٍ وَدَانٍ
أَخِي وَدُّ مُحِبٌّ غَيْرَ جَافٍ
وَلَا وَاللَّهِ مَا جَنَحْتُ بَصَدِّ
عَلَيْكُمْ أَخَوَتِي مِنِّْي سَلَامٌ

وَبَاتَ مُعَانَقًا سَحْرِي وَنَحْرِي
قَلِيلُهُمَا يَقِلُّ لَدَيْهِ صَبْرِي
فَلَيْسَ أَعْدُهُ مِنْ بَعْضِ عُمْرِي
بِفُرْقَتِكُمْ وَشَهْرٌ بَعْدَ شَهْرٍ
كَمَا أَنَّ الصَّبَابَةَ حَشَوُ صَدْرِي
وَفَرَطَ مَحَبَّتِي يَأْلَيْتَ شِعْرِي
يَجُودُ وَيَجْمَعُ شَمْلِي عَلَّ دَهْرِي
وَيُسْفِرُ بِالتَّلَاقِي وَجْهَ بَشْرِي
إِذَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ الدَّارَ مَثْرِي
مُرَادِي تَسْتَدِينُ دَوَامَ شُكْرِي
جُعِلَتْ فِدَاكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍو
عَشِيَّةَ جَمْعٍ شَمْلَكُمْ بِنَصْرِ
وَفِي غَيْرِ مُلْحَفٍ بَعْدَرٍ
لَهُ نَفْسٌ وَلَا سَمَحَتْ بِهِجَرٍ
سَلَامًا لَا يَزُولُ بِمُسْتَمِرٍّ

وله أشعار كثيرة في الأزجال والدوبيت وقوله في الدوبيت : [من الدوبيت]

كَمْ يَأْمُرُ بِالْكِتْمَانِ فِي زِيِّ نَصُوحٍ
بَسِيَّ بَسِيٍّ أُرِيدُ يَا صَاحِبَ أَبُوحٍ
وَالْحُبُّ دَلِيلُهُ عَلَى الْوَجْهِ يُلُوحُ
قَدْ ضَرَبَ بِي الْكِتْمَانُ فِي ضَرِّهِ يُوحُ

وقال أيضًا في المعنى : [من الدوبيت]

/ ١٣١ / كَانَتْ بِكُمْ تِلْذُّلِي أَوْقَاتِي
يَا مُشْهَةَ الْهَلَالِ يَا مَوْلَاتِي
فِي الْجَلُوءَةِ تَارَةً وَفِي الْخَلَوَاتِ
لَوْلَا حَذْرِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي

[٨٥٦]

نصر بن أبي النجاة، أبو الفتح الأحميمي .

من أهل الديار المصرية .

كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عالماً فاضلاً شاعراً جيداً مطبوعاً في الشعر، يمدح ويسترفدُ الكبراء والأعيان بقوله؛ نحوياً أديباً يحفظ كثيراً من الكتب الأدبية من جملتها كتاب «المفصل» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، وكتاب «المقامات» لأبي محمد القاسم بن علي الحريري؛ وغير ذلك من الكتب والأشعار مع أخذه بأوفر نصيب من الأدب وعلم العربية.

أقام بدمشق زمناً طويلاً ثم خرج منها ونزل الموصل فسكنها ثم عاد إلى دمشق فاستوطن الإقامة بها في المدرسة الأمينية وسكنها برهة من الزمان. ثم انتقل إلى بيت المقدس - حمى الله حوزته - ولم يزل بها مقيماً إلى ١٤ / أن توفي - رحمه الله تعالى - .

أنشدني من شعره الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مقبل بن الفقاعي الموصلية بها في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بمنزله - رحمه الله تعالى - قال : أنشدني أبو الفتح نصر بن أبي النجاة الأحميمي لنفسه في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بالموصل يمدح معين الدين أبا علي الحسن ابن شيخ الشيوخ بمصر : [من الرمل]

هَاجِعَ الْمُقْلَةَ هَبْ جَفْنِي الْوَسْنَ	فَعَرَامِي سِرُّهُ فِيكَ عَلَنُ
وَسَوَى حُبِّكَ فِي قَلْبِي مَا	حَلَّ وَاللهُ وَلَا فِيهِ سَكَنُ
أَنْتَ يَا صَارِفَ وَقْتِي شُغْلًا	عَوْضٌ لِي عَنْ خَلِيلٍ وَسَكَنُ
لَأَنْ قَوْلِي لَكَ عَتَبًا مِثْلَمَا	لَنْتَ أَعْطَا فَا وَلَمْ سَاءَ وَبَدَنُ
وَجَزَانِي بَعْدَ لَيْتٍ وَعَسَى	مَنْكَ يَا مُسْقَمَ جِسْمِي لَمْ وَلَنْ
أَحْلَالَ لَكَ تَجَفُّو مُغْرَمًا	بِهَوَاهُ وَجَوَاهُ مُرْتَهَنُ
وَيُدَارِيكَ وَلَا تَسْأَمُ مَنْ	جَوْرَ صَدِّ وَإِثَارَاتِ الْفَتَنِ
سَيْفُ أَجْفَانِكَ مَا أَقْتَلُهُ	أَتُرَى أَسْتَلَّ شَبَاهُ دُوَيْزَنُ
١٤ب/ عَقْدُ أَيْمَانِكَ كَمْ تَنْقُضُهُ	وَتَلَا شَيْهَ بَضْعُفٍ وَوَهْنُ
وَعَدُولُ فِيكَ أَزْرَيْتُ بِهِ	فَانْشَى مُغْضَبَ قَلْبٍ مُمْتَهَنُ
قَالُوا: تَجَفُّوهُ وَتَعْتَرُّ بِهِ	وَهُوَ يُعْرِِي بِكَ فِي الْحُبِّ الْمَحَنُ
قُلْتُ أَهْـوََاهُ وَأَهْـوََاهُ وَلَا	يَلْجُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُمْتَحَنُ

وَلَوْ أَنِّي مُودِعٌ طَيِّ كَفَنُ
لَمُعِينُ الدِّينِ ذِي الْمَجْدِ حَسَنُ
بِالْأَيَادِي فَرَضَ الْبَذْلَ وَسَنُ
فَرَوَى الرِّفْعَةَ فِيهِ عَنْ وَعَنُ
وَأَبَوَهُ وَأَخُوهُ مَنْ وَمَنْ
سُبُلَ الْخَيْرِ طَرِيقًا وَسَنَنْ
لَا تُسَاوِي دَارَ عَدْنٍ بَعْدَنْ
عِلْمُ وَالْحِلْمُ وَتَقْلِيدُ الْمَنْ
الَّذِي يُنْبِتُ غَبْرَاءَ الدَّمَنْ
حَسَنٌ يَوْصَفُ إِلَّا بِحَسَنُ
يَنْطَلُوي فِيهِ عَلَى خَبَثِ دَرَنْ
لَا يُرَى فِيهِ عُيُوسٌ بَعْضَنْ
نُورُهُ خَرَسَجُودًا لِلذَّقَنْ (١)
تُوجِبُ الدَّمَّ كَمَا دَمَ الزَّمَنْ
قَرَفِي مَهْدُ غُلَاهُ وَاسْتَكَنْ
حَاكِيًا مَلْبَسُهَا عَضْبَ الْيَمَنْ
بَاعَثَاتُ كُلِّ صَوْتٍ مِنْ فَنَنْ
هَاجَ لِلْقَلْبِ حَيْنًا وَشَجَنْ
وَبَهَاءَ وَذِكَاءَ وَفَطَنْ
وَالْقَ أَغْدَاءَكَ مِنْهُ بِجُنَنْ
طَرَفُهُ الشَّوْقُ إِلَى نَحْوِ وَطَنْ

الْعَذَابُ الْعَذْبُ أَلْتَدْبُهُ
وَأَمْتَدَاحِي وَوَلَائِي مُخْلِصًا
الْجَوَادُ الْبَاسِطُ الْكَفَّ الَّذِي
وَأَسْتَوَى فَوْقَ غُلَاهُ جَالِسًا
فَهُوَ مَنْ أَصْبَحَ يَعْلُو شَرْفًا
وَالَّذِي أَوْضَحَ لِلْسَالِكِ فِي
لَا يُسَاوِيهِ مَسَاوٍ مَثَلَمَا
الْحَيَاءُ الْمَخَاضُ وَالْعَقَّةُ وَالْ
وَالسَّخَاءُ الْهَامِرُ الْهَامِي النَّدَى
طَابَ أَضْلًا وَزَكَافَرَعًا وَهَلْ
/ ١٥ / كَأَيْبِهِ طَاهِرُ الْجَيْبِ فَمَا
وَجْهُهُ أَنْوَرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
لَوْرَاهُ يُوْحِ يَبْدُو سَاطِعًا
أَوْ أَتَى فِي زَمَنْ صُحْبَتِهِ
يَا مُعِينُ الدِّينِ يَا أَشْرَفَ مَنْ
مَا الرُّبَى ضَا حَكَّةً أَزْهَارَهَا
مُطَرِّبَاتُ بِالْغَنَّا أَطْيَارَهَا
كَلَّمَامَرٍّ بِسَمْعِي سَامِعٍ
مَثَلُ أَوْصَافِكَ بُلَا وَنَهَى
فَالْتَزَمَ سَعْدَكَ يُرْجَى ثَابِتًا
وَأَبَقَ مَا حَنَّ غَرِيبٌ وَتَنَى

وقال أيضًا في الفلك أبي القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن المسيري / ١٥ ب /
المصري حين خلع عليه ببغداد الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن
محمد بن أحمد - رضي الله عنه - وجاء إلى دمشق ولازم التخرق بدروبها

والخلعة عليه والإعلام خلفه : [من المنسرح]
جَاءَ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ مُحْتَسِبِ الْ
وَقَالَ : هَذَا الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ
تَمْشِي بِأَعْلَامِكَ الْمَشُومَةِ فِي السُّ
مَا عَاَزَكَ الْيَوْمَ غَيْرُ دَبْدَبَةٍ
يَضْرِبُ مِنْ حَوْلِكَ الصَّغَارُ بِهَا
وَأَنْتَ تَدْرِي بِأَنْتَنِي رَجُلٌ
وَلَا أُغَشُّ السُّلْطَانَ فِي عَمَلٍ
فَالْجَحْشُ وَالْقَنْبَرِيسُ قَدْ حَضَرَا

بَلَدَةٍ فِي خُفْيَةٍ إِلَى الْفَلَكِ
يَلْزَمُنِي مِنْهُ غَايَةُ الدَّرَكِ
سَوْقٌ وَلَا غَايَانِ فِي السَّكِّ
وَتَغْتَدِي ضَحْكَةً مِنَ الضَّحْكِ
وَضَحْكُهُمْ نَصْفُهُ عَلَى الْمَلِكِ
أَخَذُ أَمْرِي بِالْدَيْنِ وَالنُّسْكِ
وَذَاكَ مِنْ شَرِّ مَا رَوَيْ وَحُكِي
وَدَرْتَنِي فِي يَدِي وَأَنْتَ ذَكِي

[٨٥٧]

أبو نصر بن اللُّعْبِيَّةِ الْهُمَامِيُّ .

وَالْهُمَامِيَّةُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى وَاسِطٍ ^(١) .

أنشدني الأميرُ شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي بها ، قال :
أنشدني إبراهيم بن يوسف الحراني ، قال : أنشدني أبو نصر بن اللُّعْبِيَّةِ الْهُمَامِيُّ لِنَفْسِهِ : [من
الطويل]

كَتَبْتُ وَمَالِي مِنْ خَلِيلٍ أَوْدُهُ
تُرْتَحْنِي رِيَاءُهُ إِنْ هَبَّتِ الصَّبَا
سَوْىَ صَاحِبٍ يَخْتَارُ مُضِرَّ مَقَامِهِ
وَيُذَكِّرُنِي لَمْعُ الْبُرُوقِ ابْتِسَامُهُ

وأنشدني ، قال : أنشدني إبراهيم ، قال : أنشدني أبو نصر الْهُمَامِيُّ لِنَفْسِهِ :

[من البسيط]

يَا مَنْ يَكْلِفُنِي مَا لَيْسَ فِي سَعَتِي
تَخَافُ مِنْكَ الرَّدَى نَفْسِي فَوَاعَجِبَا
وَمُخْلِفي لَشَقَائِي فِيهِ مَا وَعَدَا
لِحَاطِ عَيْنَيْكَ تُصْمِنُنِي بِأَسْمِهِمَا
أَنْتَ الْمَخُوفُ فَفِيمَا تَحْمِلُ الْعُدَا
فَمَا لِحَدِيدِكَ دُونِي تَلْبَسُ الزَّرْدَا
١٦ / ب (٢) .

(١) انظر : معجم البلدان / مادة (الهامية) .

(٢) هذه الصفحة بكاملها بياض في الأصل .

ذكر من اسمه نصر الله

[٨٥٨]

نصرُ الله بنُ أسعدَ بن نصر الله بن عامر بن أبي البركات بن
المجلى، أبو الفتح البلدي^(١).

تفقه على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - بالموصل، وتأدب ثم صار إلى
الصاحب كمال الدين أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصل يكتب له الإنشاء،
وصحبه إلى أن مات.

شاهدته بحلب مرة واحدة؛ وهو شاب أسمر، قد نزل بعارضيه الشيب. وسألته عن
ولادته، فقال: ولدت ببلد في سنة خمس وتسعين وخمسائة.

وأنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها الملك الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر بن
أيوب: [من الطويل]

إِلَيْكَ قَطَعْنَا الْيَدَا ابْنَ الْمُعْظَمِ	عَلَى كُلِّ حَرْفٍ كَالْحَيَّةِ مُرْزَمِ
وَحُضُنَا بِلَادًا طَالَ بِالْمَاءِ عَهْدُهَا	وَلَمَّا تَطَاهَا غَيْرُ عَادٍ وَجَرُّهُمْ
عَلَيْهَا فُتِّي كَالْقَسِيِّ مِنَ السُّرَى	نَشَاوَى مِنَ الْإِذْلَاجِ مِثْلَ الْمُعَمِّ
إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ بْنَ عِيْسَى الَّذِي غَدَتْ	مَحَبَّتُهُ فَرَضًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ

/ ١٧ب/ وهي قصيدة طويلة، ولم ينشدني منها غير ما أوردته؛ لأنه لم يكن في
الوقت سعة لأعلق عنه شيئاً سواها.

وقال يرثي المعين أبا القاسم علي بن الصاحب كمال الدين محمد بن علي بن مهاجر
وقد استشهد على أيدي التتار الملاعين - خذلهم الله تعالى - بسنجار:

[من الطويل]

لَعَلَّ عَصِيَّ الدَّمْعِ يَوْمًا يُسَاعِدُ لِيَرْتَاحَ مَحْزُونٌ وَيُسْعَدَ وَاجِدُ

(١) في هامش الأصل: «وفاته سنة ست وخمسين وستمائة».

أَمَّا النَّوْمُ عَنْ أَجْفَانِ عَيْنِي شَارِدُ
أَمَّا الدَّمْعُ مِنْهَا فِي النُّحُورِ قَلَائِدُ
بِحُكْمٍ يُرَجِّيه الَّذِي هُوَ قَادُ
طَوَالَ اللَّيَالِي سَاهِرُ الْجَفْنِ سَاهِدُ
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا زَفِيرِي وَأَقْدُ
وَكُلُّ بِهِذَا الْقَوْلِ مِثْلِي شَاهِدُ
بِعِزِّهِ لَهُ الْآرَاءُ زَنْدٌ وَسَاعِدُ
إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا مَقَامُكَ خَالِدُ
وَحَدَامُكَ الْحُورُ الْحَسَنُ النَّوَاهِدُ
وَجَاهِدَتْ لِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ يُجَاهِدُ
فَلَلَهُ حَافِئٌ مِنْ طَبَاكِ وَدَائِدُ
تَشَابَهَ مَوْلُودُ كَرِيمٍ وَوَالِدُ
وَإِنْ كَانَ يُسْلِي مَنْ سِوَايَ التَّبَاعِدُ
تَرَقُّ لَهُ مِمَّا يَلْقَى الْحَوَاسِدُ
يُكَابِدُ مَنْ أَشْجَانَهُ مَا يَكَابِدُ

سَحَائِبُ تَحْدُوهَا إِلَيْهِ الرُّوَاعِدُ
إِذَا ضَنَّتِ الْأَنْوَاءُ هُنَّ مَوَارِدُ

وَهَبْ أَنْ عَاصِيَهُ أَجَابَ مُسَاعِدُ
وَهَبْ أَنْ عَيْنِي عَاوَدَ الْعُمُضُ جَفْنَهَا
تَرَجَّ وَلَكِنَّ الْفَتَى لَيْسَ مُدْرِكُ
أَبَا قَاسِمٍ إِنِّي عَلَيْكَ مُوَلِّدُ
أَيُّتُ عَلَى جَمْرٍ تَضَمَّنَهُ الْحَشَا
/ ١١٨ / وَلَمْ لَا وَقَدْ كُنْتُ الْمُعِينُ عَلَى الرَّدَى
سَمَوْتُ إِلَى الْعُلْيَاءِ حَتَّى بَلَغْتَهَا
وَلَمْ تَرْضَ فِي الدُّنْيَا مَقَامًا فَحَزَنْتَهَا
وَلَمْ تَرْضَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ خَوَادِمًا
وَيَوْمَ قَتَلَ التُّرُكُ حَامِيَتَ دُونَنَا
وَدُدْتُ عَنْ الْإِسْلَامِ بِالْبَيْضِ وَالطُّبَا
وَأَمْسَيْتُ مُحَمَّدًا السَّجَايَا مَمْدَحًا
فَمَا أَنَا بِالنَّاسِيكِ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَكُفَّ مَلَامِي لِأَتَمِّي عَنْ مُقْجَعٍ
وَلَا تَطْلُبِ السُّلُوفُ مِنْهُ وَخَلَّهِ

ومنها:

سَقَى جَدَثًا أَضْحَى بِسُنْجَارِ كَعْبَةٍ
وَرَوَّاهُ مِنْ كَفِّ الْوَزِيرِ عَمَائِمُ

وهي أكثر من هذا.

[٨٥٩]

١٨٨ب/ نصرُ الله بن علي بن نصر الله بن علي بن عبد القاهر بن
المجلى، أبو الفتح بن أبي الحسن الموصلي، المعروف بابن
السَّمين^(١).

كان فقيهاً حنفياً حافظاً للقرآن الكريم. درس فقه الإمام أبي حنيفة - رضي الله

(١) ترجمته في: الجواهر المضية ٣/ ٥٥٢ نقلها عن القلائد.

عنه - بالمدرسة البرسقية بالموصل ، جوار باب المشرعة على دجلة .

سألته عن ولادته ، فقال : ولدت في ثامن رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وذكر أنه ممن يجتمع نسبه بنسب الأمير شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي . وكان رجلاً شديد صفرة اللون مائلاً إلى السمرة .

اجتمعت به غير مرة وسألته إنشاد شيء من شعره فأنشدني كثيراً منه ، إلا أنه لم يكن في ذلك الوقت فسحة مجال لأعلقه عنه ؛ ثم توجهت إلى البلاد الشامية ، وخبرت أنه توفي - رحمه الله تعالى - .

ومما أنشدني لنفسه وظفرت به في بعض التعليقات قوله : [من الطويل]

١١٩/ سَلَامٌ وَإِنْ لَمْ يَشْفِ حَرّاً وَآمِي	تَحْيَهُ مُشْتَقَاقٌ وَرَجْعُ سَلَامٍ
سَلَامٌ كَمَا مَرَّ النَّسِيمُ بِشَرْكُمِ	يَضُوعٌ بِوَجْدِي نَاهِضٌ وَغَرَامِي
عَلَى عَيْشَةٍ وَلَّتْ بِكُمْ فَكَانَهَا	بَعَيْنِي وَإِنْ طَالَتْ حَدِيثُ مَنَامٍ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْفِرَاقَ فَكَمْ رَمَى	صَحِيحٌ فُوَادَ بَعْدُكُمْ بِسَقَامٍ
وَأَغْطَشَ لَيْلَ الْوَصْلِ بَعْدَ ابْيَاضِهِ	وَأَيَّامَنَا مُحْفُوفَةً بِظَلَامٍ

[٨٦٠]

نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أبي
الفرج بن الحسن بن علي ، أبو البركات الأنصاري ، المعروف
بابن الحنبلي .

من أهل دمشق وأشهر بيت بها . الشيخ الفقيه الأديب .

فقيه محسوب مع الفقهاء ، وشاعر معدود من جملة الشعراء ، جيد المقاصد ، حسن المصادر والموارد . سافر إلى بلاد اليمن واتصل بخدمة الملك العزيز أبي الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي - سلطان اليمن - واختص به ، واكتسب منه مالاً طائلاً ورزقاً واسعاً ؛ ثم عاد إلى دمشق ، وتوفي بها قبل سنة عشر وستمائة .

ومن شعره فيه يمدحه سنة / ١٩ ب / ثمان وثمانين وخمسمائة : [من الوافر]

سَقَى بَرْدِي وَوَادِيَهَا سَحَابٌ مِلْتُ الْقَطْرِ هَطَّالَ رَبَابٍ

بَغَيْثُ لَا يَغِبُّ لَهُ أَنْسَابُ
جَوَاسِقُ كُلِّ مَا فِيهَا عَجَابُ
وَإِخْوَانٌ بِهِمْ طَابَتْ وَطَأَبُوا

وَرَوَى التَّيْرَبَيْنِ فَبِيتَ لَهَا
إِلَى الشَّرَفِ الْمُنِيفِ فَمَا حَوَتْهُ
مَعَاهِدُ لَذَّتِي وَمَقَرُّ أُنْسِي

ومنها:

يَطِيرُ لَهَا كَمَا طَارَتْ عُقَابُ
رَشَافِي مِثْلَهُ عَذْبَ الْعَذَابُ
وَمَنْ أَرْدَافَهُ عَنَّا أَنْجَذَابُ
فَرِيقَتُهُ لَنَا عَنْهَا مَنَابُ
يُطَارِحُهُ مِنَ الْوَجْدِ الْعَتَابُ

يَكَادُ الْقَلْبُ مَنْ فَرَطَ أَشْتِيَاقُ
فَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ نَادَمْتُ فِيهَا
لَهُ مَنْ خَضِرُهُ فِينَا أَنْعَطَافُ
أَرَى مَا أَعْوَزْتَنَا الرَّاحُ يَوْمًا
خَلَوْتُ بِهِ وَلَا أَرُبُّ سِوَى مَا

ومنها:

كُحْرُومٌ لَنَا بِهَا خُودٌ كَعَابُ
بَهَا وَبَرَا حَهَا وَهُوَ الْغُرَابُ
وَيُرْفَعُ بِالْحَوَاجِبِ لِي الْحَجَابُ
إِلَى أَنْ شَابَ وَأَنْتَقَلَ الْخَضَابُ
وَلَمْ نَلْمَمْ بِمَا تَحْوِي الثِّيَابُ
عَزِيزُ الْمَلِكِ أَطْلَعَهُ الْإِيَابُ
إِذَا مَا ضَنَّ بِالْعَيْثِ السَّحَابُ
يَهْوَنُ بِهِ إِذَا فَعَلَ الصَّوَابُ
وَهَلْ لِلْبَدْرِ فِي الظُّلَمِ احْتِجَابُ
عَلَيْهِ لَا يَعِيبُ وَلَا يَعَابُ
غَدَا تُرَبُّ الشُّهَاءِ وَهُمْ التُّرَابُ
وَتَعْنُو حِينَ يَرْتَفِعُ الْحَجَابُ
تَقَاصِرَ عَنْ إِحَاطَتِهَا الْحَسَابُ
لِرَاجِيهِ وَعَرَضٍ لَا يَهَابُ

وَكَعْبَةٌ لَذَّةٌ تَجْلُو عَجُوزَ الـ
بَلِيلِ عَادَ كَالْبَازِي لَوْنًا
/ ٢٠ / تَغَازُلُنِي عُيُونُ الْعَيْنِ فِيهِ
قَصَرْتُ عَلَى الْغَنَاءِ مَا طَالَ مِنْهُ
غَنِيًا بِالْغِنَاءِ عَنِ الْغَوَانِي
وَأَسْفَرَ صُبْحَنَا يَحْكِي مُحْيَا الـ
هُوَ الْمَلِكُ الْجَوَادُ بِمَا حَوَاهُ
جَمِيلُ الذِّكْرِ دُرِّي سَدِيدُ
يَدُلُّ عَلَيْهِ فِي الْجُلَى سَنَاهُ
وَأَرْوَعُ لَا يَخَافُ هُجُومَ خَطْبُ
إِذَا مَا عَدَدُوا الْأَمْلَاكَ طُرًّا
تَخَرُّ الصَّيْدُ مَنْ رَهَبَ لَدَيْهِ
مَآثِرُ لَوْ أَرَدَتْ لَهَا حَسَابًا
فِدَاؤُكَ كُلِّ ذِي عَرَضٍ مُهَيَّبِ

وهي قصيدة طويلة وهذا القدر منها كاف .

[٨٦١]

نصرُ الله بن محمد بن بابا، أبو الفتح بن أبي بكر الأسعدي.

من أهل ديار بكر.

كان شاعراً متوسعاً في القوافي، قوي النفس، طويل الباع في نظم القريض صاحب قدرة على إنشائه، سمى نفسه «مادح الرحمن» لأنه استفرغ جميع شعره في الله - عز وجل - والثناء عليه والتوحيد له سبحانه وتعالى. ولم يتعرض لمدح أحد من العالم البتة، وديوان أشعاره كبير الحجم.

أقام بالبلاد الشامية زمناً طويلاً، وكتب الناس كثيراً من شعره، ورووه عنه، وسمع الحيص بيص الشاعر^(١)، ونزل دمشق وكتب عنه من شعره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني، وأثبت ذكره في كتابه «ذيل الخريدة وسيل الجريدة» وأورد له أبياتاً في التوحيد والزهد والاعتبار، وغير ذلك.

أنشدني الشيخ الخطيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي ثم الدمشقي بها - رحمه الله تعالى - من / ١٢٢ / لفظه - وذكر لي أن جميع ديوان شعره، سمعته عليه، قال: أنشدني أبو الفتح - مادح الرحمن - لنفسه، من قصيدة أولها في التوحيد لله - عز وجل - : [من الكامل]

عَزَّ تَوْحِيدٌ قَبْلَ كُلِّ مُوَحَّدٍ	وَعَلَا بِمَجْدٍ بَعْدَ كُلِّ مُمَجَّدٍ
وَدَوَامُ مَوْلَى لَا يَدُومُ بَقَاؤُهُ	لَمَّا يَلِدْ أَحَدًا وَلَمَّا يُولَدْ
مَلِكٌ مَحَامِدُهُ بَعِيدُ نَيْلِهَا	وَعَطَاؤُهُ سَهْلٌ قَرِيبُ الْمَوْرَدِ
تَفَنَّى الصِّفَاتُ وَلَا تُحِيطُ بِوَصْفِهِ	أُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَمْ يَنْقَدِ
وَيَكُلُّ فَهْمُ الْعَقْلِ عَنْ إدْرَاكِهِ	وَيَعُودُ عَنْهُ بِحَيْرَةٍ وَتَلَدِ
رَبِّ كَرِيمٍ مَا يُخَيِّبُ سَائِلًا	فَاضْرَعْ إِلَيْهِ بِذِلَّةٍ وَتَعَبُدْ
وَاطْلُبْ عَظِيمًا مِنْ عَظِيمِ جَلَالِهِ	وَارْغَبْ إِلَيْهِ وَزِدْهُ حَمْدًا تَزِدْ

(١) وهو سعد بن محمد بن سعد بن الصفي التميمي، شاعر مشهور، من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس، توفي سنة ٥٧٤هـ.

وَأَنْظُرْ إِلَى أَكْوَانِهِ مِنْ فَوْقِنَا
وَنَرَانَهَا بِكَوَاكِبٍ كَمَوَاكِبِ
إِنَّ الصَّنَائِعَ بَذَوُّهَا مِنْ صَانِعٍ
وَبَوَسَعَهَا يَوْمِي إِلَى فَهْمِ الْوَرَى
/ ٢٢ ب / وَبَقَهْرَ صَانِعِهَا تَذَلُّ وَلُطْفِهِ
وَطُلُوعِهَا سَتًا مُقَابِلَ سِتَّةٍ
وَبَشْمِشِهَا وَهَالِلِهَا فِي عَرْضِهَا
وَبَرِيْسِيْهَا الْمُشْتَرِي وَعُطَارِدِ
وَبِحُمْرَةِ الْمَرِيْخِ فِي أَكْنَفِهَا
وَبَشْعَرِيْيْهَا جَنْبَتِيْ جُوزَائِهَا
وَبِمَا تَجْمَعُ فِي الثُّرَيَّا عِبْرَةً
وَبِأَنْجُمِ فِي فَيْحِهَا كُمَارِقِ
وَبَقَجْرِهَا الْمُوفِي عَلَى أَكْنَفِهَا
حَكْمٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِيمٍ قَادِرِ
تُزْرِي بِبَطْلِيْمُوسٍ فِي أَحْكَامِهِ
إِنْ قَالَ عَقْلٌ أَوَّلٌ وَجَدَتْ بِهِ
كُلُّ بَدَا مِنْ غَيْرِهِ بَضْرُورَةً
إِذْ كُلُّ عَقْلٍ فَاعِلٌ عَنْ قُوَّةٍ
/ ٢١ أ / لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ أَفْلَاكُهَا
أَوْ قَالَ مِنْ غَرْبٍ تَسِيرُ نُجُومُهَا
أَوْ مَا تَرَاهَا طُلُوعًا مِنْ شَرْقِهَا
أَوْ قَالَ مُجْتَمِعُ الْكَوَاكِبِ مُحَدِّثُ
فَقَدْ اجْتَمَعْنَ وَمَا أَثَرُنَّ تَغْيِيرًا

وَقِيَامِهِنَّ وَمَا دُعِمْنَ بِأَعْمَدِ
يَهْدِي بِهَا الرَّحْمَانُ لُبَّ الْمُهْتَدِيْ
إِذْ كُلُّ تَشْيِيدٍ فَعَالٌ مُشَيَّدِ
أَنَّ التَّوَسُّعَ مِنْ وَفَى الْمَوْعَدِ
بِيَدِيْعٍ إِنْقَانٍ بِهَا وَتَأْيِيدِ
وَسَعَائِفُهَا عَنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجَدِ
مَا يَبْنِي مِنْ مُنْحَدِرٍ بِهَا أَوْ مُصْعَدِ
وَكَيْبَرِهَا زَحَلٍ عَقِيْدِ الْأَسْعَدِ
وَبِيَاضِ زَهْرَتِهَا الْبَهِيِّ الْمَوْقَدِ
وَبَجْدِيْهَا وَسُهِلِهَا وَالْفَرْقَدِ
مَنْ شَبَّهَ عُقُودَ وَحَقَّةَ عَسْجَدِ (١)
تُرْدِيْ بِشُهَبِ النَّارِ كُلِّ مُمَرَّدِ
كَالْوَجْهِ يَطْلُعُ مِنْ بَجَادِ أَسْوَدِ
وَقِنَادِلٍ تَطْفِيْ يَوْمَ الْمَوْعَدِ
وَمَقَالِهِ بِالظَّنِّ لَا عَنْ مُسْنَدِ
نَفْسٍ وَأَفْلَاكٍ بَغْيَرٍ تَقْضُدِ
فَالْعَقْلُ يَدْفَعُ ذَلِكَ الظَّنَّ الرَّدِيْ
عَقْلًا وَنَفْسًا بِالدَّوَامِ السَّرْمَدِ
مَعْلُومَةً كَلًّا وَلَكَمْ تَتَعَدَّدِ
فَالْحُسْنُ يَقْطَعُ حَدْسَ ذَاكَ الْمُلْحَدِ
وَتَغِيْبُ فِي حِمَاٍ وَتَبَاطُ حَرْمَدِ (٢)
رِيحًا تُعْفِيْ أَثَرُ كُلِّ مُوْطَدِ
كَلًّا وَلَا حَرَكْنَ طَاقَةَ عَرْقَدِ

(١) الحققة: الوعاء.

(٢) الناط: الوحل الفاسد. الحرمد: المتغير اللون والرائحة.

هِيَ هَاتَ بَلْ بِإِرَادَةٍ مَنْ قَادِرٍ مَا فِي الْوُجُودِ وَفَعَلَ مَلَكٌ مُوْجِدٍ
فِيمَا أَتَانَا عَنْ نَبِيِّ صَادِقٍ وَكِتَابٍ وَوَحْيٍ بِالْبَيَانِ مُؤَيَّدٍ
وهي قصيدة طويلة، وفيما ذكرنا منها فيه كفاية وغنى.

وقال في مناجاته ودعائه لله - جل جلاله وتقدست أسماؤه: [من مجزوء الكامل]

مَوْلَايَ رَبِّي خَالِقِي مَلَكِي مُجِيرِي يَا مُعِينِي
يَا مَنْ لَطَائِفُ بَرِّهِ تَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ الشُّجُونِ
/ ٢١ب / لَوْلَاكَ تَعَطَّفَ بِي قُلُوبُ بَ الْخَلْقِ بِي لَمْ يَقْبَلُونِي
فَارْحَمْ وَجْدَ لِي بِالرِّضَا وَالنَّصْرَ فِي دُنْيَا وَدِينِ
فَلَا نَتَّ أَهْلُ لِّلْعَطَاءِ وَلَسْتُ بِالْمَلِكِ الضَّئِينِ
إِنِّي أَرَى حُسْنَكَ لِي يَا رَبِّ فِي كُلِّ الْفُتُونِ
وَأَرَى يَقِينِي فِي عِلَاكَ جَمِيعَ مَا أَخْشَى يَقِينِي

وقال أيضاً، وقد أشار عليه إنسان بمدح بعض الملوك والوزراء، ورغبه فيما لديهم

فأنشد: [من الكامل]

يَا مَالَكِي أُعْجَزْتَ شُكْرِي بِالَّذِي أَوْلَيْتَنِي فِي عَوْدِ أَمْرِي وَالْبَدِي
وَتَقَيَّدَنِي إِنْ شئتَ رِزْقاً وَاسِعاً تُغْنِي يَدِي عَنْ أَنْ تُمَدَّ إِلَيَّ يَدِ
أَنْتَ الَّذِي وَفَّقْتَنِي وَمَمَحْتَنِي وَجَعَلْتَنِي بِنِشَاءِ مَجْدِكَ أَرْتَدِي
وَفَتَحْتَ لِي مَنْ وَصَفَ عِزْمَكَ مَشْرَباً فِي وَرْدِهِ فَكَّرِي يَرْوِحُ وَيَغْتَدِي
إِنْ حَارَ فَهَمِّي فَهُوَ مَعْدُورٌ وَمَنْ يَخُوي الْقَدِيمَ بِهَالِكَ مُتَجَدِّدِ
/ ٢٣ / صَمَدٌ إِذَا طَرَتِ الْهُمُومُ بِخَاطِرِي دَاوَيْتَهَا بِمَدِيحِهِ الْمُتَمَجِّدِ
وَلَعَلَّ رَحْمَتَهُ وَمَا أَيْسَتْهَا تُرْدِي الرِّوَائِعَ عَنْ فُؤَادِي الْمُكْمَدِ
وَيَصُوبُ مَاءَ الْوَجْهِ عَنْ إِهْرَاقِهِ وَيُعِيدُ لِي قَيْنَانَ عَيْشِ أَرْغَدِ
فِيَدَاهُ أَوْسَعُ مَنَحَةٍ مِنْ غَيْرِهَا وَجَدَاهُ أَنْفَعُ نَجْعَةٍ لِلْمُجْتَدِي
قَالَ: ائْتَدِخْ غَيْرَ إِلَهِ مَنَاصِحُ فَرَشَدْتُ حِينَ عَصَيْتُ قَوْلَ الْمُرْشَدِ
أَرْوَمُ غَيْرَكَ يَا إِلَهِي مَادِحاً لِلْخَلْقِ قُضْ قَمِي إِذَا بِالْجَلْمَدِ
فَلَكُمْ لُطْفٌ بِضَعْفِ عَبْدِكَ مِنْهُ أَجْهَدُنَهَا شُكْرِي وَلَمْ أَتْجَهْدِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ إِلَى الْوَرَى طُرّاً وَخَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
«صلى الله عليه وسلم».

وقال وقد خذله بعض أصدقائه، ففرّ إلى الله تعالى: [من الخفيف]

يَا إِلَهِي عُبَيْدُكَ الْبَائِسُ الْأَضَعُ فَبِغْيِي إِلَيْكَ مِنْكَ فَرَارًا
غَيْرَ أَنِّي تَخَذْتُ وَجْهَكَ يَا مَوْ لَآيَ لِي مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارًا
[وَمُقَرَّبَ ذَنْبِهِ لَيْسَ بِالْجَا حَدْ مَا قَدَمْتُ يَدَاهُ أُخْتِيَارًا] (١)
/ ٢٣ب/ لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْأَنَامِ مُجِيرًا فَاسْتَخَرْتُ الْمُهَيِّمْنَ الْقَهَّارًا
فَأَنَا الْيَوْمَ جَارٌ مَنْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ بِجَارٍ أَعَزَّ مِنْهُ جَوَارًا
يَا إِلَهِي وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ سَا قَتَ إِلَيْنَا الْقَرَائِحُ الْأَشْعَارًا
إِنْ أَكُنْ مُذْنِبًا هَجُومًا فَمَا زِلْتُ لَمَْنْ تَابَ رَاحِمًا عَفَّارًا
أَوْ أَكُنْ قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَقَدْ مَدَّ كُنْتُ مَوْلَايَ مَاحِيًا سَتَارًا
فَاعْفُ عَنِّي فَأَنْتَ أَرْحَمُ لِي مِنْ سِي يَارَبِّ مَنْنَةٍ وَانْتَصَارًا
كَيْفَ مَا تُصَرِّفُ الْحَوَادِثُ عَنِّي وَإِلَهِي يُصَرِّفُ الْأَقْدَارًا
مَالِكُ الْمَالِكِينَ مَوْلَى إِذَا مَا فَكَّرَ الْقَلْبُ فِي تَعَالِيهِ حَارًا
وَصَلَاةُ الْإِلَهِ تَتَرَى عَلَى أَحَدٍ مَدَّ مَا طَارَدَ الظَّلَامُ النَّهَارًا

وقال أيضاً على وزن قصيدة عدي بن زيد التي أولها (٢):

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالدَّهْرِ ر

فعارضها بقوله: [من الخفيف]

/ ٢٤أ/ دَعِ خُدَاعًا يُغَيِّرُكَ فِيهِ الْعُرُورُ وَتَفَكَّرْ فِيمَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَخَيْرُ الْخَرُوبِ قَبِيرٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ
أَيُّ عَيْشٍ يَلِدُ لِلْمَرْءِ وَالْآ وَصِرَاطٌ وَجَنَّةٌ وَسَعِيرٌ
وَقِيَامٌ مِنْ بَعْدِهِ وَحِسَابٌ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) البيت في ديوانه ١٩٩ وفيه:

«أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْبِ ب أَفْلَحَ الشَّبَابُ افْتِخَارًا»

إِنَّ قَوْمًا قَدْ هُدُّوا بِجَحِيمٍ
لَجْدِيرُ أَنْ يَهْجَرُوا الْغُمُضَ وَاللَّدَّ
أَجْمِيلٌ لِعَاقِلٍ أَنْ يُبْلَقِيَ اللَّدَّ
أَفِينَسِي مَا قَدْ جَنَاهُ وَقَدْ أَحَدُ
أَفِيرَضِي بَأَنْ يَعِيشَ بَعِيشُ الْأُ
أَوْ مَا شَاهَدَ الَّذِي أَمْسَكَ الْمَا
بَيْنَمَا هُمْ يُقْبَلُونَ تُغُورُ الـ
مَالُ عَنْ مَالِكَ جَذِيمَةٌ كَرَهَا
وَكَذَا الْفَرْقَدَانِ سَوْفَ يُرَوَّعْنَ
هَكَذَا الدَّهْرُ لَا يَدِيمُ نَعِيمًا
/ ٢٤ب / أَيْنَ كَسْرَى وَتَبَعَ وَبَنُو الْأَصْفَرِ
أَيْنَ عَمَلَاءُ وَالْأَلَى مِنْ بَنِي عَا
أَيْنَ فَرَعُونَ أَيْنَ هَامَانَ ذُو الصَّرِ
كَمْ رَحَى لِلْمُنُونِ دَارَتْ عَلَى دَا
ثُمَّ ثَبَّتْ بِأَلِ جَفْنَةٍ فَالْجَفْ
وَكَذَا مَا رَبُّ خَلَاءٍ مِنَ الْأَزْ
ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَمُودُ
وَمُلُوكُ مَنْ بَعْدَهُمْ عَمَرُوا الْأَرْضَ
طَحَطَحَ الْمَوْتُ عَزَهُمْ فَشَوْوا فِي
لَمْ تُدَافِعْ جُنُودُهُمْ نَكْبَةً الـ
سَرَحَ الدُّودُ فِي الْعَرَانِينَ مِنْهُمْ
هَذِهِ [شَيْمَةٌ] الزَّمَانِ فَمَا يَدُ
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى إِلَهِ عَظِيمٍ
/ ٢٥أ / كَانَ قَبْلَ الْأَكْوَانِ مَوْلَى رَحِيمًا
لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى وَلَا ضِدُّ

وَيَوْمَ أَهْوَأَ لَهُ تَسْتَطِيرُ
ةَ وَالْأَمْنُ فَالْحَيَاةُ غُرُورُ
هَ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَهُوَ فَقِيرُ
صِي عَلَيْهِ النَّقِيرُ وَالْقَطْمِيرُ
نَنْ مَغْزَاهُ مِنْكَحٍ وَشَعِيرُ
ءَ وَأَوْقَاتُهُ مَضَتْ تَبْذِيرُ
يَبِضُ أَفْضَتْ إِلَى التُّرَابِ الثُّغُورُ
لَاخْتِيَارُ وَهُوَ الشَّجِيرُ السَّمِيرُ
بَيِّنُ إِذِ السَّمَاءِ تَمُورُ
إِنَّمَا الْعَاقِلُ الْعَمُولُ الصَّبُورُ
أَيْنَ النُّعْمَانِ أَيْنَ السَّيْدِيرُ
دَوَائِنَ الزَّيْبَاءِ أَيْنَ قَصِيرُ
حَ وَأَيْنَ الْأَنْهَارِ أَيْنَ السُّتُورُ
رَأَوْكُمْ قَيْصَرَ رَمَتْهُ الْقُصُورُ
نَهْ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلَاءُ بُورُ
دَخَرَابُ يَسْفِي عَلَيْهِ الْمُورُ
لَا أَفْشَعَرَتْ بَعْدَ الْهَلَاكِ الدُّورُ
فَأَيْنَ الْعُمَارُ وَالْمَعْمُورُ
قَعَرَ غُبْرَاءُ وَالْجُدُودُ عَثُورُ
لَدَّهْرٍ وَلَا جَزْوَها الْعَشِيرُ الْعَشِيرُ
مُذْ حَوَتْهُمْ صَفَائِحُ وَقُبُورُ
قَى عَلَيْهِ مُؤَمَّرٌ وَوَزِيرُ
مَا تَحَطَّى إِلَى حِمَاهُ الدَّهْرُ
زَلَّ بِالْمَالِكِ الْعَظِيمِ السَّرِيرُ
وَهُوَ بَعْدَ الْأَبَادِ حَيٌّ قَدِيرُ
نَسِيدٌ وَلَا شَيْبُهُ نَظِيرُ

مُحْسَنٌ بِالْمُسِيءِ إِنْ تَابَ قَهَّاسَا
أَحَدٌ يَسْتَلَكُ ذَكَرَاهُ دُوَّ اللِّدِ
مَلِكٌ كُلَّمَا تَعَمَّدَتْ مَدْحِيهِ
لَا تُدَانِي الْأَوْهَامُ تُكَيِّفُ عَلَيَا
أَخَذَ بِالْيَدَيْنِ مِنْ عَثْرَةِ الدَّهْرِ
صَمَدٌ أَرْجَاهُ يَفْرُجُ كَرْبِي
مَاجِدٌ تَذْهَشُ الْخَوَاطِرُ فِيهِ
يَعْلَمُ الْوَهْمُ إِنْ تَحَرَّكَ فِي الْفَهْرِ
يَتَّقِيهِ الْوُجُودُ جَمْعًا وَمَنْ فِيهِ
لَا كَمَنْ تَسْلُبُ الْحَوَادِثُ عَلَيْهِ
وَاحِدٌ مَاجِدٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ
أَوَّلُ آخِرٌ مُعِينٌ مُبِينٌ
٢٥٠ ب/ قَابِضٌ بِاسْطِرْطُوفٍ عَطُوفٌ
يَعْجُزُ الْعَقْلُ عَنْ دِرَاكِ تَعَالِيهِ
عَلِمَهُ مُنْذَرُكَ لِمَا دَرَفِي الْبِ
عَزَّ دُوَّ الطُّولِ عَنْ حَيَازِ مَقَالِ
وَأَثْنَنْتَ حَيْرَةً وَتَاهَتْ فَمَا تُحِ
مَنْ هُوَ الدَّهْنُ عِنْدَ نَعْتِ عَظِيمِ
فَالْزَمَنْ مَدْحَهُ وَإِنْ مَسَّكَ الدُّ
قُلْ وَلَا بَأْسَ إِنْ تَأَخَّرَ وَعُدْ
فَلَهُ نَفْحَةٌ يُفَكُّ لَهَا الْعَا
فَكَأَنِّي بِجَائِزَاتِكَ قَدْ جُدْتُ
وَأَتَّئِدُ وَبِكَ وَالْثَمَّ الْأَرْضُ دَلَالُ
ذَلِكَ اللَّهُ دُوَّ الْمَعَارِجِ وَالطُّو
وَصَلَاةُ الْإِلَهِ تَتَرَى عَلَى أَحَدٍ

«صلى الله عليه وسلم».

رُ لَذِي الْكِبَرِيَاءِ فَهُوَ الْكَبِيرُ
بَبٌ وَتَبَيَّضُ مَنْ تَنَاهَا السُّطُورُ
أَحْتَسَابًا يَحَارُ فِيهِ الضَّمِيرُ
هُ فَكَيْفَ التَّمَثِيلُ وَالتَّصَوُّيرُ
رِيْدَاهُ الْمَبْسُوطَتَانِ تَمِيرُ
فَقُودَايَ مَمَّا يُبْلَاقِي كَسِيرُ
وَتَنَظَّلُ الْأَفْكَارُ حَيْرِي تَدُورُ
مِمَّا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الصُّدُورُ
سَهْ وَيَعْيَى عَنْ وَصْفِهِ التَّفَكِيرُ
فَيَقْنَى وَهُوَ الْمُهَانُ الْحَقِيرُ
مُحْسَنٌ مُنْعَمٌ سَمِيعٌ بَصِيرُ
قَادِرٌ قَاهِرٌ مُجِيبٌ مُجِيرُ
عَالِمٌ حَاكِمٌ عَفُوفٌ عَفُورُ
سَهْ كَمَا ضَاعَ فِي عِلَالَةِ الْخَيْرِ
رُ وَمَا عَمَّضَتْ عَلَيْهِ الْبُحُورُ
فَلَجَوْلُ الْأَفْكَارِ فِيهِ قُصُورُ
صَيِّ تَنَاءً وَبَانَ فِيهَا الْفُتُورُ
خَوْفٌ بِأَسَائِهِ الْجِبَالُ تَسِيرُ
لُ فَمَّا دَامَ شَدَّةً وَحُبُورُ
فَمَتَاعُ الدُّنْيَا حَقِيرٌ يَسِيرُ
نِي حُنُوءًا وَيُطْلِقُ الْمَاسُورُ
نَ مِنْ اللَّهِ وَالسُّرُورُ بَشِيرُ
أَفْتَدِرِي بِمَنْ بِمَدْحِ تَشِيرُ
لِ الَّذِي لَسَمَ تَضَعُ لَدَيْهِ الْأَجُورُ
مَدَمَّا بَشَرَ الصَّبَاحُ الْمُنِيرُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

فَمَنْ يَخْلُصَ قَلْبِي لَهُ أَبَدًا قَصْدًا
لَغَيْرِ ثَنَائِي فِيهِ نُجْحًا وَلَا رُشْدًا
وَحَمْدِي وَمَذْحِي عِنْدَ مَوْلَايَ لِي عَهْدًا
وَفِي الْحَشْرِ أَرْجُو أَنْ يُؤَوِّنِي الْخُلْدًا
فَلَمْ أَنْعَتْ لِيْنِي وَلَا سَعْدِي^(١)
يَضُوعٌ وَلَا دَانِيْتُ مُسْكًا وَلَا نَدًا
فَكَلَّ وَلَا يُحْصِي لَأَوْصَافِهِ عَدًا
وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُ أَنْ يُلْغِ الْجُهْدَا
وَلَا حَدَّ مَنْ الْأَوْهَ جَا زَتِ الْحَدَا
قَدِيمًا كَرِيمًا مَا جَدَا صَمَدًا فَرْدًا
وَطَرَبَ فِي أَوْصَافِهِ وَضَعَ الْحَدَا
حَوَى الطَّائِرَ الْمَيْمُونَ وَالطَّائِرَ السَّعْدَا
فَلَمْ يُلْبَسِ الْمَخْلُوقَ مَذْحًا وَلَا مَجْدًا
لَمَنْ يَتَغَيَّ الْإِرْفَادَ يَجْعَلُهَا وَرْدًا
عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ أَنْعَبَهَا وَخَدَا

٢٦/ إِذَا أَنَا لَمْ أُخْلَصْ لِرَبِّي قَصَائِدِي
أَرَى الْغَيَّ تَعْظِيمِي سَوَاهُ وَلَا أَرَى
فَصَّيْرَتُ تَعْظِيمِي وَذَلِّي بِوَجْهِهِ
أَرْجِيهِ فِي الدُّنْيَا مُعِينِي وَنَاصِرِي
جَعَلْتُ غَرَامِي فِي مَدْيَحِ جَلَالِهِ . . .
وَذَلَّلَ قَمِي لَمَّا تَكَلَّوْتُ ثَنَاءَهُ
وَحَارَبَهُ فَهَمِي فَأُرْعِدَ خَاطِرِي
وَأَذَعَنَ عَجْزًا عَنْ دَرَاكِ نَعْوَتِهِ
وَكَيْفَ يَجُوزُ الْوَصْفُ مَجْدَ مُعْظَمِ
وَكَانَ وَلَا كَوْنٌ تَبَارَكَ مَجْدُهُ
وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ وَصْفِ مَذْحِيهِ خَاطِرِي
رَأَى أَنَّهُ لَمَّا ارْتَضَاهُ لَمَذَحَهُ
تَعَقَّرَ شُكْرًا إِذْ حَمَاهُ إِلَهُهُ
عَلَامَ أَمَا يَكْفِي مَوَارِدُ جُودِهِ
إِبْلَى وَصَلَاةَ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقُ
«صلى الله عليه وسلم»^(٢).

[٨٦٢]

٢٦ب/ نصرُ الله بنُ محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشَّيْبَانِي، أَبُو الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْكَرَمِ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ الْمَنْشِيُّ،
المعروفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ^(٣).

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) ترجم المؤلف لأخيه (المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) في الجزء السادس برقم ٦٠٨، ولابن أخته (يوسف بن سعد بن الحسين) في الجزء العاشر برقم ٩٦٩.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٤-٣٩. وفيه وفاته: «سنة سبع وثلاثين وستمئة». وفيات =

هو وأخواه أبو السعادات المبارك، وأبو الحسن علي^(١) أبناء محمد الأثير، كُلُّ منهم كان فاضلاً إماماً في العلم كثير الجاه والحرمة. وكان أصلهم من باعَيْنَا من أعمال الجزيرة العُمريّة^(٢).

وأبو الفتح استظهر القرآن العزيز، وشدا طرفاً من الأدب وعلم العربية وسمع الحديث النبوي على أخيه أبي السعادات. وأخذ معرفة الحساب على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري، وجالس الشيخ أبا الحرم مكّي بن ريان النحوي المقرئ الماكسي بالموصل، وقرأ عليه شيئاً. وحفظ من أشعار الجاهلية والعربية وأشعار المحدثين والأحاديث النبوية والأمثال والسّير صدرّاً وافرّاً. وعانى فن الترسل وصرف همته إليه طول عمره فبرز فيه تبرز المفلّحين حتى أعجز المتقدمين وسلك فيه طريقة لم يسلكها أحد قبله. وكان ربّ البلاغة وناظم شذورها، العارف بنوعي منظومها ومنثورها.

قد ألقى إليه البيان فاضل زمامه، وبلغ في الكتابة أقصى مرامه، وملك أعتها

= الأعيان ٣٨٩/٥ - ٣٩٧ رقم ٧٦٣. رسائل ابن الأثير ٩١ - ٩٣، ٩٦ - ٩٧. ذيل الروضتين ١٦٩. الحوادث الجامعة ١٣٦. العبر للذهبي ١٥٦/٥. بغية الوعاة ٣١٥/٢. طبقات الأسنوي/ الورقة ٢٤ - ٢٥. نثر الجمان ٢/ الورقة ١١٧ - ١١٨. شذرات الذهب ١٨٧/٥ - ١٨٨. البدر السافر: الورقة ٢٠٥. مرآة الزمان ٩٧/٤ - ١٠٠. روضات الجنات ٦٥٨. التكملة للمنذري ٥٣٥/٣ رقم ٢٩٣٧. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٤ - ٦. تاريخ الخميس ٤١٥/٢. روضات الجنات ٤٥٨. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٣ - ٣٥٥ قم ٥١٠. ذيل مرآة الزمان ١/٦٤. دول الإسلام ١٤٣٢. الاستفادة من ذيل تأريخ بغداد ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ١٨٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٤٤١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٤. النجوم الزاهرة ٣١٨/٦. المسجد المسبوك ٤٩٦/٢. ديوان الإسلام ١٦٥/١ - ١٦٦ رقم ٢٤٥. مفتاح السعادة ٢٢١/١ - ٢٢٢. الأعلام ٣١/٨. سير أعلام النبلاء ٧٢/٢٣ - ٧٣ رقم ٥٢.

وللدكتور زغلول سلام دراسة عنه، مط نهضة مصر - القاهرة، وفيه إشارة إلى مصادر أخرى. وللدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ترجمة مفصلة في مقدمة تحقيق كتابه «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» ص ٣ - ٤٠. ومقدمة كتاب «كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاظم» تحقيق د. نوري حمودي القيسي وجماعة. ومقدمة كتاب «رسائل ابن الأثير» تحقيق د. نوري القيسي وجماعته.

(١) علي بن محمد عز الدين، انظر: الوافي ١٣٦/٢٢.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (باعينَا).

وحازها، وعرف حقيقتها ومجازها. به خُتم ديوان الإنشاء وإليه انتهت صناعة الترسل؛ فهو شيخ الكتاب ورئيسهم، وإمام البلغاء ونفيسهم، وبقية الزمان في وقته، ونقاد الشعر ومعرفة جيده من رديئه، وصحيحه من سقيمه.

اشتهرت بين الناس فضائله وسارت في الآفاق رسائله، وصنّف مصنفات جميلة مفيدة جيدة في علمي المعاني والبيان، وأنشأ رسائل أودعها أبكار معان مخترعة أفرد لها منها كتاباً؛ وسيأتي ذكر مصنفاته في موضعها من الكتاب - إن شاء الله تعالى -.

وفارق الجزيرة مسقط رأسه في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقدم / ٢٨ ب / الموصل. وأقام بها في خدمة الأمير مجاهد الدين أبي منصور قايمار بن عبد الله الزيني - رضي الله عنه - وربما كان يكتب له الإنشاء.

ثم سافر إلى الشام في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فوصله القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيسانى بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين - وأقام عنده إلى شوال من السنة.

ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي فخيرَه الملك الناصر بين المقام في خدمته وبين المضي إلى ولده، وقال له: إذا اتصلت بولدي فالذي قرناه لك باق عليك. فاتصل بالملك الأفضل في شوال من السنة المذكورة، فتولّى وزارته وكتابته، وعلّق به جميع أموره؛ فلما توفي الملك الناصر استقلّ بوزارة ممالكه جميعها، فجمع بين تدبيري السيف والقلم.

وكانت إليه الوزارة وكتابة الإنشاء / ٢٧ أ / فلم يزل معه على تصرفات أموره، إلى أن انتزع الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب دمشق من الأفضل، فأخرج الملك العادل أبا الفتح منهما في صندوق مقفل عليه خوفاً من العامة لئلا يهلكوه [لما] في نفوسهم من ظلمه وحقاقته وما عاملهم به من قبيح الفعال؛ لأنه كان - لما تولّى عليهم - غير محمود الطريقة، ولا مرضي السيرة.

وأقام بسميساط فاستأذن الملك الأفضل في الانصراف إلى وطنه فأذن له فانفصل عنه في ذي القعدة سنة سبع وستمائة.

ثم سافر إلى حلب فلم يلتفت إليه صاحبها، فامتد إلى سنجار فمكث بها مدةً، ثم جاء إلى الموصل وإلى إربل وأقام بها قليلاً، وعاد عنها إلى سنجار فاستقرّ قراره بها برهةً من الزمان.

ثم استدعاه بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب الموصل - سنة ثمانية عشرة وستمئة ليكتب له الإنشاء في ديوانه، فقدمها ونزل بالرباط المنسوب إليهم الذي أحدثه / ٢٧ب / أخوه أبو السعادات، ورتّب له جاريّاً ورزقاً. وصار رأس الكتاب ومنشئ الدولة. وأنفذه عدّة مرات رسولاً إلى الديوان العزيز؛ فكان يكرم ويبجل وينظر بعين الاحترام.

وكان مدّة مقامه بالموصل مشتغلاً بالتصنيف، وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقتبسون من فوائده، إلاّ أنّه كان كثير الحماسة متناقض الأحوال، متهوراً في أموره، سفيه اللسان جباحاً لمن يخاطبه ولو كان ملكاً أو سلطاناً، ممقوتاً إلى الناس، شرس الأخلاق، سريع الغضب، متكبراً في نفسه، ذا عجب عظيم، وصلف زائد يتجاوز فيهما الحدّ، قليل المبالاة بالخلق لا يرى في العالم إلاّ نفسه، فيخس الناس حقوقهم، ويحطّهم من أقدارهم، ويرمقهم بعين الإهمال. ومما يستدلّ على رقاوته وتهوره أنّ القاضي الفاضل هو الذي رفعه وقّده في الدولة الناصرية الصلاحية.

وكان بليغ عصره فضلاً وفهماً وترسلاً، وأوحد زمانه جاهاً وعلماً وديناً، وبه يضرب المثل / ٢٩أ / في الكتابة وصنعة الإنشاء، يحطّهُ عن منزلته وينقصه من مرتبته فكان إذا أجرى ذكره في بعض مصنفاته، يقول: حدّثني عبد الرحيم بن علي البيساني، وقال عبد الرحيم لم يزد على ذلك شيئاً. فانظر إلى هذا الجهل والحمق من هذا الرجل فما كان يستحق منه أن يوفيه حقّه من العلم والحرمة أن يكتنه فضلاً عن أن يذكره بقلبه، وأيضاً من حيث أنّه كان السبب في تقديمه وإيصاله.

وكان على ما أعطي من الإقتدار في الترسل والبراعة لم يكن صاحب بديهة وارتجال في الإنشاء والكتابة. وكان بطيء القريحة، جامد الخاطر، بل إنّ كان جيد الرويّة، صحيح الفكرة.

وإذا رام إنشاء كتاب يتهيأ له، ويشرع في عمله، ثمّ يخلق حيثنذ عليه باب داره،

ولم يمكن أحداً من الوصول إليه، ويتخلى بنفسه، ويديم الفكر ويكتب ثم يخرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زماناً طويلاً، فإذا تمَّ له الغرض من المعنى المطلوب اعتبره / ٢٩ب / أيضاً، وأنفذه فيكون ارتفاع الكتاب في مدة يوم وليلة أو أكثر، فيأتي كأحسن شيء يُوضع ويضع.

شاهدته مراراً لا أحصيها كثرةً، وحضرت مجلسه أيام كان أخوه أبو الحسن حياً. وكان شيخاً طويلاً، بهي المنظر، حسن الهيئة واللباس، نقي الشيبة، نظيف الثياب، عليه أبهة ذوي الرئاسة والجلالة.

وكنت أعين من زعارة أخلاقه ونزاقته، وضيق عطنه ما يبغض به نفسه إلى كل من يسمع به، فكيف من يراه ويحادثه! وربما كنت أسأله عن معنى بيت شعر أو تاريخ وفاة بعض الفضلاء فيجيبني من غير انزعاج ولا غضب بأحسن جواب. وكان في بعض الأوقات يستدعي مني الكلام، ويسألني عن الأمر الذي سمت نفسي إلى عمله وألزمها به، فأذكر له ذلك فيستحسنه ويقول لي: ما قصرت، فأدعوه.

واستجزته فأجازني جميع مصنفاته ورواياته وما يدخل تحت الإجازة، وكتب ذلك لي بخط يده في صدر / ٣٠أ / إجازتي. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بالجزيرة العمرية؛ وخبرت أنه انحدر إلى مدينة السلام في رسالة عن صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله، فتوفي بها يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة. ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر - عليه السلام - رحمه الله تعالى.

ومن تصانيفه كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم»، وكتاب «الرسالة المخترعة في المعاني المبتدعة» وكتاب «التوصل إلى علم الترسُّل» وكتاب «المثل السائر فيما يحتاج إليه الكاتب والشاعر»، وكتاب «الاستدراك» وهو مما استدركه على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي في رسالته التي ترجمها: بـ «الرسالة السعدية في المآخذ الكندية من المعاني الطائية»، / ٣٠ب / وكتاب ديوان رسائله في نحو عشر مجلدات، وغير ذلك من المصنَّفات.

وكان قصير النفس في عمل الشعر لا طائل له في نظمه يعمل منه البيت والبيتين أو الثلاثة، لم تكن بتلك القوة، ولا من رائق الشعر وجيده.

ومما اشتهر من شعره، قوله وقد فارق الموصل متوجهاً إلى الشام، وانفصل عن خدمة الأمير مجاهد الدين قايمار بن عبد الله الزيني، وذلك في سنة سبع وثمانين وخمسماية في ربيعها الأول عند حصار الجزيرة أتابك مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، وأنفذها فقرئت على الأمير مجاهد الدين - رحمه الله تعالى - وقالها في اقتضاء الحال: [من المنسرح]

يَا رَاكِبًا يَقْطَعُ الْفَلَاةَ وَلَا	يَلْفُتُهُ عَنْ مُرَادِهِ سَامٌ
عُجْ بِمَحَلِّ النَّدَى وَمَنْ عَمَّتِ الْآ	فَاقَ مَنْ جُودَ كَفِّهِ دَيْمٌ
إِنْ ذُكِرَتْ فِي الدُّجَى مَنَاقِبُهُ الـ	غُرُ اتَّارَتْ مِنْ وَصْفِهَا الظُّلَمُ
مُجَاهِدِ الدِّينِ مَنْ بِهِ اُنْحَسَرَتْ	عَنِ الْبَرَائِيَا الْآفَاتُ وَالنَّقَمُ
/ ١٣١ / وَقُلْ لَهُ أَيْنَ خِدْمَتِي لَكَ يَا مَوْلَايَ	أَيْنَ الْحُقُوقُ وَالذَّمَمُ
أَيْنَ الَّذِي شَاعَ عَنْكَ مَنْ	حَفِظَكَ الْوُدَّ [و] أَيْنَ الْعُهُودُ وَالْعُصْمُ
أَيْنَ الْمَوَاعِيدُ بِالْعَطَاءِ وَبِأ	لِإِحْسَانِ أَيْنَ السَّمَاخُ وَالْكَرَمُ
تِلْكَ أَحَادِيثُ اللَّيْلِ ذَابَتْ مَعَ الشَّ	مُسْ وَذَلِكَ الْمِيثَاقُ مُنْقَضُ
نَسِيتَ مَا كَانَ فِي الرِّبَاطِ مِنَ الْآ	يَمَانٍ أَمْ غَالٍ عَهْدُهَا الْقَدَمُ
شَاطِرْتَنِي الْمُلْكُ بِالْوَعُودِ وَإِذْ	أَنْتَ وَلَا صَاحِبٌ وَلَا حَشَمُ
فَحَيْثُ عَادَتْ دُنْيَاكَ عُدْتَ عَنِ الـ	وَعْدٍ وَمَا هَكَذَا جَرَى الْقَسَمُ

ومما ضمنه كتابه الملقب بالمثل السائر، قوله: [من مجزوء الرجز]

ثَلَاثَةٌ تَنْفِي التَّحَرَّحَ	كَأْسٌ وَكُؤُوبٌ وَقَدْ دَحَ
مَا ذُبِحَ الزُّقُ بِهَا	إِلَّا وَلِلَّهِمَّ ذَبْحُ

وهذا أنموذج من رسائله ما كتبه إلى الأصدقاء جواباً وابتداءً من مصر والشام / ٣١ب / وغيرهما من البلاد بعد سفره من الموصل^(١)، فمن ذلك كتاب كتبه عن بعض

(١) لم أجد في هذه الرسائل سوى واحدة في رسائل ابن الأثير، تحقيق المقدسي. وقد أشرت إليها في =

أصدقائه جواباً عن كتابه وهو :

«وصل كتابُ فلان، جعل الله أقلامه للبيان طليعة، وللبنان وشيعة، وللإحسان شريعة. ولا زالت تروض نبيض حكمها صفحة القرطاس، وتدير بها على الخواطر ما تديره الحمى في الكأس، وتخرج منها شراباً مختلفاً ألونه فيه شفاء للناس؛ فتأنق لي حتى حسبته روضةً فمددت يدي لاقتطاف زهرها، وارتشاف ثمرها، وأعطيت النفس ما شئت من حظ سمعها وبصرها. ثم إنني عدت على نفسي منها، ورجعت في التشبيه الذي كنت مشبهاً، وقلت: أين حوكُ الدِّيم من حوك القلم؟ وأين زهر الروض الذي يمضي أوانه وتحول ألوانه، من زهر اللفظ الذي تبقى أفوافه، ويترفع عن منال / ١٣٢ / الأيدي قطفه: [من الكامل]

تُنْسَى الرِّياضُ وَمَا يُروِّضُ فِكْرَهُ أَبْدَأُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُذْكَرُ

ولما وقفت عليه، أهدى إلي أرج طيب، وجلا علي وجه حبيب، وزارني على أنس مزاره في حُسن غريب، فقلت: أهلاً بمن عمّر مجلسي من زور هنائه، وألبسني ثوباً من سنائه وسنائه. ثم حيّته تحية التعظيم، وصافحته مصافحة التسليم، وجلستُ منه مجلس التعلم، وأجلسته مجلس التعليم: [من البسيط]

لَا يُسْتَقَى مِنْ جَفِيرِ الْكُتُبِ رَوْقُهُ [كلاً] وَلَمْ تُسْتَقَى مِنْ بَحْرِ الْكُتُبِ

ومما وجدته منه أنه ألقى بين جوارحي جسداً، وخصّ منها عينا وقلباً ويدا، فلليد منه على العين بفضّ ختمه، وللعين منه على القلب بنقل مسطوره إلى فهمه.

ولقد أقدم مرسله عليّ بمقدمه، وارانني وجهه الكريم في مرآة قلمه، وفي نجوى الكتب على بعد الدار، تمثيل لروية الأبصار،

فليشف بها / ٣٢ب / غُلَّتِي ، وليستدم بها خَلَّتِي ، وليعلم أن في انقطاعها
واتصالها فراقاً من غير فراق ، ولقاء من غير تلاق : [من الطويل]

وَكَمْ مِنْ فِرَاقٍ وَاجْتِمَاعٍ عَلَى النَّوَى يُرَجِيهِمَا هَجْرُ الْكِتَابِ وَوَصْلُهُ

وأنا أرجو دوام الاجتماع بكتابه ، إلى أن يقدر الله الاجتماع بإيابه - إن شاء الله تعالى - .

ومن ذلك كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض أصدقائه جواباً عن كتابه :

«تألق برق من جانب المجلس السامي ، حاطه الله بروحه وأمينه ،
وحباً بسعادتي دنياه ودينه ، وأتاه بما يقترحه من المطلب قبل حينه ،
وجعل خليفة المكارم من خلقه وطينتها من طينه . فرفعت طرفي إلى
لوامع أنواره ، وبسطت يدي إلى مواقع اقطاره ، وقلت : هذا بشير
الرحمة ، ورائد النعمة ؛ وهو برق تُرجى عقائقه ، ولا تخشى صواعقه .

ومن صفاته أنه يضيء على صفحات / ٣٣ / الأفهام ، ويتوضح من
السنة الأقلام ، ويبشّر بقوت الأرواح قوت الأجسام . وذلك هو الكتاب
الكريم الذي يأتي بخصب الآمال كما أتى أخوه بخصب الأمحال . غير أن
هذا يشام بعيون القلوب ، ويجود ما حلّت من عقدة مزنه يد الجنوب .

ولما تأملته أخذت بسنة الخبر ، في الصلاة عند نزل المطر . وليست
الصلاة إلا الدعاء لمن أرسله ، وبسط سحابه واسبله . ثم تناولته فكنّت
أول من حمل غماماً بيده ، وآواه إلى مورده وعلى ربه منه ، فإنه لا يزال له
شائماً ، وإليه حائماً . فلينعم المجلس بتصريف مخايله ، وليسق به
الخواطر فإنها من خمائله ورأيه اسمى - إن شاء الله تعالى - .

ومن كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض أصدقائه جواباً عن كتابه :

/ ٣٣ب / «تَضَوَّعَتْ نَفْحَةٌ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ؛ رَعَى اللهُ عَهْدَهُ وَسَقَاهُ، وَصَانَ وَدَّهَ وَوَفَاهُ، وَيَسَّرَ لِي إِلقاءَ الْعَصَا بِلِقَاءِهِ. فَعَطَّرَتِ الطَّرِيقَ الَّتِي سَايَرْتُهَا، وَالرَّيْحَ الَّتِي جَاوَرْتُهَا، وَأَتَتْ فَأَفْرَشَتْهَا خَدَّيْ، وَضَمَمْتُ عَلَيْهِ وَدَّيْ، وَجَعَلْتُهَا رَدْعًا لَجَنِّي، وَلَطِيمَةً لِرَدْنِي، وَسَخَابًا^(١) لِعَقْدِي. وَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْحَةٍ طَيِّبٍ، وَلَكِنَّهَا كِتَابٌ حَبِيبٌ، فَإِنْ مَنَاشَقَ الْأَرْوَاحَ غَيْرَ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ، وَلَا يَسْتَوِي عَرَفُ الطَّيِّبِ وَعَرَفُ الْأَقْلَامِ.

ثم مددت يدي إلى الكتاب، بعد أن صافحت يد موصله كما صافحت عبقة مندله، وقلت: أهلاً بمن أدنى من الحبيب مزاراً، وأهدى لعيني قرّة ولقلبي قراراً، ولو أنصفت لقلت: أهلاً بمن سرى في الأسرار، وجرى من الأبصار مجرى الأنوار، وجمع لي برويته بين الأوطان والأوطار. ومع هذا القول فإنني لم أؤد حق الترحيب بمن أسعف بالطلاب، وطلع على الآمال المُمحّلة طلوع السحاب.

وإذا كان هذا الحامل الكتاب، فما ظنك بالكتاب؟! ولما وقفت عليه، أحدث لي نشوة / ٣٤أ / طرب، ونشوة أرب. فغتنني هذه بترجيع مثانيها، وأعتنتني هذه بمعسول أمانيتها؛ وعند ذلك أخذت في خلع العذار، وسكرت من غير معاقرة عُقار. وإنّ من البيان لخمراً يُسكر من غير تحرّيم!، وليست بذات لغو ولا تأثيم؛ فهي من سلاف الألباب، لا سلاف الأعناب، ومن بنات الخواطر، لا بنات الدساكر. ولا يجلبها من معدنها، ويرخصها على غلاء ثمنها إلاّ البيان الفلاني الذي يستخرجها ويخرجها، ويصرفها ويمزجها.

وإني لأجد لخمرة ألفاظه طعمًا زائداً على الطعم، وليس ذلك لطيب العصر ولا عتق الكرم: [من الكامل]

(١) السخاب: قلادة من قرنفل ونحوه.

شَيْءٌ بِهِ يَسْبِي الْعُقُولَ سِوَى الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَدْرِي مَا هُوَ؟

وقد أعدت الجواب ولم أستعر له نظماً ملقفاً، ولا جلبت إليه حسناً منمقاً. بل أخرجته على رسله، وغنيت بصقال حسنه عن صقله، فجاء كما تراه غير ممشوط ولا مخطوط؛ فهو يرفل في أثواب بذلته، وقد حوى الجمال بجملته. والحسن ما وشَّته يدُ التصوير، لا ما حشته يدُ التزوير.

وقد منح الله لساني من ذلك ما حسده عليه / ٣٤ب / الروض الموشح، والسَّمط المرصع، والقمر وهو ابن عشر وأربع. فَخُذْ ما أدته إليك حقيقة النظر، ودع ما نقلته أحاديث الخبر، ووازن بين حسن البداوة والحضر. واعلم أنَّ هذا السيل من غير ذلك المطر؛ فما كُلُّ من قال بماش في أثري، ولا رام عن وتري، ولا آخذ في وردي وصدري، فإن النبوة غير الكهانة، ولا يستوي الحق والباطل في المكانة: [من البسيط]

وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّيِّعِ

ولا أستثني من هذا القول أحداً سوى المجلس، فإنه في الفضل شقيقي، كما أنه في الودّ صديقي؛ فنحن رضيعا بيان، وإن لم نكن رضيعي لبنان، وتوأماً وداد، وإن لم نكن توأمي ميلاد؛ فكلانا يقتدح من زناد صاحبه، ويأخذ بما يأخذه من مذاهبه. وحسبي فضلاً أن أحذو على مثاله ولو وقرت قلمي وقاره، وأسبلت على كلمي أستاره، لأكبرت أن ألقاه بهذا القول، وعلمت أنه أوتي عليّ بسطةً في الطول؛ لكنني أردت أن أستعير من فضله ما أتجمل به في محضري، وأموه به يوم مفخري؛ وإلا فالسماء نائية على المتطاول، وأين الثريا من / ١٣٥ / يد المتناول. فليصفح عما قلته، وليسمح بما ترشحت له وما نلت، ورأيه أسمى، إن شاء الله تعالى».

ومن كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الأصدقاء ابتداءً: [من الكامل]
 وَأَقَمْتُ فِي قَلْبِي وَشَخْصُكَ سَائِرٌ لَا تَبْعُدَنْ مِنْ ظَاعِنٍ وَمُقِيمٍ
 أصدرتُ هذا الكتاب إلى مجلس فلان الدين، أعلاه الله وأسماءه،
 وصان من غير الليالي والأيام حماه، وأبعد في اكتساب العلياء مرماه، ولا
 جعله في العمل لآخرته ممن يستوي يوماه؛ عن قلب مأنوس بلقائه،
 وطرف مستوحش لفراقه. فهذا مروع بإظلامه، وذاك ممتع بإشراقه. غير
 أن لقاء القلوب لقاء غيب تمثله خواطر الأفكار، وتتاجى به من وراء
 الأستار. وذلك أخو الطيف الملم في المنام، الذي يموه بلقاء الأرواح
 على لقاء الأجسام. وما تمثله بنقع حرّ الأشواق / ٣٥ب / الظماء، ولكنه
 تعلّة المتيمّم بالصعيد عن عدم الماء، ولئن أقمت بعده في دار وطن، وفي
 أهل وسكن؛ فليس الأنس بكثرة الناس، بل ببهجة الإيناس، وإذا لم تكن
 سكان القلوب سكان الديار، فلا فرق بينهما وإن كانت آهلة وبين القفار:
 [من الطويل]

وَمَا حَاجِرٌ إِلَّا بِلَيْلِي وَأَهْلِيهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَيْلِي فَلَا كَانَ حَاجِرٌ
 فمن جفّت على النوى شؤنه، والتقت على البين جفونه، فإنّ عهده
 ذميم، ووّدّه سقيم. وأرى المنازل وهي جماد أرعى منه ذماماً، وأخلق
 بالمحافظة ليالي وأياما. ألا ترى أنّها لا ترضى في غرامها إلا سقامها، ولا
 تقنع في وفائها إلا بعفة...؛ فتباً لشوقي إن رقت عنه قساوة الأحجار،
 وزادت بإثرها على ما عنده من الآثار.

وإني لأخجل من هذا القول، وقد وجدت على البعد مصطبراً، ولم
 يذهب إلى الفراق سمعاً ولا بصرًا، لكن يقوم عذري في ذلك بأمل اللقاء،
 الذي يمدّ غرس الحياة بالأسقاء، ولا يمسك ذماء النفس كالأماني
 ومواهبها، والآمال ومطالبها.

وأنا أرجو / ٣٦أ / أن يتاح لأيام الاجتماع يوم معادها، وتردّ أرواحها
 إلى أجسادها، لأخاصم أيام الفراق إلى ربّها، وأخذ منها

بذنبها، وأجزى سيئات الأشواق، بأعمالها وأعطىها كتابها بشمالها:

[من الطويل]

وَمَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا كَأَحْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِأَيْسِ

وقد علم أنه ليس للشوق زاد في أيام البعاد، إلا ما تهديه إليه اليد عن
الفؤاد، وذلك هو الكتب التي في نجواها لقاءً لمن شطت محلته، وفي
قطرات أعلامها ريٌّ لمن اضطربت غلته، فليجمع شملي بشملنا إلى أن
يقدر الله جمع الشمل بأهلها، وليعلم أنها هدية تحل محل مرسلها،
وتطوق الأعناق بمنّة موصلها. والله لا يخلي من خبره إلا بنظره، ولا من
كتبه إلا بقربه، إن شاء الله تعالى. . . والسلام.

ومن ذلك كتاب كتبه إلى بعض الإخوان جواباً:

/ ٣٦ب / «وصل كتاب حضرة سيدنا؛ لا زالت أعلامه متنقلة من منبت
أجم، إلى منبت حكم، ومن استسقاء قطر، إلى استسقاء بحر، ومن
مجاورة ليث غاب، إلى مجاورة ليث خطاب. فأطرب إذا غرب، وأزهر
إذا أسفر؛ فعلمت أن من البلاغة ألعاناً، ومن الكلام ورداً وريحاناً.

ولقد غدوت من حسنه البديع في فصل ربيع، فكلما شاقنتني سطورهُ
قلت روض سنع، وكلما غتنني الفاظه قلت حمام صدح، وكلما سقتني
معانيه قلت غدير طفح. فما أدري ما أصف، ولا عندما أقف؛ غير أنني
وجدته قد حوى أسرار البيان جزالة ولطفاً، وعرف منها ما لم يألّف البلاغ
له عرفاً وأنسى ما تقدّم من أساليبها فعصف بها عصفاً، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(١).

وما أقول إلا أنه الآية الموسوية التي أتت تقلب الأعيان، وتنقل العصا
إلى صورة الثعبان، فلمثله تسجد سحرة الكلام، وتؤمن بآية

(١) سورة طه، الآية ١٠٥.

قلمه التي تلقفت آيات الأقلام . وها أنا قد /١٣٧/ سجدت له ، وإن لم أكن ساحراً بقلمي ، لكنني زدتُ به غراماً ، فسجدت له إعظاماً . وقد يسجد لحكمة البيان كما يسجد لحكم القرآن ؛ ومما أعتدُّه لنفسي فخاراً ، واتخذهُ لفضلي مناراً ، أني إذا فاتتني مُضاهاة مكانها فلم يفتني العلم بمزية إحسانها ، والعلم بالفضيلة فضيلة ، ومن لم ينل زهر الخميعة كفاهُ نظراً الخميعة .

وقد أصدرت كتابي هذا جواباً عن إصدار كتابه ، لا جواباً عن فصل خطابه ؛ فإن موازنة المداد بالمداد أيسرُ من موازنة الفؤاد بالفؤاد . وليس من أعمل يداً كمن أعمل فكراً ، ومعادن القلوب كمعادن الأرض ، تخرج تبراً وصُفراً . فليرض مني بما عندي ، ولا يكلفني فوق وجدي ، فما كُله هاتفة ورقاء ، ولا كل ناظرة زرقاء : [من البسيط]

وَأَنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ عَايَتَهُ مَآكُلُ مَا شِئَ بِالرَّحْلِ شِمْلًا
ومن ألقى سلاحه فقد استسلم ، ونصف العلم قول لا أعلم .

إن شاء سيدنا أن يجعل لساني خطيباً ، وخاطري قليلاً ، فليتحفني /٣٧ب/ بفضله كأسه ، ولمدني بشيء من أفواف قلمه وقرطاسه . .
والسلام إن شاء الله تعالى .

كتاب كتبه إلى الملك المحسن يمين الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن أيوب يهنئه بالحج ، وأرسله إليه عند عودهِ إلى دمشق . وهذا الكتاب جواب عن كتاب ورد منه :

«ورد الكتاب الكريم عن مجلس مولانا [الملك المحسن ، قرنه الله بأصحاب اليمين ، ورفعهُ إلى المقام الأمين ، وجعله ممن صدق يقينه ، وثقلت موازينه . وعلت يده وكلمته ودينه . ولا زال مستمسكاً في إخلاص عمله بالسبب الأقوى ، آخذاً بأدب الذين آمنوا وتناجوا بالبرِّ والتقوى . فتأرجحت أنفاسُ نجد من عنوانه ، وجاءت بخزاماه وحوذانه وحرَّكت /١٣٨/ إلى تلك الأرض كُلَّ عزم فاتر ، وأذكرتُ

بالأذان الذي يأتونه رجالاً وعلى كَلِّ ضامر، فتناوله المملوك بعد أن بدأ بالتطهير، واتخذ يومه عيداً فأعلن فيه بالتكبير. ثم فضّه فوجد آثار المناسك باديةً في أوله، ممزوجةً بآثار مرسله؛ فهذه يستمدّ منها بركة المطاف والأركان، وهذه يستمدّ منها سجية الفضل والإحسان. وكلاهما مأمول من مثل مولانا الذي أفاض ألطاف عباداته كما أفاد ألطاف إفاداته.

ولقد فخر هذا العام بحجّه على ما قبله، وازدان بفضلته حتى حسدت الأعوام فضلته، فلو كان ذا نُطقٍ لنشر أفوافَ كلمه، وخطبَ بالثناء على مولانا ومقدمه، وعرفَ أهل الموقف أنّهم في خفارة ذمّهم، وأنّهم عُفِرَ لهم ببركات قدمه.

وما يقول المملوك أنّه أدرك بالحجّ فضيلة لم يدركها سوى أنّه سلك طريقاً لم يسلكها، ولكنه أدّى فرضاً وزاد عليه بنوافل برّه فأوجب فرضاً. فكلّ أيامه أيام حجّ في طهارة يده ولسانه وقلبه، وتعظيم حرّمات الله التي / ٣٨ب/ هي خيرٌ له عند ربّه.

ومذ سار مولانا عن دمشق اضحت عارية اللباس خالية من الناس، واجدة من الوحشة بقدر ما وجدته الحرّم من الإيناس. وأمّا الآن فقد راجعتها بشاشتها، وردّت إليها حُشاشتها. فلها الهناء بالمولى الذي تنتزل من بلدها منزلة الروح من جسدها، ويحلّ من قطافها محلّ الرؤوس من أبدانها: [من الخفيف]

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي

وأما المملوك فإنّ المولى جمع عليه فراقين، وأثار له اشتياقين؛ فأحدهما بعده عما يتوقّعه من خبره، وما جعل الله له من قلوبين فيحمل من الفراق والأشواق لوعة خطبين. ولما ورد عليه الكتاب الكريم أعاد عهد أنسه، وأمسك بقية نفسه، ومحا بحُسنِ يومه إساءة أمسّه؛ فما يدري أصحيفةً مسطورة أم رحمة منشورة، لكنه تحقّق منها معنى

النشأة وارتجاعها، بما أعادته من الحياة الذاهبة بانقطاعها.

/١٣٩/ والمملوك يسأل أن يتعهده المولى 'بأمثالها، ويعتدُّ بها من عطايه وأفضالها، فإنها في هبات قلمه، أرغب منه في هبات نعمه، وللآراء العالية مزيد العلو إن شاء الله تعالى».

وله كتاب كتبه إلى الملك الأفضل أبي الحسن علي بن يوسف بن أيوب - رضي الله عنه - يتضمن التهنية بمولود:

«أصدر هذه الخدمة إلى الجنب الشريف وقد جاءت البشري بفرع نما من نجره، ولؤلؤة خرجت من بحره، فعبرت الأسماع بهذا الخبر الأريج، واهتزت له الآمال وربت وأنبئت من كل زوج بهيج، واستدل الناس بطيب الأصل على طيب الثمر، وتفرسوا فيه ما تفرسوا في الهلال من القمر، ولو نطق يوم مولده بلسان، أو كان ذا روح وجثمان؛ لافتخر على الأيام الأولى، /٣٩ب/ والآخرة، وبرز في أثواب زينته الفاخرة: [من الخفيف]

وَإِذَا مَا الْيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْسًا كُظْمًا فِي الْفَخَّارِ قَامَ خَطِيئًا
ولئن سبقته أيام جعلت عيداً للصيام، ونحر الأنعام، فهذا اليوم عيد لنحر العدا، وإبقاء سنة البأس والندى.

والله يُجري مولانا على عادة فضله، وينمي فرع الكريم حتى يستظل بظله، ويمضي الأمور بعقده وحله، ولولا إشفاق المملوك من التلفظ بكلمة تنقل على لسانه، لدعا له بخلافة ملك مولانا ووراثته سلطانه. لكنه يدعو لمولانا وله بالخلود، وأن لا يملك العدو ولا يرث سوى ميراث الحسود - إن شاء الله تعالى».

فصل من كتاب في هذا المعنى:

«المملوك يهنئ مولانا بالجوهرة التي خرجت من معدنه، والبارقة التي تلالأت من خلال مزنه؛ ولقد تشوقت تيجان الملك إلى /١٤٠/

زمنها واقترا به، وظمئت رياض الآمال إلى صوب سحابها وانسكابها.

فصل من كتاب في هذا المعنى:

«كتبت هذه الخدمة وقد جاءت البشرية بطلعة هلال سفرت، ومخيلة سحاب ظهرت، ويرجو أن يصير هذا الهلال بدرًا كاملاً، وهذا السحاب غماماً هاطلاً. ولقد اهتز السيف والقلم جذلاً بمولده، وتفاخراً في السبق إلى منال يده، وبُشِّرَتْ منه المكارم بكائنها، والعيون والقلوب بمائتها».

وله أيضاً فصل من كتاب في هذا المعنى:

«المملوك يهنئ مولانا بالشبل الخارج من عرينه، والعصب المتضئ في يمينه. ولقد اهتزت أسرة الملك لارتقابه، ومدت الجياد عيونها إلى وقت ركابه، ورجع له جيش العدو قبل أوان غزوه واقترا به».

/ ٤٠ ب/ وهذه رسالة أنشأها حين توفي الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبو نصر محمد بن أحمد، وبويع ولده الإمام المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بالخلافة - رضوان الله عليهما^(١) -:

«ما لليل والنهار لا يعتدران وقد عظم حادثهما، وما للشمس والقمر

لا يخسفان وقد فقد ثالثهما: [من الطويل]

فَيَا وَحْشَةَ الدُّنْيَا وَكَانَتْ أُنَيْسَةً وَوَاحِدَةً مَنْ فِيهَا لِمُضَرَعٍ وَاحِدٍ

وذلك الواحد هو سيدنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين، الذي كانت ولايته رحمة للعالم، واختير من أرومة النبي الذي هو سيد بني آدم. فذمته موصولة بذمته، وهو شقيقه في اسمه وخليفته في أمته؛ ولقد وقف على السنن فأتى بالحسن، وحمدت صحبة الأيام في زمنه فلم يشك أحد من / ٤١ أ/ الزمن.

(١) وذلك في أول شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وكان بين موتهما تسعة أشهر.

ومما عظم الرزء به أنه أتى عقيب رزء وصل فجعه بفجعه، وكان يستهول أحدهما وهو وتر فبدل الوتر فيه بشفعه. فيا ويح الإسلام فجع أولاً بناصره، وفجع الآن بظاهره، وقرب الوقت بينهما حتى كاد يعثر أوله بآخره. فلم تفق النفوس من برحائها إلا وافت ما طوى مضضها على مضض، ووقع ذلك منها موضع نكسة عطفت على مرض؛ ونكأ القرع بالقرع أوجع، وذهاب فرع العلياء بعد أصله ذهاب بالعلياء أجمع.

وكلا هذين الحادتين؛ رمى الناس بسهم عائر^(١)، ليس عليه من صابر، وما كان الله ليسوء دينه بمصاب خليفتين، ولا يجلو ظلمته بصباح سافر. وقد جاء بسيدنا ومولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين، فأرضى به كل قلب سخط ولم يرض، وقيل هذا بدل الكل من الكل لا بدل البعض من البعض. وكان الناس على خطر من انتقاض أمرهم فأتيج لهم إبرام ذلك النقض، ونسي ما تقدم من البرح وذمل / ٤١ب / ما أعضل من القرع، ولئن كثر الأسف على ليلتين مضتا برامة فقد أسلت عنهما ليلة السفح، والعبد قائم بهذا المقام، وقلبه متقسم للعزاء شطراً [و] للهناء شطراً. فإذا نطق بهذا أسبل دمعاً وإذا نطق بهذا أبدى ثغراً، وهو نائب عن مرسله في أخذ البيعة التي يد الله فوق يدها، والسابق إلى يومها أفضل من المتأخر إلى غدها، وهي التي تجلت بإثبات حسنتها أقلام السقرة، وجعلها الله معدودة في بيعة العقبة وبيعة الشجرة. ولها يصح قول القائل:

[من البسيط]

وَبَيْعَةٍ مِنْ قُلُوبٍ غَيْرِ شَارِدَةٍ مَا كَانَ فِي عُودِهَا ضَعْفٌ وَلَا خَوَرٌ
لَوْ أَنَّهَا لِعَتِيقٍ لَمْ يَمُتْ حَسِيراً سَعْدٌ وَلَا قَالٌ: كَانَتْ فَلْتَةٌ عُمَرُ

وكذلك فإن العبد ينهي طاعة مرسله، التي جعل يومه فيها كأمسه،

وزادها في مباني الإسلام فهو مبني بها على سته لا على خمسة . وقد اتخذها معقلاً يكن في ذراه ، وفي الآخرة عتاداً صالحاً يسره أن يراه»^(١) .

/ ٤٢٢ / رسالة أخرى من إنشائه حين توفي الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن الحسن ، وبويع بالخلافة للإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين أبي نصر محمد - رضي الله عنهما - وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة :

«العبدُ يقدّمُ عذره قبل قوله ، فإنَّ هذا المقام مقام مهابة لا تجدُ الخواطرُ فيه سبْحاً ، وإذا بلغ البليغُ جهده كان قُصاراه أن يسأل صفحاً : [من الكامل]

إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ

عبد الديوان العزيز النبوي لؤلؤ يُعزي نفسه والمسلمين كافة ، يفقد من الإسلام له فاقد ، ومن لم يشك الموجدة بمُصابه / ٤٢٢ ب / إلا إلى واجد سيدنا ومولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، الذي التقت الأرض منه على محبي ثراها ، ومُمسك عراها ، وباري سنة العدل والإحسان بها كما أن الله براها ؛ فأَي سحاب نضب عنها فيض مواهبه ، وأَي جبل خفت جنوبها لزوال مناكبه ، لكن تلافى الله ذلك بقيام ولي عهده من بعده ، والذي انتضاه على طول ترقُب من غمده سيدنا ومولانا الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، فعطفت هذه النعمى على تلك البُوسى ، وآست من كلمها الذي لولاها لما كان يوسى :

[من الطويل]

وَفِي الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ الَّذِي غَيَّبَ الثَّرَى فَلَا أَنْتَ مَغْبُورٌ وَلَا الدَّهْرُ غَابِنٌ

وما من أحد إلا وقد استبدل عزاءه بهنائه ، ورأى عمود الإسلام قائماً بعد هدم بنائه ، وعلم أن الدهر أذنب ثم اعتذر وقال : هذه

الشمس طالعة إن غيب القمر، واشتبه لديه رتق هذا الفتق برتق أبي بكر بعمر. وقد حضر العبد نائباً عن مرسله في إعطاء صفقته بيمينه، وثمرة قلبه آخذاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ / ١٤٣﴾ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^(١) ولو حضر هذه البيعة سعد لرأى مطلعها سعداً، ولم يجد من الدخول فيها بدءاً، ولما غم في قطيفته غمّاً، ونأى عن دار قومه بعداً. فهي أخت بيعة الرضوان، وأم الشرائط المشروطة في عقود الإيمان، والمركب الذي النجاة بين صهوته وعنانه، ومظنة النجاة ما بين صهوة وعنانه، وللسابق في مثل هذا المقام فضيلة سبقه، كما أنَّ للصادق مزية صدقه، وكلاهما مجموع لمرسل العبد في الفوز، بقصب المضمار والانفراد بخالص الإضمار، والذي إعلانه كإساراه، وقليل ما يستوي حالنا الإعلان والإسرار، ولئن غاب عنه الحضور بنفسه فهو في عداد من حضر، والتعويل إنما هو على صدق النية الذي أثرها هو الأثر.

قال النبي ﷺ في بعض غزواته: «إِنَّ وراءكم قوماً بالمدينة ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»^(٢). فليعول الديوان العزيز من سعيه على القوي الأمين، وغناؤه على المعقل الحصين، وليضنَّ به وإنما يضمن بالضنين .. والسلام».

[٨٦٣]

٤٣ب/ نصر الله بن المظفر بن أبي طالب بن حمزة بن علي بن الحسين
أبو الفتح بن أبي العز بن الصفار الشيباني المعروف بابن
شقيشة^(٣).

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٢) صحيح البخاري ١٣٦/٥، ط دار الفكر، بيروت ١٤٠١. مسند أحمد بن حنبل ٣/١٠٣ و ٣٤١، ط دار صادر، بيروت. فقه السنة للسيد السابق ٢/٦٣٥، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) في هامش الأصل: «توفي نجيب الدين ابن شقيشة المذكور يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء بعد الظهر بجنب الكهف بقاسيون في سابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وستمائة».

من أهل دمشق .

كانت له عناية بسماع الحديث النبوي، وسمع منه الكثير بنفسه، ولقي مشايخه ورجاله الذين كانوا يقدون إلى دمشق من الغرباء وأهلها. واستفاد منهم، واستكثر من الشيوخ حتى بلغت مشيخته ألف شيخ، وحصل من الفوائد شيئاً عظيماً. ولم يدخل دمشق طالب حديث أو شاعر أو أديب إلا ويجتهد في قضاء حوائجه، ويتعصب له تعصباً تاماً، ويثني على فضله عند الناس .

وهو مشكور الطريقة ببلده، فجزاه الله عن مروءته الخير ولمن كان فيه مروءة. وعنده فقه وأدب مقل من قول الشعر .

أنشدني لنفسه بدمشق في سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

خَفَّ اللَّهُ فِي صَبٍّ سَلَبَتْ رُقَادَهُ وَأَتَبَلَّتْ بِالْيَيْنِ الْمُشْتَّ فُؤَادَهُ
/ ٤٤ / وَوَأَفَيْتَهُ مُلْقَى عَلَى فُرْشِ الضَّنَى أَسِيرَ غَرَامٍ لَا يَفُكُّ قِيَادَهُ
يَرَى الْقُرْبَ فَرَضًا مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الْوَرَى وَأَنْتَ تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ بَعَادَهُ

وأنشدني أيضاً لنفسه في غلام جميل الصورة حلاوي: [من السريع]

قُلْ لِلْحَلَاوِيِّ عَلَى الَّذِي تَحَارُّ أَلْبَابُ الْوَرَى فِيهِ
إِنَّ الَّذِي نَأْخُذُ مِنْ كَفِّهِ هُوَ الَّذِي نَجْنِيهِ مِنْ فِيهِ

[٨٦٤]

نَصْرُ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ اللَّهِ، بْنِ نَصْرِ اللَّهِ، أَبُو الْفَتْوحِ الْهَيْتِيُّ^(١).

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٩ - ٤٠. وفيه: «ولد سنة ثمانين وخمسائة، وتوفي سنة ستة وخمسين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ - ٦٦٠) ص ٣٠٠ - ٣٠٢ رقم ٣٣٥. فوات الوفيات ١٨٥/ ٤ رقم ٥٤٣. شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥. ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٤ رقم ٩٠٥٤. البداية والنهاية ١٣/ ٢١٧ - ٢١٨. عيون التاريخ ٢٠/ ٢٠٥ - ٢٠٦. لسان الميزان (ط بيروت) ٧/ ١٩٢ رقم ٨٨٧٦. عقود الجمان للزركشي ٣٣٥. عقد الجمان ١/ ١٩٣ - ١٩٤. ذيل الروضتين ٢٠١. العبر ٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦ رقم ١٦٦٣. الدارس ١/ ٨٠ - ٨١. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٩ رقم ٢١٩١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٣.

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٧ - ٨ وفيه: «نصر الله بن نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم، أبو الفتح الهيتي، معين الدين بن أبي المعالي الشافعي. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) =

من الشعراء العراقيين .

دخل بلاد الشام وامتدح ملوكها، وذوي اليسار منهم، واسترفدهم بأشعاره وكبر وأسنَّ، ولم يترك قول الشعر، وانقطع بأخرة إلى صاحب حماة الملك المنصور أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب، وبها توفي [في الخامس عشر من شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة] (١).

وكان عنده تهوس وخفة يدل على ذلك ما أخبرني من أثق به، أنه كان إذا امتدح رجلاً بقصيدة يُعنون على رأسها المملوك نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي؛ ثم يخالف / ٤٤ب/ الاسم ويكتب على قصيدة أخرى المملوك أبو الفتوح بن أبي الفتوح بن أبي الفتوح، ومرة المملوك نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله، وتارة أبو الفتوح بن نصر الله بن أبي الفتوح الهيتي .

وكان يتعاطى الفصاحة في مقولاته وإنشائه، صاحب منظوم ومثثور. يذهب في إنشائهما مذهب أبي الفتح البلطي . وكان يصنع أبياتاً من الشعر جميعها معجمة . وقصيدة خالية من الإعجام؛ وغير ذلك من هذه الفنون ما تركه أولى من تدوينه . وكانت ولادته بهيت في عاشر محرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

أنشدني الشيخ الأجل العدل السعيد بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن يحيى بن الخشاب بحلب من لفظه - رضي الله عنه - قال: أنشدني أبو الفتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر الله الهيتي لنفسه بحلب يمدح الملك الظاهر غياث الدين أبا المظفر غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي - رحمه الله تعالى - : [من الخفيف]

/ ٤٥أ/ ضَحَكَ الْبَرْقُ إِذْ بَكَى الْإِبْرِيْقُ ثُمَّ جَادَ السَّحَابُ وَالرَّأْوُوقُ
وَتَغَنَّتْ وَرَقُ الْحَمَائِمِ حَتَّى أَطْرَبَ الْبَانَ بَيْنَهَا التَّصْفِيْقُ
كُلُّ وَرَقَاءٍ فِي الْأَصَائِلِ يُخْفِي هَاعَنِ النَّاطِرِينَ غُصْنٌ وَرِيْقُ

= ص ٣٥٥ رقم ٥١١ . التكملة للمنذري ٣/ ٥٤٥ رقم ٢٩٥٣ ، وفيه : «نصر الله بن نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتي المولد، المصري الوفاة، الشافعي، الشاعر المنعوت بالمعين . توفي بالقاهرة في ليلة الخامس عشر من شوال ودفن من الغد» .

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل .

يَا خَلِيلِي نَادِمَانِي فَقَدْ طَا
وَأَضْرَبَا لِي صَوْتًا عَلَى الْعُودِ وَالنَّ
سَالِكًا مَذْهَبَ الْقَدِيمِ فَإِنِّي
وَأَسْقِيَانِي صَرْفًا فَإِنَّ مَزَاجِي
مَا شَفَائِي مِنَ الْهَيْامِ وَلَا بَرَّ
وَلِذَا مَا مَرَضْتُ لَيْسَ يُدَاوِي
مَا مُرَادِي إِلَّا الْمُدَامُ وَلَا أَحَدُ
فَهِيَ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ وَمِنْ الْآ
لِي مِنْهَا مَدَى الزَّمَانِ صَبُوحٌ
وَلَهَا فِي قَمِ النَّدِيمِ غُرُوبٌ
فَأَسْقِنِيهَا مَنْ كَفَّ أَعْيَدَ يَحْكِي
/ ٤٥ ب / بَابِلِي اللَّحَاطُ مَنْ جَفَنَهُ الْفَا
فِي رِيَاضٍ كَأَنَّهَا حُلُلُ الدِّ
مَا تَرَى الْأَرْضَ كَالنَّمَارِقِ تُزْهَى
وَعَلَيْهَا أَثْوَابُ نُورٍ كَسَاهَا
وَرُبَاهَا قَدْ طُرِزَتْ بِرُقُومٍ
قَدْ تَنَافَى فِي الشُّبْهِ لَوْنًا وَرِيحًا
يُشْبِهُ الْيَاسْمِينَ لَوْنٌ مُحَبَّبٌ
وَتَرَى النَّرْجِسَ الْمُضَاعَفَ يَحْكِي
وَكَأَنَّ الشَّقِيقَ رَايَاتُ غَازِي
مَلِكٌ بَابُهُ بِكَفٍّ رَجَاءُ آلِ
يَطْلُبُونَ الْأَرْزَاقَ بِالْقَصْدِ كَالْحُ
جَعَلُوا حَارِمًا لَهُمْ ذَاتُ عِرْقٍ
فَتَوَالَى غَيْثُ الْغِيَاثِ عَلَيْهِمْ
هَمُّهُ أَنْ يُفَرِّقَ الْمَالَ فِي الْآ
/ ٤٦ أ / فَهُوَ الرَّازِقُ الَّذِي عَمَرَ الْخُلْدَ

بَ مُدَامِي وَرَأْنَهُ التَّزْوِيْقُ
يَ طَرُوبًا يَلْذُلِي وَيَرْوُقُ
مَنْ مَبَادِي الْحَنَانِ مَخْلُوقُ
لَا خِتْلَافَ الْمَزَاجِ لَيْسَ يُطَيِّقُ
دُعَايِي إِلَّا السُّلَافُ الرَّحِيقُ
فَرَطُ دَائِي إِلَّا الشَّرَابُ الْعَتِيقُ
سِدُّ إِلَّا دَا سَكْرَةَ لَا يُفِيْقُ
يَاتُ شَمْسٌ يَضْمَهُمَا إِبْرِيْقُ
كَمَلَتْ لَذَّتِي بِهِ وَعَبَّوْقُ
وَمِنْ الْكَأْسِ وَالْبَزَالِ شُرُوقُ
ذَابِلُ الرُّمَحِ قَدُهُ الْمَمْشُوقُ
تَرَعَضِبُ مَا ضِي الشَّبَابِ رَفِيقُ
بَاجٍ قَدْ حَاكَهَا الْحَيَا وَالْبُرُوقُ
بُنُقُوشٍ كَأَنَّهَا تَزْوِيْقُ
فِي مُتُونِ الرِّيَاضِ زَهْرَانِيْقُ
نَسْجُهُمَا مِنْ يَدِ الْغِيُومِ صَفِيقُ
فَهُوَ نُورُ زَاهٍ وَمَسْكَ فَتِيقُ
نَاحِلُ الْجِسْمِ رَاعَهُ التَّفَرِيقُ
حَدَقًا لَا يَضُرُّهَا التَّحْدِيقُ
أَوْ دَمًا مِنْ سُيُوفِهِ مَدْفُوقُ
خَلَقَ عِلْمًا بِجُودِهِ مَطْرُوقُ
جَجَاجٍ إِذْ بَابُ غَيْرِهِ مَرْتُوقُ
وَبَسَاتِينِ عَمَّ عِنْدِي الْعَمِيقُ
بُنْضَارٍ فِيهِ الْبُرُوقُ بِرِيقُ
فَاقٍ وَالْجَمْعُ ذَلِكَ التَّفَرِيقُ
سَقَ فُكْلٌ مِنْ كَفِّهِ مَرَزُوقُ

قَقَ فَمَنْ رَامَ شَأْوَہُ مَسْبُوقُ
 بِالْمَعَالِي وَالْمَكْرُمَاتِ خَلِيقُ
 لَلْوَإِصْصَالِ جُودِهِ مَرْمُوقُ
 صَافٍ وَالْجُودُ لِلْمُلُوكِ سَبُوقُ
 وَإِلَى فَعْلٍ كُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ
 لَجَوَادٍ وَبِالرَّعَايَا رَفِيقُ
 وَسَوَاهُ سَكْرَانُ لَا يَسْتَفِيقُ
 سَبُّ إِذَا أَعْلَظَ الْمُسِيءُ رَفِيقُ
 يَلْ رَحْبُ الدَّرَاعِ بَرُّ شَفِيقُ
 لَلطُّهُورِ فِي الْمَكْرُمَاتِ عَرِيقُ
 هُ فُرُوعُ نَضِيرَةٍ وَعَرُوقُ
 دُونَهُ فِي عُلُوِّهِ الْعِيقُ (١)
 بَاءَ دَامَتْ تَحْلُولُهُ وَتَرُوقُ
 دَيْنَ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ يَقُوقُ
 وَاحٌ تَبَقَّى الْجِسْمُ لَوْلَا الزُّهُوقُ
 هَا فَكُلُّ مِنْهَا إِلَيْهِ مَشُوقُ
 إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَعْشُوقُ
 قَ إِلَيْهِ لَكِنَّهَا لَا تُطِيقُ
 قَالُ: هَذَا بَغْيُهُ لَا تَلِيقُ
 ذُقْ يَعْزُو وَيُذْعِنُ الْمُنْطِيقُ
 يَنْ صَدَقًا فَذَكَرُهُ تَصَدِّيقُ
 هُ وَآيَاتُ فَعْلِهِ صَدِّيقُ
 وَاسْتَعَارَاتُ وَصَفُهُ تَحْقِيقُ
 وَسَيَحْوِي الْبِلَادَ وَهُوَ حَقِيقُ

وَهُوَ السَّابِقُ الَّذِي أَحْرَزَ السَّبَّ
 وَهُوَ مَلِكٌ دُونَ الْخَلَائِقِ جَمْعًا
 وَهُوَ بَيْنَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ وَالْقَضِ
 وَهُوَ فِي الْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِنْدِ
 وَلَهُ مُسَلِّكٌ إِلَى كُلِّ بَرٍّ
 مُسْتَقِيمٌ الْمَسْعَى عَلَى مَنَهِجِ الْعَدِّ
 يَحْذَرُ اللَّهَ فِي الرَّعِيَةِ سَرًّا
 مُحْسِنٌ مَجْمُلٌ رُوُوفٌ لَهُ قَلْدُ
 وَاسِعُ الصَّدْرِ ضَيِّقُ الْعُذْرِ عَفُ الدِّ
 مَلِكٌ فِي دُرَى الْفَخَارِ لَهُ أَصْدُ
 خَيْرُ أَصْلٍ لَخَيْرِ مَلِكٍ زَكَتْ مِنْهُ
 سُودْدٌ تَالِدٌ وَمَجْدٌ طَرِيفُ
 طَالُ فَوْقَ الْعُلَا كَقَلْعَتِهِ الشَّهْ
 /٤٦٦ب/ هِيَ بَيْنَ الْقِلَاعِ مِثْلُ غِيَاثِ الْ
 وَهِيَ كَالْجِسْمِ وَهُوَ رُوحٌ وَبِالْأَرْ
 أَوْحَشْتَهَا أَعْطَاهُ مُذْنَأَى عِنْدَ
 إِنْ خَلَتْ مِنْهُ لَا خَلَتْ فَهِيَ تَشْتَأِقُ
 لَوْ تُطِيقُ الْمَسِيرَ سَارَتْ مِنَ الشَّوْ
 فَكَأَنَّ الْإِلَهَ لَمَّا دَحَاَهَا
 مَدَحُهَا يُعْجِزُ الْخَوَاطِرَ فَالْحَا
 فَهُوَ مِثْلُ ابْتِغَارِ مَدَحِ غِيَاثِ الدِّ
 مُعْجَزَاتُ الْمَدِيحِ قَدْ جُمِعَتْ فِيهِ
 كُلُّ وَصْفٍ فِيمَنْ سَوَاهُ مَجَازُ
 وَرَثَ الْمُلِكُ عَنْ أَبِيهِ تَلِيدًا

رَفَمْنَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ فَرِيقُ
وَفَسِيحُ الْفَضَاءِ عَنْهَا يَضِيقُ
وَلَهَا مِنْ دَمِ الْأَعَادِي خَلُوقُ
ضُضٌ وَلَا مَانِعٌ وَلَا مَنْجِيْقُ
هَرَقَهُرًا وَتُسْتَفَادُ الْحُقُوقُ
لَيْسَ يَعْصِيهِ فِي الْوَرَى مَخْلُوقُ
فَضْلٌ حَتَّى حَثَّتْ إِلَيْكَ النُّوقُ
لِذَوِي النَّظْمِ فِي ظِلَالِكَ سُوقُ
قَدْ كَسَاهَا التَّجْنِيسُ وَالتَّطْيِيقُ
رُيْهَنِيكَ فِيهِ وَالتَّوْفِيقُ
عَلَّ فِيهِ مَا يَقْتَضِي التَّشْرِيقُ
كَكَ وَكُلُّ إِذَا عَفَوْتَ عَتِيقُ
وَلَهَا مِنْ سَطَا يَدِيكَ خُفُوقُ

وَيَبُتُّ الْجِيُوشُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْ
بِأَسُودٍ عَلَى الْعَقَارِبِ تَضْحِي
تَرْدُ الْحَرْبِ ثُمَّ تَصَدُّرُ عَنْهَا
/ ٤٧ / ثُمَّ تَعْلُو بِيضُ الْمَعَاقِلِ بِالْيَدِ
وَيَحُوزُ الْمَمَالِكُ الْمَلِكُ الظَّا
وَتَرَى الْمُلُوكَ بَعْدَهَا يُوسُفِيَا
يَا مَلِيكَ الْأَفَاقِ أُحْيَيْتَ أَهْلَ الْ
وَشَرَيْتَ الْقَرِيضَ غَالًا فَقَامَتْ
فَاسْتَمَعَ مِنْهُمْ غَرَائِبَ شَعْرِ
وَتَهَنَّأَ الْإِقْبَالَ فِي الْعِيدِ فَالْنَصْرُ
وَأَبْتَهَجَ بِالتَّشْرِيقِ فَالْنَدْبُ مَنْ يَقْ
وَأَجْعَلَ النُّحْرَ فِيهِ نَحْرًا عَادِي
فَقُلُوبُ الْأَعْدَاءِ تَرْجُفُ خَوْفًا

وأنشدني الشيخ العدل الأمين أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيب

بحلب - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني / ٤٧ ب / أبو الفتوح نصر الله بن نصر الله بن نصر

الله الهيتي لنفسه مبدأ قصيدة: [من الطويل]
حَدِيثُ غَرَامِي مُسْتَفِيزٌ وَمُسْنَدُ
وَحْبِي قَدِيمٌ وَالتَّجْمُلُ مُحَدَّثُ
وَلِي خَبَرٌ يَرُوهُ شَأْنِي مُسْلَسَلًا
فَلَوْ أَنَّ مَوْضُوعَ الْأَسَى بِحُشَاشَتِي
وَلَوْ أَنَّ سَعْدًا بِالْمَنَازِلِ طَالَعُ
سَمِيرِي مِنَ السَّمَرَاءِ طَيْفٌ كَأَنَّهُ
أَلَمَ خَيْالًا وَاللَّوَائِمُ عُقْلُ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ فَقُرْبُهُ
وَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ طَارِقَةِ النَّوَى
فَصَبْرِي جَمِيلٌ وَاشْتِيَاقِي كَثِيرٌ

وَدَمْعِي وَوَجْدِي مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدُ
وَتُوبٌ نُحُولِي بِالْجَمَالِ مُجَدَّدُ
وَفِيهِ مَعَ الْمَعْنَى الْجَلِيَّ تَعَبُّدُ
مَعَ الْبُعْدِ مَحْمُولٌ لِمَا كُنْتُ أَجْهَدُ
لَكَانَ إِذَا مَا قَابَلَ الرَّبَّ يُسْعَدُ
مَعَ الصُّورَةِ الْحَسَنَاءِ مَعْنَى مُجَرَّدُ
فَوَافِي خَيْالًا وَالْعَوَادِلُ هُجْدُ
بِهِ غُلَّةُ الصَّبِّ الْمُتَيَّمِ تَبَرُّدُ
وَهَا أَنَا مِنْ بَعْدِ النَّوَى أَتَجَلَّدُ
وَقَلْبُكَ يَا خُنْسَاءَ صَخْرٍ وَجَلْمَدُ

وَرَاتِبُ وَجْدِي فِي الْبَوَاقِي مُخَلَّدٌ
لَذَلِكَ أَنْفَاسِي جَوَى تَصَعَّدُ
تَحَقَّقْتُ أَنَّ الْجَمْعَ يَسْبِيهِ مُفْرَدٌ
وَحَدُّ كَمَا شَاءَ الْجَمَالُ مُورَدٌ
عَلَى عَامِلٍ لَوْلَا الثَّقَى كَانَ يُعْبَدُ
أَقْلَ هَالَا بِالْخُطَى يَتَاوَدُ
وَلِلْحَنَفَى الطَّرْفُ مِنْهَا مُحَدَّدُ
مُقَابَلَةٌ بِالْعَوْدِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
بِهِ الرِّيقُ شَهْدٌ وَالْأَرَاكَةُ تَشْهَدُ
بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ الْجَمَانُ الْمُتَضَدُ
وَمَا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ إِلَّا مُحَمَّدُ

وَجَارِي دُمُوعِي فِي الْمَاقِي مُوْطَفُ
/١٤٨/ وَتَصْفِيرُ جِسْمِي مِنْهُ تَقْطِيرُ أَدْمَعِي
بِنَفْسِي شَمْسٌ لَوْ رَأَى النَّاسُ حُسْنَهَا
لَهَا وَجَنَّةٌ كَالْوَرْدِ حَمْرَاءُ مِنْ دَمِي
وَفِي الْخَدِّ خَالٌ مُشْرِفٌ تَحْتَ نَاطِرِ
لَهَا الْقَدُّ غُصْنٌ مَاسٌ فِي دَعَصِ رَمْلَةٍ
وَلِلشَّافِعِي الرَّدْفُ مِنْهَا مُثْقَلُ
فَلَوْ جَبَرْتُ مَنْ كَسَرَ قَلْبِي بِوَصْلِهَا
لَقَبَلْتُ تُغْرَاكَ كَاللَّالِي مُنْظَمًا
فَمَا الْخَاسِرُ الْمَغْبُونُ إِلَّا مَنْ اشْتَرَى
وَمَا الْقَاعِدُ الْمُفْتُونُ إِلَّا أَخُو الْهَوَى

وأنشدني أيضاً من لفظه، قال: أنشدني نصر الله بن أبي الفتوح بن نصر الله الهيتي

لنفسه: [من الوافر]

فَصَرْتُ فِدَاءَ نَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ
يُطَمِّئُنِي بِلَارِيقِ شَذِي
وَلَا يَصْفُو لَأَيِّ هَوَى غَزِي
مَصُونٌ سِرُّهُ شَكْلُ زَكِي
وَيَعْقِلُ عَنْ مُطِيعِ هَوَى وَفِي

/٤٨ب/ عَصَانِي طَائِعُ الطَّرْفِ الْعَصِي
لَا مُتَحَنِّنَ صَبْرِي عَنْ شَتِيَّتِ
فَلَا يَسْقِي وَيَشْقِي حِينَ يَجْفُو
سَيَذْكُرُ خَلَاةً لِأَخٍ وَدُودِ
فَكَمْ يَقْضِي وَيَظْلِمُ وَهُوَ لَاهٍ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني نصر الله الهيتي قوله في الغزل: [من الطويل]

جَنِي شَقِيقٌ يَقْتَضِيهِ ضِيَاءُ
وَكُلُّ غَزَالٍ عَزَّ فَهُوَ رَخَاءُ
أَخْصُكَ حَتَّى فَالسَّلَافُ شَفَاءُ
يُلَازِمُهَا إِذْ صَارَ مِنْهُ سَمَاءُ
وَلَا عَيٍّ فِيمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ

غَزَالٌ لَهُ خَالٌ شَذَاهُ أَظْنُهُ
خَلَوْتُ بِهِ صُبْحًا وَزَادَ تَعَرُّضًا
جَسَّاحًا حَكَا يُسْقِي سُلَافًا فَقَالَ لِي:
وَأَشْهَرُ شَمْسًا مِنْ مُدَامٍ وَضَوْوُهَا
أَيُظْلِمُنِي وَالْكَامِلُ الْمَلِكُ عَاطِفُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

١٤٩/ مَا بَيْنَ رَامَةٍ فَالْعُدَيْبِ فَحَاجِرٍ أَسَدٌ تَقْنَصُهَا أَكْفٌ جَاذِرٍ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ أَسَادَ الشَّرَى تَعْنُو لِسْرَبٍ فِي الْفَلَاةِ نَوَافِرٍ
لَا تَخْدَعَنَّكَ بِالْوَعُودِ فَطَالَمَا أَخْلَفْنَ إِخْلَافَ الْمَلُولِ الْغَادِرِ
إِنَّ الظُّبَاءَ وَإِنَّ تَقَادِمَ عَهْدَهَا وَأَنْتَ بِحُسْنِ بَوَاطِنٍ وَظَوَاهِرِ
لَتَمُجُّ أَرِيًّا مِنْ نِيُوبِ أَسَاوِدٍ وَتَسْلُ تَبْرًا مِنْ جُفُونِ مَحَاجِرِ^(١)

[٨٦٥]

نَصْرُ اللَّهِ بْنِ هُبَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ هُبَةَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْعَزْزِ الْكَاتِبِ الرَّسَائِلِيِّ،
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بُصَاقَةٍ وَبِزَاقَةٍ وَبِصَاقَةٍ كُلُّ يُقَالُ، الْغَفَارِيُّ
الْكَتَانِيُّ^(٢).

ولد بقوص^(٣) تقريباً في سنة ثمانين وخمس مائة^(٤)، ونشأ بمصر واستظهر القرآن
العزیز، واشتغل بالأدب على جماعة من الأدباء بمصر والشام، وقرأ على الشيخ العالم أبي
اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي. وخدم في دولة الملك المعظم شرف الدين عيسى بن
أبي بكر بن أيوب - صاحب دمشق - وبعده لولده الملك الناصر داود كاتب الإنشاء / ٤٩٩ ب/
وتقدم عندهما، وارتفع شأنه، وعلت منزلته.

ورأيت من يثني على فضله وصناعته في الكتابة وقوانينها، ويقول: هو أكتب أهل
زمانه بلا مدافع، وأعرفهم بالقواعد الإنشائية، وأجودهم ترسلًا، وأحسنهم عبارة،

(١) الأري: العسل.

(٢) ترجمة في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٤١ - ٤٩، وفيه: «نصر الله بن هبة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي... توفي
سنة خمسين وست مائة بدمشق». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٤٥٦ - ٤٥٧ رقم ٦١٨. الطالع
السعيد ٦٧٦. الجواهر المضية ٢/ ١٩٩ وفيه: «ابن رصافة». وفي ٢/ ٣٩٢ «ابن بصانة». شذرات الذهب
٥/ ٢٥٢. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٤ وفيه: «ابن قصافة». السلوك ج ١ ق ٢/ ٣٨٥. الفوائد الجلية في الفرائد
الناصرية لداود بن عيسى الأيوبي ٩٦ - ٩٨. بدائع البداية ٢٧١ رقم ٣٠٧. عيون التواريخ ٢٠/ ٧٠ - ٧١.
المغرب في حلى المغرب ٢٩٩ - ٣٠٠. البداية والنهاية ١٣/ ١٨٤ وفيه: «ابن صاقعة». حسن المحاضرة
١/ ٢٤٣. الأعلام ٨/ ٣١.

(٣) قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة هي قصبة صعيد مصر. انظر: معجم البلدان/ مادة (قوص).

(٤) في هامش الأصل: «ولد سنة تسع وسبعين وخمس مائة».

وأطولهم باعاً، وله ديوان شعرٍ ورسائل.

شاهدته بظاهر مدينة حلب المحروسة، بمقام الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه - يوم الخميس الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبع وأربعين وستمائة، وعلقت عنه قطعاً من شعره، ولم يكن في الوقت سعة لأكتب من ترسله وأثبتته في هذا المجموع.

ورأيتُه شيخاً لطيفاً كيساً فيه دماثة وبشاشة؛ ثم سافر إلى دمشق، ولم يزل مقيماً بها إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة - رحمه الله تعالى -.

ومما أنشدني لنفسه إملاءً من لفظه: [من الطويل]

وَحَقِّكُمْ لَمْ يُلْهِنِي بَعْدُ بَعْدُكُمْ	ظُهُورُ مَذَاكْ أَوْ صُدُورُ مَجَالِسِ
/ ٥٠ / وَلَا رَاقِي فِي النَّاسِ إِحْسَانٌ مُحْسِن	وَلَا أَنْسَتْ رُوحِي بُودُ مُؤَانِسِ
رَمَانِي زَمَانِي الْقَطْ عَنْ قَوْسِ غَدْرِهِ	بَسْهُمْ فَرَاقٌ مُطْلَقاً غَيْرَ حَالِسِ
وَعَوَّضْتُ عَنْ يَوْمِي الْمُتِيرِ بِقُرْبِكُمْ	بَلِيلٌ مِنَ الْبُعْدِ الْمُبْرِحِ دَامِسِ
فَأَضْحَى عَدُوِّي عِنْدَ ذَلِكَ رَاحِمِي	وَكَانَ صَدِيقِي قَبْلَ ذَاكَ مُنَافِسِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يُحْدِثَ اللَّهُ لُطْفَهُ	عَلَى رُغْمِ آتَافٍ وَذُلِّ مَعَاطَسِ
فَمَا أَنَا مِمَّنْ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا	عَلَى خَيْرٍ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بَايَسِ

وأنشدني أيضاً لنفسه ما كتبه إلى بعض الملوك: ^(١) [من الخفيف]

لَوْ شَرَحْتُ الَّذِي وَجَدْتُ مِنَ الْوَجْدِ	عَلَيْكُمْ أُمَلِّتُكُمْ وَمَلَلْتُ
فَلَهَذَا خَفَّفْتُ عَنْكُمْ وَأَقْصَرْتُ	تُ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَطِيلَ أَطَلْتُ
غَيْرَ أَنَّ الْعَبِيدَ تَحْمِلُ عَنْ قُلْدِ	بِ الْمَوَالِي وَهَكَذَا قَدْ فَعَلْتُ

وأنشدني لنفسه أيضاً، وفيه لزوم السين: [من الكامل]

يَا مَنْ عَدَا مِنْ كُلِّ عَارِ عَارِيَا	وَمِنْ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ كَاسِيَا
/ ٥٠ ب / وَرَأَيْتُهُ فِي الْعِلْمِ بَحْرًا زَاخِرًا	وَوَجَدْتُهُ فِي الْحِلْمِ طَوْدًا رَاسِيَا
عَجَبِي لِمِثْلِكَ كَيْفَ يَنْسَى ذَاكَرًا	وَاعْجَبَ لِمِثْلِي كَيْفَ يَذْكُرُ نَاسِيَا

بَعْدَ الْمَدَى وَرَزَقْتُ قَلْبًا لَيْنًا يَشْكُو [الضَّنَى] وَرَزَقْتُ قَلْبًا قَاسِيَا
هَبْنِي أَسَاتُ كَمَا ظَنَنْتَ فَكُنْ لَجْرُ حِإِسَاءَ تِي بِجَمِيلَ صَفْحِكَ أَسِيَا
فَقَدْ أَفْتَقَدْتُ مِنَ الْمَعَارِفِ كُلَّهُمْ فَعَسَاكَ تَصْبِحُ لِلْفَقِيرِ مُوَاسِيَا

وأنشدني أيضاً لنفسه يتغزل: [من المنسرح]

مَا لَكَ فِي الْخَلْقِ عَاشِقٌ مِثْلِي فَكَيْفَ تَخْتَارُ فِي الْهَوَى قَتْلِي
إِنْ أَنْكَرْتَ مَقَلَّتَاكَ سَفْكَ دَمِي فَلِي بِخَدْيِكَ شَاهِدَا عَذْل
لَكُنْتَنِي غَيْرُ طَالِبٍ قَوْدَا مِنْكَ وَلَا رَاغِبَا إِلَى عَقْل^(١)
وَلَا لَيْسُومِ الْحَسَابِ أَذْخَرُهُ بَلْ أَنْتَ مِنْهُ فِي أَوْسَعِ الْحَلِّ
يَا فَارِعَ الْقَلْبِ عُدْ عَلَى دَنْفِ فُوَادُهُ فِي هَوَاكَ فِي شُغْلِ
وَعَدْتَنِي أَنْ تَزُورَنِي فَعَسَى تُقْصِرُ عَمَّا أَطَلْتَ مِنْ مَطْلِ
مَرَارَةِ الْهَجْرِ دُفْتُهَا فَمَتَى تُذَيِّقُنِي مِنْ حَلَاوَةِ الْوَصْلِ
/ ٥١ / يَا عَاذِلِي فِي هَوَاهُ دَعْ عَذْلِي فَلَسْتُ أَصْغِي فِيهِ إِلَى الْعَذْلِ
أَمَرْتُ بِالصَّبْرِ عَنْ تَذْكُرِهِ مَنْ لِي بَأَنْ أَسْتَطِيعَهُ مَنْ لِي
لَكِنْ هَوَاهُ غَطَى عَلَى بَصْرِي وَمَسْمَعِي وَالْفُوَادُ فِي خَبْلِ

وأنشدني لنفسه لغزاً في الإبرة: [من الطويل]

وَعَارِيَّة لَا تَشْكِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَا عَلَى أَنَّهَا مَنُوهُوكَةُ الْجِسْمِ بِالْبَرْدِ
تَرَأْبُهَا مَصْفُوْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْعُورِ لَا الْحُورِ الْحَسَّانِ مِنَ الْخُلْدِ
إِذَا زَالَ عَنْهَا سُمْهَا زَالَ نَفْعُهَا وَحَالَ دَوَاتِ السُّمِّ فِي ذَاكَ بِالضِّدِّ
تَصَدَّتْ لَجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شِتَاتِهِ وَلَا حَظِيَّتْ فِيهِ بِأَجْرٍ وَلَا حَدِّ
إِذَا كَسَيْتِ ثَوْبًا كَسَتْهُ لَغِيرَهَا بَلَا مَنَّةَ مِنْهَا عَلَيْهِ وَلَا كَدِّ
أَنْزَهُ طَرْفِي فِي سَنِي مَلَابَسِ تَجُودُ بِهَا مَنْ غَيْرِ وَعَدَ وَلَا قَصْدِ
تَفْضَّلْ فَقَدْ أَوْضَحْتُ بَعْضَ أُمُورِهَا بِتَكْمِلَةِ الْإِيضَاحِ يَا مَعْدِنَ الرِّفْدِ

وأنشدني أيضاً لنفسه لغزاً في المشط: [من الطويل]

٥١ب/ وَأَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ بِالنَّارِ مَا أَكْتَوَى
وَلَا شَكَّ فِيهِ الصَّيْرَفِيُّ فَحَكَّهُ
يَلُوحُ لَهُ نَشْرٌ وَلَكِنَّهُ يُرَى
يَعَضُّ بِأَسْنَانٍ وَلَيْسَ لَهُ فَمٌ
يُخَلِّصُ بَيْنَ الْأَهْلِ مَهْمَا تَشَاجَرُوا
بَعْدَهُ أَمِيرًا لَعَدُّ مَسِيرُهُ
رَأَى الزُّهْدَ رَأْيًا فَاغْتَدَى مُتَخَلِّلًا
فَبُخَّ بِاسْمِهِ إِنِّي عَنِيتُ بِكْتَمِهِ

وَأُنَشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي السَّاعَاتِ الْمَدْبُورَةِ بِالْمَاءِ : [من الطويل]

وَمُخْبِرَةً بِالْعِلْمِ وَهِيَ جَهْوَلَةٌ
إِذَا رُوِيََتْ بَا حَتْ بِمَكْنُونٍ سَرَّهَا
تَضِجُ وَتَشْكُو الرِّجَمَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
٥٢أ/ وَتُبْدِي أَيْنًا مُشْعَرًا بِنَائِلٍ
وَيَفْهَمُ عَنْهَا مَا تَقُولُ وَإِنَّهَا

وكتب إلى الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن علي الأمدى ، يشفع إليه
في عماد الدين السلماسي ، في أن يقرئه شيئاً من كتبه وهو «رموز الكنوز» . وكان قد تحدث
معه في ذلك مشافهةً : [من البسيط]

يَا سَيِّدًا جَمَّلَ اللَّهُ الزَّمَانَ بِهِ
الْعَبْدُ يَذْكُرُ مَوْلَاهُ بِمَا سَبَقَتْ
وَمِثْلُ مَوْلَايَ مَنْ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ
فَأَصْفَ مِنْ بَحْرِكَ الْفَيَاضَ مَوْرَدُهُ
وَأَجْعَلَ لَهُ نَسَبًا يَدُلِّي إِلَيْكَ بِهِ
٥٢ب/ وَلَا تَكْلُهُ إِلَيَّ كَتَبَ تَنْبِيهُهُ

فَ(السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ) (١)

(١) ما بين القوسين صدر بيت لأبي تمام ، وعجزه :

«في حذِّه الحديين الجد واللعب»=

وأنشدني لنفسه لغزاً في القلم: [من الطويل]

وَمَا نَاقِصٌ بِالنَّقْصِ صَارَ مُذَكَّرًا
عَجِبْتُ لَهُ يَزْدَادُ فَضْلًا بِنَقْصِهِ
وَيَفْهَمُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ مُسَارِعًا
وَيَسْعَى إِذَا اسْتَسْعَيْتَهُ وَهُوَ مُطَرِّقُ
شَعَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَضْحَى شِعَارُهُ
صَمُوتٌ إِذَا أَمْسَى سَلِيمًا لِسَانُهُ
وَالْكُنْ مَهْمًا حُطَّ عَنْهُ لثَامُهُ
تَرَى بِأَقْلَامِهِ إِذَا كَانَ حَاسِرًا
وَأَنْ عَبْتَهُ بِالْجَهْلِ فَأَلَمَ بِأَنَّهُ
تَحَيَّلَتْ فِي إِظْهَارِهِ وَهُوَ مُضْمَرٌ
فَلَمْ أَبْدِهِ بِالذِّكْرِ إِلَّا مُصَحَّفًا

وَكَانَ لَهُ التَّائِيْتُ وَهُوَ مُتَمِّمٌ
فِيضْبِحُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ يُتْرَجَمُ
فِيْعَرِبُ عَنْهُ وَهُوَ أَطْرَشُ أَبْكَمُ
لِغَيْرِ حَيَاءٍ لَا بَسُّ وَهُوَ مُخْرَمُ
وَلَيْسَ لَهُ... خُرَاسَانُ مُسَلِّمُ
نَطُوقٌ إِذَا أَجْرَرَتْهُ مُتَكَلِّمُ
وَلَكِنْ فَصِيحٌ عِنْدَ مَا يَتَلَثَّمُ
وَتَنْظَرُ قَسَامُنُهُ وَهُوَ مُعَمَّمُ
مَعَ الْجَهْلِ... بِشَرْبِ الْمَاءِ أَعْلَمُ^(١)
وَحُمْتُ عَلَى إِيْضَاحِهِ وَهُوَ مُبْهَمُ
لِعَلَمِي وَإِنْ لَمْ أَبْدِ أُنْكَ تَفْهَمُ

/ ٥٣ / وكتب إليه بعض أصدقائه من الشام. وكان أبو الفتح قد سافر إلى البلاد العراقية، وأقام ببغداد وانقطعت أخباره بها يتشوقه ويحثه على المجيء إلى البلاد الشامية بهذه الأبيات: [من الطويل]

وَذِي عَزَمَاتٍ لَا تَكُلُ سَيْوْفُهُ
وَأَنْ لَاحَ بَرْقٍ مِنْ بَرِيقِ سَيْوْفِهِ
وَقَالَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْهِ سُنُونُهُ
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عَاجِلًا
فَأَنِّي أَثِيرُ الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

وَأِنْ صَارَ لَا يَخْشَى الرَّدَى فِي الْمَنَازِلِ
فَمَنْ بَعْدَهُ رَعْدٌ كَثِيرُ الزَّلَازِلِ
وَمَا عَاشَ إِلَّا بِالْعَوَالِي الْعَوَامِلِ
وَعَايَتْنَا بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ^(٢)
وَأُظْهِرُ فِعْلِي فِي الْعِدَا وَالْعَوَادِلِ

فأجابه أبو الفتح بهذه الأبيات على الوزن والقافية: [من الطويل]

/ ٥٣ ب / أَتَانِي كِتَابُكَ يَا ذَا الْفَضَائِلِ
فَشَبَّهْتُهُ لُفْظًا وَخَطًّا تَسْمُحًا

فَلَيْسَ لَهُ فِي حَوْزِهَا مِنْ مُمَاطِلِ
بَسْمِطِ اللَّالِي أَوْ بَرَوْضِ الْخَمَائِلِ

انظر: ديوانه ١٤.

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٢) سورة النصر، الآية ١، القنابل: الطوائف من الناس والخيول.

وَقَلَّتْهُ بَلْ كَذْتُ أَمْحُوسُ طُورَهُ لَفَرَطُ أَشْتِيَاقِي بِالْذُّمُوعِ الْهَوَامِلِ
وَقَفْتُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَدَرَمَزْتَهُ وَقُوفُ الْمَعْنَى فِي الرَّسُومِ الْمَوَائِلِ
وَأَقْسَمُ يَا مَوْلَايَ لَوْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَى السَّعْيِ لَمْ أَقْنَعْ بِخَطِّ أَنَامِلِي
وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ يُسَلِّمَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضِنَا بِالْكَتَبِ أَوْ بِالرَّسَائِلِ

وله في كتاب إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب - صاحب دمشق - وقد غاب عن القدس: [من السريع]

يَا مَلِكًا مَا زَالَ إِنْ عَامُهُ فِي النَّاسِ مَعْقُولًا وَمَحْسُوسًا
غَبْتَ عَنِ الْقُدْسِ فَأَوْحَشْتَهُ وَإِنْ عَدَا بِاسْمِكَ مَأْنُوسًا
وَكَيْفَ لَا تُوَحِّشُ أَرْجَاءَهُ وَأَنْتَ رُوحُ الْقُدْسِ يَا عَيْسَى

ومن كلامه المنشور قوله:

/١٥٤/ «قتيل الجفون الفواتر، في سبيل حُبِّه، كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربِّه؛
إِلَّا أَنْ هَذَا يُغَسَّلُ بدموعه، وهذا يُزَمَّلُ بنجيعة، وهذا في حال حياته مَيِّتٌ يَرْمَقُ، وهذا في
حال مماته حيٌّ يَرْزَقُ».

[٨٦٦]

نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني، أبو الفتح.
من أهل الديار المصرية.

وقع إلى إربل من بلاد الشام متصرفاً على عهد مليكها العبد الفقير إلى الله تعالى أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين - رحمه الله تعالى - واستوطنها إلى أن مات بها في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة. وكان يكتب خطاً حسناً، وينظم شعراً مطبوعاً.

أنشدني الوزير صاحب شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك ابن موهوب المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال:
أنشدني أبو الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني المصري لنفسه:

[من الكامل]

/٥٤٤ب/ مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ خُصِّصَتْ بِهَا دُونَ السُّورَى الْكُتَّابُ

قَامَتْ قِيَامَتَهُمْ وَلَمْ يَكُ وَفَّتْهَا
مَآكَانَ ذَا إِلَّا تَوَهُّمَ مَا سَعَى
وَأَتَاهُمْ قَبْلَ الْحَسَابِ عَذَابُ
بِالنُّصْحِ وَهُوَ بِنُصْحِهِ كَذَابُ
«مَا فَاتَهُمْ فِي كُلِّ مَا وَعَدُوا بِهِ
فِي الْحَشْرِ إِلَّا رَاحِمٌ وَهَّابُ»
هذا البيت لأبي الفتح ابن التعاويذي البغدادزي مُضْمَنٌ^(١).

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني نصر الله بن يوسف لنفسه: [من الكامل]
كَمْ دَا أَعْلَلُ بِالْمُنَى قَلْبِي حَسْبِي أَبْنُ يَمَكُ فِي السُّورَى حَسْبِي
مَا بَعْدَهُ لِلْمُرْتَجَى أَمَلُ وَقَفَ الرَّجَاءُ بِيَابِهِ الرَّحْبُ
وحدثني الأمير الكبير العالم ركن الدين أبو شجاع أحمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي - أسعده الله - من لفظه وحفظه بإربل، قال: كان / ١٥٥ / لأبي الفتح نصر الله بن يوسف بن أبي الفتح الكنانى صديق يهودي، فضمن من إنسان غريماً ببذنه، فهرب ذلك المكفول إلى بعض البلاد، فطولب اليهودي به وبإحضاره، فعمل اليهودي محضراً؛ إن الغريم قد سكن في بلد رجل خارجي ولا يمكنه الوصول إليه، ولا يقدر على إحضاره، وطلب من أبي الفتح ومن جماعة آخر أن يضعوا خطوطهم بذلك، فوضعوا. فبلغ الديوان العزيز قصتهم فاعتقل أبو الفتح بهذا السبب. وكان بين [فخر الدين أبي الفضل أحمد خواندزه]^(٢) - ولد الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي - وبين أبي الفتح معرفة؛ فكتب إليه بهذه / ٥٥ب / الأبيات، وأنشدنيها الأمير ركن الدين عن قائلها أبي الفتح: [من الطويل]

أَمْوَلَايَ فَخَرِ الدِّينَ حُلْمُكَ وَاسِعٌ
أَبْنُ لِي يَا أَبْنَ الْأَكْرَمِينَ قَضَيْتَنِي
أَبَيْتُ وَقَدْ وَكَلْتُ بِي وَالَّذِي جَنَى
وَمَا بَيْنَنَا إِلَّا سَيْرُ مَوَدَّةٍ
فَقَدْ ذَكَّرْتَنِي لَيْلَتِي يَبْتَ شَاعِرٌ
«وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ»
وَعَدْلُكَ مَبْسُوطٌ وَمَا زِلْتَ تُنْصَفُ
فَقَدْ أَشْكَلْتَ وَالْأَمْرُ عِنْدَكَ يُعْرَفُ
يَنَامُ قَرِيرَ الْعَيْنِ لَا يَتَكَلَّفُ
إِذَا أَرْدَحَمَتْ بَيْنَ الْمَوَدَّاتِ تَضَعُفُ
شَكَا فِيهِ مَنْ يَشْكُو الصَّدِيقَ وَيَعْطِفُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ
هذا البيت مُضْمَنٌ.

(١) البيت في ديوانه ص ٤٨.

(٢) مابين المعقوفتين من هامش الأصل.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٨٦٧]

ناصرُ بنُ سعدِ بنِ ظَفَرٍ، أبو الشرفِ الكاتبُ المنشئُ الأديبُ
الكاواني.

وكاوان قرية من قرى جرباذقان^(١).

كان يكتب الإنشاء لطغرل بن أرسلان السلجقي - صاحب عراق العجم وبلاد
أذربيجان وغيرها - وكان الغاية في علم الآداب وفنونها، حائزاً فضيلتي المنظوم والمثور
بالعربية والفارسية، علامة زمانه، وواحد وقته في الفضائل، بلاغةً وتقدماً وتبريزاً وفهماً؛
وديان أشعاره ورسائله موجودان صاراً إليّ، وعلقتُ منهما ما هو غرض كتابي هذا من النظم
والنثر.

أنشدني القاضي شمس الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن أبي بكر الفقيه الشافعي
الجرباذقاني بالموصل بالمدرسة البدرية المطلة على دجلة من لفظه وحفظه، قال: أنشدني
أبو الشرف ناصر بن سعد بن / ٥٦ ب/ ظفر الكاتب المنشئ الأديب الكاواني لنفسه: [من
الكامل]

قُلْ لِلْعَذِيبِ إِذَا رَأَيْتَ الضَّالًّا يَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ السَّيْمِ شَمَالًا
رَوَّاكَ مِنْ مَاءِ الْغَمَامِ سُلَافُهُ وَسَقَاكَ نَوَاءَ الْمِرْزَمِينَ سَجَالًا

ومنها في المديح ووصف المعسكر:

جَنُّ عَلَى جَنٍّ إِذَا ارْتَهَجَ الْوَعَى نَحْوَ الْعَدُوِّ يَارِزُ الْأَبْطَالَ
شَوْسٌ إِذَا رَكِبُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ تَرَكُّوا دِيَارَ عَدُوِّهِمْ أَطْلَالَ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو الشرف الكاواني قوله من قصيدة مبدأها:

[من الوافر]

(١) جرباذقان: بلدة قريبة من همدان، بينها وبين الكرج وأصبهان، كبيرة مشهورة. انظر: معجم البلدان/ مادة
(جرباذقان).

جِيُوشُ الْحُبِّ تَغْزُونِي سَرَايَا
وَعَابَتْ يَوْمَ بَانُوا شَمْسُ عَيْشِي
رَمْتَنَّا مَنْ لَوَاحِظَهَا سَهْمُ
سَرَى بِحُمُولِهَا رَكِبَ هَوَاهُمُ
أَلَا يَا حَادِيَ الْأَطْعَانِ مَهْلًا
/١٥٧/ لَعَلِّي أَشْتَفِي مِنْهَا بِلَحْظِ
قَتْلِكَ ضَعَائِنَ رَحَلْتُ وَلَكِنْ
تَقَرَّفْنَا وَقَلْبِي فِي أَنْصَدَاعِ
أَشَارَتِ لِلْوَدَاعِ بِكَسْرِ جَفْنِ
وَهَزَّتْ لِلتَّشْنِي رُمُوحَ قَدِّ
وَمَدَّتْ وَالرَّقِيبُ عَلَى تَنَاءِ
دَهْشَتُ تَحِيْرًا وَدَعَوْتُ سِرًّا

وَتَجْعَلُ مُهْجَتِي بَعْضَ السَّبَايَا
وَقَدْ مَا كَانَ طَلَعْتُهَا مُنَايَا
فَصَارَ ظُهُورُنَا مِثْلَ الْحَنَايَا
يَمَانِي فَرَأَقَهُمْ هَوَايَا
بِهِنَّ هُنَيْهَةً وَقَفَ الْمَطَايَا
يَسُوعُ مَا شَرَفْتُ بِهِ شَجَايَا
هَوَى قَلْبِي حَمَلْنِ عَلَى الْحَوَايَا
لَدَى الْجَرَعَاءِ مَا بَيْنَ الشُّطَايَا
لَهُ وَقَعَ الْمَنَاصِلُ فِي حَشَايَا
قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ لَهُ دَرَايَا
يَدَاغُضَّتْ بِأَطْرَافِ الثَّنَايَا
أَلَا يَا رَبَّنَا أَحْفَظْهَا أَلَايَا

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو الشرف لنفسه: [من مجزوء الرجز]

هَبِّ نَسِيمُ الصَّبَا يَفْتُقُ نُورَ الرُّبَى
يَا صَاحِبِي أَشْرَبَا كَأَسَا تُعِيدُ الصَّبَا
بَعْدَ دَوَاعِي الْهَرَمِ

عَرَدَ فَوْقَ الْأَرَاكِ حَمَامَةُ الْأَيْكِ هَاكِ
مِنْ يَدِ سَاقِ سَقَاكِ رَاحاً تُرِيكِ السَّمَاكِ
تَحْتَ مَوَاطِي الْقَدَمِ

نَمْنَمَ نَوَاءُ السَّحَابِ فَوْقَ مَتْنُونِ الْهَضَابِ
/٥٧٥/ وَشَيْئاً كَلَوْنَ الثِّيَابِ وَكَأَنَّ صَحْنِ الثُّرَابِ
تَذْكِرَةً مِنْ إِرَمِ

الْعَيْنُ مَمَّاسَ رَرِي يَمْنَحُ وَجْهَ الثَّرَى رِي
سَيْلًا حَكَّيْ إِنْ جَرِي كَفَّ إِمَامِ السُّورِي
فَصَدْرُ صُدُورِ الْعَجَمِ

مُهَذَّبُ الدِّينِ مَنْ قَلَدَ أَهْلَ الزَّمَنِ
بِالْجُودِ طَوْقُ الْمَنِّ هُنَّ يَأْبَسْنَ الْحَسَنُ
إِنَّكَ مَوْلَى الْأَمَمِ

قَدْ شَاعَ فِي الْعَالَمِ أَنْ أَبَا الْقَاسِمِ
أُرْبَى عَلَى حَاتِمِ بِالْكَرَمِ الدَّائِمِ
لَا زَالَ طُودُ الْكَرَمِ

وقال أيضاً، وهو مما نقلته من ديوان شعره: [من الطويل]

أَيَا فَرَحْتِي عُشِّي وَنُورِي كَرِيمَتِي وَيَا مُقَلَّتِي عَيْنِي وَيَا قَلْدَتِي كَبْدِي
لَقَدْ زِدْتُمَا يَوْمَ الْفِرَاقِ كَأَبْتِي وَأَجْرَيْتُمَا دَمْعِي عَلَى سَحْتَتِي خَدِّي
وَأَرْتُمَا فِي الْقَلْبِ نَارَ صَبَابَةٍ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي وَيَعْلُو بِهَا وَجْدِي^(١)
«فَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ آيْتَن لَيْلَةً» وَيَتَكُمَّآ بَيْتِي وَمَغْنَاكُمَا عُنْدِي
وَهَلْ يَنْظُرُنِي الدَّهْرُ حَتَّى أُرَاكُمَا وَأُصْبِحَ مِنْ بُعْدِ الدِّيَارِ عَلَى بُعْدِ

/١٥٨/ وقال أيضاً: [من البسيط]

يَا رَبَّةَ الْخَدَرِ إِنْ تَنْسَوْنَ صَاحِبَكُمْ فَتَحْنُ وَاللَّهِ لَا تَنْسَاكُمْ أَبَدًا
وَلَوْ رَأَيْتُمْ غَدَاةَ الْجَزَعِ إِذْ رَفَلْتِ بِنَا الْمَطْيِ إِلَى نَادِيكُمْ بَدَا
حَيْثُ التَّقِينَا إِلَى بَطْحَائِكُمْ عَرْضًا وَلَمْ نَجِدْ نَمَّ مِنْ أَحْبَابِنَا أَحَدًا
فَيَا لَهَا عَبْرَاتٍ أُدْرِفَتْ صَبِيًّا وَيَا لَهَا زَفَرَاتٍ أُرْسِلَتْ صَعْدًا

وقال أيضاً: [من البسيط]

يَا جِيرَتِي بِالْعُدْبِ الْعَذْبِ مَوْرُدُهُمْ
إِذَا تَسَمَّيْتُ مَنْ أَرْوَا حُكْمَ أَحَدًا
لَا جَدَّدَ اللَّهُ فِي الْإِيَّامِ يَوْمَ غَدٍ

وقوله: [من الطويل]

أَقُولُ لَوْرَقَائِنِ فِي جُنْحِ لَيْلَةٍ
خُذًا بِنَصِيبِ الْعَيْشِ مَا دُمْتُ مَعَ
فَإِنَّ مَسَرَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى الْفَتَى

وقال أيضاً: [من الطويل]

٥٨/ نَسِيمُ الصَّبَا إِنْ جُنْتُ أَرْضَ أَحَبَّتِي
بَحِيثُ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ تَزَا حَمَتِ
فَقُلْ لِفَتَاةِ التَّيَمِّ إِنَّ فَتَاكُمُ
عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى

وقال أيضاً: [من البسيط]

مَنْ ذَا الَّذِي بَكَ مَشْغُوفٌ مِنَ النَّاسِ
وَمَنْ تَجَرَّعَ كَأْسًا فِي هَوَاكَ فَلَمْ
وَمَنْ شَفَّتْهُ أَحَادِيثُ الْمُنَى عَلَا
جَالَتْ لِحَاظُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ فِي جِلْدِي
يَا طَرَّةَ الشَّيْحِ بِالْخُلُصَاءِ شَوْهَهَا
أَهْدَى النِّعَامَى وَكَانَ الْبَيْنُ يُوحِشُنِي
أَغِيضُ مِنْ زَقَرَاتٍ كُلَّمَا نَسَمْتُ

وقال أيضاً: [من الكامل]

كثُرَتْ هُمُومِي فِي الْهَوَى وَتَمَادَتْ
٥٩/ وَاشْتَدَّ بِي بَرْحُ السَّقَامِ فَمَا
أَعْطَيْتُهُ لِيْنِ الْمَقَادِ وَلَمْ أَكُنْ

لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكُمْ آخِرَ الْأَبَدِ
فَقَدْ سَفَكْتُ دَمِي فِي هَجْرِكُمْ بِيَدِي
إِنْ لَمْ أُسَرِّ بِلَقْيَاكُمْ غَدَاةَ غَدٍ

تَنُوحَانِ فَوْقَ الْبَانِ تَضْطَحِبَانِ
وَلَا تَأْمَنَانِ مِنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
قَوَاضٍ وَسَاعَاتِ السُّرُورِ قَوَانِي

بَسْفَطِ اللَّوَى حُوشِيَتْ طُرُقُ الْمَهَالِكِ
فَضَاقَ عَلَى الْعَادِينَ نَهْجُ الْمَسَالِكِ
يَقُولُ: وَحَقُّ الْوُدِّيَا ابْنَةُ مَالِكِ
تَرَكْتُ فُؤَادِي فَاطْلُبِيهِ هُنَالِكَ

نَجَا وَرَأْسُكَ مِنْ عَيْنِكَ بِالرَّاسِ
يَغْتَصُّ بَعْدَ التَّذَاذِ الْكَأْسَ بِالْكَاسِ
لَمْ يَنْصَرَفْ مِنْ كَلَا خَدَيْكَ بِالْيَاسِ
مَا لَمْ يَجُلْ فِي كَلِيبِ سَيْفِ جَسَّاسِ
يَدُ الصَّبَا طَالَ فِي ذِكْرَاكَ وَسَوَاسِي
رِيَاكَ لِي فَأَعَادَتْ بَعْضَ إِيْنَاسِي
حَذَارُ أَنْ يَتَأَذَى حُرُ أَنْفَاسِي

وَرَضِيْتُ كَفِّي فِي الْفِرَاقِ وَسَادَتِي
أَعْطَيْتِي [لَهُ] لَوْلَاهُ لِيْنِ مَقَادَتِي

هَجَرُوا وَلَمْ أَجْرَعْ كُؤُوسَ فِرَاقِهِمْ
يَا سَادَتِي كَمْ تَهْجُرُونَ مُتِيماً
إِنِّي وَحَقَّ اللَّهُ مَوْلَى فِئْكُمْ
لَوْ كَانَ يُسْعَفُ فِي الزَّمَانِ إِرَادَتِي
قَادَ الْغَرَامَ بِنَفْسِهِ فَأَنْقَادَتْ
عُظْفَاً عَلَى مَوْلَاكُمْ يَا سَادَتِي

وقال أيضاً: [من الرمل]

إِنَّ أَحْبَابِي يَوْمَ أَتَرَقُّوا
أَصْبَحَ الْعُمْرُ قَصِيراً بِهِمْ
بِالْحَمَى لَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ
ضَيَّعُوهُ يُبْنِ عَتَبٍ وَعَتَابُ

وقال أيضاً: [من الكامل]

وَبِمُهِجَّتِي مَنْ جَاءَنِي مُتَعَباً
وَالْدَمْعُ فِي خَدَيْهِ يُنْظِمُ عِقْدَهُ
يَشْكُو النَّوَى مُغْرُورِقَ الْأَجْفَانِ
كَالَطَّلِ فَوْقَ شَقَائِقِ النَّعْمَانِ

وله أيضاً: [من البسيط]

إِنِّي لَمْهُدٍ عَلَى أَيْدِي الصَّبَا سَحَرَا
وَكَا مِنْ طُؤْلٍ لَيْلِي فِي مَرَاصِدِهَا
مَنْ التَّحَايَا كَأَنْفَاسِ الرِّيَاحِينَ
لَعَلَّهَا بِنَسِيمٍ مِنْكَ تَشْفِينِي

٥٩٥/ وقال في مهذب الدين أبي القاسم بن الحسن وقد آب من غيبته:

[من السريع]

أَهْلًا بِهِذَا الْقَمَرِ الْقَادِمِ
قَرَّتْ عِيُونُ النَّاسِ مِنْ مَقْدَمِ الصِّدِّ
مَوْلَى الْمَوَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَجَى
مَنْ يَدُهُ عِنْدَ احْتِبَاسِ النَّدَى
وَبِأَسْأَةِ عِنْدَ احْتِدَامِ الْوَعَى
وَوَجْهُهُ عِنْدَ ارْتِكَامِ الدُّجَى
وَجُودُهُ ظِلٌّ بِلا مَنَّةٍ
وَعَدْلُهُ بَيْنَ الْوَرَى حَارِسٌ
لَوْ لَمْ يُلَاحِظْنِي إِقْبَالُهُ
أَكْرَمَ قَدْرِي حِينَ صَادَفْتُهُ
وَهَزَّ عُظْفَ الْفَضْلِ لِمَارَأَى
وَمَرْحَبًا بِالْمَطَرِ السَّاجِمِ
لَذَرُ الْكَيْبَرِ الْعَادِلِ الْعَالِمِ
مُهَذَّبِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
تَخْلُفُ صَوْبِ الْمَطَرِ الدَّائِمِ
يَهْشِمُ أَنْفَ الْأَسَدِ الْهَاشِمِ
يَكْفِي ضِيَاءَ الْكَوْكَبِ النَّاجِمِ
يَسْعَى إِلَى الْقَاعِدِ وَالْقَائِمِ
وَكُلِّ بِالْيَقْظَانِ وَالنَّائِمِ
كُنْتُ صَرِيحَ الزَّمَنِ الْعَارِمِ
تَكْرِمَةَ الْمُخْدُومِ لِلْخَادِمِ
لَفْظِي يَجْرِي دُرُّ النَّاطِمِ

أَبْلَجُ مِثْلُ الذِّكْرِ الصَّارِمِ
يَسْمُ نَعْرُ الزَّهْرِ الْبَاسِمِ
يَفْقَأُ عَيْنَ الْحَدَا الظَّالِمِ
مَاءٌ يُرَوِّي كِبِدَ الْهَائِمِ
يَخْشَى عَلَيْهِ خَطَرَ الْعَائِمِ
أَعْلَمُ مَا غَيْرُكَ مِنْ عَاصِمِ
تُسْمَعُ لِلصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ

خَطَا فَلَقَبَهُ الْوُشَاةُ عَذَارَا
خَطَا أَبْنِ مَقْلَةٍ يُونِقُ الْأَبْصَارَا

مُدَامًا مَقَرَّةً لِلْهُمُومِ
عَلَى ابْنِ الْكَرَامِ بَنَاتُ الْكُرُومِ

وَأَكْثَرَ الْقَوَلِ فِي حُسَادِي
وَقَائِلُ لَهْفَ زِينَةِ النَّادِي
بَيْنَهُمْ عَارِفٌ بِمَرْتَبَتِي
إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ بَاقِيًا زَادِي

مَنْ الْأَنْوَاءُ تَضَحَكَ ثُمَّ تَبْكِي
خَلَعْتُ لِأَجْلِهِنَّ ثِيَابَ نُسْكِي
أَيَاةُ الشَّمْسِ تَحْتَ خِتَامِ مِسْكَ^(١)

/ ٦٠ / جَرِبَادَقَانُ الْيَوْمُ مُذْ حَلَّهَا
جَنَّةُ خُلْدٍ فِي بَسَاتِينِهَا
طَارَ عَقَابُ الْعَدْلِ فِي جَوْهٍ
يَا سَيِّدًا فِي بَحْرٍ إِحْسَانِهِ
يَقْذِفُ لِلْوَافِدِ دُرًّا وَلَا
لَيْسَ أَعْتَصَمَ امِي بِكَ إِلَّا [لَمَّا]
صَاحَبَكَ الْإِقْبَالُ مَا صِيْحَةُ

وقال في غلام معذر: [من الكامل]

كَتَبَ الْجَمَالَ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِّهِ
خَطُّ يَرُوقُ الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ

وقوله في وصف الخمر: [من المتقارب]

إِذَا مَا مَزَجْتَ بِمَاءِ الْغَمَامِ
/ ٦٠ ب / فَسُقْهَا إِلَيَّ فَلَيْسَتْ حَرَامًا

وقال أيضاً: [من المنسرح]

قَدْ طَالَ سُقْمِي وَمَلَّ عَوَادِي
فَقَائِلُ قَدْ خَبَتْ بِوَائِرِهِ
وَكُلُّهُمْ عَارِفٌ بِمَرْتَبَتِي
لَا بَأْسَ أَقْضِي حَقُّوقَهُمْ كَمَلًا

وقوله أيضاً: [من الوافر]

سَقَى أَطْلَالَ عَزَّةٍ بَاكَرَاتٍ
فَتَمَّ رَوَاجِحُ الْأَكْفَالِ رُودُ
إِذَا نُشِرَتْ دَوَائِبُهُنَّ غَابَتْ

وقال وقد جاءه كتاب: [من الوافر]

يَجِدُّ رِيحُهُ لِلرُّوحِ نَشْرًا
تَضَوُّعٌ يَمْلَأُ الْآفَاقَ عَطْرًا
رِيَاضًا أَطْلَعَتْ زَهْرًا وَزَهْرًا
لَا لِيْءٌ فُضِّلَتْ نَظْمًا وَنَثْرًا
وَوَقَيْنَا لَهَا حَمْدًا وَشُكْرًا

قُلْتُ: ضِيَاءُ النَّجْمِ فِي عَاسِقٍ
يَقْصُرُ عَنْهُ نَظْرُ الْفَاسِقِ

إِذَا قُلْتُ مَدْحًا كُنْتُ فِي الْقَوْلِ كَاذِبًا
ذَوَائِبُ أَسْرَابِ الْمَهَا وَالتَّرَائِبَا
مَنْ النَّاسِ أَوْ يُحْصِي لِعَرْضِ مَعَائِبَا
هَذِي مَا هَذِي دَهْرًا فَأَصْبَحَ تَائِبَا

بَزَهْرَةِ آدَابِي رِيَاضِ الْمَشَاهِدِ
وَلَا سَمِعْتَ أَذْنِي غِنَاءَ الْمَحَامِدِ

وَلَا مِحْنَةً أَنْ يَشْتَكِيَ الرَّجُلُ الْفَقْرَا
هِيَ الْغُرْبَةُ الْعُظْمَى هِيَ الْمِحْنَةُ الْكُبْرَى

لَوْ كُنْتُ تَدْرِي مَوَاضِعَ النِّعَمِ
لَأَحْوَلُ الْجُودِ أَعْوَرَ الْكَرَمِ

نَشَرْتُ كِتَابَكُمْ فَوَجَدْتُ نَشْرًا
وَلَمَّا أَنْ فَضَضْتُ لَهُ خَتَامًا
/ ١٦١ / وَحَاكَ بَنَانُ شَمْسِ الدِّينِ فِيهِ
وَأُدْرَجَ ضِمْنَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى
فَأَوْلَيْنَا بِهِ أَبْشَرِي وَبِشْرًا

وقال في غلام معذر: [من السريع]
قَالُوا: بَدَا فِي خَدِّهِ خُضْرَةٌ
الآنَ اخْتَصَّ بِهِ إِذْ غَدَا

وقال: [من الطويل]
وَقَالُوا: هَجَرْتَ الشَّعْرَ؟ قُلْتُ: لِأَنِّي
وَيَقْبُحُ بِي بَعْدَ الْمَشِيبِ تَذْكُرِي
وَلَيْسَ بِي هُجْرٌ يَنَالُ لِسَانَهُ
فَأَوْلِي بِحَالِي أَنْ يُقَالَ: شُويعِرُ

وقال: [من الطويل]
أَقْبَلُ ضَيْمًا بَعْدَ مَا طَابَ فِي الْوَرَى
/ ٦١ ب / إِذَا لَا رَأَتْ عَيْنِي وَجُوهَ مَارِبِي

وقال: [من الكامل]
لَا تَحْسَبُوا هَجَرَ الْمَسَاكِنِ غُرْبَةً
فَإِنَّ أَفْتِقَادَ الْمَرْءِ أَفْرَانَ عَصْرِهِ

وقوله يمدح: [من المنسرح]
يَا حَاتِمَ الْعَصْرِ فِي سَمَاحَتِهِ
إِنَّكَ فِيمَا تُنِيلُ فِيهِ نَعِمَ

وقال: [من الوافر]

وَحَافِدَهُ وَيُعْجِبُنِي عَلِيٌّ^(١)
كَمَا يُغَرِّى بِمَوْلَاهُ الْوَلِيُّ
فَإِنِّي النَّاصِبِيُّ الرَّافِضِيُّ

وقال : [من الوافر]

فَقَدْ... تَرَجَمَ الْيَمِينِيُّ^(٢)
زَفَقْتُ بِهِمَا إِلَى غَيْرِ الْقَمِينِ
وَوَا أَسْفِي عَلَى الدُّرِّ الثَّمِينِ

أَحَبُّ الْأَبْطَحِيِّ وَصَاحِبِيهِ
وَلَكِّنِّي بِحُبِّ الْأَلِ مُغَرِّى
فَإِنْ يَكُ نَاصِبِي رَافِضِيًّا

يَمِينِي أَحْرَمْتُ سَلَّتْ يَمِينِي
قَمِينٌ أَنْ أَلَامَ عَلَيَّ عَدَاوِي
١٦٢/ فَوَا أَسْفِي عَلَى زُهِرِ اللَّالِي

وقال : [من البسيط]

فَالدَّهْرُ يَمْتُلُ فِي الدُّنْيَا بِأَمْثَلِهَا
فَصَارَ يَجْعَلُ أَعْلَاهَا كَأَسْفَلِهَا

قُلْ لِلْكَرَامِ وَفِيْتُمْ صَرَفَ دَهْرِكُمْ
وَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا كَسَافِلِهَا

وقال : [من الرمل]

سَحَرَتْ عُتْهَهَا قَلْبًا مُعْنَى
كَحَزِينٍ وَهِيَ لَا تُضْمِرُ حُزْنَآ
خَضَلُ الْجَفْنِ وَلَا تُخْضَلُ جَفْنَا
حَنَّةٌ جَاوَبَهَا أَوْرُقُ حَنَّا
إِنَّهَا هَاجَتْ فُؤَادًا مُطْمَنَّا
كَلَّمَا أَفْلَقَهُ الْوَجْدُ أَزْنَآ

رُبَّ وَرَقَاءَ عَلَى الْإِيكَ تَغْنَى
طَارَحْتَنِي بَعْدَ هَذِهِ شَجْوَهَا
مَا بُكَاهَا كَبْكَائِي إِنَّنِي
كَلَّمَا حَنَنْتَ عَلَى أَيْكَتِهَا
لَا عَفَا الرَّحْمَانُ عَنْهَا مَا جَنَنْتَ
إِنَّ لِلْعَاشِقِ قَلْبًا مُسْتَهَامًا

وقال : [من البسيط]

وَأَكْتَفِي كُلَّ مَكْرُوهُ بِهِ نَزَلَا
فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَهُ مِنْ بَيْنَهُمْ رَجُلَا
أَوْفَاهُمْ دَمَّةً أَزْكَاهُمْ عَمَلَا
جُودًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَمَالِهِ أَمَلَا
فَزَادَهُ اللَّهُ إِكْرَامًا بِمَا فَعَلَا

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الْعَارِضَ الْهَطَلَا
فَقَدْ بَلَوْتُ بِهِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
٦٢ب/ أَعْلَاهُمْ هَمَّةٌ أَسْنَاهُمْ خَطَرَا
مَا زَارَهُ زَائِرٌ إِلَّا وَأَوْسَعَهُ
لَمَّا نَزَلَتْ دُرَاهُ الرَّحْبِ أَكْرَمَنِي

(١) الحافظ: ولد الولد.

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.

وهذه بُدْءٌ من كلامه المنشور، نقلتها من ديوان رسائله، فمن ذلك ما كتبه إلى قاضي القضاة ركن الدين صاعد: [من الوافر]

جَنَابُكَ لِلوَرَىٰ أَعْلَىٰ جَنَابِ	وَبَأْبُكَ لِلْمُؤَمِّلِ خَيْرُ بَابِ
أَتَيْتُ دُرَاكَ يَامَوْلَايَ عَمْدًا	لَأَتِي لَيْسَ غَيْرُكَ فِي حَسَابِي
وَأَنِّي إِنْ كَبَا زَنْدُ اللَّيَالِي	عَلَيَّ فَإِنَّ زَنْدَكَ غَيْرُ كَابِي
وَأَنَّ جَنَابَ أَرْضِي إِنْ نَبَا بِي	فَأِنَّ جَنَابَ عَزَّكَ غَيْرُ نَابِي
وَمَا فَعَلْتُ صُرُوفُ الدَّهْرِ مَهْمَا	تَخَفْتُ إِلَيْكَ إِخْفَافَ الرُّكَّابِ

خادمٌ مولانا - أدام الله ظلَّهُ - بالباب متشرفاً؛ بلثم التراب، ومقيماً مراسيم الشناء، ولوازم الدعاء، منهياً / ٦٣ / إلى الرأي العالي - أعلاه الله - أنه طالما كانت تناجيه نفسه بالاستسعاد بخدمة هذه السُّدة العلية، والانحصار في خادمي هذه الحضرة الزكية؛ لكنه كُلماً أقامه الأمل، أقعده الكسل، وإذا حركته الدواعي الشائقة، قيدته الأسباب العائقة، فحرمه عن البحر الطامي، والغيث الهامي، ما كان يعتكف عليه من ثمد ركي، ويمتريه من ضرع بكِّي، ويحترثه من زرع غير زكي، حتى أزعجه عند تراكم الفتن المائرة، ونغصه عليه المحن الثائرة التي صيرت الضياع نُهْزَةً الضياع، والأملاك نُهْبَةً الهلاك، والأموال عرضة الزوال.

وصار الكلام في الرؤوس، ووقع الخطبُ في النفوس، ترك ما ملك سدَى، ونفض عما جمع يداً، ونجا بحشاشة نفسه وولده، واحتضن أفلاد كبدِه؛ موائلًا إلى الباب الرفيع، الذي هو كعبةُ الرُّوَّار، ووجهةُ الأحرار، يتبوأ ظلال نعمه، ويرتدي أذيال كرمه. قدر / ٦٣ ب / ما تُفْتَأُ قُدُورُ الأقدار، وریشما يؤوُلُ الأمر إلى الفرار، فإنَّ من المولى - حرس الله ظلَّهُ - عليه بسؤله، واسعفه بمأموله. كانت يداً واقعة في نصابها، ومئة مفرغة في مصابها، مشكورة إلى آخر العمر، موفورة الحمد مدى الدهر، والرأي أعلى وأجل.

ومما كتبه إلى بعض الصدور:

«نحنُ - أطل الله بقاء فلان - في زمن الحرِّ في أهله غريب، في قومه قريب. لاسيما غربتان هما كربتان؛ غربَةُ الفضل والبعد عن الوطن والأهل، والمجلس العالي - أدام الله علاه - وإن كان من آدابه بين ندامى وجلاس، ومن خدامه بين مراغ ومواس، لكنه إذا هدرت حمامة فضله لم يطارحها هديل، وإذا غرّدت صنّاجة طبعه لم يعاونها رسيل، فإن أراد أن يضمَّ إلى خفيف أوزانه ثقيلاً، وإلى علا شأنه عقيلًا، / ١٦٤ / لزمته مساء صباح، وخدمته كما تخدم الأجسام الأرواح، ولي في ذلك الشرف الأعلى، والسعادة العظمى، وللرأي مزيد العلو والرفعة: [من المنسرح]

لَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْكَ لِي بَدَلًا إِنَّكَ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ بَدَلٌ
وَلَا عَرَانِي بِمَهْجَةٍ ظَلُّ بِهَا يُرَاعَى وَيُجَبَّرُ الْخَلَلُ
لَا يُوحِشُ الْجَوْ فَقْدُ كَوْكِبِهِ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَشْتَعِلُ

وكتب جواب رقعة وصلت إليه من عند بعض الكبراء:

«وصلت اللعة الفلانية؛ كالروض رَفَحَ واشيه، فرق حواشيه، والحزن صبَّ غواديه، صبغ واديه، مُغْتَرَفًا من اليم الخضم نُطْقَهُ، ومُخْتَرَفًا من سحوق الفضل لطفه، فتدرع الخادم بها حبرَ الفخر، وتدرع بيمينها إلى ما يتمناه، على الدهر غير واقف في جوابها موقف المُبَارَاة، ولا ذاهبًا / ٦٤ ب / بنفسه في حلبة المِبَاهَاة.

بيد أنه علّق تميمة على نحرها، حين ضاق ذرعه عن مهرها، وهو أبدأ رهين برّها، رافل في حلل فخرها، والرأي العالي في إرخاء السُترة السَّاترة، على هذه التحفة الظاهرة، على الداعي لأيامه، المنخرط في سلك خدامه أعلى».

وقال فيه هذا الدوبيت:

قَدْ أَخْصَبَ مِنْ فَضْلِكَ وَادِي الشَّرَفِ وَازْدَادَ هَوَاكَ فِي فُؤَادِ الشَّرَفِ

نَادَىٰ بِلِسَانِهِ مُنَادِي الشَّرَفِ يَارَبِّ أَطْلُ عُمَرَ عَمَادِ الشَّرَفِ

ومما كتبه إلى مهذب الدين أبي القاسم:

«خادم مولانا حرس الله ظلاله، وأدام إقباله - يقبلُ تُرابِ الخدمة، ويُقيم صالح الدعوة، ويحمد الله - تعالى - على ما سَتَى له من جميل الهمم، ووالى إليه من جزيل النعيم، ويتضرعُ / ٦٥ / إليه في إِمهَاء طول العُمَر، إلى أن يَمُنَّ عليه بالمثول بين يدي الصدر، مقبلاً أنامله التي هي مفاتيح الأرزاق، ومتأملاً شمائله التي هي مصابيح الكرم على الإطلاق؛ ومطفئاً ببقياه ناراً تتلهب بين الضلوع، ووجداً تنسكب به سوافح الدموع، فقد طالما يقيمه الشوق ويقعده، ويزعجه الأمل ويكمدّه، وهو عما يريدُ ممنوع، وبما يتمناه مفعوج، وإنه على ما به من ارتياح باب الأمانة، في الاستسعاد بتلك الطلعة البهية. يواظب على عقد كلل الدعاء حول مخيم نادية، ويدوم على نسج حُلل الثناء مقطوعة على قدر معاليه، فأحسن الخدمة موقعاً ما تشبه الأفلام، وتعيه الأيام، وتداوله الألسنة، وتتناقله الأزمنة؛ فيكون حياةً بعد الحياة، ووقتاً بحسب انقضاء الأوقات، ويعرف إلى الناس أن سوق الأدب بعد رائج، ولجة الكرم وعلو الهمم هائجة مانجة. مادام مولانا - أعز الله أنصاره - في مسند الإقبال، ومنصب الجلال، عامراً رُبَّع / ٦٥ ب / الآداب، وآخذاً بضبع الكتابة والكتاب، يؤتى من كل صوب، ويقصد من كل أوب؛ لتوضع منه الممادح موضعها، وتقع عنه المحامد موقعها فيجلب إلى حضرته العلية بضاعات النظم فيغالى في استيامها، وتحمل إليه بلاغات الشر فيهز عطفه اغتنامها، ضاحكاً في وجه الوافد ثناياه، ومتهللاً بطلوع الزائر محياه:

[من الكامل]

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكَرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرَزَقُ

وإلى الله تعالى الرغبة في إطالة بقاء الكرام بإطالة بقائه، وإدالة أهل الفضل بدوام دولته وعلائه، ما جاء بالماء سحاب، وعاد إلى السماء شهاب، إنه ولي الإجابة، ولما عرّف الخادم أن الهمة العلية ترتاح لمطالعة الآداب، وتعتلق من فنون العلم بأقوى الأسباب، عضّ إبهامه أسفاً على ما كان عنده من أعلاق الكتب. أتى الدهر على طارفها وتليدها، وغارت الأيام على ما كان من عتيدها.

١٦٦/ حتى لم يبق إلا الرّجّ القليل، الذي لو خدم تلك الحضرة العالية، بجميع أعدادها كان كالنملة حملت إلى سليمان رجل^(١) جرادها، لكنه رأى الضئيلة بالموجود أشدّ الضنن، وسخاء الرجل بما ملك من أسدّ السنن، فخدم الحضرة أعلاها الله بهذه المجلدات، وهي كذا وكذا، فالعالي العالي في إسبال ذيل العفو على ما يتجاسر به الخادم، ويرتكبه من الاسترسال إلى ما يليق بالخدم إلا إلى ذوي الكرم، قرين العلو والرفعة.

وكتب إلى بعض الأفاضل جواباً عن كتاب وردّ عليه منه :

«سلام الله - تعالى - وهو خير ما يُعلّق على هوداج الرياح، ويفتق بنسيمه نوافج الأرواح، ويحيى به محياً الأحباب، ويضمّن هداياه طيّ الكتاب، على فلان ولا زالت مجامر أنفاسه تفعّم المناسف، وترغم المناسف. وجواهر ألفاظه / ٦٦ب/ تعمّر المجالس، وتغمر المجالس، ورياض الأدب بأزاهير نطقه موقنة، وحياض الكرم بنمير خلقه متدفقة، ما طرّ شارب فرع، ودرّ حالب ضرع، ورقرق بالماء سحاب، وأشرق في السماء شهاب، وفرّق بالصياح غراب، ورق للصباح جلاب بمحمد وعترته.

(١) الرجل : القطعة العظيمة من الجراد.

وبعد: فقد وصل كتابه الذي كان بُرجاً يُطلعُ نيري النظم والنثر، ودرجاً يجمع جوهري الخطب والشعر، كلا علقيّه ثمين، وكلتا يديه يمين، وكلاهما بالثناء قمين، إن أغترستَ فرندٌ وعَرَّارٌ، وإن اقتبستَ فمرخٌ وعَفَّارٌ، سَعْدَانِ كلاهما في المراعي سعدان ووردان، هما للصّادي صداوان وعينان تجريان كدجلة والفرات، وقيتان يُغنيان بما يُحيي الأموات، ويجمع بين العظام والرفات. لم أرَ قط مثله فظاً جلُّه فوائد، بل كلُّه فرائد. حروفه ظروفُ الظرف، وسطوره جلاء الطرف وصلي^(١) العرف كالعقل كلُّه / ١٦٧ / نورٌ والعلم لا يحله زور فتاة لها صباحه، ومشكاةٌ فيها نور مصباحه. يرتكض فيه بحر نشيط في بحر بسيط، ونثرٌ يعترض منه نور عريض في روض أريض؛ فياله من سفر سافر، من بحر الأدب وبرّه، وأسفر عن شمس الكرم وبدره، وصرصر فيها باز يبيض في العيوق، ويفرخ ببيض الأثوق، بل حاكه بحرٌ من البحار، وحبرٌ من الأحبار، وصدرٌ من المصطفين الأخيار، يغترف من بحر أسخى من حاتم، وابائي^(٢) من حنيف الحناتم، وينطق بلسان أجرى من السيل تحت الليل، وأمضى من الترك فوق الخيل، وأحلى من الخمرة بزلال، وأصلى من الجمر في الاشتعال:

[من الكامل]

وَحَدِيثُهَا كَالرَّعْدِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبَا
فِيصِيخُ مُسْتَمِعًا لِدَرَّتِهِ وَيَقُولُ مِنْ طَرَبٍ هَيَارَبَا

وكان موقعه مني موقع عود الولد الذنب، بعد الغيبة، والجود إلى البلد الجذب عقيب الخيبة، وحل محلّ الثور في الأحداق، / ٦٧ ب / والشهد في الأشداق، والنوم في الآماق، والوصل إثر الفراق.

(١) الصلي: مدق الطيب.

(٢) كذا في الأصل.

يَبْدُ أَنِّي لَمَّا هُزْتُ بِخَطَابِهِ فِي قَرْنِ جَوَابِهِ، كَدْتُ أَتْخِذُ اللَّيْلَ جَمَلًا،
وَالْبَاطِلَ دَعْلًا، وَأَسْتَرُ تَحْتَ الظَّلَامِ، وَأُلَوِّذُ إِلَى الْإِنْهَزَامِ، وَقُلْتُ: يَا فُلَانُ
هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ، وَإِنَّ الْوَبْلَ مِنَ الرَّشِّ؟ لَا تَتَعَرَّضْ لَارْتِجَالِهِ فَلَسْتُ
مِنْ رِجَالِهِ، تَبَيَّنَ رَوِيدًا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ هُوَ سَاطُ بِأَسْوَاطٍ، سَابِقُ بِأَشْوَاطٍ،
وَأَنْتَ عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِحْتِيَاطِ. [من البسيط]

فَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَفِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

ثم تجلّدت بعد ما تبلّدت وصرْتُ: [من الوافر]

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاءُ مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ ثِرَاعِي

ولا زلت أقتل في ذروتها وغاريها كالمُرَاعِي حَتَّى أَسْمَحَ قَرُونُهَا^(١) بَعْدَ
مَا جَمَعَ حَرُونُهَا؛ وَلَآكَ قِيَادُهَا بَعْدَ مَا بَانَ عِنَادُهَا، وَقَالَتْ: الْآنَ وَقَدْ
غَشَانِي الضَّنَى، فَقُلْتُ: [من المنسرح]

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْبُكَاءِ عَابِسَةً

لكن الفحل يحمي / ١٦٨ / شَوْلُهُ مَعْقُولًا، وَالْمَرْءُ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مَصْقُولًا؛ إِذْ لَا كُلُّ بَحْرِ مَوَاجٍ، وَلَا كُلُّ غَيْمٍ ثَجَاجٍ، وَلَا كُلُّ طَرَفٍ
هَمَلَاجٍ، وَلَا كُلُّ خُطِيبٍ سَرَّاجٍ. إِنْ لَمْ تَجِدْ لِي صَافِيَةً مَمْرُوجَةً، وَإِنْ لَمْ
تَسْلِكِي فَمَخْلُوجَةً، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا مَالِكٌ، وَالسَّخِيَّ بِمَالِكَ هَذَا هَذَا.

ثم يا مولاي! كيف أنت وحالك؟ وفي أي رُبْعٍ مجالك. سمعت أنك
تَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْقَضَاءِ، فَهَلْ بَعَيْنُ الرِّضَاءِ، وَتَرْكِي فَهَلْ تَجِدُ مِنْ يَزْكِيٍّ مِنْ
غَيْرِ أَنْ تَلْكَ، وَأَنْتَ فِي أَشْغَرِ بَلَدٍ، وَقَوْمٍ مَا زَكَ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ.

أما أنا فعندي الجلوس في بيت المجوس، بل القعود في حُشِّ اليهود،
 بل لبوس أثواب المحن بالجلوس على أبواب الشحن، أهون من الإعضاء
 على فضائح القضاء، والهجوم على الجوع، أو القناعة بالقنوع، أو
 الزراعة بالدموع خير من ضروب الرُّشا وإن هي ثروب، وكثبا فالدرّة في
 نحر الامة ضائعة، والحرّة لا تأكل بثدييها وإن هي جائعة؛ لاسيما حيث
 درهم الوقاحة أروج من دينار الفصاحة، وهرأش الوكلاء أرجح وأنجح
 من قماش / ٦٨ ب / الفضلاء والكلاب جيع، والضّياع إلى ضياع،
 وسحاب الحق خُلب، وغلب الباطل غُلب، وتدمى الأنداء بأنامل
 الحلب، والمُحب يشقى بكل حَوْل قُلب، وسوق العالم إلى الكساد،
 وأساس الأمر على الفساد، وأملاك المسلمين على المزاد، وأموال
 اليتامى نهب، وحقوق الأيامي سلب، والحمير تمتعر، والجحيم تستعر:
 [من الخفيف]

فِي قُضَاةٍ مِنَ الصَّوَابِ قُضَاةٌ وَعُدُولٌ عَنِ الصَّلَاحِ عُدُولٌ
 فوقاك الله شرّ ذلك اليوم، وضّرّ ذلك القوم، وجعل لك مخرجاً من
 حيث لا تحتسب، وساقك إلى ما يرضيه فيما تكتسب، وأعادنا وإياك من
 القرار مع الأشرار، وضّم الأضرار على الأوزار، وكشف الإزار عن
 العوار، وجعلنا من الأتقياء الأبرار بمحمد النبي وآله الأخيار.
 ورسائله كثيرة، والذي أوردنا منها فيه كفاية وغنى.

[٨٦٨]

ناهضُ بنُ إدريسَ الوادِشيُّ.

ينسب إلى وادش من أعمال غرناطة.

كان شاعر قُطره، أشعر من ذكر في عصره، يقول في السيد أبي يحيى:

[من الطويل]

أَلَا حَبَّذَا الْقَصْرُ الَّذِي أَرْتَقَعَتْ بِهِ عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحَجَارَةِ أَقْوَاسُ
 هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَ الثَّرَى وَرَفَعَهُ عَنْ لُثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ

فَأَرْكَبَ مَتْنِ النَّهْرِ عِزًّا وَرَفَعَةً وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّأْسُ
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ وَبَابُهُ يَغْضُ وَحَافِي أَفْقِهِ الدَّهْرُ أَعْرَاسُ

[٨٦٩]

نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد، أبو المعالي، المعروف
بأبن الزعفراني اليهودي.

من أهل حلب، ومن أربابها المتصرفين في الأعمال السلطانية. وقد خدم متصرفاً في
ديوان حلب سنين متعددة. وكان أعرف أهل ملته بالتصرف وعلم القوانين الديوانية، ورُسوم
القواعد الحُسبانية، والإطلاع على عوامضها.

وكانت وفاته في يوم الإثنين خامس رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة. وكان مولده
في سنة تسع وسبعين / ٦٩٠ ب / وخمسمائة.

وكان حسن الخط، شاعراً متوسط القول، نظم أشعاراً كثيرة في فنون متعددة. وكانت
به لُكنة في لسانه؛ وإذا أراد أن يُعبر عن ما في ضميره عجز ولم يستطع إداء ما فيه، وله
أرجوزة طيبة سماها «تذكرة اللبيب وتبصرة الطيب»، وعمل أرجوزة نحوية لقبها «سُنن
الإعراب في سنن الأعراب». وامتدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب
- رحمه الله تعالى -.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد المولى الحلبي بها الكاتب المنشئ
من لفظه، قال: أنشدني أبو المعالي نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد ابن الزعفراني
لنفسه: [من الخفيف]

رَقَّ قَلْبُ الْعَدُوِّ مِمَّا أَقَاسِي وَرَرْتُ لِي وَأَنْتَ قَلْبُكَ قَاسِي
يَا بَدِيعَ الصِّفَاتِ غَيْرُ بَدِيع هَلْ تُجَازِي مَوَدَّتِي أَوْ تُوَاسِي
مَا عَلَيَّ مَنْ تَمَلَّكَ النَّاسَ رَقًّا لَوْرَعِي فِي الْهَوَى قُلُوبَ النَّاسِ
رَشًّا لَوْرَاهُ يُوسُفُ أَضْحَى لَهْجًا بِالْغَرَامِ وَالْوَسْوَاسِ
/ ١٧٠ / لَا تَقْسُ حُسْنَهُ إِلَى يُوسُفِ الْحُسْنِ مَنْ يَمِينًا مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قِيَاسِ
جَبَّذَا جَبَّذَا زَمَانٌ تَقْضَى فِي هَوَى نَجَلٍ قِصَرِ الْبَانِيَّاسِ
بِلِحَاطٍ كَانَتْهَا أَسْدُ غَاب خَدَرْتُ فِي جَفُونِ طَبِي كَنَاسِ

وَحَدَّكَ الْوَرْدُ بَيْنَ الْأَسْحَرِ
وَتَغَرَّ حَكِي حَبَابِ الْكَاسِ
فِي هَوَاهُ فَلَيْتَ لِي مِنْهُ أَسِي
وَشَقَائِي وَصَحَّتِي وَأَتَكَّاسِي
فُزْتُ فِي خُلُوتِي بِهِ وَأَخْتَلَّاسِي

وَجَبِينِ كَالصُّبْحِ تَحْتَ دُجَى الشَّعْرِ
وَرُضَابِ كَأَنَّهُ نُكْفُ الرَّأْسِ
نَاحِلِ الْخَضِرِ قَدْ حَكَى بِنُحُولِي
هُوَ نَارِي وَجَتَّتِي وَنَعِيمِي
لَوْ تَهَيَّأَ بَأَنٍ يَبِيتَ نَدِيمِي

وقال أيضاً يستدعي صديقاً له : [من البسيط]

وَمَطَرَفَ الدَّجْنِ قَدْ عَشَى سَنَى الْأَفُقِ
صَفْرَاءَ كَالشَّمْسِ أَوْ حَمْرَاءَ كَالشَّفَقِ
سَاهَ وَسَاقِيهِ مِثْلُ الشَّادِنِ الْخَرَقِ
تَحْدِيقَ نَرَجِسِهِ مَعْنَى مَنْ الْحَدَقِ
مَرُّ السَّيْنِ فَمَا أَبْقَى سِوَى رَمَقِ
يُذَكِّي لَطْفِي النَّارِ نَشْرَ الْمَنْدَلِ الْعَبَقِ
وَحَلَّتْهَا نَارَ عَيْسَى لَيْلَةَ الصَّدَقِ

أَمَا تَرَى الْيَوْمَ بَادِي الطَّلِّ وَالدمَقِ
فَقُمْ بِنَا نَجْتَلِيهَا فِي زُجَاجَتِهَا
فَنَحْنُ فِي مَجْلَسِ زَاهٍ وَعَبْهَرُهُ
مَحْمَرُ نَارِ نَجْهٍ يَحْكِي الْخُدُودَ وَفِي
/ ٧٠ ب / وَفَهْوَةٌ عُنُقَتْ حَتَّى أَضْرَبَهَا
يُذَكِّي لَهَا الْمَاءَ نَشْرًا بِالْمَزَاجِ كَمَا
فَخَلَّتْ كَفِّي خُضِيئًا حِينَ لَا مَسَهَا

وقال في المعنى : [من الوافر]

فَإِنَّ الْعَيْشَ شُرْبُ الْخَنْدَرِيسِ
تَدْوُمُ بِهَا مَسَرَّاتُ النُّفُوسِ

بَعِيشُكَ قُمْ إِلَى حَثِّ الْكُؤُوسِ
وَلَا تَطْعِ اللَّوَا حِي فِي مُدَامِ

وقوله في يوم ثلج يحث على الشرب : [من مجزوء الكامل]

وَأَسْتَجِلَّ كَاسَاتُ الْعُقَارِ
يَدْعُو إِلَى خَلْعِ الْعِدَارِ
— لَهُ لَطَشٌ هَ ذَاتُ أَفْتَرَارِ^(١)
وَالْجَوُّ مُمِيزُ الْأَزَارِ
كَالنُّورِ أَسْرَعَ فِي انْتِشَارِ
فِي شُرْبِهَا عَيْنُ الْوَقَارِ

قُمْ وَافْتَرِعْ بِكَرِ الطَّلَا
فَالْيَوْمُ يَوْمُ أَبِيضِ
وَمَبَّاسِ الْمِيطَرَابِ فِيهِ
وَالثَّلْجُ قَدْ عَطَى الرُّبَى
وَتَخَالَاهُ مُتَسَاقِطًا
فَلَدَّرَ الْوَقَارُ فَتَرَكُهُ

١٧١/ لَا عَيْشَ إِلَّا فِي اجْتِمَاعِ عِ الشَّمْلِ بِالكَّاسِ الْمُدَارِ

وقال يستدعي صديقاً في زمن الربيع إلى روضة : [من الكامل]

يَا صَاحِ قُمْ وَاسْتَجْلِ بِكُرْمِ مَدَامَةٍ
وَاجْمَعْ بِهَا شَمْلَ السُّرُورِ فَيَوْمَنَا
وَالرَّوْضِ قَدْ رَقَمَ الرَّبِيعُ بَسَاطَهُ
وَمُدِيرُهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ قَدْ زَهَتْ
وَكَانَ طِيبَ مَذَاقِهَا مِنْ رَيْقِهِ

وقال في مثله : [من الوافر]

بَعِيشِكَ قُمْ لَنَسْتَجْلِي الْعُقَارَا
وَصَلَّ عَجَلًا فَيَوْمُكَ يَوْمٌ ثُلَجٌ
كَأَنَّ سَقُوطَهُ نَوَارٌ دَوْحٌ

وقال في المعنى : [من الوافر]

لَمَثَلِ الْيَوْمِ تُدَخِّرُ الْعُقَارُ
١٤٢/ وَيَادِرُ بِالْمَسَرَّةِ غَيْرَ وَإِنْ
فَدُونُكَ شُرْبَ كَاسَاتِ تُدَارُ
فَمَا أَوْقَاتُهَا إِلَّا قِصَارُ

وقال أيضاً : [من الوافر]

أَدْرِ يَا صَاحِبِي كَاسَ الْمُدَامِ
وَلَا تَجْبَسْ كُؤُوسَكَ عَنْ مَشُوقِ
فَقُمْ وَاسْتَجْلِهَا فِي يَوْمِ ثُلَجٍ
إِذَا نَثَرَ اللُّجَيْنَ الْجُوبَادِرُ
إِذَا مُزِجَتْ تَرَى شَمْسًا عَلَيْهَا

وقال يصف الخلاف : [من الوافر]

وَزَائِرَةٌ لَهَا أَرْجٌ ذَكِيٌّ
تُشْرِبُ بِالرَّبِيعِ وَقَدْ تَرَاهَا
لَهَا وَبَرٌّ عَلَى جِسْمِ ضَيْلٍ
تَزُورُكَ بُرْهَةً فِي كُلِّ عَامٍ
تَهَادِي عِنْدَ كَاسَاتِ الْمُدَامِ
بِلَا لَحْمٍ يُحَسُّ وَلَا عِظَامِ

وقال أيضاً مما عمله بأسعد : [من الطويل]

كَبِهَجَّتْهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْقَصْفَ
عَتِيقٌ كَلَوْنُ التَّبْرِ فِي عَايَةِ اللُّطْفِ
نُجُومٌ سَمَاءٌ قَدْ جَبَلْنَ عَلَى الظَّرْفِ
فَمَنْ طَرَبَ يُخَيِّي النُّفُوسَ وَمَنْ عَزَفَ
كَبَدَرَ الدُّجَى حُسْنًا يَجْلُ عَنْ الْوَصْفِ
يَعُدُّ صَفْوَهُ هَذَا الْعَيْشَ رَنْقًا بَلَا خُلْفِ

بَعِثْكَ صَفْ لِي غَيْرَ وَأَنْ فَيَوْمُنَا
/ ١٧٢ / وَمَجْلِسُنَا زَاهٍ أُنِيقُ وَخَمْرُنَا
وَنُذْمَانُنَا أُخْوَانُ صَدُقَ كَأَنَّهُمْ
وَقَدْ حَرَكَ الشَّادِي الْمَثَانِي وَقَدْ شَدَا
وَطَافَ بِشَمْسِ الرَّاحِ سَاقُ مُتْرَكٍ
فَإِنْ زُرْتَنَا تَمَّ السُّرُورُ وَإِنْ تَغَبَّ

ومما عمله في صدر كتاب: [من البسيط]

جُرِعْتُ مِنْهَا كُؤُوسَ الْعَلَقَمِ الصَّبْرِ
جِيْشُ الْأَسَى وَكَمِينُ الْهَمِّ وَالْفَكْرِ
وَيَا حَنِينَ لَقَدْ أَفْضَيْتَ مُصْطَبِرِي

يَا أَبْعَدَ اللَّهِ أَيَّامَ الْبِعَادِ لَقَدْ
يُحَارِبُ الشَّوْقُ قَلْبِي ثُمَّ يَنْجِدُهُ
يَا شَوْقُ حَسْبُكَ مَا أَبْقَيْتَ لِي جَلْدًا

وقال عتباً في صدر كتاب: [من الطويل]

مَوَدَّنَا مَا هَكَذَا سِنَّةُ الْوُدِّ
فَمُنْذُ افْتَرَقْنَا مَا أَقْمَتُمْ عَلَى عَهْدِ
فَلَمْ أَرْ عَنْ صَدَقِ الْمَوَدَّةِ مِنْ بُدٍّ
وَلَا خُتُّكُمْ مَا عِشْتُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

أَخْلَايَ غَبَا عَنْكُمْ فَنَسِيتُمْ
وَأَشْبَهْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ فِي الْوَفَا
وَكَمْ رُمْتُ مَذْقَ الْوُدِّ غَيْظًا عَلَيْكُمْ
/ ٧٢ ب / أَمَا وَصَفَاءِ الْوُدِّ لَا حُلَّتْ عَنْكُمْ

وقال أيضاً يستهدي نبياً: [من مجزوء الكامل]

مَعَ فِي مُرَاجَعَةِ الشَّبَابِ
عَصْرِ الشَّبَابِ سِوَى الشَّبَابِ
يَخُ فِي الشِّتَاءِ مِنَ الْجَبَابِ
مُزَجَّتْ بَلِيلَ عَنْ شَهَابِ
مَنْ تَخَتَّ دُرٌّ مِنْ حَبَابِ
فَتَمِيتَ هَمِّي وَأَكْتَبَابِي

دَهَبَ الشَّبَابُ فَلَسْتُ أَطُ
وَالشَّيْخُ لَا يُلْهِمُهُ عَنْ
وَالرَّاحُ أَنْفَعُ لِلْمَشَا
تَغْنِي بَضْوَاءَ الْكَأْسِ إِنْ
وَتُرِيكَ تَبْرَأَ فِي لَجِي
فَعَسَاكَ تُخَيِّنِي بِهَا

وقال أيضاً: [من المجتث]

سِوَى كُؤُوسِ الْمُدَامِ
وَكَمْ شَفَقْتُ مِنْ سَقَامِ

مَالَهُمْ يَوْمَ دَوَاءِ
كَمْ قَدْ نَفَقْتُ مِنْ هُمُومِ

إِنْ حَرَّمُوهَا فَشَرِبَ الدَّ مَاءً غَيْرُ حَرَامٍ

وله يستهدي نبذاً: [من الكامل]

١٧٣/ خَلَّتِ الدُّنَانُ مِنَ الْمُدَامِ فَلَا تَسَلْ
كَانَتْ بِهَا أَفْرَاحُهُ مَوْضُوعُهُ
كَانَتْ مَجَالِسُ أَنْسِهِ مَأْهُولُهُ
كَانَتْ تُضِيءُ بِهَا الْكُؤُوسُ فَأَصْبَحَتْ
قَدْ مَسَّهُ ظَمَأٌ فَهَلْ مِنْ نَاقِعٍ

ومما عمله في المعنى: [من الكامل]

لَوْ كَانَ أَصْحَبَ بَعْدَ طُولِ شِمَاسٍ
عَزَّ الْمُدَامُ وَكَانَ أَكْرَمَ صَاحِبٍ
يَقْضِي بِجَمْعِ الشَّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِهِ
لِلَّهِ مَا أَحْلَى مَجَالِسَ لَهْوِنَا
خَلَّتِ الدُّنَانُ وَكُنَّ مِنْهُ أَوْهَالًا
إِنَّ الرِّضِيعَ يَنَالُ عِنْدَ فَطَامِهِ أَلْمًا

وله في المعنى: [من البسيط]

٧٣ب/ هَلَّا صَرَفْتُ بِصَرْفِ الرَّاحِ يَا صَاحٍ
قَدْ أَعْوَزْتَهُ وَهَلْ عَيْشٌ لِمُكْتَسَبٍ
دَنَائِهِ خَاوِيَاتُ كَالصُّدُورِ نَائَتْ
لَوْ نَابَ عَنْهَا دَمٌ أَجْرِيَتْ مِنْ شَعْفٍ

ومما عمله في صدر كتاب: [من الطويل]

تَمَنَيْتُ أَنْ أَجْلُو بِرُؤْيَاكَ نَاطِرِي
فَمَا بَلَغْتَ نَفْسِي الْمُنَى فَتَعَلَّلْتَ
وَأَنِّي إِذَا حَالَتْ يَدُ الْبُعْدِ بَيْنَنَا
تَحَنُّنٌ إِلَيَّ لِقْيَاكَ نَفْسِي صَبَابَةً

وقال أيضاً: [من الخفيف]

أَمَلِي حَظِيئْتُ بِعُشْرَةِ الْإِكْيَاسِ
يُهْدِي السُّرُورَ إِلَيَّ قُلُوبَ النَّاسِ
وَيَكَادُ يَعْطِفُ كُلَّ قَلْبٍ قَاسِيٍ
فِيهِ بِحُسْنٍ تَأَلَّفَ الْجُلَاسِ
فَرَجَّعْنَ مِثْلَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ
وَلَا سِمَآرَ ضِيعُ الْكَاسِ

هُمُومٌ صَبَّ إِلَيْهَا جَدُّ مَرْتَاحٍ
يَعْتَاضُ بِالْذَّمِّ عَنْ مَشْمُوعَةِ الرَّاحِ
عَنْهَا الْقُلُوبُ فَمَا تَعَبًا بِمُلْتَاحٍ
دَمِي وَدَارَتْ بِهِ لِلشَّرْبِ أَقْدَاحِي

وَأَنْ يَشْتَقِيَ قَلْبِي مِنَ الْبُعْدِ بِالْقُرْبِ
لَشَوْقِي بِإِنْفَازِ الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ
سَأْهُدِي تَحِيَّاتِي إِلَيْكَ مَعَ الرِّكْبِ
كَمَا حَنَ ظَمَانٌ إِلَيَّ الْبَارِدِ الْعَذْبِ

لَا وَلَا أَنَّهُ أَتَمَّ الْمَالِحِ
خَفَايَا خَفِيَّةُ الْإِيْضَاحِ
وَمَلِيْحٍ فِي عَيْنِهِ كَالْقَبَاحِ

مَا تَعَشَّقَتْهُ لِإِفْرَاطِ حُسْنِ
إِنَّمَا لِلْقُلُوبِ فِي الْحُبِّ أَسْرَارُ
كَمْ قَبِيْحٍ عِنْدَ الْمُحِبِّ مَلِيْحٌ
/ ٧٤ / وقال أيضاً: [من الطويل]

تَجَلَّى وَحَظِّي مَا تَجَلَّتْ عِيَاهُ
وَلَا لَيْلُهُ الدَّاجِي تَضِيءُ كَوَاكِبُهُ
... فِيهِ بَنَارُ تَطْالِبُهُ
فَمَا تَنْقُضِي أَهْوَالَهُ وَعَجَائِبُهُ

خَلِيلِي مَا بَالِي أَرَى كُلَّ غَيْبٍ
فَلَا صِبْغُهُ الْمُسَوْدُ يُرْجَى نُصُولُهُ
تَوَالَّتْ عَلَى قَلْبِي هُمُومُ كَانَتْهَا
فِيَا أَبْعِدِ اللَّهُ الزَّمَانَ وَجَوْرَهُ

وقال في غلام جميل بوجهه كلف: [من الكامل]

كَلَفٌ، فَقُلْتُ: كَذَلِكَ الْبَذْرُ
لِلْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ أَثَرُ
أَسُ الْعِذَارِ أَفِيْمَ لِي الْعِذْرُ

قَالُوا: كَلَفْتُ بِحُبِّ مَنْ فِي وَجْهِهِ
لَوْ لَمْ يَحْزُ كُلُّ الْمَلَاَحَةِ مَا بَدَأَ
وَعُذِلْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ فِيهِ فَقَدْ بَدَأَ

وله معاتبه: [من الكامل]

سَفَهَا وَأَرْغَبُ فِي مَحَبَّةِ قَالِي
يَزْدَادُ قَرْطُ تَبْرُمٍ وَمَلَالِ
وَالْتَرُكُ يُرْخِصُ كُلَّ شَيْءٍ غَالِي

مَا لِي أَمِيلُ إِلَى حِفَاطِ مُضَيِّعٍ
صَغَبَ الْمَرَّاسِ وَكَلَّمَا لَا طَفْقَتُهُ
وَعَلَا عَلَيَّ فَهَانَ عِنْدِي تَرْكُهُ

/ ٧٤ب / وقال علي وزنين وقافيتين:

مُعْجِبًا بَدَلَالَهُ
بَعْدَ طُولِ مَلَالِهِ
خَاضِعًا لَجَلَالِهِ
مِثَّ فِي جَرِيَالِهِ
بَلْ خَلَوْتُ بِخَالِهِ
عَزَّيْلُ مِثَالِهِ
مَعَ تَلَطُّفِ حَالِهِ
مُذْ سَخَابِ بَوْصَالِهِ

لَمْ أَنْسَهُ مُذْ زَارَنِي
جَذْلَانِ سَهْلَهُ الرُّضَا
فِي لَيْلَةٍ نَامَتْ بِهَا الرُّ
قَبْلْتُ مِنْهُ مُقْبَلًا
وَرَتَعْتُ فِي وَجَنَاتِهِ
وَجَنِيْتُ رَمَانَ التُّهُوَ
وَحَلَلْتُ عَقْدَ نَطَاقِهِ
لِللَّهِ مِنْهَا لَيْلَكَةً
مُتَخَلِّسًا مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ
فَأَتَى عَلَى غَرَضِي وَقَضْدِي
قَبَاءُ لَا سْتِيقَاطَ وَجْدِي
يَفْتَرُّ عَنْ بَرْدٍ وَشَهْدٍ
مَا بَيْنَ رِيحَانٍ وَوَرْدٍ
دُمُهَا مِنْ غَضٍّ قَدَّ
بِيَدِي فِي هَزْلِ وَجْدٍ
طَلَعَتْ بِهَا أَفْئَامُ سَعْدِي

لَوْ سَأَمَنِي فِي مِثْلِهَا بَذَلَ الْحَيَاةَ لَهَا عِنْدِي فِي بَدِيعِ جَمَالِهِ
أَوْ بَيْعَ مِنْهَا سَاعَةً لَشَرَيْتُهَا بِالْعُمُرِ وَحْدِي فَأَزَا بِكَمَالِهِ
سَمَحَ الزَّمَانُ بِوَصْلِهِ مِنْ بَعْدِ إِعْرَاضٍ وَصَدِّ وَامْتِنَاعِ خَيَالِهِ
وَسَخَا بِمَا عَجَزَتْ قُوَى شُكْرِي لَهُ وَفُؤَادُ حَمْدِي فِي جَمِيلِ ضَلَالِهِ

/ ١٧٥ / وقال متغزلًا: [من الكامل]

يَا مَنْ حَيَاةَ الْمُسْتَهَامِ وَمَوْتَهُ مَابَالُ قَلْبِكَ لَا يَنْبِي مُتَقَلِّبًا
أَسْهَرْتَنِي وَرَقَدْتَ ثُمَّ شَعَلْتَنِي أَمِنْ الْمُرُوءَةِ أَنْ أَفِي لَكَ فِي الْهَوَى
لَوْ فَتَّشُوا قَلْبِي رَأَوْكَ بِهِ وَقَدْ أَفْدَيْكَ مِنْ رِشَاءٍ تَعَزَّزَ إِذْ غَدَا
وَمُهَفِّهَفَ كَتَبَ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ لَا غَرَوْا إِنْ حَازَ الْجَمَالَ فَيُوسُفُ
لَمْ أَنْسَ إِذْ صَلَّى لَدَى مُحْرَابِهِ وَدَعَا بِيَسْطَ ذِرَاعِهِ فَكَأَنَّمَا

وقال أيضًا: [من الوافر]

إِذَا مَا كَانَ هَجْرُكَ لِي جَحِيمًا وَصَدِّكَ جَنَّةً فَعَلَامُ تَجْفُو
فَصَلَّنِي مُنْعَمًا لِيَزُولَ هَمِّي فَعَيْشِي بَعْدَ بَعْدِكَ لَيْسَ يَصْفُو

/ ٧٥ ب / وقال في المعنى: [من المتقارب]

إِذَا كَانَ وَصْلُكَ لِي جَنَّةً فَهَجْرُكَ لَا شَكَّ نَارُ الْجَحِيمِ
فَصَلَّنِي وَلَا تَبْخَلْنِ بِالْوَصَالِ عَلَى مُغْرَمٍ بِكَ نَضْوٍ سَقِيمِ
وَدَّعَ عَنْكَ ذَا السُّخْطِ وَأَبْغِ الرِّضَا فَإِنَّ الرِّضَا مِنْ خِلَالِ الْكَرِيمِ

وقوله في اللقاء: [من الطويل]

لَعَيْنِي مَتَى فَازَتْ بِرُؤْيَاكَ قُرَّةً وَقَلْبِي سُرُورٌ مُقَرِّطٌ وَجُبُورُ
فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ اللَّقَاءُ فَإِنَّنِي عَلَيْهِ لِرَبِّي حَامِدٌ وَشُكُورُ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

بَعْدَ الْخُلِّ وَالرَّقِيبُ قَرِيبُ
وَجَفَانِي الْكَرَى وَوَأَصْلَنِي الشَّقُوقُ
بِأَبِي شَادِنٍ غَرِيرٍ نَضِيرُ
أَهْيَفُ مُتَرَفٍّ ظَرِيفُ لَطِيفُ
بَذَرْتُ نَمَّ يَنْيِرُ فَوْقَ قَضِيبِ
قَاطِنٌ فِي الْفُؤَادِ لَمْ يَنَأْ عَنْهُ
١٧٦/ غَابَ فِي سَفَرَةِ الصُّدُودِ وَلَكِنْ
أَتَّبُونِي عَلَى هَوَاهُ، فَقَدْ لَدَّ
طَابَ فِيهِ عَتَبِي وَكُلُّ حَدِيثِ

وقال: [من المجتث]

بَدَّلْتُ بِالْهَجْرِ رَفْعِي
وَصَرْتُ تُعْرِضُ عَنِّي
قَضَيْتَ بِالْغَدْرِ ظُلْمًا
صَدَدْتَنِي عَنِ دَلَالِ
وَمَلَّتْ نَحْوُ أَنْسَاسِ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ عُنْدِي
إِنْ زُرْتَنِي تَمَّ أَنْسِي
فَقِي يَدِيكَ بِأَمْرٍ إِلَّا

وقال: [من الوافر]

سَقَانِي الرَّاحَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
٧٦ب/ وَحَيَانِي مُحْيَاهُ بَوْرَدُ
وَقَبْلَ رَاحَتِي فَلْتُمْتُ فَاهُ
فَيَا لَكَ لَيْلَةً أَمْسَى أُنْسِي
فَمِنْ يَدِهِ وَمُقْلَتِهِ وَفِيهِ

وَجَفَا السُّقْمُ حِينَ صَدَّ الْحَيْبُ
فَحَالِي بَيْنَ الْأَنَامِ عَجِيبُ
فِي هَوَاهُ يُسْتَعَذَّبُ التَّعَذِيبُ
أَبْدَانُ حَوَاهُ تَمِيلُ الْقُلُوبُ
نَاضِرُ تَحْتَهُ يُمُوجُ الْكَثِيبُ
وَهُوَ فِي حُسْنِهِ الْبَدِيعُ غَرِيبُ
هُوَ فِي الْقَلْبِ حَاضِرٌ مَا يَغِيبُ
لَسْمَعِي مَعَ ذِكْرِهِ التَّائِيبُ
مَرَّ ذِكْرُ الْحَيْبِ فِيهِ يَطِيبُ

خَفَضًا فَقَدْ ضَاقَ دَرْعِي
بَعْدَ اتِّحَادِ وَجْمِعِ
بَغِيرِ عَذْلٍ وَشَرْعِ
وَعَنْ مَالٍ وَمَنْعِ
طَبَاعُهُمْ غَيْرُ طَبْعِي
مَنْ نَاطِرِي وَسَمْعِي
وَبَلَّانِ نُجَحِي وَنَجْعِي
لَهُ ضَرَرِي وَنَفْعِي

كَحَيْلِ الطَّرْفِ مُعْتَدِلِ الْقَوَامِ
مَنْ الْخَدَّيْنِ مَنْ غَيْرِ احْتِشَامِ
فَرَا جَعْنِي بَضْمٌ وَالتَّزَامِ
بَهَا وَمُتَادِمِي بَذَرُ التَّمَامِ
مُدَامٌ فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

وقال: [من الوافر]

رَخِيمُ الدَّلِّ أَهْيَفُ دُوْ أَحْوَرَارِ
وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ الْإِزَارِ
كَسَا الظُّلْمَاءُ أُرْدِيَةَ النَّهَارِ
بَا فَنَحَّالُهُ سُكْرَ الْعُقَارِ
لَخَالِقِهِ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
مَحَاسِنُهُ الْعَذَابَ بَلَا حَذَارِ
بَطِيبِ الْأَنْسِ مِنْ بَعْدِ النَّفَارِ
بَوْرَدِ الْخَدِّ مَعَ آسِ الْعَذَارِ
عَلَى قَدْرِ اقْتِرَاحِي وَأَخْتِيَارِي

أَتَانِي زَائِرًا بَعْدَ أَزْوَرَارِ
وَقَدْ نَامَتْ عُيُونُ مُرَاقِبِيهِ
وَأَقْبَلَ ثُمَّ قَابَلَنِي بِوَجْهِهِ
يُرْنَحُ عَطْفَةُ الْمَيَّاسِ سُكْرُ الصِّدْرِ
فَقُمْتُ لِأَجْلِهِ وَسَجَدْتُ سُكْرًا
وَبَتُّ بِهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ أَجْلُو
وَبَاتَ مُنَادِمِي فَحَظِيْتُ مِنْهُ
سَقَانِي رَاحَ رَيْقَتِهِ وَحَيَا
فَيَا لِكَ لَيْلَةٍ فِي الدَّهْرِ جَاءَتْ

/ ١٧٧ / وقال: [من الطويل]

وَرَأَقَ فَأُضْحَى نِيرَ السَّعْدِ مُبْدِرًا
فَجَدَّدَ لِي عَهْدَ التَّدَانِي وَأَذْكَرَا
سَرَى نَشْرُكُمُ فِي ضَمْنِهِ فَتَعَطَّرَا
وَأَعْظَمَكُمُ فِي النَّاسِ قَدْرًا وَأَكْبَرَا
بَلَا كَدَرٍ صَوْبًا مِنَ الْمُزْنِ مُمْتَطَّرَا

أَخْلَايَ طَابَ الْعَيْشُ لَمَّا حَضَرْتُمُ
وَهَبَّ نَسِيمٌ عَاطِرٌ مِنْ دِيَارِكُمُ
وَمَا طَابَ هَذَا الطَّيِّبُ إِلَّا لِأَنَّهُ
فَلَّلَهُ مِنْكُمْ مَا أَصَحَّ وَقَاكُمُ
سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا مَضَتْ بِاجْتِمَاعِنَا

وقال: [من الخفيف]

نَفَحَاتِ الْعَبِيرِ مِنْ نَشْرِ هُنْدِ
فَحَبَّتْهُ بِنَشْرِ مَسْكَ وَنَدَّ
رَ عَلَى أَتْنِي نَزِيفُ الْوَجْدِ
وَهِيَامًا وَلَوْعَةُ ذَاتِ وَقْدِ
عِنْدَهَا عَلَيْهِ يُقِيدُ وَيُجْدِي
يَ فَقُولَا: قَتِيلُ هَجْرٍ وَصَدِّ
فِي جِهَادِ مَعَ الْعَرَامِ وَجَهْدِ
سَنَ قَبَابِ الْأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ بُدِّ

أَرَجَ الْجَوْبِ بِالنَّسِيمِ الْمَهْدِي
مَرَفِي حَيْهَ النَّسِيمِ سُخِيرَا
فَاعْتَرَتْنِي لَطِيئُهُ هَزَةُ السُّكْدِ
وَأَهَاجُ النَّسِيمِ لِلْقَلْبِ شَوْقًا
يَا خَلِيلِي عَرَضًا بِحَدِيثِي
وَأَذْكَرَانِي لَهَا فَإِنْ سَأَلْتَ عَنِّي
وَأَسْعِدَانِي عَلَى هَوَايَ فَإِنِّي
/ ٧٧ ب / فَقَقَا لِي حِيَالُ جَوْشَنَ مَا بَدِ

وَأَشْدَا لِي قَلْبِي الَّذِي ضَاعَ مِنِّي
وَإِذَا عَجِثْتُمْ عَلَى سَاكِنِ الْخَيْدِ
حَبْدًا سَفَحُ جَوْشَنَ فَهْوِ أَزْهَى
وَقُويْتُ فَمَاؤُهُ الْعَذْبُ مِنْ رِيٍّ
يَارَعَى اللَّهُ عَصْرَ لَهُوَ تَقْضَى
وَزَمَانًا مَضَى بَنِيْلِ الْأَمَانِي

وقال: [من الخفيف]

لَكَ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلٌ وَمَحَلٌ
يَا مُنَى النَّفْسِ إِنْ مُنِيتُ بِهِجْرٍ
أَمِنَ الْعَدْلُ أَنْ تَمَلَّ مُحِبًّا
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تُحَرِّمَ وَصْلِي
أَوْ تُبَيِّحَنَ قَتْلَتِي بِتَجَافِيٍّ
لَا تَكْلُنِي إِلَيَّ السُّلُوفُ فَهَذَا
/١٧٨/ أَنْتَ لَاهِ عَنِّي بَغِيرِي مَشْغُورٌ

وقال: [من الكامل]

يَا وَيْحَ مَنْ أَضْحَتْ مَنَازِلُهُمْ
تَرَكُوا أَحِبَّتَهُمْ وَأَهْلَهُمْ
وَأَسْتَبَدَّلُوا بِالْتُّرْبِ مَنْزِلَةً
كَمْ حَازَ مَنْ ضَاقَتْ لَهُمَتْهُ
وَالْهَفَ نَفْسِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ

وقال في ذم الزمان وأهله: [من البسيط]

لَمَّا تَنَوَّعَ دَهْرِي فِي مُعَانِدَتِي
حَجَبْتُ نَفْسِي عَنْ بَدْوٍ وَعَنْ حَضَرٍ

فَعَسَاهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لِي بِرَدِّ
فَسَلَاهُ بِمَنْ تَبَدَّلَ بَعْدِي
مِنْ تِلَاعِ الْحَمَى وَأَعْلَامِ نَجْدِ
قِ مَاءِ الْعُدَيْبِ أَعْدَبُ وَرَدِ
خَلَسًا وَالصَّبَا قَشِيْبُ الْبُرْدِ
لَمْ يُرَوْعَ فِيهِ الْأَمَانِي بِيْعِدِ

أَبْدَأُ مِنْكَ أَهْلٌ لَيْسَ يَخْلُو
فَمُنَايَ وَبُغْيَتِي مِنْكَ وَضُلُ
لَكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ لَا يَمَلُ
وَهُوَ مُرْفِي مَذْهَبِ الْحُبِّ حُلُ
كَ وَقَتْلِ الْبَرِيِّ فِي الشَّرْعِ يَسْلُ^(١)
مُسْتَحِيلٌ بِأَنَّيْ لَكَ أَسْلُو
لُ وَمَالِي سِوَاكَ فِي النَّاسِ شُغْلُ

أَجْدَائُهُمْ قَدَبَادَهُمْ قَفَرُ
قُبُرُوا وَقَدَ وَأَفَاهُمْ الدَّهْرُ
بَعْدَ الْقُصُورِ فُعُورُ الْأَمْرِ
سَعَةُ الْفَضَاءِ بَضِيقُهُ الْقَبْرِ
عَزَّ الْعَزَاءُ وَأَعْوَزَ الصَّبْرِ

وَرَامَ عَكْسَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْقَدَرُ
كَيْ لَا يَرَى نَقْصَ حَالِي فِي الْوَرَى بَشْرُ

أَبْدَى الْعِدَا لِي عُيُوبًا لَسْتُ أَعْرِفُهَا
«إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدَلِّ بِهَا
وَرَبَّمَا عَيْبَ مَعِ إِشْرَاقِهِ الْقَمَرُ
صَارَتْ ذُنُوبًا فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ»
هذا البيت مضمن .

٧٨ب/ وقال في مثله : [من الخفيف]

قَاتَلَ اللَّهُ ذَا الزَّمَانِ فَمَا يَسُدُّ
كَلَمًا رُمْتُ مِنْ زَمَانِي إِسْعَا
يَا لِقَوْمِي ! كَيْفَ أَحْتِيَالِي وَقَدْ صَا
يَنْفُقُ الْجَاهِلُونَ فِيهِ مَعَ الْجَهْدِ
لَيْتَ شِعْرِي تُرَى أَبْلَغُ فِيهِ
وله في مطرب : [من الوافر]

وَمَعْسُورُ الشَّمَائِلِ وَالْتَنَّيْ
إِذَا غَنَى تَرَنُّحَ سَامِعُوهُ
وَمَاجُوا بِالسُّرُورِ قَدَبَ فِيهِمْ
وَقَدْ سَحَرَ الْعُقُوقُ فَلَسْتُ أَدْرِي

وقال في الغزل : [من الوافر]

بِنَفْسِي مِنْ بَنِي الْأَتْرَاكِ ظَنِّي
/١٧٩/ أَغْنُ مُهْفَهَفُ أَحْوَى غَرِيرُ
كَحَيْلِ الْمُقْلَتَيْنِ يَكَادِي قُرِّي
كَأَنَّ جَبِيَّتَهُ قَمَرٌ مُنِيرُ
إِذَا دَبَّ الْحَيَاءُ بِوَجْهِيَّهِ
وَيَسْمُ نَعْرَهُ عَنْ أَفْحْوَانِ
ثَقِيلِ الرَّدْفِ ذُو خَضِرٍ نَحِيلِ

وقال : [من الطويل]

وَلَمَّا بَدَأَ سَطَرَ الْعِدَارَ بِخَدِّهِ
وَكُنْتُ بِهِ صَبَّ الْفُؤَادِ فَرَادَنِي
وَحَاوَلْتُ أَنْ أَسْأَلُوهُ زِدْتُ تَيْمًا
هَوَى لُبُّهُ ثُوبَ الْمَلَا حَةَ مُعَلِّمًا

وَقَدَرَقَمْتَ أَيْدِي النَّصَارَةِ وَالصَّبَا بِدِيَا جَتِي خَدَيْهِ وَشَيْئاً مُنْمَماً

وقال في الاستعطاف : [من الطويل]

أَتَحَسَبُ قَلْبِي عَنْ مَلَالٍ تَصَبَّرَا
فَوَالله لَا أَسْأَلُكَ عُمْرِي وَلَوْ جَرَى
/ ٧٩ب / دَعِ الصَّبَّ بِقُضِي نَجْهَ فَيْكَ حَسْرَةً
يَمِينًا لَقَدْ أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ بِالْجَفَا
ثَنِي وَدَكَ الْوَاشِي فَأَصْبَحْتَ هَاجِرًا
أَيَجْمُلُ بِالْوَجْهِ الْجَمِيلِ إِسَاءَةً
بَعِيشْكَ شَمَّ رَعِي الْوَفَاءَ فَإِنَّنِي
تَجَافَيْتُ حَتَّى صِرْتُ أُغْضِي عَلَى الْجَفَا

أَبَى اللهُ لِي فِي الْحُبِّ أَنْ أُتَغَيَّرَا
عَلَيَّ مِنَ الْهَجْرِ الْمُبْرَحِ مَا جَرَى
إِذَا كُنْتَ تَبْغِي أَنْ يُمُوتَ مُحْسَرًا
جَحِيمًا وَقَدْ أَجْرَيْتَ لِلدَّمْعِ أَبْحَرَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَصُدَّ وَتَهْجُرَا
وَدَيَّ الْحُسْنَ أَنْ يُؤْلِيَ قَبِيحًا وَيَغْدُرَا
رَأَيْتُ الْوَفَا بِالْحَرِّ أُخْرَى وَأَجْدَرَا
وَأَرْضِي بِمَا تَرْضَى مِنَ الْهَجْرِ مُجْبَرَا

وقال في الاستدعاء إلى مجلس الشراب : [من البسيط]

قُمْ لِلصُّبُوحِ فَجَبُلُ اللَّهُ وَقَدْ وَصَلَا
أَمَا تَرَى الْغَيْمَ قَدْ وَارَتْ مَطَارِفُهُ
مَا إِنْ بَكَى الْغَيْثُ إِلَّا قَهَقَهَتْ طَرَبًا
فَبَادَرَ الرَّاحَ لَا تَبْغِي بِهِ أَبَدَلًا
فَصَلِّ صَبُوحَكَ عَمْدًا بِالْعُبُوقِ بِلَا

وَالْيَوْمَ ظَلَّ بِجَمْعِ الشَّمْلِ مُحْتَفَلَا
وَجْهَ الْقَضَاءِ وَدَمَعَ الْغَيْثُ قَدْ هَطَلَا
لَهُ الْآبَارِيقُ حَتَّى أَنْشَأَتْ جَدَلَا
وَلَا تُطْعَمَنَّ لَحَافِيهَا وَمَنْ عَذَلَا
مَطْلٍ وَصَلْنَا سَرِيعًا وَاحْذَرِ الْكَسَلَا

وله في تغيير الصديق : [من الطويل]

/ ٨٠أ / وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّهُ لَا يُضِيعُ لِي
فَمَيْلَهُ الْوَاشِي فَأَصْبَحَ كُلَّمَا
يَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ إِسَاءَةً

حُقُوقَ مَوَدَّاتِي وَلَا يَتَغَيَّرُ
صَفَوْتُ لَهُ فِي مَذْهَبِ الْحُبِّ يَكْدُرُ
وَكُلَّ جَمِيلٍ زَلَّةٌ لَيْسَ تُغْفَرُ

وقال في نهر قويق : [من الكامل]

مَا بَالُ نَهْرِكُمْ قُويِقُ كَأَنَّهُ
يَطْمَأ فَتَغْشَاهُ الْمُدُودُ فَيَرْتَوِي

عَبَرَاتُ عَيْنٍ جَفْنُهَا مَقْرُوحُ
مَنْهَا وَيَبْقَى وَحْلُهَا وَتَرُوحُ

وقال في لبس الفرو : [من المتقارب]

إِذَا مَا أَتَى الْقُرْقُرَتْ بِهِ

عِيُونُ الزُّجَاةِ لِلْبَيْسِ الْفِرَا

وَمَنْ كَانَ فِيهِ بِلَا فِرْوَةٍ فَرَى جِلْدَهُ الْبَرْدُ مَعَ مَنْ فَرَى

ومما [عمله] وسيره إلى من يعز عليه مكانه : [من الطويل]

تُرَى مُقْلَتِي تَحْطَى بِأَيْسَرِ نَظْرَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَجْلُو الْقَدَى عَنْ جُفُونِهَا
/ ٨٠ / وَهَلْ يَشْتَفِي مَنْ لَاعَجَ الشَّوْقَ وَالْأَسَى فَوَادِي بُقْرَبِ الدَّارِ بَعْدَ شَطُونِهَا
تَحْنُ إِلَيْكَ النَّفْسُ طَبْعًا وَكَلَمًا أُنْسْتُ التَّدَانِي زَادَ فَرَطُ حَيْنِهَا
وَأَضْعَبُ مَا تَلْقَى الْعِطَاشُ مِنَ الظَّمَا إِذَا مَنَعَتْ وَالْمَاءُ نَضَبَ عُيُونِهَا

وقال في لقاء الأحاب : [من الكامل]

يَا حَبْدًا يَوْمَ اللَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ تَكَامَلَتِ الْمَسَرَّةُ فِيهِ
عَانَقْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عِنْدَ لِقَائِهِ فِيهِ وَفُزْتُ بِقُبْلَةٍ فِي فِيهِ

وقال في غلام مليح الصورة اسمه خليل : [من مجزوء الكامل]

مَا شَفَرَةُ السَّيْفِ الصَّقِيلِ أَمْضَى مِنَ الطَّرْفِ الْكَحِيلِ
كَأَنَّ وَلَا لِلرُّمَحِ حُسَدٍ نَنْتَرُجُ الْقَدَّ النَّيْلِ
وَمُهَفَّهُ فَعَبَلُ الْبُرُودِ دَفَّ مُحَقَّرِ الْخَضِرِ النَّحِيلِ
حُلُو الْمَرَّاشِفِ وَالْمَعَا طَفَّ وَالْمَقْبَلِ وَالْقَبُولِ
مُسْتَعْرَبٍ مِنْ أُسْرَةِ الْأَ تَرَاكَ مُعْتَزِّ الْقَبِيلِ
/ ٨١ / هَارُوتُ فِي لِحَظَاتِهِ بِالسَّخَرِ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ
سَفَكْتَ دَمِي فَمَسِيلُهُ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فِي هَوَا هَلُمُّقْلَتِيهِ وَكَمْ قَتِيلِ
حَازَ الْجَمَالَ فَلَيْتَ يَشُدَّ فَعَّاهُ بِإِيْلَاءِ الْجَمِيلِ
أَوَّلِيَّتَهُ بِالْوَصْلِ جَادَ لِمُغْرَمٍ بِبَادِي النُّحُولِ
عَلَيَّ أَعْلَى رُضَابِهِ فَبَرَشَفِهِ بُرْءُ الْعَلِيلِ
أَشْكُوهُ شَكْوَى خَصْرِهِ الـ مَضْنَى مِنَ الرَّدْفِ الثَّقِيلِ
يَا عَاذِلِي فِيهِ أَتَتَّبِ أَسْرَفَتَ فِي قَالٍ وَقِيلِ
كَمْ قَدْ أَطْعَمْتُ الْحَبَّ فِي هُ وَكَمْ عَصَيْتُ بِهِ عَذُولِي
مَا يُوسِفُ فِي حُسْنِهِ تَاللهِ أَحْسَنَ مِنْ خَلِيلِ

إِنْ كُنْتُ أَسْأَلُ وَجِبَّهُ لَا نَلْتُ يَوْمًا مِنْهُ سُولِي

وقال في استعطاف: [من الكامل]

يَا مُوَلَّعًا بِالصَّدِّ عَنَّا
/ ٨١ ب / هَلَّا رَفَقْتَ بِمُسْتَهَا
حَمَلْتَهُ مَالًا لَا يُطِي
وَوَعَدْتَهُ وَضَلًّا فَمَلَّتْ
أَمِنْ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَفِي
يَسْخُورُ بِمُهْجَتِهِ وَيِي
وَارْحَمْتَهُ لِمَغْرَمٍ

وله في الشيب: [من البسيط]

لَهْفِي عَلَى زَمَنْ وَلَّتْ نَضَارَتُهُ
كَانَتْ بُدُورُ سُرُورِي فِيهِ مُشْرِقَةٌ
وَمُذْ تَجَلَّى نَهَارُ الشَّيْبِ عَوَضَنِي

وقال فيه أيضاً: [من الخفيف]

رَاعَنِي الشَّيْبُ حَيْثُ حَلَّ بِقُودٍ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَيَا لَيْتَهُ أُسْتَبَّ

وله فيمن أهدى إلى محبوبه سفر جلاً: [من مجزوء الخفيف]

/ ٨٢ أ / كَيْفَ يَهْدِي إِلَيَّ الْحَيِّ
أَتُرَى مُذْ رَأَى أَسْمَهُ
سَقَرَّ أَوَّلَ أَسْمِهِ

وقال: [من الخفيف]

أَذْكَرَ الْمَوْتَ حَيْثُ تُمْكُنُكَ الْخُلْدُ
وَتَحَامِي الْخَطَايَا وَكُلَّ الْخَطَايَا
مَا يَفِي لِلْفَتَى نَعِيمٌ حَقِيرٌ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ
وَةٌ وَاحِدٌ عَذَابُ حَرِّ الْجَحِيمِ
لَيْسَ تَخْفَى عَلَى السَّمِيعِ الْعَلِيمِ
بَشَقَاءٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ عَظِيمِ
فَارْغَبِ الْآنَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ

أَيُّ خَيْرٍ وَلَذَّةٍ تُكْسِبُ الْإِثْمَ سَمٌ وَتُقْضِي إِلَى الْعَذَابِ الْإِلِيمِ

وقال في الزهد ما كتبه على مقبرة لبعض أصدقائه: [من البسيط]

دُنْيَاكَ فَانِيَةٌ فَأَعْمَلْ لآخِرَةٍ تَبْقَى فَيَوْمُكَ هَذَا مُنْذَرٌ بَعْدُ
فَلَا بَقَاءَ لِمَا يَفْنَى مُرْغَبُهُ وَلَا فَنَاءَ لِمَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ
/ ٨٢٢ / كَمْ قَصَّرَ الْأَجَلَ الْمُخْتَوِمَ مِنْ أَمَلٍ سِيرُهُ لَمْ يُنَلْ فِي أَطْوَلِ الْمُدَدِ

وقال في الزهد والاستغفار: [من الوافر]

إِلَهِي قَدْ تَكَاثَرَتِ الذُّنُوبُ وَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي خَطَايَ وَجُرْمِي
فَوَيْلِي مَنْ لَقَاكَ وَمَنْ وَفُوْفِي وَوَأَحْزَنِي الطُّوْبِيلَ فَلَا مَقَرَّ
أَذْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ قَبْلَ أَصْلِي إِلَهِي نَجِّنِي وَقْنِي عَذَابِ الدَّ
إِلَهِي قَدْ دَعَوْتُكَ فَأَعْفُ عَنِّي إِلَهِي فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي
إِلَهِي عَفْوُكَ الْمَرْجُوُّ فَارْحَمِ إِلَهِي حَوْضُ مَنْكَ مُسْتَفِضٌ
إِلَهِي إِنْ أَسَأْتُ فَلِي اعْتَصَامُ / ٨٢٣ / إِلَهِي إِنْ تَبَاعَدَنِي الْخَطَايَا
إِلَهِي قَلَّ فِي الدُّنْيَا نَصِيْبِي إِلَهِي ضَاقَ بِي أَمْرِي وَلَكِنْ
إِلَهِي قَدْ تَزَايَدَ دَاءُ قَلْبِي إِلَهِي حَاقَ بِي حُزْنِي وَبِئْسَ
إِلَهِي عَظُمَ عَفْوُكَ بِالْبَرَايَا إِلَهِي قَدْ خَجَلْتُ مِنَ الْمَعَاصِي
إِلَهِي مَا أَقْوَلُ وَكُلَّ يَوْمٍ إِلَهِي لَيْسَ يَعْزُبُ عَنْكَ أَمْرٌ

وَقَلَّ لَشَقْوَتِي الْعَمَلُ الْمُثِيبُ وَأَنْتَ عَلَيَّ مُطْلَعُ رَفِيبُ
لَدَيْكَ وَلَيْسَ غَيْرُكَ لِي حَيْبُ لَنَا مِمَّا قَضَيْتَ وَلَا هُرُوبُ
بَحْرٌ لَظَى وَيُحْرِقُنِي اللَّهُيبُ جَحِيمٌ وَتُبَّ عَلَيَّ عَبْدٌ يَتُوبُ
بَلُطْفِكَ يَا سَمِيعُ وَيَا مُجِيبُ وَحُسْنُ الظَّنِّ عِنْدَكَ لَا يَخِيبُ
مُسِيئًا فَاتَهُ الرَّأْيُ الْمُصِيبُ عَلَيْهِ كُلُّ ظَمَانَ يَلُوبُ
بِتَوْحِيدِ إِلَيْكَ بِهِ أَنْيَبُ فَحَسْبِيَ عَفْوُكَ الدَّانِي الْقَرِيبُ
فَهَلْ مِنْ حُسْنِ صُنْعِكَ لِي نَصِيبُ رَجَائِي مِنْكَ غُفْرَانٌ رَحِيبُ
وَلَيْسَ سِوَى رِضَاكَ لَهُ طَيْبُ وَحَقَّ الرَّغْبُ بَلَّ وَجَبَ الْوَجِيبُ
رَوْوُفٌ إِنْ تَعَاظَمَتِ الذُّنُوبُ وَلَا عَجَبٌ إِذَا خَجَلَ الْمُزِيبُ
يَمُرُّ زَيْدٌ لِي ذَنْبٌ وَحُوبُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَلَا يَغِيبُ

عَوِيَّ لَيْسَ يَرُدُّعُهُ الْمَشِيبُ
مَنْ الدُّنْيَا وَتَتَّصِلُ الْكُرُوبُ
بِمَا جَنَّتِ النَّوَاطِرُ وَالْقُلُوبُ
إِذَا حَضَرَ الْمُطَالِبُ وَالطَّلِيبُ

فَوَيْلِي مَنْ شَقَاوَةٌ ذِي ضَلَالٍ
فَوَيْلِي يَوْمَ تَنْقُطُ الْوَاحِشِي
وَوَيْلِي يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَلَا يُجْدِي سِوَى الْعَمَلِ الْمُزَكِّي

وقال: [من البسيط]

وَلِلرُّضَا بِكَ رُضْتُ الْهَمَّ وَالْفَكْرَ
فَمَذْهَجَرْتُ لَدَيْدُ النَّوْمِ قَدْ هَجَرَ
وَدَارُهُ الْقَلْبُ أَنَّى غَابَ أَوْ حَضَرَ
بِالْغَدْرِ غَادَرْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى سَمَرَ
يَعُودُنِي إِنْ حُرِمْتُ الْوَصْلَ طَيْفُ كَرَى
عَنْكُمْ وَلَا رَامَ طَرْفِي غَيْرُكُمْ نَظَرَ
وَكَيْفَ ذَاكَ وَكُنْتُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَلَّى ضِيَاعًا فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَرَ
طَلَقَ الْعَنَانَ وَطَرَفُ الصَّبْرِ قَدْ عَثَرَ
عَدَا بِحَرِّ زَيْفِرِي قَطْرُهُ شَرَرَا
مَا دَارَ فِي خَاطِرِي يَوْمًا وَلَا خَطَرَ
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يَعْفُو إِذَا قَدَرَ

٨٣/ب/ لِلصَّبْرِ عَنْكَ اجْتَرَعْتُ الصَّابَ وَالصَّبْرَا
أَمَائِلَ الْعُطْفِ عَطْفًا لَا تَرْمُ مَلَا
أَنَازَحَ الدَّارَ وَالْأَحْشَاءَ مَسْكَنُهُ
وَيَا مَنْنِي النَّفْسَ هَلْ تَحْنُو عَلَى دَنَفِ
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ عَذَّ جَفْنِي الْهُجُوعَ عَسَى
أَمَّا وَحْبِكَ قَلْبِي مَا ابْتَغَى بَدَلًا
مُذْ غَبَتَ مَا رَأَى لِي مَرَأَى وَمُسْتَمَعَ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَلْبًا بَعْدَ بَعْدِكُمْ
جَرَى بِي الشُّوقُ فِي مَيْدَانِ حُبِّكُمْ
وَاسْتَعْبَرْتُ عِبْرَاتِي لِلْفِرَاقِ دَمًا
يَا هَاجِرِي عُدْ إِلَيَّ وَصَلِي فَهَجْرُكَ لِي
هَاقِدٌ قَدَرْتُ عَلَى هَجْرِي فَصَلْ كَرَمًا

وقال: [من الكامل]

مَا كَانَ فِي عِدَّةِ الْوَصَالِ بِمُخْلَفِ
وَجَفَا وَجَاهَرٍ بِالصَّدُودِ الْمُتْلَفِ
جَانِ عَلَى الْخَلِّ الْوَفِيِّ الْمُنْصَفِ
لَا طَفْتُهُ يَجْفُو وَلَمْ يَتَلَطَّفِ
يَجْفُو فَلَمْ يَخْنُ وَلَسَمَ يَتَعَطَّفِ
عَنْ فَرْطِ بَلْبَالِي وَطُولِ تَأْسُفِي
أَقْمَا يَرْقُ لَوَالِهِ مُتْلَهَفِ
فَاطَاعَ سُلْطَانَ الْغَرَامِ الْمُجْهِفِ

لَوْ كَانَ يَسْمَحُ بِالتَّوَاضُلِ أَوْ يَفِي
٨٤/أ/ مَذَقَ الْوَدَادَ وَخَانَ عَهْدَ مُحِبِّهِ
وَاهَالَهُ مَنْ غَادَرَ مُتَحَيِّفِ
أَبْدًا يَمِيلُ إِلَى الْمَالِ فَكُلَّمَا
أَشْكُو قَسَاوَتَهُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ
وَأَبْشُهُ وَلَهْيَ فَيُعْرِضُ لَأَهْيَا
لَهُ مَا أَفْسَاهُ قَلْبًا فِي الْهَوَى
حَكَّمَ الْغَرَامَ عَلَى الْمُحِبِّ بِجَوْرِهِ

وَأَبْتَرَهُ سُلُوءَانَهُ فَلَوْ أَبْتَغَى
جَهْلًا تَقُولُ عَوَازِلِي دَعْ حُبَّهُ
أَنْتَى وَرُؤْيَيْتُهُ الْكَذُّ إِلَيَّ مَنْ
رَشَأُ مِنَ الْأَسْبَاطِ قَدْ فَاقَ الْوَرَى
كُدُمِي الْكَنَائِسَ بَلْ كُظْبِي كَنَاسَةً
ظَامِي النِّطَاقِ بِكَادٍ يُرْجِعُ لِي الصَّبَا
يَا صَاحِ دَاوُودَ بِذِكْرِهِ دَاءَ الْهَوَى
/ ٨٤ب / وَأَنْقَعْ بَرِيقَتَهُ الْغَلِيلَ فَرَشْفَهَا
إِنِّي لِيُطِيرِبُنِي الْمَلَامُ بِذِكْرِهِ

إِسْعَافَهُ بَتَصْبُرَ لَمْ يُسْعِفْ
وَتَسَلَّ عَنْهُ لَعَلَّ نَارَكَ تَنْطَفِي
نَيْلَ الْمُنَى وَالْأَمْنُ بَعْدَ تَحَوُّفِ
حُسْنًا تَدَاوَلَ إِرْثُهُ مِنْ يُوسُفَ
يَرْنُو بِطَرْفِ كَالْحُسَامِ الْمُرْهَفِ
ضَمِّي لَدَيْكَ الْقَوَامَ الْأَهْيَفِ
فَهُوَ الشِّفَاءُ لِمُسْتَهَامٍ مُدْنَفِ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ السُّلَافِ الْقَرْقَفِ
فَلْيَكْثِرَنَّ لَوَمِي عَلَيْهِ مُعْنَفِي

ومما كتبه إلى الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر محمد بن غازي بن يوسف بن

أيوب - رحمه الله تعالى - : [من الكامل]

بِالله يَا رِيحَ الشَّمَالِ تَحْمَلِي
وَصَفِي لَهُ مَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ الْعَدَا
وَاهَا لِمَنْ أَخْنَى عَلَيْهِ زَمَانُهُ
وَسَقَاهُ نَكْتُ الْمُعْتَدِينَ وَسَعِيَهُمْ
يَا مَالِكَ الشُّهْبَاءِ يَا مَنْ جُودُهُ
يَا طُودَ حُلُمِ رَاسَخَا هَضْبَاتُهُ
يَا دَوْحَةَ النَّعْمِ الَّتِي كُلُّ الْوَرَى
يَا ابْنَ الَّذِي آيَاتُ سِيرَةِ عَدْلِهِ
/ ٨٥أ / يَا ابْنَ الَّذِي بَيْنَ الْأَنَامِ صِفَاتُهُ
يَا ابْنَ الَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ صَبَائِعًا
يَا ابْنَ الَّذِي مَازَلْتُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
لَهْفِي عَلَى زَمَنٍ مَضَى فِي ظَلِّهِ
فَلَا بَكِينَ عَلَى زَمَانٍ سَعَادَةٍ
لَهْفِي عَلَيْهِ فَلَوْ يَدُومُ صَفَاؤُهُ
أَنْتَى أَضَامُ وَأَنْتَ دُخْرِي فِي الدُّنَى

قَصَصِي إِلَى الْمَلِكِ الْعَزِيزِ الْمُجْمَلِ
وَسَلِيهِ كَشَفَ قَضِيَّتِي وَتَرَسَّلِي
وَكَسَاهُ بَعْدَ الْعَزْثُوبِ تَذَلُّلِ
كَأْسًا مَذَاقَتَهَا كَطْعَمِ الْحَنْظَلِ
ذُخْرُ الْفَتَى الْعَافِي وَكُنْزُ الْمُرْمَلِ
تَسْمُو عَلَى هَامِ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ
يَتَفَيَّأُونَ بِظِلِّهَا الْمُسْتَكْمَلِ
تُتْلَى كَأَيَّاتِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
عَطْرِيبَةُ النَّفَحَاتِ مِثْلُ الْمَنْدَلِ
جَلَّتْ فَلَمْ تُحْصَرَ وَلَمْ تُثْقَلْ
فِي نِعْمَةٍ جَلَبُهَا لَمْ يَسْمَلِ
لَوْ دَامَ لَمْ أُمَقِّتْ وَلَمْ أُسْتَبَدَلِ
كَانَتْ بِهِ قَمَضْتُ وَلَمْ تُسْتَقْبَلِ
مَا كُنْتُ عَنْ نَيْلِ الْمُرَادِ بِمَعَزَلِ
أَوْ أَنْ أَهَانَ وَفِي حِمَاكَ تَقِيلِي

أُضْحَىٰ وَظُلُّكَ سَابِعٌ وَيَمْسُنِي
 أَيْجُوزٌ أَنْ أَتِي إِلَيْكَ مُجَمَّلاً
 وَتَرْوَحَ غَلْمَانِي وَأَرْجِعَ خَائِباً
 وَأَيِّنَّعَ مَوْجُودِي وَأَرْحَلَ عَنْكُمُ
 فَلَقَدْ حُرِّمْتُ لَدَيْكَ مَا أَمَلْتُهُ
 إِنْ كَانَ حَظِّي نَاقِصاً مِنْكُمْ كَمَا
 أَوْكُنْتُ عِنْدَكُمْ مُضَاعَافاً مُهْمَلاً
 / ٨٥ ب / فَعَسَاكَ تَسْمَحُ لِي بِرَدِّ أَخِيذَتِي
 أَنَا رَاحِلٌ فَإِذَا سُئِلْتُ عَنِ الَّذِي
 مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ أَيْجُمِّلُ بِي سَوَى
 فَلَا تُثَيِّنَنَّ عَلَيَّ الَّذِي تُؤَلِّيه مِنْ

ظَمًا وَجُودُكَ كَالْغُيُوثِ الْهَاطِلِ
 وَأَعُودُ عَنْكَ بِحَالَةٍ لَمْ تَجْمُلِ
 مِنْكُمْ وَكَانَ عَلَيَّ نَدَاكَ مُعُولِي
 صَفَرَ الْيَدَيْنِ مُشْتَتَاً عَنْ مَنَزَلِي
 دُونَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلِ
 شَاءَ الْعَدَا وَبَعُوا فَكَيْفَ تَحِيلِي
 نَسِيًّا فَعِنْدَ سَوَاكُم لَمْ أَهْمَلِ
 كَرَمًا بِرُغْمِ النَّكَثِ الْمُتَقَوِّلِ
 لَا قِيْتُ فِي حَلَبٍ وَمَا قَدْتُمْ لِي
 حُسْنَ الثَّنَاءِ إِذَا حَضَرْتُ بِمَحْفَلِ
 فَعِلِ الْجَمِيلِ سُئِلْتُ أَوْ لَمْ أُسْأَلِ

[٨٧٠]

نِهَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ نِهَانَ بْنِ بَهَّاجِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
 عَلِيٍّ، أَبُو الْيَقْظَانِ الْإِرْبَلِيُّ.

أخبرني أنه ولد سحرة يوم الإثنين عاشر محرّم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وأصله
 من الدور^(١)، من أبناء التجار المياسير بإربل، وأكبر بيت بها في الثروة وكثرة المال والعقار.

وهو رجل حسن الدّعاة، طيب الخلق ذو كياسة ودماثة، ونظم أشعاراً كثيرة، له في
 عملها بديهة حاضرة، ولما تغلب التتار على إربل في سنة أربع وثلاثين وستمائة، سافر إلى
 مدينة السلام، وخدم لبعض أمرائها متصرفاً؛ وهو بها مقيم. ورأيت به في سنة تسع وثلاثين
 وستمائة، وتركته حياً.

أنشدني لنفسه بإربل / ٨٦ أ / في سنة خمس وعشرين وستمائة، يمدح مالکها الفقير
 إلى الله تعالى أبا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين - رحمه الله تعالى - ويهنيه

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الدور).

بعافية من مرض ألمَّ به : [من البسيط]

يَا مَالِكًا فَاَقْ أَهْلَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
وَمَنْ لَهُ الْمُلْكُ إِرْثًا عَنْ أَبِي قَابٍ
حَاشَاكَ مَنْ عَارِضٌ يُطْرَأُ عَلَيْكَ وَمَنْ
وَيَا مَلِيكًا وَكُلُّ النَّاسِ يَرْهَبُهُ
بَحْرُ الْعَطَايَا وَبَدْرٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
لَكَ الْهَنَاءُ بِأَنْ عُوفِيَتْ يَا مَلِكًا
تَقْدِيرُكَ كُلُّ مُلُوكِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
عَلَى الْخُصُوصِ أَنَا أَفْدِيكَ مُجْتَهِدًا
خُذْهَا مَقَالَةً صَدَقَ لَا يُمَازِجُهَا
وَعَشَ عَلَى رُغْمٍ مَنْ يَشْنَاكَ فِي دَعَا
يَسْعَى بِأَمْرِكَ صَرْفُ الدَّهْرِ مُمْتَثَلًا

٨٦ب/ ونقلت من خطه شعره، ما كتبه إلى الأمير الكبير العالم الأصفهسلار ركن

الدين أبي شجاع أحمد بن قرطاي بن عبد الله الإربلي - أسعده الله تعالى - (١):

[من الوافر]

أَرْكَنَ الدِّينِ يَا مَسْؤُولَايَ يَا مَنْ
رَحَلْتَ فَكُنْتَ أَذْعُو كُلِّ يَوْمٍ
أصلها الكلاءة، وهو خطأ.

وَأَبْتَ فَرَاذَنِي فَرَحًا بَأَنِّي
وَمَنْ حُسْنُ الثَّنَاءِ بِكُلِّ مَغْنَى
وَبِي شَوْقٌ إِلَيْكَ وَفَرَطٌ وَجَدَ
وَمَا أَنَا مَنْ يُغَيِّرُهُ أَحْتِشَامٌ
وَلَا كُنْتُ الْوَضِيعَ فَرَقَعْتَنِي
فَأَنْتَ رَأَيْتَنِي وَسَمِعْتَ أَيْضًا
رَأَيْتَكَ بِالْإِحَاطَةِ وَالرَّعَايَةِ
أَقَمْتَ لِمَجْدِكَ الْمَحْرُوسَ رَأِيَهُ
تَجَاوَزَ وَصْفُهُ حَدَّ النَّهَائِيَةِ
وَلَا أَنَا مَنْ تُبْطِرُهُ الْوِلَايَةِ
وَلَا يَاتُ اتَّنَبِي بِالْعَنَائِيَةِ
بِحَالِي فِي الْبِدَائِيَةِ وَالنَّهَائِيَةِ

٨٧ / وَلَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ الْأَرْضِ طُرّاً
وَمَا أَنَا طَامِعٌ فِي أَرْمَغان
وَلَكِنْ أَنْتَ مَنْ مَلَكِلَ وَهَجَرَ
وَمَانَعِيَ التَّأَلُّمَ عَنْ وُصُولِي
إِلَى مَنْ أَشْتَكِي دَهْرِي وَمَادَا
فَلَا بَرَحَتْ سَعُودُكَ فِي ابْتِدَاءِ
أَرَانِي فِي الزَّرَاعَةِ وَالتَّنَايَةِ
وَمَنْ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَايَةِ
مَدَى الْأَيَّامِ تَعْمَلُ لِي حِمَايَةِ
وَبِي مَرَضٌ تَعْدِي كَمَلْ غَايَةِ
تُرَى يُجَدِّي التَّأَلُّمُ وَالشَّكَايَةِ
وَأَنْتَ مِنَ الْحَوَادِثِ فِي وَقَايَةِ

[٨٧١]

نَجْمُ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَجْمَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ
الوَاحِدِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ عَلِيٍّ [بْنِ] الْحَسَنِ، أَبُو الْعَلَاءِ بْنِ
الْحَنْبَلِيِّ.

من أهل دمشق ومن بيت مشهور بها .

شاهدته بإربل شاباً جميلاً وسيماً، يتعلق بخدمة الملكة ربيعة خاتون بنت أيوب بن
شاذي، ويتصرف لها في أملاكها المختصة بها بإربل . وله شعر يسير فيه ضعف، وربما أخذ
لشاعر نصف بيت من الشعر، فيبني عليه أبياتاً قريبة .

ومما أنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض الوجوه الرؤساء وأمله علي من لفظه وحفظه :

[من الطويل]

٨٧ ب / أَمُولَايَ عَزَّ الدِّينَ يَا مَنْ بِجُودِهِ
وَفَاقَ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ بَعْلَمَهُ
إِلَيْكَ أَشْتِيَاقِي لَا يَزَالُ مُبْرَحًا
فَهَلْ تَجْمَعُ الْأَيَّامُ شَمْلِي وَشَمْلَكُمْ
فَتَجْمَعُ مِنْهُ مَا تَفَرَّقَ أَوَّلًا
عَلَيْكَ سَلَامِي مَا شَدَا فَوْقَ ابْكَةِ
بَنَى الْمَجْدَ مِنْ دُونِ الْبَرَايَا وَشَيْدَا
فَأَصْبَحَ فِي جَمْعِ الْفَضَائِلِ أَوْحَدَا
عَظِيمًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُجَدَّدَا
عَلَى رُغْمِ آتَاةِ الْحَوَاسِدِ وَالْعَدَا
وَأَصْبَحَ مَنْ بَعْدَ التَّدَانِي مَبْدَدَا
حَمَامٌ وَمَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَمَا بَدَا

ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى عمِّ أبيه الناصح أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد

الوهاب الواعظ بن الحنبلي : [من البسيط]

هَبِ النَّسِيمَ فَأَهْدِي نَشْرُكُمُ سَحَرًا
لِلصَّبِّ حَقًّا وَسَيْفُ الصُّبْحِ مَا شُهِرَا

سَرَى عَلَى الرُّوضِ رَقْرَاقًا فَتَاهُ بِهِ
أَهَاجَ لِلصَّبِّ أَشْوَاقًا مُبَرِّحَةً
إِنْ تُنْكِرُوا فَرُطَ وَجْدِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
/ ٨٨ / يَا نَاصِحَ الدِّينِ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ وَمَنْ
لَوْ لَا نَدَاكَ وَأَنْوَارُ خُصَصْتَ بِهَا
أُحْيَيْتَ يَتِيمًا لَنَا فِي كُلِّ مَا وَطَنٍ
لَوْلَاكَ مَا جَلَّقُ تَاهَتْ عَلَى بَلَدٍ
وَأَصْبَحَ الرُّوضُ مِنْ أَنْفَاسِهِ عَطْرًا
فَبَانَ لِلخَلْقِ مَا أَخْفَى وَمَا سَتَرًا
فَسَائِلُوا طَيْفَكُمْ عَنِّي إِذَا حَضَرَا
رَبِّي لَهُ قَبْلُ أَنْ يُثْبِتَهُ قَدْ عَفَرَا
مَا كَانَ مَذْهَبَنَا فِي الْأَفْقِ قَدْ ظَهَرَ
بِالْجُودِ وَالْعِلْمِ مَنْ عَادَاكَ قَدْ كَفَرَا
وَمُبْصِرُ لِسْعَاعِ الشَّمْسِ مَا نَكِرَا

[٨٧٢]

نَدَى بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الْمَصْرِيِّ^(١).

أنشدني الصاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه
الحنفي بحلب - أيده الله تعالى - قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الخضر

(١) ترجمته في : التكملة للمنزري ١٣٨/٢ - ١٣٩ رقم ١٠٣٠ وفيه : «نَدَى بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَنْعُوتِ بِالرُّضِيِّ، الشَّيْخِ الْفَقِيهِ، أَبُو الْجُودِ، تُوْفِيَ بِالْقَاهِرَةِ فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْحَنْفِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِهِمْ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ».

تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - وتقدم فيه - ورحل إلى الإسكندرية فسمع بها من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، وأبي الضياء بدر بن محمد بن عبد الرحمن بن منصور الحضرمي، وأبي المفضل عبد المجيد بن الحسين بن دليل وغيرهم. وسمع بمكة - شرفها الله تعالى - من المنتجب أبي الحسن علي بن الحسن الريحاني المكي. وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن علي الرحي، وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد الكاملي، وأبي عمرو عثمان بن فرج بن سعيد العبدري، وأبي الطاهر اسماعيل بن قاسم الزيات. وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السبي، وشيخ الشيوخ أبي القاسم عبد الرحيم بن أبي البركات بن أبي سعد الصوفي، والعلامة أبي محمد عبد الله بن بري النحوي، وأبي الغنائم المسلم بن مكي، وخلف بن علان القيسي، وأبي محمد عبد الله بن سعد الله البجلي، وأبي الحسن علي بن أحمد الحديثي، وأبي القاسم هبة الله بن علي الكاتب، والزوجين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا، وفاطمة بنت سعد الخير، وأبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد وجماعة كثيرة من أهل البلد والقادمين عليها.

ودرس بمدرسة السيوفيين بالقاهرة مدة، وحدث وجمع.

ترجمته في : تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ١٦٦ رقم ٢١٩. المشتبه/ الورقة ٦٣. توضيح المشتبه ٤٠٠/١ وفيه : «ندا» بالألف الممدودة.

الحليبي الفقيه الحنفي، قال: أنشدني ندى بن عبد الغني بن علي بمصر لنفسه:

[من الطويل]

عَلَى أَيِّ وَجْهِ ابْتَغَيْ شُكْرَ فَاضِلٍ جَمِيعَ نَهَائِيَاتِ الْمَكَارِمِ حَائِزُ
إِذَا مَا شَكَرْتُ الْفَضْلَ مِنْهُ يَقُولُ لِي فَضَائِلُ لَمْ أَشْعُرْ بِهَا أَنْتَ عَاجِزُ

[٨٧٣]

نعمه بن يوسف بن بركات أبو الفضل الأنصاري الدمشقي،
المعروف بالباقة.

أنشدني / ٨٨ب / الشيخ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي الآدمي

بحلب، قال: أنشدني الباقة لنفسه: [من الكامل]

وَمَرِيضَةَ الْأَجْفَانِ تَفْعَلُ فِي الْحَشَا مَا لَيْسَ يَفْعَلُ مِثْلَهُ السَّحَرُ
حَسَنَتْ خَلَاتُهَا وَخَلَقَتْهَا فَعَنَّا لِبَهْجَةٍ وَجْهَهَا الْبَدْرُ
عَثَرَ الصَّبَاحُ بِصُدْغٍ لَيْلَتِهَا وَآتَى عَلَى شَفَقٍ لَهَا الْفَجْرُ

[٨٧٤]

نما بن الخوجستاني.

من أهل دُيُوسَر.

كان فيه أدب، ويقول شعراً صالحاً. وكان معلّم الصبيان بماردين.

أنشدني من شعره الأمير شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلبي

بها، وكتبه لي بخط يده - أيده الله تعالى - : [من مجزوء الكامل]

يَا عَبْرَتِي فِيضِي وَيَا نَفْسِي مِنَ الْعَبَرَاتِ فِظِي^(١)
أُضْحَى الزَّمَانَ مُعَانِدِي وَغَدًا تَصْرُفُهُ مَغِظِي
لَوْ قِيلَ مَنْ هَذَا الَّذِي أَعْرَبْتُ عَنْ قَلْبِ حَفِظِ
مَنْ لَيْسَ بِالنُّكْسِ الدَّنْ سِي وَلَيْسَ بِالْفِظِ الْغَلِظِ

(١) فيضي: من الفيضان، فيظي: تفسر هنا، موتي، من الموت.

مَنْ خَطَّاهُ فَوْقَ الْخُطْوِ طِ وَحَظَّاهُ تَحْتَ الْحُطْوِ

[٨٧٥]

نُوحُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الدَّمَشْقِيُّ.

كان والده رجلاً يهودياً متصرفاً في خدمة ميمون القصري، فأنعم الله عليه بالإسلام - وكانت ولادة نوح سنة سبع وثمانين وخمسمائة بدمشق، ونشأ وتآدب وخدم في الأعمال الديوانية بحلب، متصرفاً للأمراء.

وكان من أسمح الناس أخلاقاً، وأطيبهم معاشرة، وألطفهم حاشية، وأقدرهم على قول الشعر، وأسرعهم في نظمه بديهة. وكان يقول الشعر طبعاً، ولم يكن خبيراً بصناعته ومعانيه ومعرفته، ولمحت في أشعاره لحناً واضطراباً، ولم يزل مقيماً بحلب إلى أن توفي بها في سنة خمس وثلاثين وستمائة، ودفن بمقابر الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه - في تربة معروفة بناصر الدين أبي بكر بن ميمون القصري - رحمه الله تعالى -.

أنشدني أبو الفوارس جهبل بن محمد بن طاهر بن نصر الله بن جهبل القرظي الكلابي الحلبي بها في رمضان سنة تسع وأربعين وستمائة، قال / ٨٩ب / أنشدني نوح بن أبي الفضل الدمشقي لنفسه، في غلام كان يهواه - يعتريه الصرع -:

[من الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ أَضْحَى مِنَ الْجَنِّ خَائِفًا وَقَدْ كَانَ مِنْ رَيْبِ الْحَوَادِثِ فِي أَمْنٍ
أَلَمْ يَكْفِ مَا فِي حُبِّهِ مِنْ مُشَارِكٍ مِنَ الْأَنْسِ حَتَّى أَزْدَدَتْ قَوْمًا مِنَ الْجَنِّ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ حُسْنِهِ دَعَاهُمْ فَلَبُّوا خَائِفِينَ مِنَ السَّجَنِ
جُنِنْتُ بِهِ عَمْدًا وَأَعْدَيْتُهُمْ بِمَا جُنِنْتُ فَأَصْبَحْنَا شَرِيكِينَ فِي فَنِّ

وقال من قصيدة طويلة أولها: [من الكامل]

قَدِمَ الرَّيِّعُ فَفَاحَ طِينًا نَشْرُهُ لَمَّا تَأَرَّجَ فِي رِيَاضِ عَطْرُهُ
وَوَشَّتْ عَلَى أَنْهَارِهِ رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا فَهَتَّكَ بَعْدَ سَتْرِ سِتْرُهُ
غَنَّتْ بِلَابِلُهُ لِرَقْصِ غُصُونِهِ طَرِبًا وَصَفَّقَ بِالتَّدْفُقِ نَهْرُهُ
فَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِ الرَّيِّعِ فَإِنَّهُ زَمَنٌ يَقُومُ بِهِ لِكُلِّ غُدْرُهُ

فِي وَجَنَةِ الرَّشَاءِ الْمُقَدَّى زَهْرُهُ
 أَسْ وَنُورُ الْأَفْحَوَانَةِ ثَغْرُهُ
 فَيْنَا وَلَكِنْ مِنْ رُضَابِ خَمْرِهِ
 وَلِدَائِهِ فِيهَا وَفِيهَا حُورُهُ
 فِي دَهْرِهِ مَا شَاعَ فَيْنَا ذِكْرُهُ
 أَلَمْ فَيَنْدَبْهُ بِسُحْرِ زَمْرِهِ
 لَيْلٌ وَلَكِنْ مِنْ جَيْنٍ بَذَرُهُ
 يَكْفِي مُحِبَّكَ مِنْ غَرَامِ سُكْرِهِ
 طَوَّعَ الْغَرَامِ وَقَدْ عَصَاهُ صَبْرُهُ

لَا حَاجَةَ لِي فِي الرَّيْبِ وَقَدْ بَدَى
 فَالْوَرْدُ مِنْ وَجَنَاتِهِ وَعَدَارُهُ
 / ١٩٠ / وَالْكَأْسُ تُغْرِقُ أَدَارَ مُدَامَةٍ
 فِي مَجْلِسِ جَنَاتِهِ قَدْ زُخِرَتْ
 وَمُلْحَنٌ لَوْ كَانَ عَاصِرَ مَعِيدٍ
 مَا زَالَ يُضْرَبُ عُودُهُ فَيَكُنْ مِنْ
 يَا أَيُّهَا الرَّشَاءُ الَّذِي فِي شَعْرِهِ
 نَقْصٌ كُؤُوسِكَ قَدْ سَكِرَتْ صَبَابَةٌ
 وَأَعْطَفَ عَلَى صَبِّ بِحَبِّكَ لَمْ يَزَلْ

وقال من أخرى: [من الطويل]

وَمَا أَنْتَ مِنْ قَتْلِي بِهِجْرِكَ فِي حَلٍّ
 أَمَّا لَكَ عَنِّي لَا أَمِيلُ إِلَيْ عَذَلٍ
 أَرَاكَ بِهِ تَرْضَى فِدْعَنِي مِنَ الْوَصَلِ
 عَلَيْكَ عَسَى أَنْ تُكْتَفَى وَفَقَةُ الدَّلِّ
 لَبِنْدِ قَبَاءِ عَادِ صَبْرِي فِي حَلٍّ
 لِحَاطِ لَهَا النِّجْلَاءُ بِالْأَعْيُنِ النُّجْلِ
 كَذَلِكَ بَذَرُ الدِّينِ عَارٍ مِنَ الْمَثَلِ

لِحَاطُكَ أَنْكِي فِي فُؤَادِي مِنَ النَّبْلِ
 وَإِنِّي وَإِنْ وَاشْ إِلَيْكَ بِزُورِهِ
 وَقَدْ لَذَلِي الْهَجْرَانُ مِنْكَ لَا نَنِي
 وَكُنْ رَاحِمًا لِي مِنْ وَفُوفِي بِذَلَّةِ
 فَأُقْسِمُ أَنِّي لَوْ رَأَيْتُكَ عَاقِدًا
 وَمُعْتَقَلِ رُمَحِ الْقَوَامِ سَنَائِهِ
 / ٩٠ ب / عَدَمْتُ بِوَجْدِي فِيهِ كُلِّ مُمَائِلِ

وقال من قصيدة أخرى مبدأها: [من الطويل]

وَهَلْ يَنْفَعُ الْإِنْكَارُ وَالسُّقْمُ شَاهِدُ
 وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْهُ فَهُوَ مُبَاعِدُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ أَنْ يُحِبَّ مُعَانِدُ
 سُودٌ لَا لِحَاطِ الطَّبَاءِ مَصَايِدُ
 وَمُسْتَأْنَسٌ لَكِنْ عَنِ الصَّبِّ شَارِدُ
 تُطَارِدُنِي أَفَاتُهُ وَأُطَارِدُ
 غَبِيٍّ وَأَمَّا نَاصِحٌ هُوَ حَاسِدُ
 سَافٍ وَإِنْ وَاسِيَّتُهُ فَهُوَ جَاحِدُ

أَهْلٌ بَعْدَ إِفْرَارِ الْمَدَامِ جَاحِدُ
 وَبِي رِشَاءٍ إِنْ رُمْتُ وَضَلًا يَصْدُنِي
 يُعَانِدُنِي طُؤُلُ الْمَدَى وَأَحْبُهُ
 تَصِيدُ قَلْبِي بِاللِّحَاطِ وَفِي الْهَوَى الْأُ
 نُفُورٌ وَلَكِنْ ذَاكَ فِي الطَّبْيِ عَادَةٌ
 وَمَا زِلْتُ فِي حَرْبٍ مَعَ الدَّهْرِ تَارَةٌ
 وَلَمْ أَلْقَ فِيهِ غَيْرَ خَلٍّ مُمَالِقِ
 فَتَى إِنْ مَنَعْتَ الرَّفْدَ عَنْهُ يَسِينِي أَعْدُ

صَبَرْتُ عَلَى حَمْلِ الشَّدَائِدِ مُكْرَهًا وَمِثْلِي مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ

وقال أيضاً من قصيدة أخرى: [من الخفيف]

١٩١/ أَسْكَرْتَنَا شَمَائِلُ لَاشْمُوْلُ رَشَا سَلَّ مِنْ لِحَاطِ سِيُوفًا
طَافَ فِينَا بِهَِا الْغَزَالُ الْكَحِيْلُ مُنْكَرٌ قَتَلْتِي وَفِي صَحْنِ خَدَيْهِ
أَنَا دُونَ السَّوَرَى بِهَِا مَقْتُوْلُ شَرْعُهُ لَا يُقَادُ فِي الْحُبِّ صَبَّ
شَهِيدٌ بِهَِا دَمِي الْمَطْلُوْلُ إِنْ بَدَا طَالِعًا فَبَدْرٌ تَبَدَّى
وَلَهُ مِنْ جَمَالٍ وَجْهٌ دَلِيْلُ رَشَا خَصْرُهُ ضَعِيفٌ وَلَكِنْ
أَوْ تَشَّى فُغْضَنَ بَانَ يَمِيْلُ خُنْتُ فِيهِ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ عَدُوْلِي
حَمْلُهُ رَدْفُهُ الْكَثِيْبُ الْمَهِيْلُ لَا يَمَلُّ الْغَرَامُ قَلْبِي لِأَنِّي
وَمِنْ الْحَزْمِ أَنْ يُخَانَ الْعَدُوْلُ يَا زَمَانِي إِنْ كَانَ قَصْدُكَ مِنِّي
كَارُهُ أَنْ يُقَالَ: قَلْبٌ مَلْسُوْلُ كَلَّمَا رُمْتُ فِي الْمَعَالِي نُهُوضًا
رَدَّتِي حَاسِدٌ وَضَدَّ جَهُوْلُ قَدْ قَتَلْتُ الزَّمَانَ خُبْرًا إِلَى أَنْ
فِي عَنَادٍ فَإِنْ قَلْبِي حَمُوْلُ فِعْزُ السَّدَائِلِ بَعْدَ انْكَسَارِ
رَدَّتِي حَاسِدٌ وَضَدَّ جَهُوْلُ وَلَقَدْ سَقْتُ فِي الْفِيَا فِي قُلُوصًا
صَحَّ عِنْدِي عَادَاتُهُ التَّبْدِيْلُ أَقْطَعُ الْيَدَ بِالْمَسِيرِ لِعِلْمِي
وَيُرِيكَ الْعَزِيْزَ وَهُوَ ذَلِيْلُ ٩١ب/ مَا تَرَى الْعُودَ إِنْ جَفَا فِيهِ طِيْبُ
سَيْرُهَا فِي الْفَلَاةِ سَيْرٌ ذَمِيْلُ

وقال أيضاً من قصيدة أولها: [من البسيط]

إِيْهِ حَدِيْثُكَ عَنْ سَكَّانِ نَعْمَانَ فَمَنْ حَدِيْثُكَ قَدْ هَيَّجَتْ أَشْجَانِي
كَرَّرْ عَلَيَّ أَحَادِيْثًا تُذَكِّرُنِي أَمَامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الْقُرْبِ يَنَانِي
نَجَلُ النَّصَارَى إِلَى التَّوْحِيدِ يُرْشِدُنِي لِأَنَّهُ مَالَهُ فِي الْحُسْنِ مِنْ ثَانِي
فَاعْجَبْ لِمَنْ دِيْنُهُ التَّوْحِيدُ كَيْفَ عَدَا يَضِلُّ لَوْلَا هُدَاهُ حُبُّ نَصْرَانِي
دَقِيقُ خَصْرِ فَلَيْسَ الطَّرْفُ يُدْرِكُهُ مِنْ رَقَّةٍ قَدْ حَكَى دِيْنِي وَإِيْمَانِي
لَمْ أَنْسَهُ إِذْ أَتَانِي لِأَسَا حُلَلِ السَّ وَادٍ حَامِلٍ إِنْجِيْلٍ وَصَلْبَانِ
يَتَلَوُّ زُبُورًا فَلَوْ دَاوُدُ يَسْمَعُهَا مَلَحْنًا، قَالَ: هَذَا بَعْضُ الْحَانِي
عَدَا يُقَرِّبُ قُرْبَانًا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا كُنْتُ بَائِعَ تَقْرِيْبٍ بِقُرْبَانِ

عَلَى النَّدَامَىٰ فَحَيَاهُمْ وَحَيَانِي
حَاشَاكَ يُجْمَعُ لِي مَا بَيْنَ سُكْرَانِ
عَنْكَ التَّمَادِي فِي صَدِّي وَهَجْرَانِي
إِلَى أَمِيرٍ لَهُ أَخْلَاقُ سُلْطَانِ

وَقَامَ يَسْعَىٰ بِكَاسِ الْخَمْرِ فِي يَدِهِ
فَقُلْتُ: دَعْنِي فَإِنِّي قَدْ سَكَرْتُ هَوَىٰ
وَاللَّهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي رَاحِمًا وَتَدَعِ
/ ٩٢ / لَا شُكُونَ الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدِ

وقال يمدح الأمير بدر الدين أيدير بن عبد الله الوالي: [من الكامل]

وَبِمَثَلِ صَدِّكَ تَظْهَرُ الْأَسْرَارُ
أَبْدًا وَفِي سَقَمِي لَهُ إِضْمَارُ
فِي عَشْقِهِ بَعْدَارُهُ أَعْدَارُ
وَالْوَصْلُ يَعْقِبُهُ بِهِ أَوْزَارُ
أَبْدًا عَلَيْهِ فِي الْوَرَىٰ أَنْصَارُ
مُذْ شُدَّ فِي وَسْطِ لَهُ زُنَارُ
تَثْلِيثُ أَضْدَادِي بِهِ فَأَعَارُ
وَالشَّرْكَ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ عَارُ
وَالطَّبِيُّ عَادَتْهُ قُلُوبُ وَنَفَارُ
إِلَّا الْأَمِيرُ وَفِي حَمَاهُ أَجَارُ
مَنْ خَوْفُهُ الْأَعْدَاءُ وَالْكَفَّارُ
وَعَلَى الزَّمَانِ جَلَالُهُ وَوَقَارُ
وَبِمَثَلِ وَصْفِكَ تَحْسُنُ الْأَشْعَارُ
غَيْثُكَ عَلَى أَمَانِنَا مَدْرَارُ
بُضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَىٰ أَنْوَارُ
طَوَّلَ الزَّمَانَ مَعَ النَّهَارِ نَهَارُ
وَبِمَثَلِ فَعْلِكَ تَحْسُنُ الْأَثَارُ
أَبْدًا بِهَِا تُسْتَصْغَرُ الْأَخْبَارُ
بِالْأَذْيَةِ دَائِمًا أَمْطَارُ
لَمَّا قَدِمْتَ فُحِّلَ الْإِفْطَارُ

فِي مَثَلِ حُبِّكَ تُهْتَكُ الْأَسْتَارُ
كَمْ جَهْدَ قَلْبٍ سَاتَرَ أَسْرَ الْهَوَىٰ
يَا عَاذَلِي قُلِّ الْمَلَامُ فَإِنَّ لِي
طَبِيٍّ يَرَىٰ أَنَّ الصُّدُودَ مَثَابَةَ
نَجْلِ النَّصَارَىٰ لَيْسَ لِي فِي حُبِّهِ
قَدْ حَلَّ صَبْرِي فِي هَوَاهُ صَبَابَةَ
أَبْدًا أَوْحَدَ حُبِّهِ وَارَاهُ فِي
لَا أَرْضِي فِي حُبِّهِ بِمُشَارِكِ
طَبِيٍّ نَفُورٌ لَا يَمِيلُ لِعَاشِقٍ
مَا لِي مُجِيرٌ مِنْ عُقُوبَةِ صَدِّهِ
مَوْلَايَ بَدْرُ الدِّينِ مَنْ دَانَتْ لَهُ
/ ٩٢ ب / نَدَبٌ بِهِ لِلدَّهْرِ أَعْظَمُ رَوْنَقِ
لِلشَّعْرِ فِيكَ طَلَاوَةٌ وَمَلَا حَقَّةُ
يَا أَبْهَا الْبَحْرِ الَّذِي فِي كَفِّهِ
لَمَّا قَدِمْتَ اللَّاذِقِيَّةُ أَشْرَقَتْ
نَسَخَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَىٰ
أَثَرَتْ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ مَحَاسِنَا
أَخْبَارُ جُودِكَ دَائِمٌ بَيْنَ الْوَرَىٰ
وَالْغَيْثُ أَنْتَ قَمَدٌ حَلَلْتَ تَدَافَقَتْ
فَتَهَنَّ صَوْمًا أَنْتَ فِيهِ عِيدُنَا

ومنها يمدح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف: [من الكامل]

حَصَلْتُ عَلَيَّ مِنَ الْعَزِيزِ مُحَمَّدٍ	نَعَمْ فَسُحِبْ نَوَالَهُنَّ غَزَارُ
وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُ سَيِّدِي	لَلْعَبْدِ عِنْدَ مَلِيكِنَا تَذْكَارُ
فَكَسَوْتَنِي خَلْعَ الْفَخَّارِ تَكْرُمًا	عِنْدَ الْمُلُوكِ وَحَبَّ ذَاكَ فَخَارُ
لَا زَالَتِ الْأَفْلَاقُ طَوْعَكَ دَائِمًا	تَجْرِي بِمَا تَخْتَارُهُ الْأَقْدَارُ

حرف الهاء

ذكر من اسمه هاشم

[٨٧٦]

هاشمُ بنُ حبيب، أبو الوليد، الأديبُ الفقيهُ النحويُّ الخطيبُ
المقرئُ الزاهدُ البيهقي.

ينسب إلى بيهقي وهي قلعة حصينة من أعمال غرناطة^(١).

كان أبو الوليد يتولّى خطابتها. وكان رجلاً من خيار عباد الله الصالحين، وأوليائه
الأبرار العاملين، قارئاً للقرآن الكريم، كثير التلاوة له، زاهداً متعبداً متفناً في كل فضل فيها
بالعلوم الدينية والأدبية، لا يقعد عن شيء منها، بل يقوم بها أحسن قيام. وكان قد تصدّر
لقراءتها وإفادتها، والناس يغشونه ويأتون إليه، ويقرأون عليه، ويستفيدون منه، ويأخذون
عنه، فتخرج به خلق كثير.

وكان له - مع ذلك - النصيب الوافر، والحظ الوافي في قرض الشعر، وقال منه
قصائد مطوّلات، ومقاطيع مستحسنات ومات مقتولاً.

/٩٣ب/ استشهد على أيدي الفرنج في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - رضي الله

عنه -.

أنشدني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي البيهقي المقرئ بحلب
المحروسة، في سنة ثمان وأربعين وستمائة، قال: أنشدني الشيخ الأستاذ الزاهد أبو الوليد
هاشم بن حبيب البيهقي لنفسه من قصيدة أولها: [من الكامل]

بَانَ الْخَلِيطُ وَزَوْدُوكَ غَرَامًا فَأَبْتُ جُفُونُكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامًا
وَحَشَوُا فَوَادَكَ لَوْعَةً لَا تَقْضِي وَنَاوَا بِصَبْرِكَ ظَاعِنِينَ ظَلَامًا

ومنها:

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (غرناطة).

نَادَيْتُ دَارَهُمْ أَدَارُ الْكَمْ تَزَلْ أَلْقَىٰ بِهَا الْغَزْلَانِ وَالْأَرَامَا
يَا مَعْهَدَ اللَّذَاتِ يَا مَلْقَىٰ الْمُنَىٰ كُنْتُ الشَّقَاءَ فَقَدْ رَجَعْتُ سَقَامَا
يُيَكِّي حَمَامَ الْأَيْكَ طُولَ حَيْنِهِ وَلَرَبَّ مُشْتَاقٍ يَهِيْجُ حَمَامَا
وله أشعار كثيرة، إلا أنني لم يقع إلي شيء منها غير [ما] أثبتته.

[٨٧٧]

هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مندو، أبو الفضل
الإربلي.

أخبرني أنه ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

وكان يكتب الطغرة لمليكيها الفقير إلى الله تعالى أبي سعيد كوكبوري بن علي بن
بكتكين - رحمه الله - ونال عنده تمكناً ووجاهةً. وكان قبل اتصاله به مُملقاً جداً فحين اتصل
به أثرى وكثرت أمواله، وأقبلت عليه الدنيا، وصار ذا ثروة وافرة، ونعمة واسعة، ولم ينله
في حال خدمته سوءٌ، ولا وصله مكروه، على أن أبا سعيد كوكبوري بن علي كان كثير
المصادرات لأرباب الولايات، ومتصرفي الدواوين. وذلك لقوة جد هاشم وسعادته.

وكان رجلاً عامياً جاهلاً بكل شيء، كثير الغلط في كتبه التي كان يكتبها، قل أن كتب
كتاباً إلا ويظهر فيه لحنٌ وغلط.

وكنت أجتمع به بإربل كثيراً، وسافر إلى بغداد حين دخلها التتار - خذلهم الله تعالى -
/ ٩٤٤ ب / في سنة أربع وثلاثين وستمائة، ثم لقيت به ببغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة؛ وهو
يتصرف لبعض أمرائها. وكان يزعم أنه يعمل الشعر.

أنشدني لنفسه بإربل ما كتبه إلى الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن شماس
الإربلي - رحمه الله تعالى^(١) - : [من البسيط]

شَوْقاً وَإِنْ دَنَّتِ الْأَحْبَابُ وَالْدَّارُ وَأَضْلَعُ حَشْوَهَا هَمٌّ وَأَفْكَارُ

وَأَدْمَعُ مُسْتَهْلَاتٌ عَلَيْكَ وَلِيٍّ
مَا حِيلَتِي يَا عَدُوْلِي لَا تُلَحْ فَقَدْ
إِلَى لَقَائِكَ آمَالٌ وَأَوْطَارُ
تَهْتَكْتَ فِيهِ أَعْرَاضُ وَأَسْتَارُ

ومنها:

مَا لِلْعِيُونِ إِذَا مَا أَظْهَرْتَ أَحَدُ
مَوْلَى إِذَا أَمَحَلَّتْ أَرْضٌ وَحَلَّ بِهَا
غَيْرُ الْوَزِيرِ جَلَالُ الدِّينِ سَتَّارُ
رَبْتُ كَأَنَّ نَدَى كَفَيْهِ أَمْطَارُ

وأشندني أيضاً لنفسه ما كتبه إلى الأمير الكبير ركن الدين أبي شجاع / ٩٥ / أحمد بن

قرطايا الإربلي - أسعده الله تعالى^(١) -: [من الكامل]

مَوْلَايَ رُكْنَ الدِّينِ إِنْ مَطَيْتِي
فَكَشَفْتُ مِنْ خُمُرِ الْقَرِيحَةِ أَبْغْيَى
مَازَلْتُ أَطْلُبُ فِي الرِّجَالِ مُحَمَّدًا
حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّيْهِمَا فِي وَاحِدٍ
وَقَفْتُ بِبَابِكَ تَبْتَغِي الْمَقْصُودَا
مَدْحًا فَحَلَلْتُ عَقْدَةً وَبُنُودَا
أَوْ أَحْمَدًا نُمُضِي إِلَيْهِ الْقُودَا
لَمَّا رَأَيْتُكَ أَحْمَدًا مُحْمُودَا

وكتب إليه أبو المجد أسعد بن إبراهيم الإربلي النشابي الكاتب^(٢) يعاتبه:

[من الطويل]

وَكَيْفَ أَحْتَيَالِي فِيكَ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَيَّ
وَلَسْتُ بِخَدَاعٍ وَلَا إِنْ جَرَى عَلَيَّ
وَفِيكَ خَلَالٌ لَا تَلِيْقُ صَفَاتُهَا
تَوْهَمٌ مَا تَتَوْنِيهِ وَالْخُبْتُ وَالرِّيَا
فَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يَتَّقِي مِنْ مَخَافَةٍ
/ ٩٥ ب / وَلَا لَكَ فَعْلٌ فِي الْمَكَارِمِ يُرْتَجَى
وَلَا لَكَ عِلْمٌ يُسْتَفَادُ وَلَا نَدَى
وَمَا زِلْتُ أُولِيكَ الْوَدَادَ وَأَعْتَدِي
وَهَذَا عِتَابِي وَالْعِتَابُ طَرَائِقُ
وَدَادَكَ إِلَّا بِالْخُدَاعِ طَرِيقُ
لِسَانِي قَوْلٌ كَانَ فِيهِ خُلُوقُ
وَأَنَّكَ بِالْعَتَبِ الْمُمَضِّ خَلِيقُ
بَصْدِكَ أَنْ يَصْفُو لَدَيْكَ صَدِيقُ
وَلَا مُحْسِنٌ تَزْكُو لَدَيْهِ حُقُوقُ
وَلَا لَكَ وَجْهٌ بِالْوَفَاءِ طَلِيقُ
فَهَذَا الَّذِي تُبْدِيهِ كَيْفَ يَلِيقُ
وَقَلْبِي عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ شَفِيقُ
وَمَعْنَى عِتَابِي إِنْ فَهِمْتَ دَقِيقُ

وأنفذها إليه في رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة، فكتب هاشم بن عبد السلام

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٠٢ .

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٤٧ .

جوابها على رويها ووزنها بهذه الأبيات : [من الطويل]

رُوَيْدَكَ مَا سَادَ الْكَرَامُ أَوْ لَوْ النُّهَى
وَلَا أَنَا مَمَّنْ يَجْهَلُ النَّاسَ حَالَتِي
تَعَرَّضْتُ بِي فَاغْدُدْ لِعَرْضِكَ سِتْرَةً
وَقَدَّرْتَ أَنِّي جَاهِلٌ بِكَ تَغْتَدِي
وَأُوْهَمْتَ أَنَّ النَّاسَ غَرٌّ وَجَاهِلٌ
/ ١٩٦ / وَلَمْ تَذَرِ أَنِّي حَيَّةٌ لَكَ كَلَمًا
مَتَى أَعْتَلَقْتُ كَفِّي بِوَدِّكَ سَاعَةً
مَتَى عَلِمْتُ مِنْكَ الْمُصَافَاةَ لَأَمْرِي
وَكَمْ غَرٌّ مِنْ صَافَاكَ لَمْعُ سَرَابِهِ
إِذَا اسْتَوَتْ الْأَقْدَامُ فَالْحُكْمُ بَاطِلٌ
بِهَجْوٍ وَلَا سَبُّ الرِّجَالِ يَلِيقُ
وَلَا أَنَا مَمَّنْ لَا يُقَالُ صَدِيقُ
مَنْ الصَّمْتُ وَاحْدَرُ أَنْ تَلُوحَ بُرُوقُ
وَعَرْضُكَ مَنْ لَدَغَ الْهَجَاءَ طَلِيقُ
بِمَا أَنْتَ فِيهِ مَا عَلَيْكَ طَرِيقُ
تَعَرَّضْ وَأَشْ أَوْ يَقُولُ صَدِيقُ
مَنْ الدَّهْرُ أَوْلَى مِنْكَ قَطُّ وَثُوقُ
يَسُودُكَ إِلَّا غَدْرَةٌ وَعُقُوقُ
وَكَمْ مِنْ سَرَابٍ غَرٌّ مِنْهُ بَرِيقُ
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَقَّ مِنْكَ زَهُوقُ

[٨٧٨]

هاشم بن محمد بن هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم،
أبو طاهر بن أبي عبد الرحمن الأسدي.

من أهل حلب وبيت الخطابة والعلم والرواية وأبناء الخطباء أبوه وجدّه وأعمامه . كل
كان خطيباً يخطب على منبر حلب .

وأبو طاهر هذا شاب جميل كيس أحمر اللون طويل من الرجال حافظ للقرآن العزيز،
له عناية بقول الشعر، يعمل منه المقطعات . وفيه فضل حسن وأدب جيد إلا أنه مبخوس
الحظ من أبناء زمانه ، ولم يزل شاكياً منه ومن صروفه عليه .

أخبرني أنه كان مولده بحلب في العشرين من ذي الحجة سنة إثنين وتسعين / ٩٦ ب/
وخمسمائة .

ومما أنشدني لنفسه : [من السريع]

يَا سَادَةً مَلَكْتُهُمْ مُهَجَّتِي
وَهَلْ لَأَيَّامِي الَّتِي مَذَحَلَّتْ
أَحْبَابَنَا لَا وَزَمَانَ مَضَى
هَلْ لِي إِلَى وَصْلِكُمْ مِنْ وَصُولِ
بِكُمْ خَلَّتْ مِنْ عَوْدَةٍ بِالْمُلُوكِ
بِوَصْلِكُمْ لَا كُنْتُ مِمَّنْ يَحُولُ

بِتُّهُمْ وَخَلَقْتُمْ مُعَنَّاكُمْ يَنْدُبُ مَغْنَاكُمْ وَيَكِي الطُّلُولُ
نَعَمْ وَمَغْنَاكُمْ وَمَاوَاكُمْ قَلْبُ مُعْنَى كَمْ بِكُمْ لَا يَزُولُ
وَاحْرَبَا جَارُوا وَلَا ذَنْبَ لِي وَعَذَّبُوا قَلْبِي الْمَعْنَى الْحُمُولُ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمْ مُذْنَاوَا عَنْ نَاطِرِي فِي وَسْطِ قَلْبِي نُزُولُ

ومنها:

يَا مَنْ أَعَارَ الْغُصْنَ قَدْ إِذَا مَاسَ بِهِ أَذْهَلَ كُلَّ الْعُقُولُ
كَمْ حُرِّمَ الْوَصْلُ كَمَا تَرَجَّمَ أَلْ حُسْنُ عَلَى خَدَيْكَ أَنْ لَا وَصُولُ

وأنشدني أيضاً لنفسه يتغزل: [من الخفيف]

يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ يَا مَنْ إِذَا [مَا] مَاسَ أَزْرَى بِالذَّابِلِ الْخَطَّارِ
/ ١٩٧ / وَرَدَّ خَدَيْكَ قَدْ كَسَانِي سُقْمًا إِذْ تَبَدَّى مِنْ تَحْتَ آسِ الْعِدَارِ
فِيكَ مَعْنَى مِنَ الْعَرَالِ وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا كُنْتُ مُوَلَّعًا بِالنِّقَارِ

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين ركن الإسلام
والمسلمين أبا المظفر يوسف بن محمد بن غازي - أدام الله دولته :-

[من الكامل]

قَسَمًا بِسُحْرِ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ وَبِغُصْنِ بَانَ قَوَامِكَ الْفَتَانِ
إِنِّي كَتَيْبٌ لَا أُفِيقُ مِنَ الْجَوَى مُتَمَلِّمٌ مِنْ خَيْفَةِ الْهَجْرَانِ
مَنْ لِي بِظُبِّي قَدْ أَصَابَ مَقَاتِلِي يُسْبَى بِسُحْرِ لِحَاطِهِ الثَّقَلَانِ
هَجْرَانُهُ إِنْ دَامَ مُتٌ بِحُسْرَتِي وَوَصَالُهُ إِنْ عَادَ لِي أَحْيَانِي
مَلِكُ الْقُلُوبِ بِلَحْظِهِ وَبِلَفْظِهِ فَلِذَاكَ قَلْبِي فِي يَدَيْهِ عَانِي

ومنها:

/ ٩٧ب / أَحْبَابُنَا رَحَلُوا وَوَأَصَلَ بَعْدَهُمْ وَجَدِي كَمَا جَفَتِ الْكَرَى أَجْفَانِي
فَرَضُوا عَلَيَّ سَهَادَ عَيْنِي بَعْدَهُمْ فَرَضُوا بِذَاكَ وَلَمْ يَبْنِ خُسْرَانِي
لِلَّهِ رَيْسٌ رُمْتُ مِنْهُ زُورَةٌ فَأَبَى وَأَرَقَّ نَاطِرِي وَقَلَانِي
مَذْعَانِيَّتْ عَيْنَايَ وَرَدَّةَ خَدِّهِ أَلْ قَنَانِي فَقِي بِحَرِّ الْهَوَى الْقَنَانِي
إِنْ صَدَّنِي عَجَلًا وَرَدَّ وَسَائِلِي خَجَلًا وَمِنْ هَجْرَانِهِ أُرْدَانِي

فَلَا ظَفَرَنَ بِكُلِّ مَا أَمَلْتُهُ بِمَدَائِحِي لِلنَّاصِرِ السُّلْطَانِ

وَأُنْشِدُنِي فِيهِ أَيْضًا لِنَفْسِهِ يَمْدَحُهُ: [من البسيط]

أَلَامَ أَلَامُ قَلْبٍ خَانَهُ الْقَدْرُ وَقَدْ غَدَا بِصَالِحِ الدِّينِ يَتَّصِرُ
وَمَا لَأَمَالِ هَذَا الصَّبِّ خَائِبَةٌ وَقَلْبُهُ دُونَ كُلِّ النَّاسِ مُنْكَسِرُ
وَجَوْدُ جُودِكَ قَدْ عَمَّ الْأَنَامَ بَلَا سُؤَالَ [سُؤُولَ] وَبِالْأَمَالِ قَدْ ظَفَرُوا^(١)
وَقَدْ تَكَرَّرَ مَطْلُوبِي وَإِنَّ لِي الذِّ فَنَسَ الْأَيُّمَةَ حَتَّى يَنْقَدَ الْعُمُرُ
فَمَا لِحَظِّي كَحَظِّي نَاقِصٌ أَكْذَا كُلُّ الْمُحْيَيْنَ مَا يُقْضَى لَهُمْ وَطَرُ
حَاشَاكَ تَرْجِعُ أَمَالِي مُخَيِّبَةٌ وَسَعَرُ شُعْرِي قَدْ سَارَتْ بِهِ السَّيْرُ
/ ١٩٨ / أَوْ أَنْ يَرُوحَ حَسُودِي وَهُوَ مُبْتَسِمٌ جَذْلَانُ مَنْ كَوْنُ كُسْرِي لَيْسَ يَنْجَبِرُ
وَأَنْتَ أَنْدَى الْوَرَى كَفًّا وَأَعْظَمُهُمْ قَدْرًا وَبِالْعُرْفِ وَالْمَعْرُوفِ مُشْتَهَرُ

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْاتٍ طَوِيلَةٍ يَرِثِي بِهَا وَالدَّتْ - رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - :

[من الطويل]

نَعَمْ هَذِهِ يَا صَاحُ أَطْلَالٍ عَزَّةَ وَآتَارُ مَنْ غَرَّتْ وَصَدَّتْ وَعَزَّتْ
وَمَلْعَبُ آرَامٍ بِسُحْرِ لِحَظْهَا رَنَتْ وَرَمَتْ قَلْبَ الْمَعْنَى فَأَصْمَتَ
أَحْبَابِنَا زَادَ اشْتِيَاقِي وَوَحْشَتِي إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي فُؤَادِي وَمُهْجَتِي
فَمَقْدَارُ شَوْقِي لَا يُحْدِثُ إِلَيْكُمْ وَلَا حَسْرَتِي تَفْنَى وَلَا فَيْضُ عِبْرَتِي
وَقَفْتُ عَلَى وَادِي الْعُضَا أَسْأَلُ الرِّضَا فَلَمْ تُشَفِّ رُوحِي بَلْ عَلَى الْهَلْكِ أَشَفْتُ
أَمَّا وَلِيَالِ كَدَّرَ الْبَيْنَ صَفْوَهَا وَأَطْنَبَ فِي تَفْرِيقِنَا وَالتَّشْتُّتِ
وَحَمَلَنِي مَا لَا أُطِيقُ وَمَا كَفَى احْتِمَالِي لَهُ حَتَّى يَفْقِدَ أَحِبَّتِي

وَأُنْشِدُنِي لَهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا: [من الكامل]

/ ٩٨ ب / سَهْمُ اللَّحَاطِ رَمَى الْفُؤَادَ فَأَغْرَضَا وَأَخْتَارَ رَأِشُهُ الْبَعَادَ فَأَعْرَضَا
قَمَرٌ عَلَى عُصْنِ تَكَامَلٍ وَصُفُّهُ فَاتِ الصِّفَاتِ فَكَمْ فُؤَادُ أَمْرَضَا
أَحْبَابِنَا هَلْ عِنْدَكُمْ هَذَا رِضَا أَحْشَاءُ صَبِّ حَشْوُهَا جَمْرُ الْعُضَا

شَوْقًا إِلَيْكُمْ لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضُهُ
بِئْسَ فِكْرٌ فِي عَبْرَتِي مِنْ عَبْرَةٍ
وَنَسِيتُمْ لِمُدَّ لَهُ مَنْ بَعْدَكُمْ
صَبَّ يَرَى [أَنَّ] الْوُدَّادَ عَلَى النَّوَى
وَحَيَاتُكُمْ إِنِّي أَرَى هَجْرَانَكُمْ
لَا كَانَ حَادِي الْعَيْسِ كَدَّرَ صَافِيًا

وأنشدني نفسه: [من السريع]

يَهْنِي أَشْتِيَاقًا كُلَّ عَنْ وَصْفِهِ
كُلُّ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِالصَّوَابِ
مُنَّ عَلَى فَضْلِكَ يَا خَيْرَ مَنْ
قَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ

وأشعاره كثيرة، وفيما كتبنا منها فيه مقنع وغنى.

[٨٧٩]

هاشمُ بنُ يحيى بن سالم بن يوسف بن كامل بن نصار، أبو
المفاخر بن أبي الفضل التنوخي.

من أهل حلب، وممن يقول الشعر بها ويمدح. وكان من الشيعة المغالين في
المذهب.

أخبرني أنه ولد تقديرًا في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بحلب، وتوفي بها ليلة يوم
الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة، ودفن بمشهد الدكة
غربي المدينة.

وكانت له نعمة حسنة، وحال جيِّدة، ورزق صالح. وكان مع ذلك يسترفد ويتتجّع
بأشعاره، ولم يكن شعره بذلك إلا [أَنَّ] معظمه نازل ركيك، خالٍ من المعاني والعيون، وهو
يشتمل على مدائح وغيرها، ويدخل في مجلدين.

لقيته بحلب يوم الإثنين خامس جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة.
واستشددته فأنشدني لنفسه يمدح الأمير بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله صاحب
الموصل: [من الكامل]

وَالشُّكْرُ أَحْلَى مَا جَنَاهُ الْجَانِي
وَالْفَضْلُ بَيْنَ يَدَ وَيْنِ لِسَانٍ
يَعْتَادُهُ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
إِلَّا الْهُمَامُ الشَّامِخُ التَّيْجَانِ
فِي الْحَرْبِ إِلَّا فَارَسُ الْفَرَسَانِ
إِلَّا أَمْرُ رُجْجِ الدُّنَى بِهِوَانِ
... وَالْمَالُ شَيْءٌ قَانِي^(١)
تَسْمُو بِصَاحِبِهَا عَلَى كَيَوَانِ
سُدِّيَا خَدَيْنِ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
دَهْرِي إِلَيْهِ يُلْطَفُهُ الْجَانِي
وَمُبِيدُ أَعْدَاءِهِ بِحَدِّ سَنَانِ
حُسْنَى وَحَازَ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ
لَسَمَا عَلَى الْجَوَازِ وَالسَّرَطَانِ
وَبَنَانُهَا مِنْ جُمَّلَةِ الْخُلْجَانِ
الْمَارْقِينَ وَفَكَ أَسْبَرَ الْعَانِي
عَافِي وَعَيْنُ إِعَانَةِ الْوَلْهَانِ
وَجَزَيْلُ إِطْعَامٍ وَمَدِّ خَوَانِ
فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ وَيَوْمٍ طَعَانِ
دَمَتِ الْجَحَافِلُ وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ
عَيْنُ السَّدَادِ وَدَهْرُهُ يَوْمَانِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَلْبِ مَلِكِ حَانِي
فِي كُلِّ أُمْلَةٍ لَهَا بِحِرَانِ
وَهُوَ الْبَعِيدُ وَبَرُّهُ مَتَدَانِي
سِي الْمُضْطَفَى وَمُكَلِّمِ الثُّغْبَانِ

٩٩ب/ الْمَجْدُ أَعْلَى مَا بَنَاهُ الْبَانِي
وَالْعِلْمُ فَخْرٌ وَالسَّمَاحَةُ رَفْعَةٌ
وَالْجُودُ وَالْإِحْسَانُ خُلَّةُ مَا جَدِ
وَكَذَا النَّدَى وَالْبَاسُ لَا يَحْوِيهِمَا
وَالْعَارَةُ الشَّعْوَاءُ لَا يَقْوَى بِهَا
وَنَدَاوَةُ الْكَفَّيْنِ لَيْسَ يَنَالُهَا
وَالذِّكْرُ بَاقٍ وَالْمَدِيحُ مَدَى الْمَدَى
وَالشُّرْبِيُّنَ الْخَافِقِينَ عِلَامَةٌ
وَتَرَى الْجَمِيعَ خَصَالَ بَذَرِ الدِّينِ وَالِ
رَبِّ الْفَضَائِلِ مَالِكِ الرِّقِّ الَّذِي
حَامِي حَمَى الْإِسْلَامِ رَافِعَ قَدْرِهِ
مَلِكِ الْمَحَامِدِ كُلِّهَا فَصَفَاتُهُ الـ
لَوْ أَنَّ رَفْعَةَ قَدْرِهِ تَسْمُو بِهِ
وَالْكَفُّ بَحْرٌ وَالْمَدَائِحُ سَاحِلُ
١١٠٠أ/ مُعْزَى بُنْجَحِ الطَّالِبِينَ وَقَلَّ جَيْشُ
وَبَنْجَدَةِ الْمُسْتَضْرَحِينَ وَبُغْيَةِ الـ
وَمُحَاقِ إِمْلَاقٍ وَيَسْرَةِ مُعْسَرِ
أَسَدٍ فَرَفَصَةٍ إِذَا عَايَتْهُ
تَلْقَاهُ كَاللَّيْثِ الْهَضُورِ إِذَا تَصَا
آرَأُوهُ حَفَظَ الْبِلَادَ وَرَأَيْهِ
يَحْنُو عَلَى قُصَادِهِ وَعُقَاتِهِ
فِي الْأَرْضِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ وَيَمِينُهُ
صَدَقَاتُهُ أَقْصَى الْبِلَادِ مَذَاعَةُ
يَارَبِّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالنَّبِ

السُّرْدَابَ وَالْأَسْتَارَ وَالْأَرْكَانَ
وَوَرَاةَ الْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ
وَالطُّورَ وَالْأَعْرَافَ وَالْفُرْقَانَ
مَلَكَتْ أَيْادِيهِ الْحَسَانُ عَنَانِي
لِلْمُعْتَمِنِينَ وَفَكَ أَسْرَ الْعَانِي
وَبَقِيَهُ شَرَّ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
أَبْدَاءَ عَزِيزِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

وَبِحُرْمَةِ الْحَرَمَيْنِ وَالْمَذْفُونِ فِي
وَبِحَقِّ مَا بَيَّنَّتْ فِي الْأَلْوَاكِ وَالْتَّ
وَبِحَقِّ طَاهَا وَالْحَدِيدِ وَهَلْ أَتَى
أَدَمَ الْبَقَاءَ لِمَالِكِ الرَّقِّ الَّذِي
/ ١٠٠ ب / الْمَلِكُ بَذَرَ الدِّينَ خَيْرَ مُؤَمِّلٍ
فَاللَّهُ يُقَيِّمُهُ وَيَحْرُسُ مُلْكُهُ
لَا زَالَ فِي عِزِّ مُقِيمٍ دَائِمٍ

وأشدني لنفسه يصف الشمعة : [من الطويل]

بَقْدَرُ شَيْقٍ كَالرُّدَيْنِيِّ مَقْدُودٍ
بَحْدَ سَنَانٍ مِنْ سَنَى النَّارِ أُمْلُودٍ
بِمَجْلَسِ شَرْبِ غَصِّ بِاللَّهِوِ مَشْهُودٍ
وَذُلِّيَّ وَدَمْعِيَّ وَاحْتِرَاقِي وَتَسْهِدِيَّ

وَمَقْدُودَةٌ مِثْلُ الْقَضِيبِ جَلِيدَةٌ
وَأَهْذَمَ نُورٌ كَأَدِ يَطْعَنُ فِي الدُّجَى
تَبَيَّتْ تَضَاهِي مِنْ شُهُودِي ثَمَانِيًا
نُحُولِي وَضُرِّي وَأَصْفِرَارِي وَوَحْدَتِي

وأشدني لنفسه يصفها أيضًا : [من الطويل]

تَكَرُّ عَلَى جَيْشِ الدُّجَى بِصَدِيعٍ
وَتَصْنَعُ فِيمَا تَلْتَقِي كَصَنِيعِي
وَضُرِّي وَحَرَقِي وَالْفَنَاءَ وَدُمُوعِي

تُشَابِهُنِي فِيمَا أَعَانِي ضَيْلَةٌ
تَبَيَّتْ تَحَاكِي مِنْ شُهُودِي ثَمَانِيًا
نُحُولِي وَصَبْرِي وَأَصْفِرَارِي وَوَحْدَتِي

/ ١٠١ أ / وأشدني أيضًا لنفسه من قصيدة أولها : [من البسيط]

وَلَا هَمَّ مِنْ عُيُونِي صَيَّبُ الدِّيمِ
جَمَرَ الْغَضَا حِينَ يَبْدُو زَائِدَ الضَّرَمِ
فَعَاشَ مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَى عَلَى الْعَدَمِ
وَكَيْفَ يَطْرُقُ صَبًّا فِيكَ لَمْ يَنْمِ
مَانِي وَقَلْبِي فَفِيمَا شَتَّتَ فَاحْتَكَمِي
فَمَرَّ شَطْرَيْنِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْعَنَمِ

لَوْلَا فِرَاقُكَ مَا طَلَّ الْغَرَامُ دَمِي
وَلَا حَكَّتْ زَفَرَاتِي فِي تَصْعَدَهَا
وَاهَا لَطِيفَ خَيَالٍ زَارَ ذَا كَمَدٍ
وَعَادَ يُوسِعُهُ هَجْرًا وَيُنْعِدُهُ
يَا دُرَّةَ الْخَدْرِ هَا رُوحِي لَدَيْكَ وَجُدْ
أَتَامِلُ وَخُدُودٌ قَدْ نَهَبْنَ دَمِي

ومنها في المديح :

وَمُعْمَدُ الْبَيْضِ فِي اللَّبَاتِ وَاللَّمَمِ

مُجَرَّدُ الْمَالِ جُودًا مِنْ خَزَائِنِهِ

مُبَدَّدٌ مَا جَنَاهُ الْبَاسُ مِنْ نَعَمٍ وَجَامِعٌ مَا حَوَاهُ النَّاسُ مِنْ كَرَمٍ

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح : [من الرجز]

دَعِ الْمُعْتَى وَالْهَ عَنِ عَنَائِهِ فَحَسْبُهُ مُعَذِّبًا بِدَائِهِ
 ١٠١/ب/ وَخَلَّ عَنْ عَذْلٍ مُحِبِّ هَائِمٍ لَا تُسْعِدُ الْيَنَ عَلَى بِلَائِهِ
 أَصْبَحَ مِنْ قَرْطِ جَوَاهِ وَالْأَسَى يَعُدُّ كَاسَ الْمَوْتِ مِنْ شَقَائِهِ
 رَقَّ لَهْ شَامَتُهُ وَرَبَّمَا لَانَ لَهُ الْجِلْمُ مَنْ بُكَائِهِ
 بَكَى زَمَانًا مَرَّ مِنْ دُمُوعِهِ وَعَادَ يَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ دَمَائِهِ
 بَاحَ بِمَا كَانَ يَجُنُّ مِنْ جَوَى وَأَظْهَرَ الْمَكْتُومَ مِنْ خَفَائِهِ
 لِحُبِّ ظُبِّي أَعْيَدَ جِيْنُهُ يَكْسِفُ نُورَ الشَّمْسِ فِي ضِيَائِهِ
 كَانَهُ يُنِنُ الْأَنَامَ كَوَكْبٍ يَسْحَبُ ذَيْلَ اللَّيْلِ مِنْ وَرَائِهِ
 فَهَلْ رَأَيْتُمْ بَشْرًا مِنْ قَبْلِهِ يَطْلُعُ بِدَرِّ التَّمِّ مِنْ قَبَائِهِ

ومنها في المديح :

سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ لَتَضْحَى سَالِمًا فَلَا مَقَرَّ الْيَوْمَ مِنْ قَضَائِهِ
 ثُمَّ إِلَى عَلِيِّ الْمَلِكِ الَّذِي قَدْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ فِي نِعْمَائِهِ
 ذِي الْجُودِ سَيْفِ الدِّينِ وَالْذُّيَا وَمَنْ لَا يَهْتَدِي النَّجْمُ إِلَى اهْتِدَائِهِ

ومنها يقول :

وَرُبُّهُ عَلَى الْوَرَى سَامِيَةٌ قَدْ فَاقَتْ الْعِوُوقَ فِي سَمَائِهِ
 ١٠٢/أ/ زَرَّ عَلَى الْأَرْضَيْنِ جِيْنُهُ وَقَدْ جَلَّلَهَا الْفَاضِلُ مِنْ رِدَائِهِ

ومنها قوله :

مَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ عَدَّ فَضْلِهِ وَبَعْضَ مَا سَطَّرَ مِنْ آلَائِهِ
 أَوْ جَمَعَ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَالْدَّهْرُ قَدْ يَعْجُزُ عَنْ إِحْصَائِهِ
 دَعَاؤُهُ لِلْهِجَاءِ فَهُوَ كَفُوْهُهَا وَلَسْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ أَكْفَائِهِ
 جَلَّ عَنْ الْمَدْحِ فَكُلُّ مَادِحٍ إِخَالُهُ يُطْنَبُ فِي هَجَائِهِ
 جَمَعَ شَمْلَ الْجُودِ مِنْ شَتِيَّتِهِ وَضَمَّ مَا فَرَّقَ مِنْ أَجْزَائِهِ

وأنشدني لنفسه : [من الطويل]

كَرَامًا تُضَاهِي فِي الْكَرَامِ الْكَوَاكِبَا
لَشَّمْسٍ مُدَامَ وَالشَّفَاةِ مَغَارِبَا
مَنْ الشَّقِيقُ الْمُحَمَّرُ مُبْدَ عَجَائِبَا
لَنَا بَازِغَاتُ وَالْأَكْفُ سَحَابَا
يُجَرِّدُ مَنْ جَفْنِيهِ سِحْرًا قَوَاضِبَا
مَنْ اللَّيْنُ مَوْدُودًا وَخَدْنًا وَصَاحِبَا
يُعَازِلُنَا حَتَّى قُضِيَ الْمَارِبَا
إِلَى مَا يَقْرُ الْعَيْنُ جُرْدًا سَلَاهِبَا

وَلَيْلَةً جَنَّا حَانَةَ الْحَيِّ عُصْبَةً
وَبِتْنَا نَرَى أَيْدِي السُّقَاةِ مَشَارِقَا
وَيَعْلُو خُدُودَ الشَّرْبِ بَعْدَ غُرُوبِهَا
فَأَوْجُهُهُمْ تَحْكِي بُدُورًا وَقَدْ بَدَتْ
وَأَعْيَدَ مَمْشُوقَ الْقَوَامِ مَهْفَهْفَ
يَمِيلُ عَلَى النُّدْمَانِ سُكْرًا وَيَنْشِي
/ ١٠٢ب / غَزَالُ كَسْتِهِ الْكَاسُ عُجْبًا وَلَمْ يَزَلْ
وَقُمْنَا رَكْبَنَا بَعْدَ مَرَكُوبِنَا الْمُنَى

وأنشدني لنفسه من قصيدة أولها : [من الطويل]

هَلَالِيَّةٌ كَالْبَدْرِ يَبِينُ الْكَوَاكِبِ

الْمَتِ بَنَا وَاللَّيْلُ مُرَخًى الذَّوَائِبِ

ومنها في المديح :

وَكُلُّ لَيْبٍ مَاهِرٌ فِي التَّجَارِبِ
لَتَبْدِيدِ مَالٍ أَوْ لَجَمْعِ مَقَانِبِ
ثُبُوتُ ثُبُوتِ الرَّاسِيَّاتِ الرَّوَاسِبِ
فَتَعْنُو لَهُ أُمُّ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
وَيُخْبِرُ عَنْ آثِهِ بَعَجَائِبِ
وَيَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهَا كُلِّ كَاتِبِ

فَتَى مَهَرَتْ كَفَاهُ فِي الْجُودِ وَالنَّدَى
بَيَّنْتُ أَنْاسٌ فِي الْخُمُولِ وَهَمُّهُ
لَهُ ثُوبٌ فَخْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ
يَجْرُ عَلَى ظَهْرِ الْمَجَرَّةِ ذَيْلُهُ
يُحَدِّثُ عَنْ أَخْبَارِهِ بَنَوَادِرِ
يُقْصِرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلِّ حَازِقِ

وأنشدني لنفسه يصف النار : [من المنسرح]

تُحَالُ فِي حُلَّةٍ مِنَ النُّورِ
مُشْرِقَةً مِنْ وَعَاءِ بُلُورِ
دُرٌّ عَلَيْهَا سَحِيقٌ كَأَفُورِ

/ ١٠٣أ / كَأَنَّما نَارُنَا وَقَدْ بَرَزَتْ
سُلَاقَةً كَالْحَرِيقِ صَافِيَةً
أَوْ قَصَبَاتٍ مِنَ النَّضَارِ وَقَدْ

وأنشدني له فيها أيضاً : [من مخلع البسيط]

أَضْرَمْتُ مَلَأَ الْمَكَانَ نَارَا
تَرَفَعُ مَنْ وَقَدْهَا شَرَارَا
لَمَسْتُهَا مَا وَجَدْتُ نَارَا

مَلْتُ مِنَ الْبَرْدِ نَحْوَ خَدْرِ
فَارْتَفَعَتْ السُّنُّ عَلَيْهَا
وَعَدْتُ فِي حَالَتِي سَرِيعَا

وأنشدني لنفسه في يوم شديد البرد: [من السريع]
وَيَوْمٌ قُرِّ رِيحُهُ عَاصِفٌ جَارٌ عَلَيَّ ضَعْفِي وَإِعْسَارِي
تَوَدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْ بَرْدِهِ فِي الْأَفْقِ أَنْ تَسْخُنَ بِالنَّارِ
وأنشدني لنفسه في جمع مشاهد الأئمة - صلوات الله عليهم وسلامه:

[من الطويل]

١٠٣/ب/ مَشَاهِدُ طُوسٍ وَالْغَرِيِّ وَكِرْبَلَا
إِذَا حَلَّ مِنْهَا زَائِرٌ أَيْ تَرْبَةً
وَطَيْبَةً وَالزَّوْرَا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى
تُنَادِيهِ مِنْ أَقْطَارِهَا سُرٍّ مَنْ رَأَى

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

إِذَا كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنِ السَّرِيرِ
وَلَا حَتَّ مَنْ مَرَّقَعَتِي سَطُورٌ
وَنُودِي بِي هَلُمَّ إِلَى السَّرِيرِ
وَسَاقَتْنِي عَلَى مَهَلٍ رَجَالٌ
بِهِنَّ نَحَاقَةُ الدَّنَفِ الضَّرِيرِ
فَعَفَّوْا ثُمَّ عَفَّوْا ثُمَّ عَفَّوْا
وَكَانَ بَقْعَرٌ مُظْلَمَةٌ مَصِيرِي
وَإِحْسَانًا إِلَى يَوْمِ الْمَصِيرِ

ذكر من اسمه هبة الله

[٨٨٠]

هبةُ الله بنُ إبراهيمَ بنِ محمد بنِ الحسين بنِ محمد بنِ
إسماعيل بنِ جعفر الكندي، المعروف بابنِ مرَاجِلَ .
من أهلِ حماةٍ وأشهر بيتٍ بها في الأصالة، يُكنى أبا القاسم .

كان يتصرف لملوك زمانه في الولايات الرفيعة، ويحترمُ لبيته ومنصبه . وكان والده
وزيراً للأُمير فخر الدين بن الزعفراني، وخدم للملك المظفر تقي الدين عمر بن شهنشاه بن
أيوب - صاحب حماة - .

وأبو القاسم - ولده هذا - كان واسع المروءة، كبير النفس، توفي بحماة سبع عشر من
رجب سنة سبع عشرة وستمائة عن اثنتين وخمسين سنة . وكان ربّما جاد طبعه بأبيات من
الشعر حسنة .

أنشدني ولده الرئيسُ الأجل نجم الدين أبو المعالي محمد بحلب المحروسة في سنة
سبع وأربعين وستمائة، قال: أنشدني والدي أبو القاسم لنفسه مبدأً قصيدة:

[من الكامل]

وَمُتَيْمٌ بَعْدَ الْفَرَاقِ عَلِيلُ	١٠٤/ب/ جَسْمٌ كَمَا حَكَمَ الْغَرَامُ نَحِيلُ
فَلَهَا بِوَجَنَاتِ الْخُدُودِ مَسِيلُ	وَمَدَامُ تَجْرِي سَحَابُهُادِمًا
بَيْنَ الْحَنَايَا وَالْحَشَا مَشْغُولُ	وَأَضَالَعُ فِيهَا لَهَيْبٌ دَائِمُ
دَارُ الْحَيْبِ فَنَلْتَقِي وَنَقُولُ	اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَتَضْمُنَا

[٨٨١]

هبةُ الله بنُ أبي البشر بنِ أبي المواهب بنِ شراقي، أبو البركات
المصري .

كان في دولة الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن موسى بن أبي بكر بن أيوب كاتباً،
وله شعر قريب الأمر .

أنشدني أبو الفضل عباس بن بزوان بن طرخان . الموصلي ياربيل ، قال : أنشدني أبو البركات بن شراقي المصري لنفسه يمدح الملك الأشرف من قصيدة : [من الطويل]

أَمَّا أَنْتَ يَا مُوسَى سَلِيمَانُ حَكَمَةً
بَسَاطُكَ فِيهِ الْإِنْسُ لِلْإِنْسِ دَائِمٌ
لَكَ الرِّيحُ تَجْرِي فِي مَرَادِكَ بِالْمُنَى
وَحَاتَمُكَ الْأَعْلَى أَمَانٌ لِحَافِ
/ ١٠٥ / فَكَمْ لَكَ مِنْ عَرْشٍ إِلَى الْعَرْشِ أَسُهُ
وَكَمْ لَكَ مِنْ جُنْدٍ نَصِيرٍ وَكَمْ نَدَى
فَسُدُّوْكُمْ وَأَنْعَمُوا عِلًّا وَسَلَّمُوا وَصَلُوا
وَقُومُوا وَأَغْزُوا أَعْدَاءَ الْكِتَابِ بِهَمَّةٍ
وَحَطَمْتُهُمْ . . . وَلَا تَبْغِ عَوْدَهُمْ
فَدَمِيْطٌ قَدْ أَضْحَتْ مَيْسَرَةً كَمَا

وَلَكِنَّ لَمْ تَفْجَأْ بِغِيَّةِ هُدْهُدٍ
وَمَا الْجَنُّ إِلَّا حَدُّ عَضَبٍ مُجَرَّدٍ
كَذَا الطَّيْرُ بِالْبُشْرَى تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
وَمَا فَعَلُ بَلْقَيْسَ لَدَيْكَ بِمُوصَدٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ صَرْحٍ بِهِجٍ مُمَرَّدٍ
وَكَمْ مَنَّةٍ فِي اللَّهِ تُسَدِّي وَكَمْ يَدٍ
وَمُرُوْا أَنَّهُ وَأَسْعَفُ وَأَعْفُ وَأَقْبَلُ وَمَهْدٍ
وَقُلْ لِلْكِتَابِ أَخْضَعُ إِذَا جُدْتُ وَأَسْجُدُ
بِمَسْكَنِهِمْ وَأَنْزَلُ بَعْلَكَ وَشَرْدُ
بِتَيْسِيرِهِ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ مُؤَيَّدٍ

وأنشدني صاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال : أنشدني أبو البركات هبة الله بن شراقي الكاتب المصري لنفسه : [من الطويل]

عَلَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كَانَتْ مَطَالِبِي
فَلَلَهُ مَا قَدَمْتُ مِنْ خَيْرِ سَفَرَةٍ
/ ١٠٥ / وَلِلْأَشْرَفِ السُّلْطَانِ مَنِّيْ قَصَائِدُ
هُمَامٌ إِذَا الْأَعْدَاءُ رَامَتْ نَوَالَهُ
إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلُوَ إِلَى الْعَرْشِ رِفْعَةً
تُطَالِبُنِي حَتَّى بَلَغْتُ مَارَبِي
وَلِلشُّكْرِ مَا أَسَدْتُ إِلَيَّ رِكَابِي
وَقَصْدُ إِلَيَّ أَبْوَابِهِ غَيْرُ خَائِبٍ
فَفِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُمْ أَلْفُ نَادِبٍ
تَدَانَتْ لَهُ الْأَفْلَاكُ قَبْلَ الْكَوَائِبِ

[٨٨٢]

هبة الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن رزين ،
القاضي السعيد ، أبو القاسم بن أبي الفضل المصري^(١) .

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢٨/٢٧ - ٢٥٧ وفيه: «ولد سنة خمس وأربعين وخمسة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٤ - ٣١٦ رقم ٤٢٥ . خريدة القصر - قسم شعراء مصر - =

كان جدّه يلقَّب سناء الملك، وكان فيما ذُكر عنه رجلاً من أهل ديار مصر، وكان له ثروة ومالٌ واسع، ومن وجوه أهلها وكبرائهم، وأرباب النعمة. ومات وخلف ولده جعفرًا، وكان له مضاربات وقروض وتجارات اكتسب بها أموالاً جمّة، ولم يكن عنده شيء من العلم ما يشتهر به.

ونشأ له ابنه أبو القاسم هبة الله هذا فتردّد بمصر إلى الأديب القاضي أبي المحاسن البهنسي النحوي، فقرأ عليه أدباً ونحواً، وعاشر في مجلسه رجلاً مغربياً. وكان يتعانى عمل الموشح المغربي والأزجال، فوقفه على أسرارها، وباحثه / ١٠٦ / فيها، وكثّر حتى انقذ له في عملها ما زاد على المغاربة حسناً وإتقاناً، وعانى بعد ذلك فنّ البلاغة والكتابة، ولم يكن خطه بالجيّد فجعل في جملة كتاب الإنشاء بديوان ملوك مصر، وأجري عليه لذلك رزق كان يتناوله، حضر الديون أو لم يحضر، وأحبّه أهل الدولة لدمائة كانت فيه، وحسن عشرة وتودّد، فسار له ذكر جميل.

وصنّف كتباً منها كتاب «حصائد الشوارد»^(١)، وكتاب «مراسلات»^(٢)، وكتاب الموشحات «سمّاه: «دار الطراز»^(٣)، و«ديوان شعره».

= ٦٤ / ١. معجم الأدباء ٦ / ٢٦٤. النجوم الزاهرة لابن سعيد ص ٢٧٣. وفيات الأعيان ٦ / ٦١ - ٦٦. التكملة للمندري ٢ / ٢٣١ رقم ١٢٠٩. العبر ٥ / ٢٩ - ٣٠. سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٨٠ - ٤٨١ رقم ٢٤٥. المختصر لأبي الفداء ٣ / ١٢٠. البدر السافر: الورقة ٢١٧. النجوم الزاهرة ٦ / ٢٠٤. شذرات الذهب ٥ / ٣٥. مسالك الأبصار ١٢ / ورقة ٦١. المرقصات ٦٠. مفرّج الكرب ٢ / ١٣٧، ١٤٥، ١٦٠، ٢٣٤، ٤٩ / ٣، ٧٧. المختصر في أخبار البشر ٣ / ١١٤. تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٣١. مرآة الجنان ٤ / ١٧ - ١٨. ديوان الإسلام ٣ / ١٢٩ رقم ١٢٩٠. المغرب في حلى المغرب ٢٧٣ - ٢٨٩. عقد الجمان ١٧ / ورقة ٣٣٥ - ٣٣٦. حسن المحاضرة ١ / ٥٦٥. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٨. بدائع الزهور ج ١ / ق ١ / ٢٥٧. معجم المؤلفين ١٣ / ١٣٥. كشف الظنون ٦٩٦. هدية العارفين ٢ / ٥٠٦. طبع ديوانه بحيدرآباد - الدكن ١٩٥٨، ثم طبع بمصر - القاهرة عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م بتحقيق محمد إبراهيم نصر وعليه اعتمدت.

وللدكتور عبد العزيز الأهواني دراسة عنه، ط القاهرة ١٩٦٢. وفي الجزء الأول من ديوانه مقدمة مفصلة عن حياته.

(١) في الوافي: «مصابيد الشوارد». وفي مقدمة ديوانه: «مساعد الشوارد».

(٢) لعله كتاب: «فصوص الفصول وعقود العقول» نسخته المخطوطة في دار الكتب بالقاهرة.

(٣) طبع بتحقيق جودة الركابي في دمشق سنة ١٩٤٩. وأعيد طبعه بعد ذلك.

أخبرني صاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي العقيلي بحلب - أيده الله تعالى - قال: أخبرني أبو محمد عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني الشاعر المصري، قال: أخبرني جلال الدين المكرم أبو الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك بالقاهرة، قال / ١٠٦ ب / دخلت على القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله بن سناء الملك في مرضه الذي مات فيه، فلما رأيته بكى وأشار إليّ فجلستُ وأخذت في تسليته، وقلت له فيما قلته: لقد رأيت الدنيا ونلت من ملادها ما لم ينله غيرك من أهل بيتك حتى أنك اتخذت لنفسك فراشاً من العنبر، وأنت اليوم فعلى قدم خير. وكان قد تاب قبل موته بسنة، وحسنت حاله، فأشار إليّ الدواة، وقال لي: أكتب، وأملئ عليّ^(١): [من السريع]

أَحْسَنْتِ الدُّنْيَا الَّتِي أَسْتَرْجَعْتُ مِنِّْي تِلْكَ الْحَالَةَ الْفَاحِشَةَ
مَا شَغَلْتُ بِأَلْيِ بَتْفِيحِهَا إِذْ فَرَعْتُ قَلْبِي لِلاَّخِرَةِ

قال: فقلت له: أذكر الله، فقال: أنا في ذكره، قال: فما خرجت من عنده إلى الباب حتى مات.

قال ابن أبي الإصبع: وكنت سألت أبا الحسن المكرم عن قوله: اتخذت لنفسك فراشاً من العنبر، فقال: كان قد اتخذ له فراشاً شرباً ببطانة وظهارة، وأذاب العنبر مع المسك والعود / ١٠٧ أ / على النار، وطلّى البطانة والظهارة به، ثم اتخذ العنبر تماثيل وجعلها عليها شبيهاً بالنقش، وكان ينام فيه.

وكانت وفاته يوم الأربعاء الرابع من رمضان سنة ثمان وستمائة.

وكان مولده - فيما بلغني - في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

أنشدني أبو منصور المظفر بن يوسف بن أبي منصور العصافيري الموصلي بها، قال: أنشدني القاضي السعيد ابن سناء الملك لنفسه بمصر من موشحاته^(٢):

يَا مَنْ بَكَيْتُ عَلَى الدَّمَنِ مِنْ أَجْلِهَا أَسْفًا وَحُزْنَ

(١) البيتان في ديوانه ٥٥٦/٢.

(٢) لم ترد في ديوانه. ودار الطراز.

وَرَأَيْتُ أَحَدَاكَ الزَّمَنُ قَدْ أَشَقَّتْ مِنْهَا وَمَنَّا
لَا تَسْأَلُ الْبُسْتَانَ عَنْ رُمَّانِهِ وَسَلِ الْمُعَنَّى
قَدْ صَارَ فِي نَهْدِيكَ مَا كَانَ فِي خَدْيِكَ
مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ جُلَّةً أَرَا

أُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْعَذُولِ كَمَا أُمْنِتَ مِنَ الْعَوَادِلِ
/ ١٠٧ب / وَكَأَنَّ قَلْبِي أَنْ يُمَيِّدَ لِقَوَامٍ قَدِّكَ فِي الْغَلَائِلِ
فَلَنْ صَحَوْتُ مِنَ الشَّمُوءِ لِمَا صَحَّتْ مِنْكَ الشَّمَائِلِ
فَالْمَوْجُ فِي رَدْفِيكَ وَالْمَيْلُ فِي عِطْفِيكَ
إِخَالُ أَنَّهُمْ سَاكِرَارِي

أَنْتَ الْحَيَّيْبَةُ لَا سَوَاكَ كَمَا هَوَاكَ هُوَ الْحَيَّيْبُ
لَا أَبْتَغِي إِلَّا رَضَاكَ وَلَوْ تَقَلَّبَتِ الْقُلُوبُ
وَإِذَا دَعَا دَاعِي هَوَاكَ وَلَمْ يُجِبْ فَأَنَا أَجِيبُ
يَا عَشَقَهَا لَيْتِيكَ وَيَا حَمَامَ الْإِيكَ
لَبَّى الْغَرَامُ مَعِي مِرَارًا

قَدْ حَلَّ بِي مَا لَا يُطَاقُ مِنَ الْغَرَامِ وَلَا يُحَادُّ
وَكَلَاهُمَا عَذْبُ الْمَذَاقِ كَأَنَّهُ سُمٌّ وَشَهْدُ
يُخْشَى عَلَيَّ مِنَ الْعِنَاقِ لَهَا فَتَضَحَكَ ثُمَّ تَشْدُو
إِلَيْكَ عَنِّي إِلَيْكَ خَلَنِي مِنْ يَدَيْكَ
فَبَسْكَرَ بِسْكَرٍ طَرَارًا

/ ١٠٨أ / وأنشدني أبو المحاسن يوسف بن عبد العزيز بن إبراهيم المصري

المعروف بابن المُرَصِّص^(١) الشاعر بحلب، قال: أنشدني أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه في غلام جميل حضر حومة الشلاق فأصابه حجرٌ فكسرت أسنانه^(٢):

[من الخفيف]

نَثَرَ الدَّهْرُ عَقْدَ نَغْرٍ حَبِيبِي قَدُمُوعِي عَلَيْهِ تَحْكِي أَنْشَارَهُ
كُلُّ سَنٍّ كَالْأَقْحَوَانَةِ كَانَتْ فَعَدْتُ بِالدَّمَاءِ كَالْجُلْنَارَهُ
كَانَ فِي حَوْمَةِ الشَّلَاقِ وَمَا كَا نَ بَعِيدَا فِي جُمْلَةِ النَّظَارَهُ
فَاتَتْهُ الْأَحْجَارُ شَوْقًا وَزَارَتْ هُ فَلَامَرَّحِبًا بِتِلْكَ الزِّيَارَهُ
مَا كَفَتْنَا تِلْكَ الْمَلَاخَةَ مِنْهُ وَارَانَا مَلَاخَةً وَشَطَارَهُ
كَيْفَ يَنْسَى الْفُوَادُ حُبَّ حَبِيبٍ حَسَدَتْنِي عَلَيْهِ حَتَّى الْحِجَارَهُ

/ ١٠٨ ب / وقال في صديق له كَيْس^(٣): [من السريع]

لِي صَاحِبٌ أَفْدِيهِ مِنْ صَاحِبٍ حُلُوا التَّائِي حَسَنُ الْإِحْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رَقَّةِ الْفَاطِظَةِ أَصْلَحَ مَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رَبَّمَا قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ

ومن بديع قوله في صفة الخمر^(٤): [من الطويل]

عَرُوسُكُمْ يَا أَيُّهَا الشَّرْبُ طَالِقُ وَإِنْ فَتَنْتَ مِنْ حُسْنِهَا كُلَّ مُجْتَلِي
دَفَعْتُ لَهَا مَالِي وَعَقْلِي مُعْجَلًا فَقَالَتْ: وَجَنَاتُ النَّعِيمِ مُؤَجَّلَا

وقال في المجنون: [من السريع]

يَا رَبُّ عَلِقْ قَالِ لِي: مَرَّةً يَاهَا جَرِي ظُلْمًا وَلَمْ أَهْجُرَا!^(٥)
مُعْتَزِلِيَا صُرْتُ قُلْتُ: أَتُذْ وَاعْتَبْ عَلَى مَبْعَرِكَ الْأَشْعَرِي

وقال^(٦): [من الطويل]

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٨١.

(٢) من قطعة في ديوانه ٣٠٤ / ٢ قوامها ٨ أبيات.

(٣) الأبيات في ديوانه ٤٨٠ / ٢.

(٤) البيتان في ديوانه ٥٧٣ / ٢.

(٥) العلق: النفس الذي تعلق النفس به.

(٦) البيتان في ديوانه ٤٨١ / ٢.

١٠٩/ أذمَّ شَبَابًا لَمْ أُدْقِ فِيهِ لَذَّةٌ وَلَا نَلْتُ مِنْهُ لَا حَرَامًا وَلَا حَلَالًا
وَأَحْمَدُ مِنْهُ أَنَّنِي لَسْتُ بِأَكْيَا عَلَيْهِ كَمَا يَبْكِي سِوَايَ إِذَا وَلَّى

وقال في غلام مليح ينظر في النهر^(١): [من مجزوء الكامل]

يَا نَاطِرًا بِالنَّهْرِ وَهَـ وَبَشْطًا هـ يَتَنَزَّهُ
النَّهْرُ رُكُومٌ أَزْرَقُ وَخَيَْالٌ وَجْهَكَ طُرُزُهُ

وقال^(٢): [من المنسرح]

إِنْ لَبَسَ الْبَدْرُ عَقْدًا أَنْجَمَهُ فَعَقْدُ ذَا الْبَدْرِ دُرٌّ مَبْسَمُهُ
أَوْ كَانَ مِنْكَ الْغَزَالُ سُرَّتَهُ فَمِنْكَ هَذَا الْغَزَالُ فِي فَمِهِ

وقال في ابن مروان وابن المليحي: [من السريع]

إِنَّ أَمِينَ الْحُكْمِ فِي مَضْرِنَا يُخُونُ حَتَّى فِي مِيَاهِ الرَّجَالِ
وَكَلَّمَا أَوْدَعَهُ الدَّنْيُ فِي مَبْعَرِهِ أَفْرَعَهُ فِي الْغَزَالِ
وَالصَّدْرُ قَدْ هَامَ ضَالًّا بِهِ مَا يَصْبِرُ النَّاسُ عَلَى ذَا الضَّلَالِ

١٠٩ب/ وقال في الحكيم ابن فوقا^(٣)، وقد بلغه أنه تاب عن شراب الخمر:

[من الطويل]

سَمِعْتُ حَدِيثًا لَيْتَنِي لَا سَمْعَتُهُ فَعَنْدِي مِنْهُ مُقْعَدٌ وَمُقْنِمُ
بِأَنَّ الْحَكِيمَ الْآنَ قَدْ هَجَرَ الطَّلَا وَقَدْ تَابَ مِنْهَا وَالْحَكِيمُ حَكِيمُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَتُوبَ لظَرْفِهِ كَمَا لَسْتُ أَخْشَى أَنَّهُ سَيَصُومُ
أَتَهْجُرُ شَمْسَ الرَّاحِ وَهِيَ مُنِيرَةٌ وَتَتْرُكُ وَجْهَ الْبَدْرِ وَهُوَ وَسِيمُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدَ الْحَكِيمِ لِكَأْسِهِ غَدَتْ وَلَهَا حَقٌّ عَلَيْهِ عَظِيمُ
أَنَامَتْ لَهُ مَنْ لَا يَنَامُ وَرَبَّمَا أَقَامَتْ لَهُ مَا لَا يَكَادُ يَقُومُ
وَذَلِكَ إِنْعَامٌ قَضَى بِنَعِيمِهِ وَمَنْ جَحَدَ الْإِنْعَامَ فَهُوَ أَثِيمُ
فَإِنْ قَالَ: إِنِّي قَدْ سَقِمْتُ بِشَرِبَهَا فَقَدْ يَعْشُقُونَ الْجِسْمَ وَهُوَ سَقِيمُ

(١) البيتان في ديوانه ٥٩١/٢.

(٢) البيتان في ديوانه ٤٥١/٢.

(٣) القصيدة في ديوانه ٥٧٣/٢: «فوقا».

وَإِنْ قَالَ: إِنِّي قَدْ سَلَمْتُ فَإِنَّهُ
عَلَى الْكَرْبِ مِنْ بَعْدِ الْحَكِيمِ كَأَبَةٍ
وَمِنْ بَعْدِهِ زَوْجُ الْخَلَاعَةِ طَالِقُ
/ ١١٠ / وَطَمَنَتْنِي إِبْلِيسُ حِينَ عَتَبْتُهُ
فَإِنْ تَسْأَلُونَنِي بِالْحَكِيمِ فَإِنَّنِي
إِذَا مَا خَبَا وَجْهَ الْمَصِيفِ فَإِنَّنِي
عَلَى أَنَّهُ إِنْ قَالَ: قَدْ تَابَ مُخْلِصًا
فَتَوْبَتُهُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ بَرِّهِ

كَمَا قِيلَ يَوْمًا لِلدَّيْغِ سَلِيمُ
وَلِلْجَامِ مِنْ بَعْدِ الْحَكِيمِ وَجُومُ
وَمِنْ بَعْدَهَا أُمُّ السَّرُورِ عَقِيمُ
بِأَنَّ قَالَ: هَذَا الْأَمْرُ لَيْسَ يَدُومُ
خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ الْحَكِيمِ عَلَيْهِمُ
بِتَحْلِيلِ نَامُوسِ الْحَكِيمِ زَعِيمُ
وَخَافَ عِقَابَ اللَّهِ وَهُوَ الْيَمُ
تَعَالَى وَالْأَفَالِكُ كَرِيمُ كَرِيمُ

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي - رضي

الله عنه - ويهينه بالبرء من مرضه ^(١): [من الكامل]

فَأَتَى الشَّقَاءُ لِمُدْنَفٍ مِنْ مُدْنَفٍ
أَسْمَعْتُمْ نَارًا تَنْطَفِي
أَوْ جَرِي عَادَتَهَا فَقُلْتُ لَهَا قَفِي
وَصَلَا وَعَاشِقُهُ الْمُرُوعُ قَدْ كَفِي
بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِقْهًا بِالْقَرْقَفِ
وَالْبَدْرُ لَا بَلَّ أَكْتَفِي بِالْمُكْتَفِي
وَالْمَلْحُ يُنْزِرُهَا بَغِيرَ تَكْلُفٍ
فَتُرِيكَ مُعْجَزَ آيَةٍ فِي الزُّخْرَفِ
ظُلْمًا وَتَسْأَلُ عَنْ فُؤَادِي وَهِيَ فِي
بِالْمَاءِ إِلَّا حُسْنَهَا وَتَعَفُّفِي
أَنْظُنُّ أَنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَشْتَفِي
لَا قَلَّ مَعَ نَيْلِ الْوَصَالِ تَلَهُّفِي
لَا وَجْهَ إِنْ تَبْدُو بِوَجْهِهِ أَكْلَفُ
جَاءَ الْأَمَانُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَكْسُفِي

نَظَرَ الْحَيِّبِ إِلَيَّ مِنْ طَرْفٍ خَفِي
وَدَنَا يُسْكِنُ نَارَ قَلْبِي خَدُّهُ
وَأَرَادَتِ الْعَبْرَاتُ عَادَةً جَرِيهَا
كُفِّي فَقَدْ جَاءَ الْحَيِّبُ بِمَا كَفِي
/ ١١٠ ب / وَمَلِيَّةٌ بِالْحُسْنِ يَسْخَرُ وَجْهَهَا
لَا أُرْتَضِي بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا بِهَا
الْحُسْنُ تَبْرِزُهُ بَغِيرَ تَصْنُوعٍ
تَتَلَوُ مَلَا حَتَهَا مَحَاسِنَ وَجْهَهَا
وَتَقُولُ مَنْ هَذَا وَقَدْ سَفَكَتْ دَمِي
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَلْهَبِ خَدِّهَا
أَنَا أَنْتَوِي عَنْهَا لَوْلَا أُرْتَوِي
لَا سَارَ عَشْقِي لَا أَقَامَ تَصْبُّرِي
وَكَذَلِكَ قُلُّ لِلْبَدْرِ يَا بَدْرَ الدُّجَى
وَكَذَلِكَ قُلُّ لِلشَّمْسِ يَا شَمْسَ الضُّحَى

وَاشْفَعْ سَائِرُ بُرْنِهِ ثُمَّ انْظُرُوا بِحَمْدِ الصَّلِيبِ بِهِ وَبَشْرِ الْمُصْحَفِ
حَاشَاكَ مِنْ صَرَفِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ بِكَ لِلْأَعَادِي مَالَهُ مِنْ مَصْرَفِ

وقال وهو بالشام يتشوق إلى الديار المصرية^(١): [من البسيط]

١١١١/ يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ سَلَا
رَمَيْتَ مِنْ مَصْرٍ قَلْبًا بِالشَّامِ فَمَا
أَسْرَفْتَ فِي الصَّدِّ إِذْ أَسْرَفْتَ فِيكَ هَوَى
نَأَيْتَ يَقْظَى وَقَدْ أَلْقَاكَ هَاجِعَةً
كَمْ صَادَ طَيْفُكَ طَرْفِي بَعْدَ هَجْعَتِهِ
رُدِّي وَدَائِعَ لَثَمَ جِئْتُ أَطْلُبُهَا
نَشْوَانَ لَمْ أَدْرِ مَنْ لَهْوِي وَمَنْ طَرْبِي
وَإِذْ جَمَالُكَ قَدْ أَوْدَى جَمِيلُكَ بِي
وَإِذْ مَعَانِيكَ بِالْأَنْوَارِ زَاهِيَةً
رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَقَدْ أُولَعْتُ بِعَدْكُمْ
وَمَا أَظُنُّ وَنَارُ الْقَلْبِ مَسْكُتُكُمْ
فَمَا مَرَرْتُ بِرَبْعٍ كَانَ رُبْعُكُمْ

لَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَعْصِي الْقَلْبَ لَوْلَاكَ
أَسْرَاكَ سَهْمًا إِلَى أَحْشَاءِ أَسْرَاكَ
فَالْعَدْلُ وَالْعَدْلُ يَنْهَانِي وَيَنْهَاكَ
وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنِّي لَسْتُ أَلْقَاكَ
فَالْجَفْنُ فَخِّي وَالْأَهْدَابُ أَشْرَاكِي
مَا كَانَ أَوْفَاكَ إِذْ أَوْدَعْتَهَا فَاكَ
أَمِنْ مُحِيَّاكَ سُكْرِي أَمْ حُمِيَّاكَ
وَبِالتَّعْطُفِ قَدْ أَعْلَاكَ عَطْفَاكَ
حَتَّى لَقَدْ خَلْتُ فِي مَغْنَاكَ مَعْنَاكَ
فَمَا بِذِكْرِكَ أَوْ قَلْبًا بِذِكْرِكَ
بِأَنَّنِي فِيهِ قَدْ أَكْرَمْتُ مَثْوَاكَ
إِلَّا ظَنَنْتُ صَدَاهُ أَنَّهُ شَاكِي

وقال أيضاً، وكان قد جلس في بستان له / ١١١ ب/ واستوحش من بعض

أصدقائه^(٢): [من الطويل]

جَلَسْتُ بِبُسْتَانِ الْجَلِيسِ وَدَارِهِ
وَسُقَيْتُ نَجْمَ الْكَأْسِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ
فَيَا سَاقِي الْكَأْسِ الَّتِي قَدْ شَرَبْتُهَا
وَيَا أَفْقَ لَوْ كَانَ الْحَبِيبُ مُضَاجِعِي
وَلَوْ وُصِلَتْ سُودُ اللَّيَالِي بِشَعْرِهِ

فَهَيَّجَ لِي مِمَّا تَنَاسَيْتُهُ ذِكْرًا
فَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ لَيْلٍ هَمِّي مِنْ مَسْرِي
رُوَيْدَكَ إِنَّ الْقَلْبَ فِي أُمَّةٍ أُخْرَى
لَمَّا سَأَلْتُكَ الْعَيْنُ أَنْ تُطْلَعَ الْبَدْرَا
لَمَّا خَشِيتُ مِنْ غَيْرِ غُرَّتِهِ فَجْرًا

(١) من قصيدة في ديوانه ٤٢٦/٢ - ٤٢٧ قوامها ١٦ بيتاً.

وقد عارض بها قصيدة الشريف الرضي التي قالها في المحرم سنة ٣٩٥هـ والتي مطلعها:

«يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك»

(٢) القصيدة في ديوانه ٥٨٢/٢ - ٥٨٣ قوامها ١٦ بيتاً.

تَذَكَّرْتُ وَرَدًا لِلْمَلِيحِ مُحَجَّبًا
فَصَرْتُ أَجَازِي الْقَلْبَ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِهِ
أَقْبَلُ ذَلِكَ الطَّلَّ أَحْسَبُهُ اللَّامِي
وَكَمْ لَائِمٍ لِي فِي الَّذِي قَدْ فَعَلْتُهُ
لَأَجْلِكَ يَا مَنْ أَوْحَشَ الْعَيْنَ شَخْصُهُ
وَقَاسَيْتُ مِنْكَ الْعَذْرَ وَالْهَجَرَ وَالْقَلَى
وَأَفْلَسَ طَرْفِي حِينَ أَنْفَقَ دَمْعُهُ
وَفَارَقْتُ عَزًّا بِالشَّامِ لِأَلْتَقِي
/ ١١٢ / لَئِنْ طَبْتُ فِي مُسْتَرْهٍ لَمْ تَكُنْ بِهِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي بُصْرَى وَحَسْبُكَ لَمْ أَقُلْ

وقال أيضاً^(١): [من الطويل]

تَرَكْتُ حَيْبَ الْقَلْبِ لَا عَنْ مَلَالَةٍ
أَرَادَ شَرِيكَاً فِي الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
وَلِئَلِّي مِنْهُ فِي عَقَائِلِ طَرْبَةٍ

وقال أيضاً: [من الطويل]

وَعَانِيَةَ مَنْ بَعْدَ عَشْرَيْنِ حِجَّةٍ
عَلَيْكَ زَكَاةٌ فَاجْعَلِيهَا وَصَالَنَا

وقال في معشوقه مفضل لما حبس وضرب^(٢): [من الطويل]

فَدَيْتُ الَّذِي لَمْ يَضْرِبُوهُ لَرِيَّةٍ
وَلَمْ يُودَعُوهُ السَّجْنَ إِلَّا مَخَافَةً
/ ١١٢ ب / وَقَالُوا: كَمَا شَارَكْتَ فِي الْحُسْنِ يُوسُفًا
وَلَكِنْ لِيَبْدُوا الْوَرْدُ فِي سَائِرِ الْغُصْنِ
مَنْ الْعَيْنُ أَنْ تَعْدُو عَلَى ذَلِكَ الْحُسْنِ
فَشَارِكُهُ أَيْضًا فِي الدُّخُولِ إِلَى السَّجْنِ

وقال في الإمام عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني

لما صَنَّفَ كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» يهجوهُ: [من السريع]

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من قطعة في ديوانه ٤٢٩/٢ قوامها ٤ أبيات.

(٢) الأبيات في ديوانه ٤٥٤/٢ من قطعة قوامها ٤ أبيات.

خَرِيدَةً أَقْبَاهُ مِنْ تَنْهَاهَا كَأَنَّهُمَا مِنْ رِيحِ أَنْفَاسِهِ
فَنَصَفَهُمَا الْأَوَّلُ فِي ذُقْنِهِ وَنَصَفَهُمَا الْآخِرُ فِي رَأْسِهِ
وَبَلَغَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ عِمَادُ الدِّينِ الْكَاتِبُ ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُمَا وَيَسْتَحْسِنُهُمَا وَيَقُولُ : وَاللَّهِ
لَقَدْ أَحْسَنَ وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّ فِي الْهَجَاءِ .

وَقَالَ أَيْضًا^(١) : [من الطويل]

تَكْمَلُ فَضْلِي بَعْدَ عَشْرَيْنِ حَجَّةً فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزْتُهَا بِثَلَاثِ
/ ١١٣ / وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي مَدَائِحِ مَعْشَرٍ كَمَوْتِي وَلَوْ أَنْصَفْتُ كُنْ مَرَاثِي
وَقَالَ أَيْضًا^(٢) : [من مخلّع البسيط]

قُولُوا لِمَنْ قَالَ : إِنَّ هَجْوِي يَفُوقُ مَذْحِي بِلَا أَمْتِرَاءِ
صَدَقْتَ يَا مَانِعًا ثَوَابِي مِنْهُ وَيَا قَاطِعًا رَجَائِي
كَابَةُ الْكُذْبِ فِي مَدِيحِي وَرَوْنَقُ الصَّدَقِ فِي هِجَائِي

وَقَوْلُهُ : [من الوافر]

رَأَيْتُ الْعَاشِقِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَآخِرُهُمْ شَقَاءٌ لَا سَعَادَةَ
فَعُشَّاقُ الْعُلُوقِ إِلَى بَغَاءِ وَعُشَّاقُ الْقِحَابِ إِلَى قِيَادَةِ^(٣)

وَلَهُ يَذِمُّ الشَّمْسُ^(٤) : [من السريع]

لَا كَانَتْ الشَّمْسُ فَكَمْ أَصْدَأَتْ صَفْحَةَ خَدِّكَ الْحُسَامِ الصَّقِيلِ
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِي الْكَرَى طَيْفَ خَيَالِ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلِ
وَأَعْدَمْتَنِي مِنْ نَجُومِ الدُّجَى وَمِنْهُ رَوْضًا يَبِينُ ظِلُّ ظَلِيلِ
تَكْذِبُ فِي الْوَعْدِ وَبِرْهَانُهُ أَنَّ سَرَابَ الْقَفْرِ مِنْهَا سَلِيلُ
وَتَحْسَبُ النَّهْرَ حُسَامًا فَتَرُ تَاعُ وَتَحْكِي فِيهِ قَلْبَ الدَّلِيلِ
/ ١١٣ ب / إِنَّ صَدِيءَ الطَّرْفِ فَمَا صَقَلُهُ إِلَّا التَّمَلُّكَ بِالْحَمِيَّا جَمِيلِ

(١) البیتان فی دیوانه ٤٧٤ / ٢ .

(٢) الأبیات فی دیوانه ٤٧٢ / ٢ .

(٣) العلوق : المرأة التي لا تحب زوجها .

(٤) القطعة فی دیوانه ٤٨١ / ٢ .

وَهِيَ إِذَا أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ حَدِيدُ طَرْفٍ رَاحَ عَنْهَا كَلِيلٌ
يَا غُلَّةَ الْمَهْمُومِ يَا جِلْدَةَ الْـ مَحْمُومٍ يَا زُفْرَةَ صَبٍّ نَحِيلٌ
يَا قَرْحَةَ الْمَشْرِقِ عِنْدَ الضُّحَى وَسَلْحَةَ الْمَغْرِبِ عِنْدَ الْأَصِيلِ
أَنْتِ عَجُوزٌ لَمْ تَبْرَجِي لِي وَقَدْ بَدَا مِنْكَ لَعَابٌ يَسِيلُ
وَأَنْتِ بِالشَّيْطَانِ قُرْبَانُهُ فَكَيْفَ تَهْدِينَا سَوَاءَ السَّبِيلِ

وقال أيضاً^(١): [من الوافر]

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا خَوْفُ سُخْطِكَ لَهَانَ عَلَيَّ مُجَبِّكَ أَمْرٌ رَهْطُكَ
مَلَكَتِ الْخَافِقِينَ فَتَهَتِ عَجْبًا وَلَيْسَ هُمَا سَوَى قَلْبِي وَقُرْطُكَ

وهذه فصول من كلامه المنثور ومنه:

«كُتِبْتُ وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي أَحْمَدُهُ لِأَنِّي أَحْمَدُهُ، وَأَشْهَدُ بِهِ لِأَنِّي
أَشْهَدُهُ، وَأَعْتَرِفُ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ لِأَنِّي بِالرَّبُوبِيَّةِ أَعْرِفُهُ وَأَصْفُهُ، وَلَا أَحِيطُ
بِشَيْءٍ مِنْهُ حِينَ أَصْفُهُ.

أَنْعَمَ عَلَيَّ مُتَفَضِّلًا / ١١٤ / وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ مُنْعِمًا، وَأَنْقَذَنِي مِنْ رَدَى،
وَبَصَّرَنِي مِنْ عَمَى، وَوَقَّقَنِي وَخَلَقَنِي لِيَنْفَعَنِي وَتَنْفَعَنِي لِمَا خَلَقَنِي،
وَأَوْرَدَنِي إِلَى الدُّنْيَا عَلَى بَرٍّ تَقْدَمُنِي، وَلُطْفٍ سَبَقَنِي. وَوُطْأَ لِي أَكْنَافُ
النَّعْمِ، وَثَنِي لِي أَعْطَافُ الْهَمِّ، وَعَلِمَنِي مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ، وَكَفَانِي قَبْلَ
الْقَوْلِ أَنْ أَفْهَمُ، وَبَعْدَ الْقَوْلِ أَنْ أُنْدَمَ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ، وَجَعَلَ عَنَانِيَّةُ

بِي ظَاهِرَةُ التَّأْتِيرِ: [من البسيط]

أُتْنِي عَلَيْهِ فَلَا أَنْفَكَ مِنْ خَجَلٍ مِنْ الْقُصُورِ وَلَا أَحْصِي سِوَى حَسَنِ
ومن قوله أيضاً في ذكر دولة ورثها:

«دَوْلَةٌ وَرَثَهَا الْجَدُّ السَّعِيدُ، وَخَوْلَهَا الدَّهْرُ الْقَهْرُ، وَمَنْحَهَا الْعَصْرُ
النَّصْرُ، فَرَكَعَتْ لَهَا الْأُمَمَ، وَسَجَدَتْ لَهَا الدُّوَلُ، وَزَالَتْ بِهَا الْغَمَمُ،
وَانْزَاحَتْ بِهَا الْعُلَلُ، وَقَامَ بِهَا مَائِلُ الْمَلَّةِ، وَضَحِكَ بِهَا مَقْبَلُ الْقَبْلَةِ،

وخطب بفضلها الأخرس، وفطن لها الأبله، ووضحت بها لمن تهين
البراهين، ولمن تدليل الأدلة / ١٤١ ب / وتمسكت ولكن بالدين،
واعصمت ولكن بالله، سلطانها له من الله سلطان، وأعوانها لها من النصر
أعوان، وسيرته الفاضلة قد سارت بها الركبان، ولكن على العقبان.
فالإسلام من طلقائه، والإيمان من عتقائه، والكفر يجاهره ولكن باتقائه،
والشرك به واقع في شرك انخفاضه وبعد ارتقائه، وعساكر تجعل الصباح
مساء يوم العرض، وسيوفه تجر في الأجسام البسط والأرواح القبض،
ورماحه تكاد لطلولها تمسك السماء أن تقع على الأرض^(١): [من الطويل]

فَلَوْرَامُ بُرْجًا فِي السَّمَاءِ لَمَّا عَصَى عَلَيْهِ وَقَرْنَا فِي السَّحَابِ لَمَّا نَجَا
فصل في دُعاء:

«خلد الله ملكه، وأبد فتكه، وأعز جنده، وأذل نده، وزين دولته
بالسعود، ومملكته بالصعود، وجعل ضده المكتوب، وجده المسعود،
ونصب مقامه قبله تقابلها ملائكة السماء بالسلام، وملوك الأرض
بالسجود ولازال محمّر الطّبي، مخضّر / ١١٥ / الرّبي، جالساً والأنام
في خدمته قيام، ساهر العزائم وملوك الأرض عنها نيام، منصفاً بعدله
الكرام من الأيام للثام، سابقاً بسيفه كلام الأعداء فإن حربه أولها كلام،
وإن الحرب أولها كلام: [من الخفيف]

كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَمًا مَا أَهْتَدْتُ إِلَيْهِ الْكَرَامُ
فصل في دُعاء للوزير:

«مولاي ورئيسي، وزير تسعى الملوك ببابه، وتستضيء بشهابه،
وتستسقي بسحابه، وتدفع خطوبها، وتستمد النصر لكتائبها من كتابه.
وتستهدي الإصابة لسامها من صوابه، وتجنّي فضله صنواناً

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٥٢/٢ - ٥٥ قوامها ٤٠ بيتاً، وتسلسله فيها ٢٠.

وغير صنوان، ومتشابهاً وغير متشابه. قد قدر بعلو القدر وتصدر؛ لأنه الصدر، ووطيء على وجه الشمس ومفرق البدر، وملك ناصية المجد، وبلغ قاصية الفخر. ومضى له الحكم ولكن على العصر، ونفذ له الأمر ولكن على / ١١٥ ب/ الدهر، وخشعت له قلوب الأنام في السر والجهر:

[من البسيط]

فِي الدَّسْتِ يَقْعُدُ وَالْأَقْدَارُ قَائِمَةٌ مَنْ شَاءَ يَقْعُدُ فَلْيَقْعُدْ كَمَا قَعَدَا

فصل آخر في مثله:

«أدام الله أيامه ومدَّ ظلّها بامتداد ظلّه، وحلّل عقدها بيمين عقده وحلّه، وجمع لها الفضائل كلها بظهوره على الفضل كلّ، ولازال عزّه لا يزول، وحالّ سعده لا تحول، وأيام دولته لا تقصُر، وأيام أعدائه لا تطول. وأقلام يده العالية للأولياء تصل وعلى الأعداء تصول: [من الطويل]

وَلَا زَالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلُ كَلَامِهِ بِأَنَّ كَلَامَ الْعَالَمِينَ فُضُولُ

فصل في تقرّض رئيس:

«خلق من صلصال الصّولة، وحمأ الحميّة، ونفخت فيه روح الأريحيّة، وغذته الأنفاس الرّوحانيّة، وربّته الألفاف / ١١٦ / الرّبانيّة، فجاء منه بشرٌ إلّا أنه قمرٌ، وجسدٌ إلّا أنه أسدٌ، وإنسانٌ إلّا أنه سلطان، ومملكٌ إلّا أنه مملكٌ: [من الطويل]

وَجَاءَ يَسُدُّ النَّاطِرِينَ مَلَاخَةً وَجَاءَ يَسُوءُ الْحَاسِدِينَ مَعَالِيَا

فصل في تقرّض منعم:

«ثقلتُ على كرمه، وأتعبتُ على متردّات نعمه، وأنضيتُ في السير إلى هاطلات ديمه، وشرّهتُ عليه والشره قبيح، وآثرتُ من النّجح ولكنّه المتعب، فكأنّه اليأس المريح، وأوفدت عليه مطاليبي حتّى استحييتُ، وحملتُ منّهُ على عُنتي حتّى أعيتُ، وماء الوجه جديد، وماء الحياء بعيد. [من الخفيف]

أَخْلَقْتَ وَجْهِي الْمَطَالِبُ مِنْهُ كَيْفَ لِي عِنْدَهُ بِوَجْهِ جَدِيدٍ

فصل في أيام سالفة :

١١٦ب/ «سقى الله داراً قضيت فيها اللبانة، واجتليت فيها البدر زاهراً، واجتنت منها العيش ناضراً، وبليت بها جلباب الشباب، وأفنت فيها رضاب الأحاب. وكانت أول أرض مس جلدي ترابها، وخدعني سرُّها لا سرُّها، ولما أطلت على أطلالها، وأنست طلوع هلالها: [من الطويل]

(ذَكَرْتُ بِهَا وَضْلاً كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ وَعَيْشاً كَانَتْ كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا) (١)

فصل في شكوى فراق :

«وما يندب الخادم إلا نفسه، ولا يبكي إلا أمسه؛ لأنه قد فارق من مشاهدة سيدنا وبركة قرب، وقرب بركته، وتلقى وفود الفوائد في وجهته من جهته ما جعله مغضوض الناظر، معضوض البنان، مجموع هموم القلب، مثور دموع الأجفان، طالباً من السلو ما لا يجده، وهيهات أن يسلو عن الماء الظمان: [من الطويل]

فَذَا الْجِسْمُ قَسَمٌ بَيْنَ سَقَمٍ وَعَبْرَةٍ وَذَا الْقَلْبُ نَهَبٌ بَيْنَ فِكْرٍ وَأَشْجَانٍ

١١٧أ/ فصل في دعاء :

«أدام الله ظلّ المولى ممدود الرواق بين الآفاق، وأطلع بدور شعوره متضاعفة الإشراق أمانة من لحاق المحاق، وبسط أنامله التي هي مفتاح الأرزاق ومغالق الإملاق، وخلد أيامه التي هي أحسن الأيام من محاسن الأخلاق والطف من معاتبة العشاق، ولا برحت ذات ظل صفيق، وحواش رقاق».

فصل في استنجاد:

«الله الله أن ترقد عني والموت منتبه، أو تغفل أمري والأمر مشتبّه، أو تنساني وقد ذكرتني الخطوب، أو تسيبني وقد أوثقتني الذنوب، فقد والله حلّ الخطب الحُبّ، وسل الحنف الطُّبّ، وبلغ السيل الزُّبى، وأنا الرجل الذي ضعف احتماله، وقُصِّرَ احتياله، ولاحت مقاتله، وعلم قاتله، وقُلّ ناصره، وكثر خاذله، وفات مداراة التلاقي فساده، وأعيت دلالات الخبير مجاهله».

١١٧ب/ فصل في وصف مجلس وحال:

«ولمّا غاب العاذل، وجاد الباخل، وأنس الظبي النافر، وسَفَرَ البدرُ السافر، خلعتُ العذار وعذرتُ الإنخلاع، وواصلتُ الوصل، وقاطعتُ الإنقطاع، وهزرتُ الغُصن المثمر، ولثمتُ الوجه المقمّر، وأطعتُ عناق العناق، وبلغتُ رسائل الأشواق، وأقدمتُ على المواضع التي كنت عنها أحجم، وأوردتُ في الموارد التي كنت عليها أحوم وأحمم: [من البسيط]

وَهَلْ يُبَاعِدُ عَذْبَ الْمَاءِ دُوْ غَصَصٍ أَوْ يَنْشِي عَنِ لَذِيذِ الزَّادِ مِنْهُومُ

فصل في مقال نفس سامية:

«وإنَّ لي يا مولاي نفساً تواقّةً، وهمّةً ذواقّةً. لا تقف على حدّ، ولا تقفو إلّا على جدّ، ولا تصيرُ من الدهر على حالة واحدة، ولا تضمُرُ من الهم إلّا جمرّةً واقدةً؛ ولا تألُو جذباً لعناني، / ١١٨/ وعتباً على زماني، واضعاً لآمالي الآماني، فأنا طول الدهر أثور ولا أركد، وأسهر ولا أرقد. وأطلب ولكن أين المطلب، وأغالب الدهر على أنه الأغلب. وأتعلّق من الأمل بدمام نجم مغرب، وأشتاق إلى نيل الأرب وأين من الأمل عنقاء مُغرب: [من الطويل]

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي فِيهِ رَاحَتِي وَمَا آخِرُ الْأَمْرِ الَّذِي أَنَا طَالِبُهُ

فصل في تنبيه لمتكبر:

«يا من ازدراني لما رأي، وحقرتني لما نظرتني، وهرب عني لما قرب
مني؛ لا تغرك أطماري، وأنظر إلى آثاري، ولا أثوابي عليك بادابي،
ولا أسمالي وتفقد أعمالي، فما بالزة تنال العزة، ولا بجدة السربال يقبل
الإقبال، ولا ببقاء الطيلسان ينطق الإنسان، وينطق اللسان: [من الكامل]
قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلَقَ وَجَيْبٌ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٌ

فصل في استعطاف:

١١٨ب/ «وَأَنَا أَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ يَوْجِبُ عِتْبَكَ، وَيَمْلَحُ عَذْبَكَ،
وَيَصْرِفُ قَلْبَكَ، وَيَجْعَلُكَ ثَانِي عِطْفِكَ، وَيُؤَلِّفُ تَغْيِيرَكَ عَلَى الْإِلْفِ: [من
السريع]

لَسْتُ عَلَى هَجْرِكَ جَلْدَ الْقَوَى وَلَا عَلَى عِتْبِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ

فصل في شوق:

«ما ألام ظفرَ الهموم، فإنها كثيرة تتساعد على قلب واحد، وما أتعب
مُعَاتَبَ الأيام؛ فإنها تضرب من مُعَاتِبَتِهِ في حديد بارد، وما أعجب بمن
مُنِيَ بِقَسْوَةِ الْأَقَارِبِ إِذَا رَامَ الْحُنُوَّ مِنَ الْأَبَاعِدِ. فَيَا لِلَّهِ كَمْ تَظَلَّمْتُ إِلَى
مَوْلَايَ مِنْ أَغْرَاضِ كِتَابِهِ وَصُدُودِهِ، وَكَمْ شَكُوتَ لَهُ طَوْلَ تَرْقِيِّي لَوْصُولِهِ
وَتَطْلُعِي لَوْفُودِهِ. وَبِاللَّهِ لَقَدْ نَسَخْتُ سَوْءَ الظَّنِّ بِانْقِطَاعِ أَخْبَارِهِ آيَةَ الْأَشْوَاقِ،
وَلَقَدْ شَغَلَنِي الْوَلَةُ عَنْ إِنْفَاقِ ذَخَائِرِ الْإِمْلَاقِ، وَلَقَدْ عَدَلْتُ عِنْدِي سَاعَةَ فِرَاقِ
كِتَابِهِ سَاعَةَ يَوْمِ الْفِرَاقِ».

فصل في ذم:

١١٩أ/ «قُوبِلَ جَمِيلِي بِكَلِّ قَبِيحٍ، وَسَكُوتِي بِكَلِّ صَرِيحٍ، ﴿قُلْ كُلُّ
يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى

سَيْلًا^(١) ولو تحاكمنا إلى المروءة لافتضح منا من هو أخجل حجة،
وأخرى دليلاً، فظفر الضعفاء بالأقوياء مفهوم، وفتك الجبناء بالشجعان
معلوم، والوفاء في هذه الأيام معدوم، وصاحبه في سلك الليالي منظوم،
وذلك المهين فقد سرت منه عقارب لو شئت لأسريت إليه قبالتها سريرات،
وظن أنه كوى في السرّية ولو شئت لكويته في الجهر كيّات؛ لكن علمت
الظفر به هزيمة، والإطراح له غنيمة، والغريزة العريضة، والشيمة
الكريمة، تبعث على حفظ الصداقة القديمة: [من الكامل]

وَإِذَا بَغَىٰ بَاغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَأَقْبَلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ
فصل في وصف محبوبية:

١١٩ب/ «كيف أسلوها وهي لخلي خلابة، ولغلي غلاّبة، وبينها
وبين نفسي قرابة، ولم تدع زاوية من قلبي حتى ملأتها صباة، وما أدلت
إلاّ بالحسن، وما أحست إلاّ بالدلال، ولا كسفت إلاّ وجوه النساء، ولا
كشفت إلاّ أحوال الرجال. أمّا الخصر فمجدول، وأمّا الطرف فبالكحل
مكحول، وأمّا القد فلا قصر ولا طول، وأمّا الخد فكالورد إلاّ أنه لا
يحور: [من البسيط]

هِيَ الشِّقَاءُ لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا وَلَيْسَ مِنْهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْدُولٌ
فصل في اعتذار عن هُدنة:

«قامت بيننا حروب، وقامت فيها خطوط الخطوب، وبقيت
الدست قائمة فلا غالب ولا مغلوب، ونهك القتال إلى أن ضعف
الطالب والمطلوب، فالتجأنا جميعاً إلى المهادنة وفي النفوس ما
فيها، وحسناً بادي الوجوه وقبح الحقد خافيها، وأبغت حسائلك
أنبتتها الصدور، وانعمرت حزازات لا تهدمها الدهور/ ١٢٠أ/

فالظواهر سليمة، والبطون سقيمة، والسيوف مغمدة، ولكنها في الأكباد
مسلولة، وأيدي الضغائن مبسوطة، وإن كانت أيدي الفتك مغلولة: [من
الطويل]

وَفِينَا وَإِنْ كُنَّا أَصْطَلَحْنَا تَبَاغُضٌ كَمَا طَرَأَ أَوْبَارُ الْجِرَابِ عَلَى الْبَرِّ
فصل في دعاء:

«أدام الله دولته وأدامها ومدد مدته وأطالها، وصرف إليه الآمال وأمالها،
وأمتعته بشكر النعم التي أنالها، ولا زال يستخدم الأفلاك، ويستعبد
الأملاك، ويعفر بعرضات جباه الجبابرة، ويفضل بسيرته الفاضلة سير
الملوك الغابرة. ويقطف زهر النصر الأبيض من ورق الحديد الأخضر،
ويسل على الأعداء نصل نصر لا يزال رائح المخبر رائق المنظر، وسهل
الله للملوك لقاءه الذي يجمع بين فمه وتراب موطنه، ويتخلص من بحر
الهموم إلى جنبابه الذي هو كشاطئه، ويحكم آماله في أمواله، ويهاجر من
الهجير إلى ظل إقباله:

[من الطويل]

فَمَنْ لَمْ يَنْلُ مِنْهُ الْغِنَى فَهُوَ عَاجِزٌ وَمَنْ لَمْ يَعِشْ فِي ظِلِّهِ فَهُوَ خَائِنٌ
فصل في ذكر أحباب رحلوا:

«فأما جيرانني فيما جاروا لما ساروا، ويا ما عملوا لما احتملوا، ويا ما
أمرضوا لما قوّضوا، ويا ما فعلوا لما رحلوا.

شئتوا والله شمل الدموع، ونشروا نظم الظلوع، وأنزلوا على
القلوب كيّات الإكتئاب، وقطروا القلوب إلى أذنان الركاب.
وكان الأنس بهم مصقول الترائب، والعيش بهم مخضر الجوانب،
والجدل بهم أحمر الوجنة، والرّبع بهم أزهر الدّمّة، والسرور بهم
باسم المباسم، والأيام بهم كلّها مواسم. وكان الدهر قد غمض عينه
عنهم مُدّة، وعقد بينه وبينهم مودّة، ثم نكث وغدر عليهم القدر،
وختم صفوهم بالكدر، وفترتهم أيدي سبا، وأذهلهم عن التذكير لعهود

الحمى، والتلفت إلى أيام الصبا، فالدار بعدهم دائرة، وكم دارت عليهم
دائرة وبائدة، وكم حلت بها أبدة، وقد بكى / ١٢١ / عليها السها
والفرقد، وخجل منها الغراب الأسود، ومشى عليها الدهر وهو مقيد:
[من السريع]

بَانُوا فَبَانَتْ أَسْفَاءُ بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارِ

[٨٨٣]

هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن جعفر بن علي بن
سليمان بن سيد بن أبي قحافة، أبو القاسم الأنصاري^(٢).
من أهل الديار المصرية.

كانت ولادته سنة خمس وستين وخمسمائة.

سمع الحديث على البوصيري وابن حمد الأرتاحي، وحدث عنهما. وكان كاتباً في
بعض دواوين مصر؛ وفيه فضل وأدب وينظم شعراً لا بأس به.

أنشدني أبو محمد عبد الواحد بن عبد الله بن أبي جرادة الحلبي بها، قال: أنشدني أبو
القاسم لنفسه بمصر: [من البسيط]

يَا سَيِّدًا إِنْ يَغِبْ عَابَتْ مَسَرَّتُهُ وَإِنْ لَمَحْنَاهُ عَادَ الْبِشْرُ وَالْفَرْحُ
وَكُلُّ حَالَاتِنَا فِي بُعْدِهِ نَصَبٌ وَكُلُّ أَوْقَاتِنَا فِي قُرْبِهِ مَلَحٌ
إِذَا بَقِيَتْ فَتَغَرُّ الْجُودِ مَبْتَسِمٌ لَطَالِيهِ وَصَدْرُ الْمَجْدِ مُنْشَرِحٌ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٥٨ وفيه: «هبة الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن حسن
سديد الدين...، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي سنة خمسين وستمائة». تأريخ الإسلام
(السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٤٥٨ رقم ٦١٩ وفيه: اسمه «نصر الله».

[٨٨٤]

هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب،
أبو منصور النحوي اللغوي، الملقَّب بعميد الرؤساء^(١).

من أهل الحلة المزيديَّة، بها ولد ونشأ. وكان أهله كتاباً متصرفين يتعرضون لخدمة السلطان، وأصلهم من النعمانية، وبقي في الحلة منذ ولد إلى بضع عشرة سنة. وتعلَّم الخطَّ عند أستاذ كان بالحلة، يقال له خزيمه بن محمد الأسدي، وتأدَّب عليه إلى سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ومضى إلى مدينة السلام يطلب العلم والأدب، وله من العُمَر عشرون سنة فأقام بها قريباً من عشر سنين زائداً فناقصاً يعاني الفقر والفاقة ويجدُّ ويدأب في الإشتغال.

وتخصَّص بأبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العَصَّار الرقي اللغوي تخصُّصاً عظيماً، وقرأ عليه كتباً كثيرة في اللغة وفنون الأدب، وروى عنه جميع ما يرويه. ولقي الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب النحوي، وأبا العزِّ محمد بن محمد بن الخراساني، وأبا محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الجواليقي / ١٢٢ / وابن خُضير الصِّرفي وغيرهم من شيوخ العلم والأدب، وروى عنهم وبرع في علم اللغة، وصار يعدل بشيخه أبي الحسن علي بن العَصَّار ويفضل عليه وشاع ذكره في الآفاق. وكان خطه مليحاً ونسخ لنفسه نحواً من مائة مجلَّد في اللغة وعاد إلى الحلة فأقام بها إلى أن مات يوم عيد الفطر سنة عشر وستمائة.

وكان أديباً بارعاً نحوياً لغوياً شاعراً شيخ وقته، ومتصدِّر بلده، وعنه أخذ أهل تلك البلاد الأدب وعلم اللغة. وكان قد تزوَّج في الحلة بامرأة صالحة خيرة من قوم أمثال يعرفون بيت الدُرْبِي، فبورك له فيها ورزق منها عدَّة بنين وبنات ماتوا جميعهم في

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٥٨ - ٢٥٩، وفيه: «توفي سنة عشر وستمائة». طبقات النحاة لابن قاضي شهاب/ الورقة ٢٦١ - ٢٦٢. معجم الأدباء ٦/ ٢٧٦٤. التكملة للمنذري ٢/ ٢٩٢ رقم ١٣٣١، وفيه وفاته سنة عشر وستمائة أو نحوها. إنباه الرواة ٣/ ٣٥٧. بغية الرواة ٢/ ٣٢٢. مجمع الآداب ٢/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ١٤٣٥، لقبه «عميد الرؤساء». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩٣ رقم ٥٥٠.

حياته ، وبقيت منهم بنت واحدة ماتت بعده .

وكان قد وفد على أبي عبد الله بن شعبان متوسلاً بالخوالة ؛ لأنَّ أمه كانت من بني شعبان فواصله بما مبلغه مائة دينار ، فقبلها لمكانته عند الناس ، وأثرى من بعد فقر ، وعاش غنياً موسراً ، وبقي نيّفاً وثمانين سنة .

وكان شعره شعر الأدباء ليناً سهلاً ومنه قوله يرثي زوجته / ١٢٢ ب / المقدم ذكرها من أبيات ^(١) : [من البسيط]

لَمْ تَذْهَبِي فَأَقُولُ الدَّاهِبُ أُمْرَأَةٌ وَإِنَّمَا ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ وَالْكَرَمُ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ إِلَّا أَنَّ ذَاكَ بَلَى مُعَيَّرَ وَجْهَكَ الْحَالِي وَذَا سَقَمُ

ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى أبي الفتح محمد بن أحمد بن حيا الكاتب الحلبي :

[من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْمَاجِدُ الْمُوفِي عَلَى شَرَفٍ مِنْ الْعَلَاءِ تَطَاطَا دُونَهُ الرُّتَبُ
ضَمَنْتَ لِي وَضَمِينَ الشَّيْءِ غَارُمُهُ قَضَاءَ دَيْنِي وَدَيْنِي ثَابِتٌ يَجِبُ
وَأَنْتَ دُو الْفَضْلِ لَا مَنْ يَنْكُدُهُ وَالْقَوْلُ لَا يَعْتَرِيهِ الزُّورُ وَالْكَذِبُ
مَا فَاتَ طَالِبَ عَرَفَ مِنْكَ مَطْلَبُهُ إِلَّا وَأَعْيَا عَلَيْهِ ذَلِكَ الطَّلَبُ
وَكَيْفَ يَبْخُلُ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلُ فَتَى كَثِيرُهُ بِأَكْفِ النَّاسِ يُتْتَهَبُ
فَاعْجَبْ لِهَذَا وَأَكْثَرِ مَنْ تَدْبِرُهُ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا الْعَجَبُ

وله أشعار غير ما ذكرته ، إلا أنه لم يصل إليّ منها شيء عند توريقي هذا الكتاب .

[٨٨٥]

هبةُ الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس بن بلوطس بن
بيمك ، أبو البركات النصراني .

من أهل الديار المصرية .

كان يخدم الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن

أيوب في دولته متصرفاً، فعرض عليه الإسلام، فأبى فاعتقله فخرج من السجن وقصد إربل فولاه سلطانها الفقير إلى الله أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين - رحمه الله تعالى - الإشراف بديوان الارتفاع الخاص.

وكان له تقدّم في وضع الحسابات الديوانية والأحكام الخراجية، ويقول الشعر الحسن المطبوع على سبيل الإنسباط والمداعبات، ولم يزل مقيماً بإربل إلى أن توفي عصر يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وستمائة.

وقد ذكره الوزير صاحب العالم أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه - في تاريخه الذي ألّفه لإربل، وقال: سألت أبا البركات بن ييمك عن مولده، فقال: ولدت في دمنهور الوحش^(١) سنة ثلاث وستين وخمسماية.

ورد إربل / ١٢٣ب/ بعد أن اعتقل مدة طويلة. وكان يلي بعض أعمال الملك الأشرف... بن أبي بكر بن أيوب، فنقم عليه، وأخذ ماله، فورد إربل والتحق بالملك المعظم أبي سعيد كوكبوري بن علي لما كان في بلاد العجم سنة إحدى عشرة وستمائة، ووصل إلى إربل فتوصل إلى أن صار له إشراف الديوان بالقلعة، يكتب حسناً. وزعم بعض المصريين، أن ييمك امرأة نسبوا إليها.

وأنشدني، قال: أنشدني أبو البركات بن ييمك لنفسه: [من الوافر]

دَعَيْنِي وَالسُّرَى وَمَجَالَ عَيْسِي لَعَلِّي مُسَدِّدُكَ مَا فِي النَّفُوسِ
فَلَمْ يَكْ بِالْغَا أَمْرًا نَفِيسًا فَتَى مَا لَمْ يُغَرَّرْ بِالنَّفِيسِ
وَحَلَّ لِكُلِّ ذِي عَزْمٍ ضَعِيفٍ مُعَاقِرَةَ الْمَوَاطِنِ وَالْجُلُوسِ

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن وهرام بن بكران البوازيجي الإربلي بها - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني / ١٢٤أ/ أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن ييمك النصراني لنفسه، وقد ورد عليه كتاب من بعض أصدقائه:

[من الوافر]

وَقَفْتُ عَلَى الْكِتَابِ فَهَمْتُ شَوْقًا كَأَنِّي قَدْ شَرِبْتُ مِنَ السَّلَافَةِ

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (دمنهور).

وَبِتُّ سَمِيرَ شَخْصِكَ مِنْهُ مَوْلَى بَقَلْبِي أَنْتَ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ
فَرُخْتُ يَهْزُ أَعْطَافِي سُرُورٌ كَأَنِّي قَدْ مَلَكَتُ بِهِ الْخِلَافَةَ
وَقَالَ اللَّهُ مَنْ غَيْرَ اللَّيَالِي وَمِنْ ثَوْبِ الْحَوَادِثِ كُلِّ آفَةٍ
فَكُلُّ حَدِيثِ أَهْلِ الْوُدِّ عِنْدِي سِوَاكَ إِذَا سَمِعْتُ بِهِ خُرَافَةَ

وأنشدني أيضاً من لفظه، قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس المصري لنفسه بإربل: [من الكامل]

١٢٤/ب/ لَوْ كَانَ يُدْرِكُ بِالتَّرْكُضِ سَائِرُ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ أَوْ أَمْسِهِ
يَحْوِي هَلَالَ التَّمِّ وَضَلَّالَ لَمْ يَزَلْ أَبَدًا يُحَاوِلُهُ بِدَارَةِ شَمْسِهِ
لَكِنَّهُ لَمَّا تَوَعَّلَ فِي السُّرَى لَقِيَ الْكُشُوفَ مِنَ الرَّدَى فِي نَفْسِهِ
وَالسَّعْيِ إِذْ لَمْ تُعْطَ فِيهِ سَعَادَةٌ مُتَحَرِّكٌ أَبَدًا يَعُودُ بِنَحْسِهِ

[٨٨٦]

هبة الله بن أبي سعيد بن أبي الكرم بن أبي سعيد بن أبي الخير بن أبي اليمن، أبو البركات النصراني، المعروف بأبن ستوتة.

من أهل مصر.

كان ذا نظم ونثر وخطٌ مليح حسن، ومعرفة جيدة بالحساب، ولديه فضل وأدب يتصرف في الأعمال الديوانية، وأقام بحلب مدة، واتصل بخدمة الأمير مبارز الدين يوسف بن ختلخ الحلبي. ثم انتقل عنه وخدم لبعض الولاة بكفرطاب، ومات في عاشر رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة.

أنشدني الأجل نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم ابن المولى الكاتب المنشئ بديوان حلب بها - أسعده الله تعالى - لفظاً، قال: / ١٢٥ / أنشدني أبو البركات بن أبي سعيد بن أبي الكرم المصري لنفسه ما كتبه إلى الوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي يستعفي من عمل التصرف: [من الخفيف]

أَنَا أَشْكُو إِلَى مَعَالِيكَ حَالِي وَوُقُوعِي مَا بَيْنَ شَيْبٍ وَشَيْنٍ
لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ أَلْقِي رُوعَاتِ الْحِسَابِ فِي الدَّارَيْنِ

ذَٰكَ فِيهِ عَيْبٌ يَخَافُ وَهَٰذَا فِيهِ جَوْرٌ فَأَلْوَيْلُ مِنْ هَٰذَيْنِ

[٨٨٧]

هبةُ الله بنُ عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن الشيرازي،
يكنى أبا الفضل^(١).

من أهل مدينة السلام.

شيخٌ لقيتهُ بها بمجلس الشيخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار البغدادي - رحمه الله تعالى - وذكر لنا أنه دخل البلاد الخراسانية، وتجوّلها. وكان تاجراً.

ولد بالنيل^(٢) وسألناه عن ولادته، فقال: إنَّ له من العمر سبعين سنة. وكان سؤالنا له والاجتماع به يوم الخميس ثاني رمضان سنة تسع وثلاثين وستمئة، فبدل أنَّ مولده في سنة سبعين وخمسائة.

يعاني قول / ١٢٥ ب / الشعر، وله في نظمه طبع صالح، وقريحة ما بها بأسٌ يتشيع.

أُشِدنا من قوله - وكان قد سُجن - ما كتبه إلى أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد - رضوان الله عليه - يتألم من السجن ويشكو إليه حاله، وما يلقي من المحبوسين ومن المقام بينهم: [من الوافر]

خَلِيلِي إِنِّي أُولِيكَ نُصْحًا وَصَايَا لِّلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ
إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى رَشِيدًا وَتُرْمَقَ بِالسَّدَادِ وَبِالصَّوَابِ
تَجَنَّبَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْتَ حَيًّا لَوَاوَاتِ ثَلَاثَ فِي كِتَابِ
فَوَاوُوصِيَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا فَتُلْقَى فِي السُّجُونِ وَفِي السَّبَابِ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٢٨٩ - ٢٩٠ فيه: «توفي سنة أربعين وستمئة». ذيل تأريخ بغداد لابن النجار.

(٢) النيل: بلدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد، يخترقها نهر يتخلج من الفرات العظيم. انظر: معجم البلدان/ مادة (النيل).

وَوَاوُوكَالَةَ وَكُلَّتْ فِيهَا
وَأَنْ رُمْتَ الثَّوَابَ وَحُسْنَ فَعْلٍ
تَصَبَّرَ وَأَعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ طَبًّا
نَصَحْتُ فَمَا رَأَيْتُ النَّصْحَ يُجْدِي
أَرَى حَبْسِي وَبِالْأَلَيْسَ فِيهِ
/ ١٢٦ أ / أَيَا مَوْلَايَ دَعْوَةٌ مُسْتَعِيثَ
وَمَنْ سَجَنُ تَجَمَّعَ فِيهِ حَوْلِي
فَإِنْ عَاشَرْتَهُمْ دَنَسْتُ عَرْضِي
وَنَحْنُ بِجَمْعِنَا فِي قَعَرٍ لَحْدٍ
إِذَا أَشْتَدَّ الْهَجِيرُ بِهِ عَلَيْنَا
وَأِنْ جَرَّتِ النَّسِيمُ تَجَرُّ فِيهَا
وَقَدْ تَغْدُو الثُّفُوسُ بِهَا سُكَارَى
تَعْجَلُ مَا تَأْجَلُ مَنْ عَذَابٍ
فَبْتُ مُعَاتِبًا دَهْرًا رَمْتَنِي
أَقُولُ لَهُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي
أَنْقُصْ دُنْيِي وَقَدْ أَلْجَأْتُ ظَهْرِي
عَنِتُّ النَّاصِرَ الْمَنْصُورَ عَضْدِي
إِمَامًا يَمَلَأُ الْمُحْرَابَ زُهْدًا
فَأَوْجَسَ خَيْفَةً دَهْرِي وَطَابَتْ
/ ١٢٦ ب / وَقَالُوا وَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى جَنَابٍ
فِيَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَا أَحَاشِي
بِمَنْ أَدْنَى النَّبِيِّ بِقَابِ قَوْسٍ
وَطَهَّرَ أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ
أَغْنِي إِنْ نَبِيَّ بِكَ مُسْتَجِيرٌ
فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ شَرَحْتُ مَا بِي
بَقِيَتْ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي سُرُورٍ

بُسُوءِ الظَّنِّ مِنْ كُلِّ الصَّحَابِ
فَمَا فِيهَا لَعْمُكَ مِنْ ثَوَابٍ
بِمَا قَدْ حَلَّ بِي وَلِسُوءِ مَا بِي
وَمَنْ قَدْ خَانَ مَمْنُوعَ الْجَوَابِ
سَوَى إِنْ تَصَاعَفَ فِي الرُّقَابِ
إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ مِنَ الْعَذَابِ
أُنَاسُ فِي التَّهَارُشِ كَالْكِلَابِ
وَأِنْ جَانَبَتْهُمْ بَزَاوَا ثِيَابِي
مَوَاتٍ فَاتَّتَا طَمَّ الثَّرَابِ
يَسِيلُ صَدِيدُنَا سَيْلَ السَّحَابِ
رَوَائِحُ فِي الْمَعَاطِسِ كَالْحِرَابِ
يَمِيلُ بِهَا وَلَا سَكْرُ الشَّرَابِ
فَكَيْفَ وَمَا أَتَى يَوْمَ الْحِسَابِ ؟
نَوَائِبُهُ وَمَا يُجْدِي عَنَابِي
كَمَا وَهَتْ الْعُقُودُ مِنَ الْكَعَابِ
وَلَذْتُ بِظُلِّ مَمْنُوعِ الْجَنَابِ
خَلِيقَةُ أَحْمَدَ كَأَبِي ثَرَابِ
وَفِي يَوْمِ الْكَرْبَةِ لَيْثُ غَابِ
مَذَاقْتُهُ وَكَانَ كَطَعْمِ صَابِ
تَلِينُ لِبَاسِهِ كُلُّ الصَّعَابِ
وَيَا خَيْرَ الْأَنَامِ وَلَا أَحَابِي
وَأُظْهِرْ دِينَهُ بَعْدَ اخْتِجَابِ
وَأَنْتَ مِنَ السُّلَالَةِ وَاللُّبَابِ
لَتُنْقِذَنِي مِنَ الظُّلْمِ الْعُجَابِ
وَمَا عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مِنْ شَغَابِ
وَدُمْتَ لَهَا عَلَى مَرِّ الْحِقَابِ

وَمَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِأَيْكَ وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ عَلَى الرُّكَّابِ

وأنشدني أيضاً ما كتبه إلى الوزير مُؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي - وكان يومئذ يتقلد الوزارة للإمام أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد / ١٢٧ / رضوان الله عليه - ويتظلم إليه من القاضي شهاب الدين أبي المناقب محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني الحاكم بمدينة السلام - وكان ينز بابن عرس لقصر كان في رقبته : [من الخفيف]

يَا وَزِيرَ الْإِمَامِ فِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
مُسَخَّ النَّاسِ فِي زَمَانِكَ فَأَرَأَى
جَدُّهُ فُنُقْدُ وَعَرَسُ أَبَوُهُ
قَالَ قَوْمٌ لَمَّا رَأَوْهُ بَدَسَتْ
وَحَرَاجُ الْبِلَادِ يُجَبِّى إِلَيْهِ
مِثْلُ هَذَا يَكُونُ حَاكِمَ بَغْدَادِ
/ ١٢٧ ب / أَتَقْدُوا الشَّرْعَ مِنْ يَدَيْهِ فَقَدْ أَضْ
فَرَحَ الْقَائِلُونَ بِالْأَبِ وَالْأَبِ
فَرَحُوا إِذْ رَأَوْهُ لِلشَّرْعِ قَدْ
يَا إِمَامَ الْهُدَى وَيَا حُجَّةَ اللَّهِ
مَا أَرَى نَاصِحًا لَكَ الْيَوْمَ فِي النَّاسِ
أَنَّ هَذَا ابْنُ عَرَسٍ قَدْ فَرَسَ الْمَا
قَدْ حَوَى جَلْدُهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
وَأَجْعَلُوا يَوْمَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَإِذَا رُمْتُمْ زِيَادَةَ مَالٍ
مَنْ وَكَيْلٌ وَمُحْضَرٌ وَعُغْلَامٌ
مَنْ لِمَالِ الْآيَتَامِ يَحْنُو عَلَيْهِ

سَدَ لَقَدْ ضَاعَ فِي اخْتِيَارِكَ حَسِي
فَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ ابْنُ عَرَسٍ
لَيْتَ شَعْرِي فَبَزَرُهُ أَيُّ جَنْسٍ
نَافَذَ الْحُكْمَ فِي الْقَضَا وَالْدَّرَسِ
بَعْدَ مَا كَانَ لَا يَرَى نَقْشَ فَلَسِ
وَعَارٍ يَكُونُ هَذَا بَيْرَسِ (١)
بَحَ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ فِي رَمَسِ
سَنَ وَمُوسَى وَمَنْ يَرَى لِلشَّمْسِ
مَاتَ فَهُمْ مِنْ عَزَائِنَا فِي عَرَسِ
هَ وَمَنْ حُبُّهُ مُحَالٌ طُ نَفْسِي
سَ فَيُنْهَى إِلَيْكَ مَنْ غَيْرَ لَبَسِ
لَ وَلَا فَرَسَهُ الْأَسْوَدُ الشُّرْسِ
فَخَذَوْهَا مِنْهُ بِأَهْوَنِ لَمَسِ
مِثْلُ مَا كَانَ مُدْبِرًا بِالْأَمَسِ
فَاجْعَلُوا جُلَّ صَحْبِهِ فِي الْحَبَسِ
قَلَعُوا النَّاسَ مِثْلَ قَلْعِ الضَّرْسِ
أَذْهَبُوهُ مَا يَبْنِي أَكْلَ وَلُبْسِ

[٨٨٨]

هبة الله بن علي بن عيسى بن المقلد بن علوي، أبو المعالي بن أبي القاسم النيلي.

كانت ولادته بالنيل ثالث عشر صفر من سنة أربع وستين وخمسمائة، وعاش /١٢٨/ إلى قريب سنة عشرين وستمائة.

كان عالماً فاضلاً يترامى إلى علوم الحكمة وأصنافها، وله معرفة باختلاف المذاهب والأديان وأقوال الحكماء وأرباب المقالات. وأنشأ رسالةً نظماً ونشراً سماها «القاصمة القاصلة والفاصمة الفاصلة»، وصنع رسالةً أخرى وسماها بـ «المذهبة الكاسفة لمذاهب الفلاسفة»، عملها رداً على فلاسفة يونان وأصحاب المنطق وإبطال أقوالهم، وكشف ما ستروه من العقول، وقال أشعاراً في المواعظ والزهد والاعتبار وما يجري مجرى هذه الفنون.

أنشدني صاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال: أنشدني أبو المعالي النيلي لنفسه: [من السريع]

يَا رَبِّ هَذَا الْقُدْرَةُ الْقَاهِرَةُ	وَالْحَكْمَةُ الْبَالِغَةُ الْبَاهِرَةُ
يَا رَبِّ ذَا اللَّيْلِ الَّذِي قَدْ سَجَا	وَرَبِّ هَذَا الْأَنْجَمِ الزَّاهِرَةُ
يَا مُنْشِئَ الْخَلْقِ كَمَا شَاءَ	وَيَا مُعِيدَ الرِّمَمِ النَّاخِرَةُ
/١٢٨ ب/ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ عَدَاةَ اللَّقَا	إِذْ تَجْمَعُ الْعَالَمَ بِالسَّاهِرَةُ
وَالْعَفْوَ عَنِّي وَجَمِيلَ الرِّضَا	فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةُ

وأنشدني، قال: أنشدني هبة الله بن علي النيلي لنفسه في الإنقطاع إلى الله عز وجل:

[من الوافر]

إِلَهِي لَيْسَ لِي جَلْدٌ قَافٍ	عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ وَلَا أَطِيقُ
وَلَا تَغْفُ عَنِّي أَوْ تُجِرْنِي	فَلَيْتِي فِي بَحَارِ رَدَى غَرِيْقُ

وقوله في الاعتبار والتسليم لله تعالى: [من الرمل]

لَيْسَ بِالْدَائِمِ بُؤْسٌ وَتَرْحُ	لَا وَلَا يَبْقَى نَعِيمٌ وَقَرْحُ
-------------------------------------	------------------------------------

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ ظَلَامٍ شَامِلٍ
وَضِيَاءٍ ظَاهِرٍ مُشْتَهَرٍ
هِيَ ذُنْيَا لَا نُبَالِي هَاجِيَا
فَنَقُوبُ بِاللَّهِ فَالْحُكْمُ لَهُ
/ ١١٢٩ / وَكُلُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ تَسْلَمُوا
أَيُّهَا الْمُدْنَبُ حَرِّصَا نَفْسَهُ
كَمْ وَكَمْ هَذَا التَّعْنِي غَلَطَا
فَأَقْصِدْ وَاسْعَ بَرَفَقْ وَأَتَّذِ
فَلَكَ الْبُلْغَةُ فَاسْأَلْهَا وَإِنْ
وَلَهُ الشُّكْرُ فَمَنْ شَاءَ إِذَا

وقال أيضاً في التجلد والإصطبار، وكان قد مرض: [من الكامل]

أَلَمْ أَلَمْ وَعَارِضٌ عَرَضَتْ بِهِ
يَا وَيَحَهَا أَنِّي رَأْتَنِي سَالِمًا
أَسْبَابُ حَطٍّ فِي الْحَضِيضِ مُقِيمٍ
وَمَتَى اسْتَقَمْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَقِيمٍ
أَبْدًا وَلَوْ بَلَغْتَ إِلَى الْحُلُقُومِ

وهذا الذي وقع إلي من أشعاره .

[٨٨٩]

/ ١٢٩ ب / هبة الله بن محمد بن شكر، أبو البركات المصري، المعروف
بابن العصار .

شاعر عصرنا ومجيدُهُ، مالك عنان القريض كيف ما شاء يقودُهُ، رائق الشعر مصقولُهُ،
يُبدع فيما ينشئه ويقولُهُ، أحكم الناس لو شي الكلام رقماً، وأتقنهم لجواهر الألفاظ والمعاني
نظماً .

سمعتُ صاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي - رضي الله عنه - يُشني
عليه ويصف فضله ويقرُّطُهُ، ثم أنشدني له، قال: أنشدني أبو البركات لنفسه يصف عَوَاداً:

[من المتقارب]

... فِي وَقْتِهِ وَإِيَّتَهُ إِنَّ شَدَا... أَوْ ضَرَبَ

يُمِيتُ الْهُمُومَ وَيُحْيِي النُّفُوسَ وَيُبْقِي السُّرُورَ وَيَنْفِي الْكُربَ
تَقُولُ أَعَاجِمُ أَوْتَارِهِ أَقَاوِيلُ تُخْرَسُ فُضْحَ الْعَرَبِ
فَتَحْرِيكُهَا سَكَنَاتُ الْأَسَى وَتَسْكِينُهَا حَرَكَاتُ الطَّرَبِ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو البركات ابن العصار قوله: [من الرجز]

/ ١٢٠ / فَلَا تَرَى فِي النَّاسِ إِلَّا شَاكِرًا لَجُودِهِ شُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْمَطَرِ
الْسُّنْهُمُ صَلَّتْ بِأَيِّ جُودِهِ فِي قُبُلِ الْأَفْوَاهِ يَتْلُوهَا سُورُ

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، وكتبها إلي: [من الوافر]

أَنَا اتَّفَقْتُ كُنَانًا فَا لِمَعَالِي قَدْ اخْتَلَفْتُ وَأَنْتَ أَجَلٌ قَدَرًا
فَإِنْ مُحَمَّدًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكُنْيَتِهِ جَمِيعُ النَّاسِ طَرًّا

قال: فكتبت إليه جوابها على الوزن والروي: [من الوافر]

إِنْ اخْتَلَفْتُ كَمَا قُلْتَ الْمَعَالِي فَإِنَّكَ رَبُّهَا الْمَشْهُورُ قَدَرًا
إِذَا النُّعْمَى حَبَاكَ بِهَا أَبْنُ شُكْرٍ فَكَيْفَ تُطِيقُ أَنْ تُؤْلِيَهُ شُكْرًا

وأنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي بإربل - رحمه

الله تعالى -:

/ ١٣٠ ب / قال: أنشدني أبو البركات هبة الله بن محمد بن شكر المصري بإربل

لنفسه، ما كتبه إلي بعض الرؤساء. وكان قد حُمَّ وأبُل من الحمى وأحسن في قوله:

[من البسيط]

شَفَاكَ لِلنَّاسِ أَحْيَا مَيِّتَ الْأَمَلِ مِنْ بَعْدِ مَا بَاتَتْ الْعَلِيَا عَلَى وَجَلِ
قَالَتْ: مَعَاذِ رَبِّهَا الْحُمَى فَقَدْ فَصَدَتْ فَخَرًّا بِجِسْمِكَ حَاشَاهُ مِنَ الْعَلَلِ
هَبْنِي عَكَاشَةً فِي ذَنْبٍ أَتَيْتُ بِهِ وَخَاتَمَ الْجُودِ هَذَا خَاتَمَ الرُّسُلِ
رَأَمْتُ فَخَارًا كَمَا رَامَ النَّجَاةَ وَقَدْ تُنَالُ قَاصِيَةُ الْأَغْرَاضِ بِالْحِيَلِ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر، له في غلام مليح الصورة ذي

ذؤابة طويلة راكب فرس أشقر: [من المتقارب]

/ ١٣١ / وَأَسْمَرَ فِي جَفْنِهِ أَيْضُ لِرَوْضَةٍ وَجَّتْهُ حَارِسُ
يَنْبِيهِ مِنْ عَيْوُنِ الْهَوَى لِعَشْقَتِهِ طَرَفُهُ النَّاعَسُ

عَدَارَاكِبًا لَوْنٌ خَدَّلَهُ بَنِيْرَانِهِ يَهْتَدِي الْقَابِسُ
يَجُرُّ دُؤَابَتَهُ خَلْفَهُ كَمَا جَرَّ ذَابِلَهُ الْفَارِسُ

وأنشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب النشائي الإربلي بها، قال: أنشدني أبو البركات بن شكر المصري لنفسه في غلام جميل كان واقفاً في خدمة الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - فجازت الشمس عليه فاستتر منها، فأنشد

ابن العصار المصري مُرتجلاً: [من البسيط]

١٣١/ب/ وَغُصْنٌ بَانَ قُلُوبُ النَّاسِ قَاطِبَةً مِنْهُ عَلَى خَطَرٍ إِنْ مَاسَ أَوْ خَطَرًا
بَدَأَ قَابِئًا أَعْلَاهُ لَنَا قَمَرًا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ مَا لِلْعَقْلِ قَدْ قَمَرًا
هُوَ الْعِزَالُ وَلَكِنْ قَدْ عَجِبْتُ لَهُ مِنَ الْعِزَالَةِ مُذْ زَارَتْهُ إِذْ نَقَرًا^(١)
وَوَظَلُّ مُحْتَجِبًا عَنْهَا وَمُسْتَرًا مِنْهَا وَنُورَاهُمَا لِلنَّاسِ قَدْ ظَهَرًا
فَقُلْتُ: حَسْبُكَ لَا يُخْشَى اجْتِمَاعُكُمْ فَالشَّمْسُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ: الْقَمَرًا

[٨٩٠]

هبة الله بن محمد المجدي .

الذي يغلب على الظن أن هذا الشاعر من أهل الديار المصرية .

صار إلي من شعره هذه القصيدة يمدح بها بعض الرؤساء: [من البسيط]

هَبُّوا الْمَعْنَى بَلِيلَى مَنْ يُعَانِيهِ تَلَطَّفًا بَلَطِيفٍ مِنْ مَعَانِيهِ
وَلَا تَلُومُوهُ فِي وَجْدِيكَابِدِهِ فَقِي تَحْلِيهِ مَنَّ يَهْوَى تَحْلِيهِ
دَعُوهُ يَرُوِي حَدِيثًا عَنْ شِمَائِلِهَا فَكُلُّ ذِي ظَمَأٍ يَرُوِيهِ يُرُوِيهِ
كَمْ مِنْ مَشُوقٍ يَنَادِي فِي رِكَائِبِهَا بِخَاطِرِ ضَلٍّ فِي تَشْدِيهِ شَادِيهِ
بِمَا يَجْفِيكَ مَنْ أَمِنَ وَمَنْ وَجَلَّ سَرِّي الصَّبَابَةِ عَنْ قَلْبِي يَسْرِيهِ
بِأَسْهَمِ سَلَبَتْ بَعْضُ الْأَنَامِ قُوَى غُضِّي عَنْ الْبَعْضِ هَذَا الطَّرْفِ غُضِّيهِ
١٣٢/أ/ وَكُلُّ قَفَرٍ فُؤَادٌ مُوحَشٍ سُدْفٍ مَتَى تَحْلِيهِ يَالَيْلَى تَحْلِيهِ
وَمَا لِمَنْ شَقَّ دَاءُ الْعَرَامِ سَوَى وَضَلَّ يُعَافِيهِ أَوْ هَجَرَ يُعَقِّيهِ

وَأَهْيَفَ خَاطَرَتْ بِالصَّبِّ خَطَرْتُهُ
 سَقَتْ غَوَادِي حَيَّاهُ غُصْنُ قَامَتِهِ
 وَقَامَ يَجْلُو حُمَيَّا نَعْرَهُ فَعَدَا
 أَعَارَ لِلَّيْلِ سُرْبَالِ النَّهَارِ كَمَا
 جَلَّ الَّذِي فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ صَوْرُهُ
 فَلَيْسَ خَاطِبُهُ يَوْمًا يُخَاطِبُهُ
 سَرَى إِلَى كُلِّ قَلْبٍ سَحْرُ بَابِلِهِ
 وَكَلَّمَ مَاتَ سُكْرًا عَنْ لَوَاحِظِهِ
 يَا غَارِسَ الْوَرْدِ فَوْقَ الْخَدِّ يَتَحَفَّهُ
 أَفْتَاكَ حُسْنُكَ يَا فَتَاكَ فِي دَمِهِ
 يَا مَنْزِلًا قَصَرَ الْأَيَّامَ مِنْ زَمَنِي
 وَأَنْتَ يَا سَعْدُ إِنِّهِ عَنْ مُحَاوَرَتِي
 / ١٣٢ب / كَيْفَ السَّيْلِ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بِهِ
 هَذَا فُؤَادِي وَهَذَا الْوَجْدُ سَاكِنُهُ

تُنْسَى الْعُصُوفُ عَلَيْهِ فِي تَشْيِهِ
 خَمْرًا فَمَا فِيهِ مِنْ سُكْرٍ فَمَنْ فِيهِ
 كَأَنَّمَا كَأْسُهُ بِالنُّورِ كَأْسِيهِ
 أَعَارَهُ اللَّيْلُ فَرْعًا مِنْ دِيَاغِيهِ
 أَفْدِيهِ مِنْ مُفْرَدٍ فِي الْحُسْنِ أَفْدِيهِ
 فِيمَا يَرُومُ وَلَا حَاوِيَهُ حَاوِيَهُ
 يَصِيدُ بِاللَّحْظِ مَهْمَا رَامَ رَاجِيهِ
 يَغْتَادُهُ وَيَحْيِيهِ فَيُخَيِّنُهُ
 مَهْلًا فَجَانِيهِ بِالتَّسْهِيدِ جَانِيهِ
 فَمَنْ لِحُسْنِكَ بِالْإِحْسَانِ يُفْتِيهِ
 عَهْدًا بِطُولِ نَوَاحِي فِي نَوَاحِيهِ
 فِي الصَّبْرِ عَنْهُ وَفِي وَجْدِي بِهِ إِيهِ
 وَالْوَجْدُ فِي مُهْجَتِي يَا وَيْلَكَ يَاؤِيهِ
 يَا مَيَّ سَالِيهِ بَيَّ إِن كُنْتُ سَالِيهِ

[٨٩١]

هبة الله بن محمد بن هبة الله بن منصور بن أبي سعد بن
 الحسن بن منصور، أبو الكرم القصاب، الشيرازي الأصل،
 الموصلي المولد والمنشأ.

المعروف بابن الدانش مندو، ومعنى هذا اللفظة وتفسيرها إمام القوم وخطيبهم.

شاب قد وخطه الشيب، ضعيف العينين. شاهده به بحلب في أواخر شهر رمضان سنة
 خمس وأربعين وستمائة؛ وأخبرني أنه وُلد سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل، وذكر
 لي أنه حفظ الكتاب العزيز، وقرأ طرفًا من العريّة على الأديب أبي العباس أحمد بن
 الحسين بن أحمد بن الخباز النحوي الموصلي.

وجاش خاطره بالقريض ونظم منه أشياء حسناً في فنون متعددة وأغراضٍ يستطرفها
 ذوو الآداب تصدر عن طبع حسن وقريحة مطاوعة.

أنشدني لنفسه ما قاله / ١٣٣ / على لسان المسجد الجامع العتيق بالموصل :

[من الطويل]

شَكََا جَامِعُ الْحَدْبَا الْعَتِيقُ لِرَبِّهِ
وَمَنْ لِي مُجِيرٌ مِنْ يَدَيَّ شَرِّ مَعْشَرٍ
أُنَاسُ هُمْ شَبُهَ الشَّيَاطِينِ حَيْثُ مَا
إِذَا حَلَّ هَذَا فَهَوَ بِالذُّهْنِ عَابِثُ
وَكُلُّ يَقُولُ الْمُلْكَ مَا فِيهِ أَجْرَةٌ
وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِحَقِّكَ جَاحِدُ
وَفِي زَمَنِ الْمُلْكِ الرَّحِيمِ وَعَدَلِهِ

وَقَالَ إِلَهِي مَنْ بَأْرِي أَخَذُ
بُلَيْتُ بِهِمْ دَهْرِي وَمَنْ لِي نَاقِذُ
اسْتَقْلُوا وَإِنِّي مِنْهُمْ بِكَ عَائِذُ
وَإِنْ حَلَّ هَذَا كَانَ لِلْحُضُرِ جَابِذُ^(١)
خَرَابٌ وَمَا بِي مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ لَائِذُ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لِأَمْرِكَ نَابِذُ
أَيُّجْمَلُ أَنْ أَعْرِى وَتُكْسَى الْجَهَابِذُ

الملك الرحيم هو بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب الموصل - كان

يلقب بذلك .

فَلَا زَالَ ذَا أَمْرٍ مُطَاعٍ وَحُكْمُهُ
مَدَى الدَّهْرِ فِي أَهْلِ الْبَسِيطَةِ نَافِذُ

وأنشدني ما قاله في بني مهاجر الموصليين : [من السريع]

مُهَاجِرٌ صَاخَ لَهُ سَمْعِي
فَقُلْتُ : فِيْهَا عَلَّةُ الْجَمْعِ
مَا بُنِيَتْ إِلَّا عَلَى الرَّفْعِ
ضَبٌّ وَهَذَا سَبَبُ الْمَنْعِ

/ ١٣٣ ب / وَقَائِلُ مُتَّحِنٍ عَنْ بَنِي
أَمْوَالِهِمْ لَمْ يَمْنَعُوا صَرْفَهَا
وَالْوَزْنَ وَالْوَصْفُ وَأَيْدِلُهُمْ
قَالُوا : بِمَاذَا جَرُّهَا ؟ قُلْتُ : بِالنَّصِ

وأنشدني لنفسه في الحمى للحبيب وهو معنى غريب : [من الخفيف]

قَاسَمَتْنِي الْحُمَى عَنَادًا عَلَى حُ
قُلْتُ : كَفَيْ الْمَزَارَ عَنْهُ فَقَالَتْ :
قُلْتُ : قَدْ فُزْتُ بِالْعِنَاقِ مِنَ الْحِ

جَبِي لَهُ فَهِيَ دَائِمًا تَغْشَاهُ
أَنَا أَهْوَاهُ مَثَلُ مَا تَهْوَاهُ
سَبِّ فَبِاللَّهِ قَبْلِي مِنْهُ فَاهُ

وأنشدني لنفسه ما قاله على لسان سُكْرُجَةِ التَّرْدُ : [من المنسرَح]

حَلَلْتُ بَيْنَ الْبُرُوجِ فِي فَلَكَ
حَوَى نُجُومًا كَالسَّبْعَةِ الشُّهُبِ

لَكِنْ نُجُومِي لَهَا الْفَخَارُ كَمَا تَحْكُمُ بِالْغَيْبِ وَهِيَ لَمْ تَغِبْ

وأنشدني له في بني مهاجر: [من الطويل]

١٣٤/ يَقُولُونَ لِي إِنْ تَهْجُ بَيْتَ مُهَاجِرٍ فَإِنَّهُمْ لِلْهَجْوِ دُونَ الْوَرَى أَهْلُ
كَمَالِهِمْ نَقْصٌ وَشَمْسُهُمْ دُجَى وَعِزُّهُمْ ذُلٌّ وَتَاجُهُمْ نَعْلٌ

وأنشدني لنفسه في المحتسب أبي علي الحسن بن الحسن بن نصر الله بن علوان بن مهاجر: [من السريع]

مَنْ كَانَ يَسْتَوْجِبُ فِيمَا مَضَى بِفَعْلِهِ الدَّمَّ مَدَى الدَّهْرِ
فَمَذْتُوَلَّيْتُ أَقْرَّ الْوَرَى كَلَّلَ لَهُ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وأنشدني لنفسه في امرأة علوية - يُقال لها بنت الطوراني وكانت فاركا^(١):

[من البسيط]

قَالُوا: فَلَانَةُ لَمْ تَثْبُتْ بِمَنْزِلِهَا يَوْمًا وَتُنْسَبُ مِنْ أَشْرَافِ عَدَنَانَ
فَقُلْتُ: لَوْ أَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ ثَبَّتَتْ حَقًّا وَلَكِنَّهَا مِنْ نَسْلِ طُورَانَ

وأنشدني لنفسه ما قاله في حماته: [من الوافر]

١٣٤ب/ وَأَعْظَمُ مِنْ مُلَمَّاتٍ تَوَاكَّتْ عَلَيَّ صُرُوفُهَا بِيَدِ الْعُدَاةِ
رَجَائِي مِنَ الْحَمَاءِ بَيَاضَ وَجْهِهِ وَهَلْ وَجْهٌ يَبِيضُ بِالْحَمَاءِ

وأنشدني أيضاً له فيها: [من الخفيف]

لِي حَمَاءٌ مَا قُلْتُ فِي الصُّبْحِ هَذَا الصُّ بَسَحُ إِلَّا تَقُولُ هَذَا الْمَسَاءِ
وَإِذَا اللَّيْلُ جَنَّ، قُلْتُ: ظِلَامُ اللَّدِّ يَلْ قَالَتْ: أَلَيْسَ هَذَا ضِيَاءُ؟
رَكِبْتُ مِنْهَجَ الْخِلَافِ فَلَا نُصْدَ حَاتَعِي فَهِيَ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
وَهِيَ سَعْلَاءٌ فَدَفَدَ وَهِيَ فِي الْمَدِّ مَسَّ تَالَهُ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ
هِيَ صَلَّ سَلِيمُهَا مَالَهُ رَا قِ وَدَاءُ قَدْ مَلَّ مِنْهُ الْإِسَاءُ
تَعْتَدِي الْفِضَّةُ اللَّجِينَ لَدَيْهَا وَهِيَ بَعْدَ أَيْضَاضِهَا سَوْدَاءُ

وأنشدني لنفسه يهجو: [من الطويل]

(١) الفارك: المبغضة لزوجها.

مَدَدْتُ فَقَاهُ ثُمَّ إِنِّي قَصَرْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ جَاءَ عِنْدَ أَوْلِي الْحَبَى
فَقَالَ: بِمَاذَا عَنِ خُطَاكَ تُعْبِرُ
بِأَنَّ الْقَقَا طَوْرًا يَمْدُ وَيُقَصِّرُ

وأنشدني له في محبوسين، ثم أخرجنا من الحبس: [من الوافر]

١١٣٥/ لَنْ حَجَبْتُكُمْ أَيَّامُ عَنِّي
لَأَنَّ الشَّمْسَ تَكْسُو الْأَرْضَ نُورًا
وَقَدْ يَفْرِي الْحَسَامُ الصَّلْتُ هَامَ الـ
وَمَهْمَا اللَّيْتُ يَفْرُقُ مِنْ سَطَاهُ الـ
وَأَنَّ السَّجْنَ لَاقِيَالٍ عَزَّ
فَشُكْرًا حَيْثُ كَانَ بِكُمْ قَرِيبًا
فَلَيْسَ بِضَائِرِ ذَلِكَ الْحَجَابُ
وَيَحْجِبُهَا عَنِ الْعَيْنِ السَّحَابُ
عَدَا قَهْرًا وَيُخْفِيهِ الْقَرَابُ
وَرَى لَمْ يَشْهَ خَيْسَ وَعَاقُ
كَمَا تَمْتَرُ بِالْخَذِرِ الْكَعَابُ
عَلَى رُغْمِ الْعِدَا ذَلِكَ الْإِيَابُ

وأنشدني لنفسه في رجل، صنف كتاباً في المسئلة والجواب شعراً يلقب الموفق

محمد: [من الكامل]

قَالُوا: الْمُوَفَّقُ ذُو الْفُتُونِ مُحَمَّدٌ
بِمَسَائِلِ تَكْسُو الْبَلِيدَ بِلَاغَةً
نَظْمًا كَسَلَكِ الدَّرَّ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَعْتَرِي الرَّأْيَ لَهُ مَكْلٌ وَلَا الْآ
١٣٥ب/ دَقْتُ مَعَانِي لَفْظُهُ فَعَدَا جَلِي
فَلَهُ عَلَى نَجْمِ الثَّرِيَّا رُبَّةٌ
فَلَقَدْ تَجَاوَزَ مَنْ مَضَى مُتَقَدِّمًا
فِي عَصْرِهِ وَسَمَا عَلَى كُلِّ الْوَرَى
وَتَرَوْهُ خَبِرًا لِلْبَلِيغِ وَمَخْبَرًا
مَنْ سَمَطُهُ فِي الْعَيْنِ أَبْهَى مَنَظَرًا
لَأَيَّامٍ تُخْلَقُهُ إِذَا مَا كُرَّرَا
لِالْوَهْمِ فِي إِدْرَاكِهِ مُتَحَيِّرًا
لَوَرَامَهَا بِدَرْ السَّمَاءِ لَقَصْرًا
عُلْمًا وَأَنْعَبَ مَنْ أَتَى مُتَأَخِّرًا

وأنشدني لنفسه في حسين بن عمر بن العصار، حين مات وكان كبير الأنف:

[من المنسرح]

قَالُوا: حُسَيْنُ الْعَصَارِ مَاتَ وَمَا
قُلْتُ: وَأَيُّ اللُّحُودِ وَارْتَهُ وَالـ
قَالُوا: شَفَقْنَا لِحَدِّ الْجَشْتِ
رَأَى لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَرَجًا
لَحْدَ أَرَاهُ لَأَنْفِهِ حَرَجًا^(١)
ثُمَّ عَقَدْنَا لَأَنْفِهِ أَزْجًا

وأنشدني أيضاً لنفسه يهجو قومًا: [من مجزوء الكامل]

إِنْ قُلْتُمْ أَنْ لَا مَعَا
يَا عَصْبَةَ دُونَ السَّوَرِ
تَاللَّهِ إِنَّكُمْ عَدَا
/١٣٦/ إِنْ تُنْكِرُوا قَوْلِي فَلَا
أَوْ تَزْعُمُونَ بِجَهْلِكُمْ
وَيَقُولُ كُلُّ إِنْسِي
لَوْلَاكُمْ تَاللَّهِ مَا
مَا فِيكُمْ مَا لَيْسَ يُؤْ
إِلَّا بَلَاءٌ مَرَامُكُمْ

دَلَّكُمْ فَقَوْلُكُمْ عَدَا
ضَلُّوا وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا
بِالْحَوْضِ إِنْ تَرُدُّوا تُذَادُوا
نَ النَّارِ يُخْفِيهَا الزَّنَادُ
وَالْغِيَّ قَدْ عَدِمَ الرِّشَادُ
فُسُّ وَتُنْكِرُهُ إِيَادُ
عُورَ الْفُسُوقِ وَلَا الْفَسَادُ
جَدُّ فِي الْأَنَامِ وَلَا يَكَادُ
مُقَلُّ وَفِيْشُهُمْ رُقَادُ^(١)

وحدثني، قال: رأيت بيتين مفردين من الشعر، فأحببت أن أضيف إليهما أبياتا على

نمطهما، وخُبرْتُ أنهما ليزيد بن معاوية فقلت: [من الخفيف]

رُبَّ بَكْرٍ عَذْرَاءٍ فِيْ مَهْرَجَانِ
بَاكَرَتْنَا بِكَاسِهَا وَالْدُّجَى تَبُّ
فِي رِيَاضٍ تُزْهِى بَنُورُ أَقْصَاحِ
/١٣٦ب/ وَتَدْنِي حَلِيفَ دَنْ وَقَارِ
قَالَ: أَخْبَرْتُ عَنْ رَجَالٍ لَدَيْهِمْ
أَنْ خَيْرَ الْبَقَاعِ أَرْضُ ذَلِكَ اللَّ
وَلَصَوْتُ الْأَذَانِ أَنْغَمُ صَوْتُ
قُمْ فَمَادَا عَلَيْكَ عَارُ إِذَا كُنْ
قُلْتُ إِنَّهَا لَمَنْ أَحَلَّ الَّذِي حُ
فَانْتَنَى مُعْرَضًا وَقَالَ أَنَّاسُ
(شَرِبُوا هَا بِجَرَّةٍ وَشَوَّارَا)

ذَاتُ دَلٍّ خَلَعَتْ فِيْهَا عَذَارِي
كَيَّ عَلَيْهِ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ
وَشَقِيقُ وَنَرْجِسٍ وَبَهَارِ
رَبِّ مُجَدِّ مُجَدِّ رَيْنَبٍ وَقَارِ
خَبْرَةٌ بِالْحَدِيثِ وَالْآثَارِ
هُ مِنْ الْغِيِّ حَانَةُ الْخَمَارِ
مَنْهُ فِي الْأُذُنِ نَعْمَةُ الْأَوْتَارِ
تَتَكُسُّ بِالرَّاحِ كَأَسَا عَارِي
رَمَّ بِئْسَ الْمَثْوَى وَدَارُ الْبَوَارِ
مَنْ صَحَابِ النَّبِيِّ وَسَطِ النَّهَارِ
سَ بَعِيرٍ فِي مَنْزِلِ الْأَنْصَارِ

(وَاسْتَخَفُّوا بِهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ لَهُ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةَ الْإِحْتِقَارِ)
هذان البيتان اللذان ضَمَّنهما شعره^(١):

شربوها . .

واستخفوا . .

وَلَعَمْرِي لَوْ أَكْرَمَ الْقَوْمُ مَثْوَا هَارَجُونَا بِالرَّاحِ عُقْبَى الدَّارِ
فَأَسْقِنِيهَا فَدَتِكَ نَفْسِي إِذَا كَا نَ مَا بِي غَدًا إِلَى عُقَارِ
وله قصائد مطولة جيدة المقاطع والمخالص والإبتداءات، امتدح بها الأكابر .

[٨٩٢]

/ ١٣٧٨ هبة الله بن أبي المجد الكاتب، أبو القاسم المصري .

صاحب ديوان الإنشاء .

وكان ذا فضل وعلم وبراعة وفصاحة وأدب وشعر، وله رسائل مستجادة وكتابة مرضية . وكان من خواص الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه - صاحب حماة - وذوي الحظوة عنده .

وكان مع ذلك شاعراً مقصداً كُتِبَ الشعر؛ وهو القائل في الملك المنصور - صاحب

حماة :- [من مجزوء الرجز]

عَلَى ضِيَاءِ الْقَمَرِ	فَأَقَاتَ بِحُسْنِ الْمَنْظَرِ
قَامَةً غُضْنَ نَضْرَ	وَقَامَةً كَأَنَّهَا
يَانَعُهُ بِالنَّظَرِ	وَوَرَدَ خَلْدٌ يُجْتَنِي
مِثْلَ لَمَاهَا الْعَطَرِ	طَافَتْ بِكَأْسِ قَرْقَفِ
مَنْ قَبْلَ شُرْبِ الْمُسْكَرِ	فَأُسْكَرَتْ لِحَاظُهَا
أَزْهَارُهَا كَالزُّهْرِ	يَسْعَى بِهَا فِي رَوْضَةِ
وَمِنْ شَقِيْقٍ أَحْمَرِ	فَمِنْ بَهَارِ أَصْفَرِ

عَلَى سَاطِأ أَخْضَرِ
رِيحٍ كُنْشَرِ الْعَبْرِ
جُودِ الْكَرِيمِ الْعُضْرِ
سَدَامًا لِكُلِّ عَسْكَرِ
سَارًا لِكُلِّ مُعْسِرِ
صَلِيٍّ مَكْسِرِ
بَأْمَرِهِ لِمَنْ يُذْعِرِ
قَذْرُو عَوَابِ الْحَذِرِ
كَالسَّحَابِ الْمُطَرِّ
وَزَالَ كُلُّ مُنْكَرِ
فَوْقَ السُّهَى وَالْمُشْتَرِي
قُتِبَتْ لِمَنْ يُنْكَرِ
أَنْتَ خَيْرُ مُشْتَرِي
مَحَّتْ جَمِيعَ السَّيْرِ
بَحَاتِمِ وَعَتَرِ
لَذُنْيَا وَغَيْثِ الْمُقْتَرِ
فَقِيرَنَا وَالْمُوسِرِ
وَالْمَذْحِ كُلِّ مُقْبِرِ
ءِ الْحَاكِمِ الْمُقْتَدِرِ
حَانِيَّةِ الْمُعْسَكِرِ

١٣٧/ كَأَنَّهَا جَوَاهِرُ
نَمَتْ بِسَرِّ نَشْرَهَا
أَوْ كَثَّتْكَ الْمَنْصُورِ ذِي الْإِ
مَلِّكَ بِرَأْيِ اللَّهِ إِفْ
وَمَنْ نَدَى كَفَيْهِ إِيدِ
مُفَرَّقِ الطُّغْيَانِ عَنِّ
وَمَنْ حَمَى الدِّينَ الَّذِي
مَنْ بَعْدَ مَا كَانَ الْوَرَى
طَبَقَهَا عَدْلًا وَأَمْنًا
وَعُورَ الْعُورِ بِه
فَقَدَرَهُ قَدَرْتُ قِي
وَوَارِثُ الْمُلْكِ بِحِ
يَا مُشْتَرِي الْحَمْدِ الثَّمِينِ
أَنْتَ الَّذِي سَيَّرْتَهُ
١٣٨/ يُزْرِي نَدَى وَسَطْوَةَ
يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَالِ
يَا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى
أَحْيَيْتَ مَنْ حُسِنَ الثَّنَا
بَعَزَمَةَ مَثَلِ الْقَضَا
فَجُنْدُكَ الْأَمْلَاقُ رِي

ومنها:

فَاقِ عَلَى الْإِسْكَانِ دَرِ
فِي ظِلِّ عَيْشِ خَضِرِ
مُؤَيَّدًا بِالْظَفَرِ
وَدَوْلَةٍ لِمَنْ تُفْهِرِ

يَا مَلِكًا بَعَزَمَهُ
إِهْنِ بِمُلْكِكَ دَائِمِ
لَا زِلْتَ يَا مَوْلَى الْوَرَى
فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ

[٨٩٣]

هبة الله بن يوسف بن خمر تاش، أبو الفتوح البغدادي^(١).

كان مولعاً بكتب الحكمة والإطلاع على أقاويل الأوائل. وكان فيه أدب، وينظم شعراً. وكانت ولادته في يوم الجمعة / ١٣٨ ب / سابع رمضان سنة تسع وعشرين وخمسائة، وتوفي سادس عشر جمادى الآخرة سنة ست وستمائة.

ومن الشعر الذي يعزى إليه ما قاله في نعل النبي ﷺ: [من الوافر]

بَوْدِي تُرْبُ ذَاكَ النَّعْلِ أَنِّي	جَعَلْتُ سَحِيقَهُ فِي وَسْطِ جَفْنِي
وَأَذْخَرُ مِنْهُ طَيِّباً عِنْدَ مَوْتِي	يُذَرُّ عَلَيَّ فِي كَفْنِي وَقُطْنِي
أَعْقُرُ فَوْقَ مَوْطِيءٍ أَخْمَصِيهِ	بِخَدِّي فَعَلَ شَيْعِي وَسُنِّي
رَجَاءً أَنْ يَكُونَ غَدًا شَفِيعِي	وَحَسْبِي ذَاكَ مِنْهُ حُسْنُ ظَنِّي

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٧/ ٣٢٩ - ٣٣٠. التكملة للمنذري ٢/ ١٥٥ رقم ١٠٦٠. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ١٩٥ رقم ٢٧٦ وفيه: «توفي سنة خمس وستمائة».

ذكر من اسمه هلال

[٨٩٤]

هَلَالُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ هَلَالِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ
سَابُورَ بْنِ نَعْمَانَ بْنِ هَرْدَسَ بْنِ حَوْشَبَ، أَبُو الْبَدْرِ النَّصْرَانِيُّ.

من أهل هيت^(١)، زعم أنه من أولاد الأخطل الشاعر^(٢).

رأيتُه متطبباً بمدينة السلام، يغشى كبراءها وأعيانها، ويقول الأشعار، وله طبع في
نظمها.

أنشدني لنفسه ببغداد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - من لفظه وحفظه إملاءً - من
قصيدة أولها: [من الكامل]

صَبًّا أَصَبْتَ الْقَلْبَ مِنْهُ بِمَوْعِدِ	أَسْعَادُ هَلْ لَكَ فِي الْهَوَى أَنْ تُسْعِدِي
يَهْوَى هَوَاكَ فَتَحَرَّمِي وَتَوَدَّيْ ^(٣)	لَا تَحَرَّمِي الْإِحْسَانَ يَا حَسَنَاءُ مَنْ
يُحْيِي بِهَا قَالِ حُسْنُ غَيْرُ مُخَلَّدِ	وَدَّرِي الْمَتَّيْمَ أَنْ يَقُوزَ بِنَظْرَةِ
لَا تَتْرُكِي فَعْلَ الْجَمِيلِ إِلَى عَدِ	وَإِذَا قَدَرْتَ عَلَى الْجَمِيلِ فَبَادِرِي
طَوْرًا يَضِلُّ بِنَا وَطَوْرًا يَهْتَدِي	فَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحْوَالِهِ
مَنْ كَلَّ جَبَّارَ عَيْنِدَ أَصِيدِ	كَمْ قَدْ أَبَادَ مِنَ الْأَلَى وَدَوَى الْعَلَا
شَادُوا الثُّغُورَ بِجَنْدَلٍ وَبَقَرْمَدِ	١٣٩ب/ أَيْنَ الْمُلُوكُ دَوَى الْمَمَالِكِ وَالْأَلَى
مَنْ جَوْهَرَ أَوْ فَضَّةً أَوْ عَسْجَدِ	جَمَعُوا وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا جَمَعُوا
وَالْخَيْرُ دُخْرٌ صَالِحٌ لَمْ يَنْفَدِ	لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُمْ سِوَى حُسْنِ الثَّنَا

(١) هيت: بلدة على الفرات، فوق الأنبار، على جهة البرية في غربي الفرات. انظر: معجم البلدان/ مادة (هيت).

(٢) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك، ولد سنة ١٩هـ وتوفي سنة ٩٠هـ، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع.

(٣) تحرّمي: تمنعي.

ومنها:

وَإِذَا الْفَتَىٰ شَهِدَتْ لَهُ آرَاؤُهُ ظَنَّ الْمَنِيَّةَ لِلرَّجَالِ بِمَرْصَدِ
فَلَيَقْتَنِي أَثَرُ الْكِرَامِ وَسَعِيهِمْ وَلَيَتَّقِي شَرَّ اللَّثَامِ الْحُسَدِ

[٨٩٥]

هلالُ بنُ أبي الفضل بن هلال بن بختيار بن الحسن بن
محمد بن عبد القادر بن كرم أبو النجم الحلاوي الجبلي^(١).

وجبل - بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة - من تحت قرية من قرى مدينة السلام^(٢).

شيخ قصير؛ رأيته بحلب المحروسة يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى سنة
أربع وثلاثين وستمائة، ظاهر الشيب، غير أنه يستره بالخضاب بادي الحرف، قد أثر الفقر
عليه والإملاق. يرتزق الناس بشعره، ويقنع منهم بالشيء النزر الطفيف.

أخبرني / ١٤٠ / أنه ولد بجبل سادس عشر رجب سنة ثمان وستين وخمسمائة.
ونشأ ببغداد، وذكر لي أنه يرجع في نسبه إلى سعد بن معاذ الأنصاري - رضي الله عنه - وأن
له نسباً متصلاً إليه.

قدم بلاد الشام، وتوطن حلب يمدح أكابرها والمقدمين بها من ذوي النعم، ولم يزل
بها إلى أن توفي بعلة الإسهال يوم الثلاثاء ثامن رجب آخر النهار، ودفن يوم الأربعاء ظاهر
البلد بمقبرة باب الجنان، وذلك في سنة ست وثلاثين وستمائة - رحمه الله تعالى -.

ومما أنشدني لنفسه وقد أمره الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب
- رحمه الله تعالى - أن يعمل على وزن هذا البيت وهو:

قَفِي نَشَاكِي لَوْعَةِ الْيَنِّ يَا عَلَوَى

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٧/٢٧ وفيه: «الملقب زربول الأدب».

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (جبل)، وفيه: أنها «بلدة على جانب دجلة من الجانب الشرقي بين النعمانية
وواسط».

فأنشأ أبو النجم هذه الأبيات : [من الطويل]

سَقَى الْعَارِضُ الْوَسْمِيَّ دُونَ رَبِّي حَزَوِي
 دِيَارُ عَهْدِنَاهَا مَتَى لَمْ يَرَوْهَا الـ
 وَقَفْتُ بِهَا أَشْكُو الْغَرَامَ وَمَا الَّذِي
 / ١٤٠ ب / رَعَى اللَّهُ ذِيكَ الزَّمَانَ وَعَيْشَنَا
 وَطَبِيبَةَ أَنْسَ لَا تُصَادُ وَلَحْظُهَا
 تَمِيسُ بِقَدِّ يَخْجُلُ الْغُصْنُ لِيْنُهُ
 يَرْتَحُّهَا سُكْرُ الصَّبَا فَتَخَالَهَا
 أَلَا إِنْ قَتَلَ الْعَاشِقِينَ مُحَرَّمٌ
 خُذُوا بِدَمِي الْحَاظَهَا فَبَحْذُهَا
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى بِصُدُودِهَا
 وَلَمَّا دُعِينَا لِلْوَدَاعِ وَبَيَّنَّتَا
 أَشَارَتْ بِكَفِّ مَنْ دَمِي فِيهِ شَاهِدٌ
 فَلَلَهُ مَا أَحْلَى الْهَوَى وَأَمَرَهُ
 أَلَا إِنْ دَاءَ الْحُبِّ فَيَنَادُواؤُهُ
 وَأَعْيَدَ مَمْشُوقَ الْقَوَامِ مُهْفَهِفَ
 مِنَ التُّرْكِ لِمَا لَا تُدَانِي صَفَاتُهُ
 أَحَقُّ عَلَى قَلْبِي مَتَى أَدْعُ بِاسْمِهِ
 / ١٤١ أ / جَفَا فَجَفَا أَجْفَانِ عَيْنِي رُقَادُهَا
 وَأَنْسِي وَإِنْ جَارَ الزَّمَانُ وَرَاعَنِي
 لَمْسْتَظْهِرٍ بِالظَّاهِرِ الْمَلِكِ الَّذِي

وَحَيَّا نَشَاصِي الْحَيَا مَعَهْدًا أَقْوَى
 حَيَّا فَدُمُوعُ الْعَاشِقِينَ لَهَا أَرْوَى
 عَلَى وَامَقِ يُجْدِي إِلَيَّ طَلَلُ شَكْوَى
 مَعَ الْخَفَرَاتِ الْيَبْسُ نَقَطْعُهُ لَهْوًا
 بِقَنْصِ الْأَسْوَدِ الشُّوسِ بِالْغُنْجِ مَا أَغْوَى
 وَوَجْهَ كَضَوْءِ الشَّمْسِ يَشْرِقُ بَلْ أَضْوَى
 إِذَا مَا تَنَنَّتْ فِي غَلَاثِلِهَا نَشْوَى
 فَمَنْ فِي دَمِي أَعْطَى لَوْ أَحْظَهَا فَتَوَى
 إِذَا أَنْكَرْتَ لِي شَاهِدٌ يُثَبِّتُ الدَّعْوَى
 مَنْ الْوَجْدَ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلُهُ رَضْوَى
 مُنَاجَاةُ سِرِّ وَالْهَوَى يُعْلِنُ النَّجْوَى
 عَلَى مَعْصَمٍ مِنْ لَيْنِهِ كَادَ أَنْ يُلْوَى
 وَفِي الْحُبِّ مَا أَشْقَى وَأَنْعَمَ مَنْ يَهْوَى
 عَزِيزٌ وَإِنْ هَانَتْ مُعَالِجَةُ الْأَدْوَى
 أَعَنَّ غَضِيضُ الطَّرْفِ طَاوِي الْحَشَا أَخْوَى
 سَعَادًا وَلَا تَسْمُو إِلَيَّ حُسْنُهُ أَرْوَى
 وَأَكْرَمُ عِنْدِي مَنْ سَلِمَ وَمَنْ عَلَوَى
 عَلَى عِلْمِهِ أَنْتِي عَلَى الْيَبْسِ لَا أَقْوَى
 بِأَحْدَاثِ خَطْبٍ فِي فُؤَادِي لَهَا مَثْوَى
 حَدِيثُ النَّدَى وَالْجُودِ عَنْ كَفِّهِ يَرْوَى

وأنشدني أيضاً لنفسه يمدح الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبا الفتح موسى بن

أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - وكان أولاً في خدمته : [من الكامل]

رُدُّوا الرُّقَادَ إِلَى الْجُفُونِ وَعُودُوا
 وَلَمَنْ بَرَّتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ عُودُوا^(١)

فَكَانَهُ مَّائِكَا بَدْعُودُ^(١)
 نَائِي وَلَا شَغْلَ الصَّبَابَةِ عُودُ^(٢)
 مَسْكُ إِذَا هَبَّ السَّيْمُ وَعُودُ^(٣)
 مَرَّ الزَّمَانُ مَطَامِعُ وَوَعُودُ^(٤)
 بِوَصَالِكُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ عُودُ^(٥)
 أَوْقَاتُهُ بِالْوَصْلِ وَهِيَ سَعُودُ
 فَارَقْتُمُوهُ الْهَمُّ وَالتَّسْهِيدُ
 مِنْ حَبْكُمُ أَبَدًا جَفَاً وَصُدُودُ
 عَدَقَ لَهُ فِي الْخَافِقِينَ مُدُودُ
 دَانَتْ لِدَوْلَتِهِ الْمُلُوكُ الصَّيِّدُ
 قَمَعَ الطُّغَاةَ فَظَلَّمَهُ الْمَمْدُودُ
 فِي نَصْرِ دِينَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُودُ
 بِخُدُودِ أَجَوَازِ الْفَلَاحِ تَخْدِيدُ
 أَسَدُ وَكُلُّ أَغْلَبٍ صُنْدِيدُ^(٦)
 لَهُمُ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَدِيدِ حَدِيدُ
 بَسُوفُهُمْ لِلدَّارِ عَيْنَ لُحُودُ
 وَبِهِ تَضَيَّقُ عَلَى عِدَاهُ الْيَبِيدُ
 كَلَفَ وَوَفَّرَ عَثِيرُ وَبُنُودُ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ بِوَارِقِ وَرْعُودُ
 عَدَّتِ الْمُلُوكُ لَدَيْهِ وَهِيَ عَيْنُودُ
 لِي مِنْ فَضَائِلِهِ غِنَى مَوْجُودُ

فَلَقَدْ أَذَابَ الْبَيْنُ جِسْمَ مُحِبِّكُمْ
 لَمْ يُلْهِهِ عَنْ ذِكْرِكُمْ وَهَوَاكُمْ
 وَكَأَنَّ عَرَفَ رِيَّاحِ أَرْضِكُمْ لَهُ
 أَلْفَ الضَّنْيِ فَحَيَاتُهُ فِي حَبْكُمُ
 أَتَرَى يَعُودُ الدَّهْرُ أَوْ يَخْضَرُّ لِي
 / ١٤١ب / أَوْ يَرْجِعُ الْعَيْشُ الَّذِي سَلَفَتْ لَنَا
 فَتَرَفَّقُوا بِمَتِّيمِ أَضْنَاهُ مُذْ
 أَصْفَاكُمْ مَحْضُ السُّودَادِ فَحَظُّهُ
 فَسَقَى زَمَانَ وَصَالِكُمْ مُتَعَجِّرُ
 كَسَمَّاحِ كَفَّ الْأَشْرَفَ الْمَلِكِ الَّذِي
 شَاهَ أَرَمَنِ السُّلْطَانَ سَيْفَ اللَّهِ فِي
 بِالسَّعْدِ سِرُّ اللَّهِ فِيهِ فَسَعِيَهُ
 يَسْرِي بِجَيْشِ خَيْلِهِ لِنَعَالِهَا
 كَالْفَتْخِ عَادِيَةً وَفِي صَهَوَاتِهَا
 أَلْفُوا مُكَافَحَةَ الْكَمَاةِ كَانَّمَا
 فَبَطُّونَ عَقَبَانَ الْفَلَاحِ وَوَحُوشَهَا
 جَيْشُ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ حَدِيدُهُ
 لَجِبُ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعُهَا
 فَالْيَبِضُ تَوَمَّضُ وَالصَّهِيلُ كَانَّمَا
 / ١٤٢أ / يَسْرِي بِهَا مِنْ آلِ شَاذِي مَالِكِ
 الْأَشْرَفِ إِبْنِ الْعَادِلِ الْمَلِكِ الَّذِي

(١) عود: نحيف، ضعيف.

(٢) عود: آلة الطرب.

(٣) عود: نوع من الطيب.

(٤) وعود: جمع وعد.

(٥) عود: عود الشجر.

(٦) الفتح: جمع أفتح: الأسد العريض الكف.

بشربوا عثته تنقح خاطري
ذلت حماة الشرك من سطواته
فكأتمما الأفلاك طوع مراده
فالعز حيث سؤوفه مشهورة
وليه على مر الزمان مناقب
فتفتح وإن ويوم باشزا وفي
إد عز والرومي قال قرينه
وبزاب إربل إذ غدت من بأسه
وليه على دمياط آيات لها
لما علا فرعون كيدهم سطا
لبسوا الحديد فذاب من سطواته
ملك يرى قصاده منه الغنى
/ ١٤٢ ب / كم قاصد يغشاه وهو مؤمل
ويؤمه ذو فاقة وخصاصة
يأثوق دؤنك والجريرة والغنى
فلدى ابن سيف الدين يلمس الغنى
وعلي عهد لا يروغك بعدها
إنني وقد أدنيتنا من مالك
فكان هذا الدهر شخص لبسه
وبجوده من در حسن صفاته
مولاي يا ملك الملوك وشمسها
أنا عبد نعمتك التي أكتافها
قد كان غصني يانعا من قربها
بضع وعشر سنين ساءت حالتني

وندى يجود فريحتي فتجيد
وبه يعز الدين والتوحيد
وليه ملائكة السماء جنود
والنصر حيث لواءه معقود
تسمو بأن يخصي لهن عديد
بقعاء منيح فتكفه مشهود
ففي الدل هذا مالا لدي عتيد
تتعلب الأقيال وهي أسود
أضحت ملوك الشرك وهي سجود
موسى بعزم للطعنة يكيده
فانصب في الأقدام فهو قيود
ويعز مادحه به ويسود
فيعود وهو مؤمل مقصود
فيؤوب وهو على الغنى محسود
لا تسامي حيث المزار بعيد
والفضل جم عنده والجود
أبدأ دميل في السرى ووخيد^(١)
لنزله في كل يوم عيد
من وشي أنعمه الجسم برود
حلي يزين قلائد وعقود
يا من بما تحوي يده تجود
ياوي إليها خائف وطريد
حتى بعدت وجف مني العود
فيهن إذ اتعا عن حماك بعيد

وَإِذَا سَلِمْتَ فَإِنِّي مُتَحَقِّقٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ فَاتَنِي سَعُودُ

وقال أيضاً / ١٤٣ / يَهْنِي الأمير بدر الدين أيدمر الوالي بالحج : [من الرجز]

قُدُومُ جَدِّ السَّعُودِ نِيرُ سَمَابُهُ الْمُلْكُ وَسُرَّ الْبَشْرِ
قُدُومُ إِقْبَالِ بِهِ كُلِّ الْوَرَى مُعْتَبَطُ مَبْتَهَجٍ مُسْتَبْشِرُ
قُدُومُ مَنْ لَطَائِرِ الْيَمَنِ لَهُ قَوَادِمُ بِالْضَّرِّ فِيهِ تَنْشُرُ
صَبْحَةُ عَيْدِ فِيهِ جَاءَتْ عَجَبًا وَاقِي بِهَا فِي مَتَهَاهُ صَفَرُ
سَرُّ قُلُوبِ الْخَلْقِ بِدْرِ الدِّينِ إِذْ بَدَا كَبْدُ طَالِعِ أَيْدَمَرُ
سَيِّدُ جَمْعِ الْأَمْراءِ فِي الْوَرَى وَإِنْ نَهَوْا فِي مَلِكِهِمْ أَوْ أَمَرُوا
دَعَا بِهِ اللَّهُ فَلَبَّى طَائِعًا يَنْذُلُ مَا عَنْهُ الْمُلُوكُ تَقْصُرُ
بِكُلِّ عَوْدٍ شَذَقَمِيٍّ وَجَدِيدِ لِي يَجُوبُ الْبَرُّ وَهُوَ أَفْقَرُ
وَكُلِّ طَرْفٍ سَابَحٍ يُرَى إِذَا دَجَا قَتَامُ النَّقْعِ وَهُوَ أَشْقَرُ
يُقْلُ أَسَادَ شَرِّ مَنْ يَبْضُهَا وَسُمِرَهَا أَنْيَابُهَا وَالظُّفَرُ
مَنْ كُلِّ لَيْثٍ فِي وَعَى كَأَنَّهُ فِي الْبَاسِ لَيْثٌ وَاللَّقَاءُ نَمَرُ
شَوْسٌ إِذَا مَا الْبَيْضُ فِي أَكْفِهِمْ صَلَّتْ عَلَى هَامِ الْكُمَاةِ كَبَّرُوا
/ ١٤٣ ب / يُطْرِبُهُمْ رَنْينَ أَسِيفَهُمْ لَا النَّايَ فِي نَغْمَتِهِ وَالْوَتَرُ
بِعَزْمِ بَدْرِ الدِّينِ تَسْطُوفِي الْعَدَا وَالنَّقْعُ دَاجٍ وَالْعَجَا جُ أَكْدَرُ
هَذَا وَكَمْ إِحْسَانُهُ بَثَّ مَنْ أَلِ مَعْرُوفٍ عُرْفًا لَا يَكَادُ يُخْصَرُ
مَنْ رِي ظَمَانٍ وَشَبَعٍ جَائِعِ وَكُسُوفَةٍ لِكُلِّ عَارٍ يُذْكَرُ
وَرَدَفَ ذِي عِيٍّ وَرَفْدَ عَايِزِ يَدَاهُ عَنْ إِنْفَاقِهِ تَقْصُرُ
وَبَعْدَ قَطْعِ الْبَيْدِ وَالْعَيْسُ بِهَا مِنَ الْوَجِيفِ وَالْوَجِى تَضَجَّرُ
أَحْلَ غَمَرِ الْبَرِّ إِذَا أَحْرَمَ فِي دِيَارِ قَوْمٍ قَدْ عَفَاها الضَّرَرُ
فِي عَرَفَاتٍ عَرَفَتْ مَعْرُوفَهُ عَجْمُ الْوَرَى وَعَرْبُهُ وَالْحَضَرُ
أَجِيبَ إِذْ لَبَّى وَسُرَّ الْجَبَلِ أَلِ حِمْمُونَ فِي وَفْقَتِهِ وَالْمَشْعَرُ
رَمَى الْجَمَارَ فِي مَنَى وَبِالْمَنَى أَيْسَدُهُ الْمُهِمَمَنُ الْمُقْتَدِرُ
سَعَى وَطَافَ ثُمَّ مَاءَ زَمْزَمِ أَفَاضَ وَهُوَ الطَّاهِرُ الْمُطَهَّرُ
سُرتَ بِهِ الْكَعْبَةُ ثُمَّ الْحَرَمُ الْأَ مِنْ ثُمَّ حَجَرُهُ وَالْحَجَرُ

وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ بِهِ اسْتَمْسَكَ وَالـ
وَزَارَ قَبْرِ الْمُصْطَفَىٰ وَإِنَّهُ
/ ١٤٤ / وَعَادَ يَبْغِي حَلْبًا وَالنَّصْرُ فِي
حَاجٍّ وَعَادَ فِي غَزَاةٍ إِذْ رَأَى الْأَ
لَنْهَبَ وَفَدَّ اللَّهُ جَاءُوا فَحَمَى الْإِ
وَكَمْ سَقَى الطَّغَاةَ فِي هَدِيَّةٍ
أَبْرَزَ بِالْأَبْرِقِ وَالْقَاعِ مَنْ أَلَّ
وَأَرْغَمَ الْعُرْبَ وَشَتَّ شَمْلَهُمْ
وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ مَا زَالَ بِهِ
وَالآنَ مُلْكُ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ بَالًا
قَدَامَ فِي الْإِقْبَالِ وَالتَّأْيِيدِ مَا

وقال يمدحه : [من الكامل]

نَفْسٌ تَصَاعَدَ مِنْ فُؤَادِ عَانِي
فَأَثَارَ وَجْدِي وَالْغَرَامَ وَزَادَنِي
فَأَرَفْتُ عِنْدَ تَذْكَرِي دَهْرًا مَضَى
يَا سَادَةَ حَكَمِ الزَّمَانِ بَعْدَهُمْ
/ ١٤٤ ب / أَتَى لِقَلْبِي مِنْ جَوَى تَذْكَارِكُمْ
إِنْ غَبْتُمْ عَنْ نَاطِرِي فَخَيَالِكُمْ
لَا تَقْتُلُوا بِالصَّدِّ صَبًّا عَنْكُمْ
فَسَقَى زَمَانَ وَصَالِكُمْ مِنْ وَابِل
كَسَمَاحِ بَدْرِ الدِّينِ أَيْدُمَرِ الَّذِي
الْوَاهِبِ الرِّفْدِ الْجَزِيلِ فَجُودُهُ
مَلِكُ بَنَى بِالْجُودِ مَجْدًا شَامَخَا
بَحْرٌ تَجَاوَرَهُ الْفُرَاتُ وَإِنَّمَا

عُمْرَةٌ فَهُوَ النَّاسِكُ الْمُعْتَمِرُ
أَجَلٌ دُخِرَ فِي الْمَعَادِ يُذْخِرُ
لِوَائِهِ وَنَشْرُهُ مُسْطَرُ
عَرَابٍ قَدْ تَجَمَّعُوا وَكَثَرُوا
سَلَامَ هَذَا الْأَرُوعُ الْغَضَنَفَرُ
مَنْ كَأْسُ مَنْوَنٍ وَالْمَزَاجُ عَثِيرُ
كَمَاةٍ أَسَدًا لِبُسْهَاتِ السَّنَوَرِ (١)
وَعَادَ وَهُوَ بِالْعَدَا مُطْفَرُ
عَلَى الْعَدَا فِي اللَّزْبَاتِ يَظْهَرُ
مِيرَ فِي جَلَالِهِ لَا يُتْكَرُ
تَرْتَمَ الْوُرُقُ وَمَاسَ الشَّجَرُ

لَمَّا تَعَنَّى الْوُرُقُ فِي الْأَغْصَانِ
وَلَهَا وَأَشْجَانًا عَلَى أَشْجَانِ
فَلَيْذُ نَوْمِي قَدْ جَفَا أَجْفَانِي
جَوْرًا عَلَيَّ وَعَنْهُمْ أَفْصَانِي
فَرَجَّ وَشَوْقِي أَخَذَ بَعْنَانِي
مَنْ لُبِّ قَلْبِي فِي أَعَزِّ مَكَانِ
لَمْ يَذَرِ كَيْفَ طَرَائِقُ الْهَجْرَانِ
مُتَعَنِّجِرَ غَدَقِ الْحَيَا هَتَّانِ
عَنْ طَوْلِهِ يَتَقَاصِرُ الثَّقَلَانِ
جَمُّ لِقَاصٍ فِي الْأَنَامِ وَدَانِي
تَعْلُو قَوَاعِدُهُ عَلَى كَيَّوَانِ
فِي الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ يَخْتَلِفَانِ

مُنْهَلَةٌ بِالتَّبَرِّ وَالْعَفِيَّانِ
مَاءُ الْمَبَاحِ بِكُفِّهِ سَيَّانَ
لَيْثٌ وَنَارُ الْحَرْبِ فِي الْهَيْجَانِ
بِحُسَامِهِ مِنْ كُلِّ ظَهْرِ حَصَانِ
يَبْضُ الطُّبَا وَذَوَابِلُ الْمُرَّانِ
دَامِي الْمُهَنْدِ مَنْ دَمِ الْأَقْرَانِ
قَسْرًا وَيَعْمَلُ حَدُّكُلِّ سَنَانِ
كَالِدَرِّ يُنْظِمُ فِي صُدُورِ حَسَانِ
فِي أَمْرِهِ كَالْوَالِهِ الْحَيَّرَانَ
يَغْيِي نَدَاكَ الْغَمْرَ مَنْ حَرَّانِ
لَقَدْ دُومَكَ الْمَيْمُونَ يَوْمَ تَهَانِي
مَوْسُومَةَ كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ
جَمَعَ الَّذِي أُولِيَتْ مِنْ إِحْسَانِ
فِي الشُّعْرِ مَرْصُوفٌ كَنْظَمَ جُمَانَ
مَتَوَسَّطِ الْأَيَّامِ فِي شُعْبَانِ

هَٰذِي تَجُودُ بِمَائِهَا وَأَكْفُ دَا
أَلْفَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى فَاَلْمَالِ وَالِدِ
عَيْثُ إِذَا عَامَ الْبَرِيَّةُ مُجْدِبُ
وَمُنْكَسُ الْأَبْطَالِ فِي يَوْمِ الْوَعَى
الْقَائِدُ الْأَسَدُ الضَّرَاعِمُ خَيْسَهَا
مِنْ كُلِّ أَهْرَتَ فِي الْكَرِيهَةِ لَمْ يَزَلْ
/ ١١٤٥ / فَبَعَزَمَ بِدَرِّ الدِّينِ تَفْتُكُ فِي الْعَدَا
يَا أَوْحَدًا فِي فَضْلِهِ خَذْ مَدْحَةَ
جَاءَ تَكَ تَشْفَعُ فِيَّ أَبِيهَا إِنَّهُ
مَنْ بَعْدَ بَضْعِ سَنِينَ وَأَقَى قَاصِدًا
وَأَقَامَ شَهْرًا كَامِلًا مُتَنَظِّرًا
وَجَلَا عَلَى يَوْمِ الْهَنَاءِ قَصِيْدَةً
وَأَتَى بِثَانِيَةِ وَثَالِثَةِ بَهَا
وَجَمِيعُ صُنْعِكَ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ
فَارْسُومَ وَعِشَ وَأَسْلَمَ لِمَدْحِ جَاءَ فِي

وقال أيضًا يمدحه : [من البسيط]

وَالطَّرْفُ فِي سَنَةٍ مِنْ سَهْوَةِ السَّهَرِ
يَعُودُ فَاَقْدَمُ مَوْجُودٍ عَلَى الْأَثَرِ
لَكِنْ أَطْوَلَهَا كَاللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
نَارِي فَلَيْتَ الْخَيَالِ الزَّوْرَ لَمْ يَزُرْ
عِشًّا تَصَرَّمَ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ
أَقْضِي مِنَ الْوَجْدِ لَوْلَا نَسْمَةُ السَّحَرِ
مَوْلَاهُ الْقَلْبَ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْفَكْرِ
شَمْسٌ بَدَتْ فِي دُجَى لَيْلٍ مِنَ الشُّعْرِ
بِالشَّهْدِ مُتَنَزِّجٌ مِنْ رَيْفِهَا الْخَصْرِ
فِي حَتْفٍ نَاطِرِهَا سَيْفًا مِنَ النَّظَرِ

حَيًّا فَأَحْيَا خَيَالٌ مِنْكَ فِي السَّحَرِ
فَضَنْ حَتَّى بِتَسْلِيمٍ وَعَادَ كَمَا
فِيَا لَهَا زُورَةً سُرَّ الْكَيْسُ بِبَهَا
سَرَى فَسَرَى كَلَمَعَ الْبَرْقِ وَاضْطَرَمَتْ
/ ١١٤٥ ب / أَثَارَ وَجْدِي وَأَشْوَاقِي وَأَذْكَرْنِي
إِنِّي أَكَادُ إِذَا جَنَّ الدُّجَى أَسْفَا
وَعَادَةً مِنْ ظَبَاءِ الْإِنْسِ ظَلْتُ بِهَا
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتَهَا
فَالْوَرْدُ مِنْ خَدِّهَا وَالْمِسْكُ تَشَقُّهُ
تُرْكِيَّةُ الْأَصْلِ خَافَانِيَّةُ شَهْرَتِ

بَرَدَ قَلْبَ سَبْتِهِ أَعْيُنُ الْخَزَرِ
 تَزَايِدَ الْوَجْدِ لَمَّا عَزَّ مُصْطَبِرِي
 بَعَادُهَا وَتَقَضَّى بِالْمُنَى عُمْرِي
 يَمْضِي الزَّمَانُ وَلَا أَقْضِي بِهِ وَطَرِي
 كَجُودِ رَاحَةِ بَدْرِ الدِّينِ أَيْدُمَرِ
 سَوْلَ فِي الْعُجْمِ وَالْأَعْرَابِ وَالْحَضَرِ
 حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَالْإِمْلَاقِ مُتَّصِرِ
 يَبْذُلُ نَفْسَ وَمَخْزُونٍ وَمُدَّخِرِ
 تَقْلِي الْفَلَاةِ وَتَطْطَوِي شُقَّةَ السَّفَرِ
 لَهُ بَصْنَعُ جَزِيلِ الْأَجْرِ مُعْتَبِرِ
 مَعَ وَضَلِ مُنْقَطِعِ مَعَ جَبَرِ مُنْكَسِرِ
 فَرَضًا وَمَاسَنَ فِينَا سَيِّدُ الْبَشَرِ
 سِرَ الْمُصْطَفَى آمَنًا مِنْ سَوْرَةِ الْخَطَرِ
 بِالْعِزَّةِ لِمَارَأَى الْأَعْرَابِ فِي كُثْرِ
 فَرَدَهُمْ عُدَّةَ الْإِسْلَامِ فِي خُسْرِ
 مِنْ كُلِّ ذِي طَمَعٍ مُسْتَلْتِمِ أَشْرِ
 بَعِزْمِ أَرْوَغٍ لَا يُعْزَى إِلَيْهَا خَوَرِ
 الرِّمَضَاءِ مَا بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمُنْعَفِرِ
 أَيُّوبَ وَالْخُلَفَاءِ الْغُرِّ مَنْ مَضَرَ
 وَالْوَاهِبِ الْأَلْفَ يَوْمَ السَّلَامِ مِنْ بَدْرِ
 فَإِنَّهُ فِي الْعَطَايَا غَيْرُ مُخْتَصِرِ
 أَفْدِيهِ مَنْ جَائِدَ بِالْمَالِ مُعْتَذِرِ
 فِي كُلِّ تَقَعٍ بَنَارَ الْحَرْبِ مُسْتَعِرِ
 حَتَفَ الْعِدَا فَهَيَّ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 حَظِي عِنْدَ اللَّقَا كَالنَّابِ وَالظُّفْرِ
 فِي الْبَاسِ بِاللَّيْثِ وَالْإِفْدَامِ بِالنَّمْرِ

مَنْ لِي وَإِنْ كَانَتْ الْأَحْدَاقُ نَاهِبَةً
 هَلْ مُسْعِدِيَا وَلَاَةَ الْحُبِّ لِي فَلَقَدْ
 جَفَا الْكَرَى إِذْ جَفَتْ جَفْنِي وَأَنْحَلْنِي
 وَاضِيَعَةَ الْعُمَرِ فِيمَا قَدْ بَلَيْتُ بِهِ
 فَجَادَ عَصَرَ الصَّبَا مُثْعَجِرٌ غَدَقٌ
 أَسْمَى الْبَرِيَّةَ مَجْدًا سَيِّدَا الْأَمْرَازِي الطَّدِ
 مَلِكٍ بِأَنْعَمِهِ الْغُرِّ الْجِسَامِ عَلَى
 أَجَابَ لَمَّا دَعَاهُ اللَّهُ مُبْتَدِرًا
 / ١١٤٦ / وَسَارَ وَالنَّيْبُ فِي الْيَدَاءِ مُعْنَقَةٌ
 كَمْ حَجَّةٌ كُتِبَتْ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ
 مِنْ رِيٍّ ذِي ظَمَأٍ مَعَ شَبْعِ ذِي سَغَبٍ
 حَتَّى قَضَى مَا عَلَيْهِ اللَّهُ أَوْجَبَهُ
 وَزَارَ مِنْ بَعْدِ تَكْمِيلِ الْمَنَاسِكِ قَبْ
 وَاتَّبَعَ الْحَجَّ فَضْلًا فِي هَدْيَةٍ
 جَاءُوا يُرِيدُونَ وَفَدَّ اللَّهُ كَسْبَهُمْ
 فِي الْقَاعِ وَالْأَبْرَقِ أَلْتَامَتْ جُمُوعُهُمْ
 فَأَبْرَزَ الْأَسَدُ بَدْرُ الدِّينِ ضَارِيَةً
 وَغَادَرَ الْقَوْمَ صَرَعَى فِي الْفَلَاةِ عَلَى
 هَذَا الْغَضَنْفَرُ بَدْرُ الدِّينِ سَيْفَ بَنِي
 الطَّاعِنِ الْأَلْفَ يَوْمَ الْحَرْبِ مِنْ فَرَقٍ
 لَا تَخْتَصِرُ فِي الْأَمَانِي يَأْمُؤُ مَلَكُهُ
 يَلْقَاكَ بِالْمَالِ طَلَقَ الْوَجْهَ مُعْتَذِرًا
 / ١١٤٦ ب / الْقَائِدُ الْخَيْلِ كَالْعُقْبَانِ صَائِلَةً
 شِبْهَ السَّلَاحِبِ تَسْرِي بِالْكُمَاةِ إِلَى
 ثَقُلُ شَوْسًا لَهَا الْبَيْضُ الْقَوَاضِبُ وَالِ
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِقْدَامٍ تَشْبَهُهُ

فِي كُلِّ حَرْبٍ عَلَا فِي النَّقْعِ مِنْ كَدَرِ
بِالْأَسْمَرِ اللَّذْنِ وَالصَّمْصَامَةِ الذَّكَرِ
بِحَرِّ الْخَضَمِ وَبِاقِي الْخَلْقِ كَالْعُدْرِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَعَنَى الْوُرْقُ فِي الشَّجَرِ

تَسْرِي وَهَمَّةُ بَذْرِ الدِّينِ يَقْدُمُهَا
حَامِي الشَّرِيعَةِ وَالْإِسْلَامِ نَاصِرُهَا
كَهْفُ الْعُقَاةِ مَلَأَ الْقَاصِدِينَ هُوَالِ
قَدَامٍ فِي الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ مَا طَلَعَتْ

وقال أيضاً يمدحه : [من المنسرح]

ضَاعَ فُؤَادِي يَا صَاحَ عَنْ كُتْبِ
بَاتٍ فَأَهَا مِنْ أَعْيُنِ الْعَرَبِ
قُسْرًا وَهَذَا مَنْ أَعْجَبَ الْعَجَبِ
قَبَابُ ذَلِكَ الْخَلِيطِ وَالنُّقَبِ
الْجَدِّ يَوْمَ الْعُدَيْبِ وَاللَّعَبِ
حَلَفَ الضَّنَى بِالْصُّدُودِ وَالْوَصَبِ
بِأَسْهُمِ رِيْشَهَا مِنْ الْهُدْبِ
قَدْ مُزِجَ الشَّهْدُ فِيهِ بِأَبْنَةِ الْعَنْبِ
ذَلِكَ الرُّضَابُ الْمَعْسُولُ وَالشَّنْبِ
فَارُوقُ فِي رَشْفِ ذَلِكَ الشَّنْبِ
فَالْمُهْجَةُ بَيْنَ السَّعِيرِ وَاللَّهَبِ
مَا بَيْنَ مُتَعَنِّجٍ وَمُنْسَكِبِ
رِ الدِّينِ مُحْيِي عَصَابَةِ الْآدَبِ
سِوَاهُ لَمْ يَتَجَعَّ وَلَمْ يَهَبِ
ءِ الْمُشْتَرِي حَمْدُ كُلِّ مُكْتَسِبِ
يَسْمُو بِرُوحِ الْكَوَاكِبِ الشُّهَبِ
مَا تَأْتَلِي مِنْ نَدَاهُ كَالسُّحْبِ
جُودٌ يَدُ بِاللَّجِينِ وَالذَّهَبِ
عَزِيزٌ قُسْرًا مَكْشَفُ الْكُزْبِ
كَأْسُ الرَّدَى بِالْقَوَاطِعِ الْقُضْبِ
الْأَسَادُ فِي كُلِّ جَحْفَلٍ لَجِبِ

بَيْنَ هَضَابِ الْعُدَيْبِ وَالْكَتِّبِ
إِخْتَلَسَتْهُ لَوَاحِظُ الْبَدْوِ
عِيُونُ عَيْنٍ تَغْتَالُ أَسَدَ شَرِي
أَيُّ جَمَالٍ تَحْتَ الْبَرَاقِعِ فِي
وَاهٍ عَلَى قَلْبٍ عَاشِقٍ بَيْنَ
/ ١١٤٧ / فِي أَسْرَاحِي أَعَنَّ غَادِرَنِي
تَرْشُقُ مَنْ جَفَنَهُ لَوَاحِظُهُ
يَسْمُ عَنْ لَوْلُوكَانَ بِهِ
قُلْ لِلدِّيْعِ الْهَوَى شَفَاؤُكَ فِي
وَيَا سَلِيمَ الْفُؤَادِ تَرِيَاؤُكَ الـ
جَفَا الْكَرَى إِذْ جَفَا جُفُونِي
فَجَادَ عَنْهُدَاجَتَنَا عَدُوَّ
كُجُودِ رُكْنِ الْأَمِيرِ ذِي الطُّوْلِ بَدُ
الْوَاهِبِ الرَّفْقِ لِلْعُقَاةِ إِذَا
أَيْدُمَرَ النَّدْبُ سَيِّدَ الْأَمَرِ
مَلِكُ بَنَى بِالسَّمَاكِ مَجْدَ عَلَا
بَحْرِيْدَاهُ عَلَى الْمُلَمِّ بِهِ
إِنْ ضَنَّ بِالصُّفْرِ غَيْرُهُ فَلَهُ
مَيْدُ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الـ
/ ١١٤٧ ب / كَمْ قَدْ سَقَى كُلَّ فَارِسٍ بَطْلِ
الْقَائِدِ الصَّافِنَاتِ تَقْدُمُهَا

لَمْ يَبْغِ غَيْرَ الْأَرْوَاحِ مِنْ سَلَبِ
قُلُوبٍ فَوْقَ الدُّرُوعِ وَالْيَلَبِ
رَالِدِينَ قُضِبَ مَعَ الْقَتَا السُّلَبِ
مُذِلُّ دِينَ الطُّغْيَانِ وَالصُّلَبِ
صَفَرٍ مِنْ بَأْسِهِ سَوَى الْهَرَبِ
مَدَى الْيَالِي وَالشَّرَكُ فِي حَرْبِ
سَمَاحٍ كَفَيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ
مَوَاقِفِ الشُّعْرِ أَشْرَفُ الرُّتَبِ
عَوَامٍ جَمْعًا فِي مُتَهَى رَجَبِ
هَنَالِهِ فِي السَّيْنِ وَالْحَقَبِ
بَارِضٍ حَرَّانٍ شَوْقُهُمْ أَرَبِي
غَرْدَ وَرُقٍ فِي مَوْرِقِ الْعَرَبِ

كُلُّ هَزَبٍ مِنْ فَوْقِ سَلَهَبَةٍ
قَدْ شَمَرُوا لَلْقَا وَقَدْ لَبَسُوا الدَّ
ضَرَاغِمَ خَيْسَهَا بِهِمَّةَ بَدِ
مُعْزٍ دِينَ الْإِسْلَامِ نَاصِرُهُ
لَمْ يَنْجِ يَوْمَ النَّزَالِ جَمْعَ بَنِي الْأَ
بِهِ تُعْزِرُ التَّوْحِيدَ فِي طَرْبِ
يَارُبِّ فَضْلٍ عَنِ الْمَلَمِّ بِهِ
خُذْنَتْ فِكْرَ لَهَا بِمَذْحَكٍ فِي
جَاءَتْ تُهْنِي بِكَ الْمَوَاسِمِ وَالْأَ
وَشَهْرُ شَعْبَانَ مُقْبِلٌ وَلَكَ الدَّ
فَجَذَبَ رَسْمِي فَلَئِي أُصَيِّبُهُ
أَرْوَمُ رُؤْيَاهُمْ فَعِشْ وَأَبْقِ مَا

/ ١٤٨ / وقال يرثي ولده مظفر الدين محموداً: [من الكامل]

وَالْمَوْتُ مُحْتَوِمٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
مَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي الْمِيزَانِ
دُخْرِي يَدُلُّ خَوْفًا بِأَمَانِ
يُنْجِي مُصَاحِبَهُ مِنَ النَّيْرَانِ
مُتَرَدِّدًا بِمَحَاسِنِ الْإِحْسَانِ
تَلْقَاهُ عِنْدَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
التَّقَرُّيقَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ
أَبَكْتَ عِيُونَ دَوَى النُّهَى الْأَعْيَانِ
أَضْحَى سَلِيبَ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
إِذْ كَانَ كَوَكَبِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ
وَالسَّابِرِي وَمَتْنُ كُلِّ حَصَانِ
غَرَقَتْ بِرَائِدِ فَضْلِهِ الثَّقَلَانِ
حُزْنًا عَلَيْهِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ

أَمَدُ الْبَقَاءِ لَدَى الْبَرِيَّةِ فَنَانِي
وَالْمَرْءُ يَنْظُرُ مَا تُقَدِّمُ نَفْسُهُ
فَعَلَيْكَ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ الْخَيْرَ أَفْضَلُ صَاحِبِ
وَأَخُو السَّعَادَةِ مَنْ أَتَى فِي بَعْثِهِ
وَأَصْنَعُ مِنَ الْمَعْرُوفِ دُخْرًا فِي عَدِ
فِيَدِ الْمُنُونِ تَمُدُّهَا فِينَا إِلَى
وَلَرُبَّ خَطْبٍ جَاءَنَا بِمُلَمَّةٍ
وَأَفْتِ بِفَقْدِ مُظَفَّرِ الدِّينِ الَّذِي
تَبْكِي الْمَوَاكِبُ وَالْحَيُوشُ لِفَقْدِهِ
تَبْكِي الْحَيَادُ الصَّافِنَاتُ مُصَابَهُ
وَأَفْجَعَةً فُجِعَ الْأَنَامُ بِأَرْوَعِ
/ ١٤٨ ب / بَكَتِ الْمَمَالِكُ وَالْحُصُونُ وَمَنْ بِهَا

وَمُهَنْدٍ صَافِي الْحَدِيدِ يَمَانِي
 سَدِّينَ الْعَزَاءِ وَدَائِمَ الْأَحْزَانِ
 فَقَضَىٰ قَاهَ لَهُادِمَ الْأَرْكَانِ
 فِي كُلِّ قَصْرٍ شَامَخَ الْبُيَّانِ
 أَسْفًا أَذَابَ حُشَاشَتِي وَشَجَانِي
 عَلَىٰ تَهْلَانِ
 عَوْضًا جَنَانَ الْخُلْدِ مَعَ رَضْوَانِ
 فَرْدَوْسَ بَيْنَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ
 مَنْ كُـلِّ وَابِلٍ وَكَفَّ هَتَّانِ
 رَالدَيْنِ سَوْرَةَ كُلِّ خَطْبٍ ثَانِي
 أَسْدَ الشَّرَىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَعَانِ
 لَفَحَّارِهِ شَرَفٌ عَلَىٰ كَيَّوَانِ
 نَصْرٌ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ وَالطُّغْيَانِ
 وَتَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي الْأَعْصَانِ

وَالسَّمْهَرِيَّةُ كُلُّ أَسْمَرَ دَابِلٍ
 لِمُصَابِ مَحْمُودِ الْأَمِيرِ مُطْفَرٍ أَلِ
 رَكْنٌ وَثِيقٌ هَدَمَتْهُ يَدُ الْقَضَا
 يَبْكِيهِ كُلُّ تَجْمُوعٍ بِمَسْرَةٍ
 أَسْفًا عَلَىٰ تَنْغِيصِهِ وَشَبَابِهِ
 فَعَلَىٰ صَبَاهُ بِكُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٍ
 فَاللهَ عَنِ طَيْبِ الْحَيَاةِ يَثِيْبُهُ
 وَعَنِ انْقِطَاعِ مَعَاشِرِ الْأَتْرَابِ فِي أَلِ
 وَسَقَتْ غَوَادِي الْمُزْنَ تُرْبُ ضَرِيحِهِ
 وَكَفَى الْمُهَيِّمُنُ سَيِّدَ الْأَمْرَاءِ بَدَ
 وَلَوْلَدِهِ الْأَنْجَابِ أَطْوَادِ الْعُلَا
 وَأَادَامَ عَزَّ الْمُلْكِ أَيْدُمَرِ الَّذِي
 فَلَدَوْلَةَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ بِعَزْمِهِ
 /١١٤٩/ دَانَتْ لَهُ الْأَيَّامُ [مَا] وَنَتِ الصَّبَا

وقال يمدح الرئيس صفى الدين إسماعيل بن أبي القاسم الحلبي : [من الكامل]

صَهْبَاءُ مَاءٍ مَزَاجَهَا مَشْمُولُ
 فِي الْكَأْسِ فِي جَنَحِ الدُّجَى قَنْدِيلُ
 تَهْدِي الْمَسْرَةَ وَالْهَمُومَ تُزِيلُ
 مَنْ لَيْنِهِ سُكْرُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
 فِي اللَّيْلِ غُصْنُ الْبَانَةِ الْمَطْلُولُ
 طَرَفٌ بِصَنْعَةِ بَابِلَ مَكْحُولُ
 رَشَاءُ غَضِيضِ الْمُفْلَتَيْنِ كَحِيلُ
 حَادٍ بَطْعَنَهُمْ وَجَدَّ رَحِيلُ
 فَالْتَّوَمُ إِذْ كَثُرَ السَّهَادُ قَلِيلُ
 فَالْقَلْبُ فِي أَشْرَاكِهِا مَحْبُولُ
 يَفْتَكُ ذَاكَ كَلْفِ أَخٍ وَخَلِيلُ

وَافْتَكُ فِي عَسَقِ الطَّلَامِ شَمُولُ
 صَفْرَاءُ صَافِيَةٍ كَأَنَّ شَعَاءَهَا
 فَاسْتَجْلَهَا بَيْنَ الْحَسَانِ فَإِنَّهَا
 مَنْ كَفَّ أَهْيَفَ كَالْقَضِيبِ يُمِيدُهُ
 رِيَانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ
 ظَبْيٌ عَلَى قَنْصِ الْأَسْوَدِ يُعِينُهُ
 يَحْكِي الْعِزَالَ تَلَقُّتَا فَكَأَنَّهُ
 وَعَرِيرَةُ عَارَتْ بِعَقْلِي إِذْ حَدَا
 وَسَنَى وَقَدْ نَفَتِ الْكَرَى عَنْ نَاطِرِي
 فَتَانَةَ نَصَبَتْ حَبَائِلَ طَرْفَهَا
 /١١٤٩ب/ يَا لِّلرِّجَالِ وَكَيْفَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى

دَنَفَ بِسَيْفٍ لَحَاطَهَا مَقْتُولٌ
 قَتَلَنِي عَلَى الْعَدَا سَيْلُ يَسِيلُ
 وَمَدَامَعِي تَنْهَلُ وَهِيَ تَقُولُ:
 وَالْمَالُ فِي كُلَّتِي يَدِيكَ قَلِيلُ
 إِذْ لِي إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمُ وَصُولُ
 جَدَوِي صَفِي الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ
 سَامَ عَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرَ أَثِيلُ
 مَقْدَامُ إِذْ خِيلَ الْجَلَادُ تَجُولُ
 فَاقُ جَمْعًا عَرْضُهَا وَالطُّولُ
 يَسْطُو عَلَى أَسَدِ الشَّرَى وَيَصُولُ
 بِأَسٍّ لَغْلَبِ الدَّارِعِينَ يَهُوُلُ
 حَمُوا الْعَجَاجَ قَوَاضِبُ وَنُصُولُ
 جَمْعًا وَكُلُّ بَارِعٍ يَهْلُولُ
 مَاعِيلُ أَهْلُ زَمَانِهِ وَيَطُولُ
 هُوَ سَيْفٌ نَصْرٌ مُضَلَّتْ مَسْلُولُ
 ثِ الدِّينِ مَاضِي الْمَضْرِبِينَ صَقِيلُ
 وَهُمْ شَبَابُ فِتْيَةٍ وَكُهْلُولُ
 مَاعِيلُ نَجَلِ الْقَوْمِ فَهُوَ جَمِيلُ
 كُنْجُومُ سَعْدِ مَا لَهُنَّ أَفُولُ
 سِي الدِّينِ وَهُوَ التَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ
 غَمْرٌ وَأَمَّا ظَلُّهُ فَظَلِيلُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ مُمُولٌ مَأْمُولُ
 فَيَكُونُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمَسْئُولُ
 يُغْنِي الْعُقَاةَ الْوَافِدِينَ هَطُولُ
 إِرْفَادُهُ وَلَصُوتُهُ تَرْتِيلُ
 تَهْنَى وَيَهْنَى الْمَلِكُ وَهُوَ جَلِيلُ

إِنْ تَطْلُبُوا قَوْدِي فَكُلُّ مُتَيَّمٍ
 قَدَمِي إِذَا مَا أَنْكَرْتَ أَجْفَانُهَا
 صَدَّتْ قُلْتُ: دَعِيَ الصُّدُودُ فَأَعْرَضَتْ
 وَصَلُ الْحَسَانِ عَلَى الْمُقْلِ مُحَرَّمٌ
 فَأَجَبْتُ بِالْخَيْرِ أَبْشِرِي وَلَكَ الْغَنَى
 فَهُوَ الذَّخِيرَةُ سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ دُوَالِ
 الْبَاذِلِ الرَّفْدِ الْجَزِيلِ فَمَجْدُهُ
 دُوَالِ الْبَاسِ وَالْحَلَمِ الْأَمِيرِ الْأَرْوَعِ
 حَلَبُ تَدِينُ لَهَا بِشْدَةٌ بِأَسِهِ الْآ
 يُرْدِي أَعَادِيهَا بِكُلِّ مُقَدَّمٍ
 لِمُقَدَمِي حَلَبِ الْكِرَامِ يَفْتَكِهِمْ
 أَسَدُ الْعَرِينِ هُمْ نَوَاجِدُهَا إِذَا افْتَدَى
 حَلَبُ تَسُودُ عَلَى الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا
 /١٥٠/ وَرَبُّهَا يَسْمُو صَفِي الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ
 فَلِدَوْلَةِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عَلَى الْعَدَا
 هَذَا ابْنُ قَاسِمٍ صَارَ يَدِي غِيَا
 مِنْ مَعَشَرِ لَهُمُ الرِّئَاسَةِ لَمْ تَزَلْ
 فَخَرُوا كَفَخَرِ الْمَلِكِ فِي حَلَبِ بِلَاسِ
 بِذَرِيَسِيرٍ بَعْضَبَةِ حَلِيَّةِ
 أَيَّامُهُ زَهْرٌ لَهَا أَضْحَى صَفًى
 فَلَيْهِنَّ قَاصِدُهُ بِأَنَّ سَمَاحَهُ
 كَمْ قَاصِدٍ يَنْشَاهُ وَهُوَ مُؤَمَّلُ
 وَلَكُمْ يَلَمُّ بِهِ مَسُودُ سَائِلُ
 عَيْثُ يُعِيدُ الْجَذْبَ خَضْبًا مُمَرَّعًا
 فِي الْخَافَقِينَ مَدِيحَهُ يَدْعُو إِلَى
 هَنَاهُ قَوْمٌ بِالرِّئَاسَةِ بَلْ بِهِ

كَفَّءٌ بِأَسْبَابِ الْوِلَايَةِ كُلِّهَا قِيلَ بِمَا قَالَ الْكَرَامُ قَوْوُلٌ^(١)
 / ١٥٠ ب / دَامَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا سَرَتْ الصَّبَا وَيَدَا لَوْرُقٍ فِي الْعُصُونِ هَدِيلٌ

قال من قصيدة يمدح بها الملك الصالح ناصر الدين أبا الفتح محمود بن محمد بن

داود بن سلمان بن أرتق الأرتقي - صاحب آمد - : [من الكامل]

يَا عَاذِلِي رَفَقًا بِصَبِّ صَبْرِهِ فِي الْحُبِّ يَنْقُصُ وَالْعَرَامُ يَزِيدُ
 فَتَنَّتُهُ مِنْ تِلْكَ الْخُدُودِ كَوَاعِبُ تَسْبِي بِأَلْحَاطِ الرِّبَارِبِ غَيْدُ
 تَحْكِي الشُّمُوسَ وَجُوهَهُنَّ يَقْلُهَا بَيْنَ الْمَضَارِبِ كَالْعُصُونِ قُدُودُ
 وَأَنْشُدْ هُنَاكَ قَلْبَ كُلِّ مَتِيَمٍ صَبِّ سَبَّتَهُ بِرَأَقِعٍ وَعَقُودُ
 وَأَحْدَرْ بِذَلِكَ الْمُنْحَنَى وَقَبَابَهُ فَقَرَائِسُ الْغَزَلَانِ فِيهِ أُسُودُ
 فَهَنَّاكَ تَأْسِرُ كُلَّ مُرْسَلٍ طَرْفِهِ بَيْنَ الْخِيَامِ نَوَاطِرُ وَخُدُودُ
 وَأَعْنِ مَعْتَدِلَ الْقَوَامِ يُمِيلُهُ مِنْ لَيْنِهِ سُكْرُ الصَّبَا فَيَمِيدُ
 يَنْضُوسُ سِيُوفًا مِنْ قُتُورِ لَوَاحِظِ فَلَهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ عُمودُ
 / ١٥١ أ / إِنْ أَنْكَرْتَ أَحْقَانَهُ قَتْلِي فَلِي فِي وَجَّتِيهِ بِمَا أَدْعَيْتُ شُهُودُ
 وَدَوَاءُ مَنْ لَسَبَتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ شَهْدُ بَغِيهِ لَوْلُؤُ مَنْضُودُ
 فَلَهُ مِنَ الْغُصْنِ الرُّطِيبِ قَوَامُهُ وَمِنْ الْغَزَالِ عُيُونُهُ وَالْجَيْدُ
 رَشَا يَحَارُ لِحُسْنِهِ دُوفُكْرَةٌ أَرْبٌ وَيَخْضَعُ فِي هَوَاهُ جَلِيدُ
 يُبْرِئِي سَلِيمَ هَوَاهُ مِنْ أَلَامِهِ بَرْدٌ نَوَى فِي ثَغْرِهِ وَبَرُودُ
 تَسْبِي لَوَاحِظُهُ الْعُقُولُ كَأَنَّمَا هَارُوتُ فِي أَجْنَادِهِ مَعْدُودُ
 مَلَكَتْ مَلَاحِظُهُ الْقُلُوبُ فَكُلُّ إِذْ سَانَ بَقِيدِ جَمَالِهِ مَصْفُودُ
 فَكَأَنَّ فِي جَفْنَيْهِ كُفَّةً حَابِلِ وَبَهَا قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ يَصِيدُ
 أَوْ صَارِمًا غَضِبًا نَضَاهُ الصَّالِحُ أَلْ مَلِكُ الْجَوَادِ أَخُو النَّدَى مَحْمُودُ
 الْوَاهِبُ الرُّفْدُ الْجَزِيلُ وَمَنْ بِهِ يَضْحَى شَقِي الْفَقْرُ وَهُوَ سَعِيدُ
 يَأْتُوقُ دُونَكَ أَمْدًا لَا تَسَامِي طَوَّلَ الْمَسِيرَ إِذَا الْمَزَارُ بَعِيدُ
 وَتَقْنِي مِنْ نَاصِرِ الدِّينِ الْغَنَى فَالْفَضْلُ جَمٌّ عِنْدَهُ وَالْجُودُ

وَعَلَيَّ عَهْدٌ لَا يَرُوعُكَ بَعْدَهَا
 مَلِكٌ يَرَى قُصَادَهُ مِنْهُ الْغَنَى
 / ١٥١ ب / كَمْ قَاصِدٌ يَعْشَاهُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ
 وَيَوْمُهُ ذُو فَاقَّةٍ وَخَصَاصَةٍ
 مَا الْعَيْشُ إِلَّا آمَدٌ وَالْأَوْسَلُ الْإِلَّ
 وَالرَّفْدُ إِلَّا مَابَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ
 مَلِكٌ مُجَانِبُهُ وَطَالِبُ فَضْلِهِ
 يَخْشَى دَوُو التَّيْجَانِ شِدَّةَ بَأْسِهِ
 فَكَأَنَّمَا الْأَفْلَاكُ طُوعَ مُرَادِهِ
 فَالْعَزُّ حَيْثُ سَيُوفُهُ مَشْهُورَةٌ
 شَهْمٌ يَسْذُلُ لَدَيْهِ كُلُّ غَضَنَفَرٍ
 شَهِدَتْ عَدَاهُ بِفَضْلِهِ وَالْفَضْلُ مَا
 الْقَائِدُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ حُمَاتِهَا
 كُلُّ إِذَا افْتَحَمَ الْعَجَاجَ وَصَالَ فِي
 أَلْفُؤًا مُكَافَحَةَ الْكُمَاةِ كَأَنَّمَا
 فَبَطُّونُ عَقَبَانِ الْفَلَا وَوَحْشُهَا
 / ١٥٢ أ / جَيْشٌ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ حَدِيدُهُ
 لَجِبٌ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْهُ وَسَمْعُهَا
 فَالْبَيْضُ تُوْمَضُ وَالصَّهِيلُ كَأَنَّمَا
 يَسْرِي بِهَا مَنْ أَلَّ ارْتَقَ مَاجِدُ
 مَلِكٌ يَسْذُلُ لِعُظْمِ شِدَّةِ بَأْسِهِ
 فَاقَ ابْنُ دَاوُدَ الْمُلُوكَ جَلَالَةً
 لَا غَرَوْا إِنْ فَضَلَ الْمُلُوكُ وَقَدْ سَمَا
 مَنْ ذَا يَرُومُ فَخَارَهُ وَلَكِنَّ الْعُلَا
 ذَلَّتْ جُيُوشُ الْمُشْرِكِينَ لِبَأْسِهِ
 يَخْشَى مُلُوكَ الْأَرْضِ شِدَّةَ بَأْسِهِ

أَبْدًا دَمِيلٌ فِي السُّرَى وَوَيْدٌ
 وَيَعِزُّ مَا دَحَّاهُ بِهِ وَيَسُودُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ مُؤَمِّلٌ مَقْصُودُ
 فَيُؤُوبُ وَهُوَ عَلَى الْغَنَى مُحْسُودُ
 فَيُفَاحُ لَا رَمْلَ الْحَمَى وَزُرُودُ
 مَحْمُودُ رَبِّ الْمَكْرُمَاتِ يَجُودُ
 هَذَا الشَّقِيُّ بِهِ وَذَا مَسْعُودُ
 وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ
 وَلَهُ مَلَانِكَةُ السَّمَاءِ جُنُودُ
 وَالنَّصْرُ حَيْثُ لَوَاؤُهُ مَعْقُودُ
 وَيَخَافُ سَطْوَتَهُ الْأَسُودُ السُّودُ
 يَبْنِي الْأَنْامُ بِهِ يُقَرُّ حُسُودُ
 غُلِبَ إِذَا نَارَ الْقَتَامِ أُسُودُ
 يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَغْلَبَ صَنْدِيدُ
 لَهُمُ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَدِيدِ حَدِيدُ
 بِسُيُوفِهِمُ لِلدَّارِعِينَ لُحُودُ
 وَبِهِ تَضَيَّقُ عَلَى عَدَاهُ الْبَيْدُ
 كَلَّفَ وَوَقَّرَ عَثِيرُ وَيَنُودُ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ بَوَارِقُ وَرَعُودُ
 غَدَتِ الْمُلُوكُ لَدَيْهِ وَهِيَ عَيْدُ
 لَوْ عَايَنَاهُ تَبَّعَ وَتَمُودُ
 فَلَهُ الْفَخَارُ وَفَضْلُهُ الْمَشْهُودُ
 مَنْ قَبْلُ أَبَاءَ لَهُ وَجُدُودُ
 دُونَ الْبَرِيَّةِ طَارِفُ وَتَلِيدُ
 قَسْرًا وَعَزَّ السَّيِّدُ وَالْتَوْحِيدُ
 فَهُمْ لَدَيْهِ رُكْعٌ وَسُجُودُ

عَمَّ الْبِلَادَ بَعْدْلَهُ فَالْشَّاءُ فِي
 بَحْرٍ يَسُحُّ عَلَى الْعُقَاةِ سَحَابُهُ
 فَالْعَزُّ يَطْلُبُ كُلَّ رَاجٍ وَالْغَنَى
 يُخْشَى وَيُرْجَى فِي الْأَنَامِ فَجُودُهُ
 /١٥٢ب/ فَحَيَاةُ رَاجِيهِ وَمَوْتُ عَدُوِّهِ
 يَا مَالِكًا فَاقِ الْمُلُوكَ فَضَائِلًا
 يَا أَوْحَدًا فِي الْعِلْمِ يُفْحِمُ لَفْظُهُ
 يَا أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ حَتَّى جُرُؤُ
 الْعَبْدِ مُعْتَذِرٌ مِنَ التَّقْصِيرِ يَا
 وَجْدِيرٌ أَنْ فِي بَحْرِ حِلْمِكَ وَالنَّدَى
 فَاسْتَجْلَهَا بِكُرٍّ أَتَتْكَ يَزِينُهَا
 وَاجْبُرْ بِجُودِكَ كَسْرَ نَاطِمِهَا فَمَا
 وَأَسْلَمَ وَدُمَ مَا لَاحَ صُبْحٌ أَوْ بَدَا

أَيَّامُهُ فِي مَوْرَدٍ وَالسَّيِّدُ^(١)
 وَيَلْكَدُ لِلْمَوْرَادِ مِنْهُ وَرُودُ
 فَكَلَاهُمَا فِي رُبْعِهِ مَوْجُودُ
 عَمَرٌ وَأَمَّا بَطْشُهُ فَشَدِيدُ
 مِنْهُ وَعُودُ نَجْزٍ وَوَعِيدُ
 غَرًّا فَمَا يُخْصَى لَهُنَّ عَدِيدُ
 قُسًا فَسَحْبَانُ لَدَيْهِ بَلِيدُ^(٢)
 يَضْحَى لَدَيْهِ مُبْلَدًا وَلَيْدُ
 مَلِكًا عُلَاهُ عَلَى السَّمَاءِ مَشِيدُ
 وَالْعِلْمُ يَغْرِفُ شَاعِرٌ وَقَصِيدُ
 مَنْ مَدَحَ مَجْدَكَ حَلِيَّةٌ وَبَرُودُ
 بَيْنَ الْأَنَامِ سَوَاكَ لِي مَقْصُودُ
 لِلْوُرُقِ فَوْقَ أَرَكَةٍ تَغْرِيدُ

وقال أيضاً يمدحه وهي موشحة مخمسة :

يَا صَاحَ أَصْبَحَ حَبْلُ الْوَصْلِ مَبْتُوتَا
 فِي حُبِّ رَيْمٍ يَرُدُّ الْبَدْرَ مَبْهُوتَا
 أَقُولُ إِذْ مَرَبِّي كَالظَّبْيِ مَلْفُوقَا
 رَدَّ الْفُؤَادَ لِيَحْيِيَ الصَّبُّ حَيَّتَا
 وَأَعْدِلْ فَنِي مُهَجِ الْعُشَاقِ وَلَيْتَا

/١٥٣/ وَأَرْحَمُ فَنِي الْحُبِّ قَدْ أَضْحَيْتَ مُقْتَدِرَا
 صَبَّاءَ عَدَا فَيْكَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُشْتَهَرَا
 مُتِمِّمَاً بِكَ أَضْحَى صَفْوُهُ كَدَرَا
 يَا أَسْمَرَ أَصْرْتُ فِي حُبِّي لَهُ سَمَرَا
 حُوشِيَتْ مِمَّا يُعَانِي الصَّبُّ حُوشِيَّتَا

يَا بَدْرَ تَمَّ لَهُ زَرْ الْقَبَا فَالْكُ
 سَحَرٌ بِجَفْنِكَ يَسْبِي النَّاسَ أَمْ شَرَكُ

(١) السيد: الذئب.

(٢) يقصد: قُس بن ساعدة الأيادي، وسحبان وائل وكانا من خطباء العرب.

كَمْ فِيكَ أَضْحَى مَصُونٌ وَهُوَ مُنْهَتِكُ أَفْتَنَةُ أَنْتَ لِلْعُشَّاقِ أَمْ هَلَكُ
أَمْ فِي الْجَنَانِ مَعَ الْوَلَدَانِ أُنْشِيَتَا

أَمَّا لَصَبِّكَ مِنْ غَيِّ الْهَوَى رَشْدُ وَلَا لَصَدِّكَ يَأْكُلُ الْمُنَى أَمْدُ
فَكَمْ لِقَتْلِ الْبَرَايَا أَنْتَ مُعْتَمِدُ فَلَنْتَ بِالصَّدِّ صَبًّا مَالَهُ قُودُ
لَوْ شِيتَ أَحْيَيْتَهُ بِالْوَصْلِ لَوْ شِيتَا

هَوَاكَ أَفْصَاهُ أَذْنَى عَنْ أَقَارِبِهِ وَمَا سَوَاكَ إِلَى الْبَلَوَى بِجَاذِبِهِ
بَلْ أَنْتَ فِي الْحُبِّ يَا أَفْصَى مَارِبِهِ حَلَوَتْ فِي قَلْبِهِ لَمَّا حَلَلْتَ بِهِ
وَبِالْمَلَا حَةَ دُونَ النَّاسِ حَلِيَّتَا

النَّفْسُ أَضَحَّتْ إِلَى رُؤْيَاكَ تَائِقَةً وَالْعَيْنُ أَمَسَتْ بِمَاءِ الْجَفْنِ غَارِقَةً
إِنْ كُنْتَ تُضْغِي إِلَى شَكْوَايَ أَوْ نَةً فَارْحَمْ عَلَى الْيَنِّ وَالتَّبْرِيحِ قَلْبَ فَتَى
/ ١٥٣ ب / فَتَّهْ بِالْجَفَا وَالصَّدِّ تَفْتِيَّتَا

يَشْتَاقُ رُؤْيَاكَ لَا زُورَ بِهِ وَرِيَا كَأَنَّهُ التَّبْتُ ظَمَانٌ وَأَنْتَ حَيَا
أَضْحَى مَرِيضًا وَأَدْوَاءَ الْعَرَامِ عِيَا مُغَرِّى بِحُبِّكَ يَرْجُو الْوَصْلَ مِنْكَ فَيَا
مَوْلَايَ لِمَ بِالْجَفَا وَالصَّدِّ أَغْرِيَّتَا

أَصْفَاكَ فِي الْحُبِّ إِخْلَاصُ الْوُدَادِ وَلَكِنْ يُرِيدُ غَيْرَكَ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ سَكَنُ
قَالُوا: شَغَفْتَ بِهِ حَقًّا، فَقُلْتُ: إِذَنْ لَمْ يُلْهِهِ عَنْكَ مَخْلُوقٌ فَأَنْتَ بِمَنْ
عَنِ الْمُحِبِّ قَدَتِكَ النَّفْسُ أَلْهِيَّتَا

فَإِنَّهُ فِي الْهَوَى صَبٌّ وَمَا شُفِيَا قَدْ ذَابَ حَتَّى عَنِ الْعُودَادِ قَدْ خَفِيَا
مَارَامَ غَيْرِكَ مَحْبُوبًا وَقَدْ جُفِيَا وَلَا تَنَسَاكَ يَوْمًا فِي الزَّمَانِ فَيَا
لِلَّهِ كَيْفَ عُهُودَ الصَّبِّ أُنْشِيَتَا!

فَرَاوَدْتُ قَلْبِي عَنْكَ الصَّبْرَ فَاغْتَدَرَا وَالْأَثْمَانَ قَدْ أَشْتَطَّا وَقَدْ زَجَرَا
أَقُولُ وَاللَّوْمُ وَالْتَأْنِبُ قَدْ كَثُرَا يَا عَاذِلِي رُويْدَا قَالِ الْمُحِبُّ يَرَى
عَذْلَ الْعَوَازِلِ إِسْرَافًا وَتَعْنِيَا

وَشَادَنَ أَغْيَدَ ذِي وَاضِحٍ بِهِجٍ جَفَا وَقَلْبِي بِهِ فِي مَسَلِكِ حَرْجٍ
/ ١٥٤ / أَقُولُ إِذْ مَرَبِّي فِي مَنْدَلٍ أَرْجٍ مَنْ لِي بِوَصْلٍ عَزَالٍ أَحْوَرٍ غَنْجٍ
يَعْلَمُ السَّحَرِ مَنْ جَفْنِيهِ هَارُوتَا

مُهْفَهْفُ الْقَدِّ سَهْلُ الْخَدِّ دُو تَرْفٍ أَضْحَيْتُ وَالْقَلْبُ فِي حُبِّهِ دُو كَلَفٍ
إِذَا غَدَا بَيْنَ مِيَالٍ وَمُنْعَطَفٍ أَخْشَى عَلَى خَصْرِهِ يَنْبْتُ مَنْ هَيْفٍ
لَيْنًا وَفِي حُبِّهِ أَضْحَيْتُ مَبْتُوتَا

لَمَّا أُصِيبَ فُؤَادِي مَنْ يَعْدُبُهُ بِأَسْهُمٍ تُفْسِتُ مَنْ قَوْسٍ حَاجِبُهُ
وَأَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي أَشْرَاكَ سَالِبُهُ أَصْغَيْتُ ذَا كَرِهِ سَمْعِي وَتَهْتُ بِهِ
عُجْبًا وَأَضْحَى لِقَلْبِي ذِكْرُهُ فُوتَا

رَنَا فَأَصْمَى فُؤَادِي سَهْمٌ مُقْلَهُ فَهَذَا دَمِي شَاهِدٌ مَنْ فَوْقَ وَجَّتِهِ
ظَبْيِي إِذَا مَا تَبَدَّ نُورُ طَلْعَتِهِ يُرِيكَ مَنْ خَدِّهِ وَرْدًا وَقَامَتِهِ
غُضْنَا وَمَنْ نَغْرِهِ دُرًا وَسُوتَا

بَدْرٌ وَزَرْقَبَاهُ بَرْجُ هَالَتِهِ ظَبْيِي مِنَ التُّرْكِ لَوْلَا حُسْنُ خَلْقَتِهِ
تَسْتَقْرِضُ الشَّمْسُ نَوْعًا مِنْ مَلَاَحَتِهِ ظَبْيِي مِنَ التُّرْكِ لَوْلَا حُسْنُ غُرَّتِهِ
لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ نَاسُوتَا وَلَا هُوتَا

/ ١٥٤ ب / مُهَذَّبُ الْخَلْقِ وَالْأَعْرَاقِ وَالشَّيْمِ كَمْ غَالٍ بَيْنَ الْقَبَابِ الْبَيْضِ وَالْخِيَمِ

أَسَدٌ يُعْظِمُهَا الرَّائِي عَنِ الْقِيَمِ كَأَنَّ فِي جَفْنِهِ سَيْفًا غَدَا...
الصَّالِحِ الْمَلِكِ يَوْمَ الرُّوعِ مَضَلُّوْنَا

مَلِكٌ يُفُوقُ مُلُوكَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً كَمْ أُخْجَلَتْ كَفُّهُ بِالْجُودِ عَادِيَةً
مَنْ فَضَّلَهُ أَضْحَتِ الْأَحْوَالُ حَالِيَةً السَّوَاهِبُ الْبَدْرَاتِ الْغُرُضَاحِيَةً
جُودًا يُضَمِّنُهَا دُرًّا وَيَأْفُوتَا

لَا تَرْضَ بِالذُّونِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ بَلْ عَنِ الْأَكْرَامِ لِي أَمَّا لِمَثَلِي سَلْ
أُولِيكَ نُصْحًا فَسِرْ مِنْ قَبْلِ قَوْلِكَ هَلْ وَالْمَمُّ بِأَمْدِي أَرَا جِي الْغَنَاءِ تَنَلْ
الرَّفْدَ الْجَزِيلَ وَمَا أَمَلْتُ مَوْفُوتَا

جُدَّ الْمَسِيرَ فَمَنْ رَامَ الْمَغَانِمَ جَدَّ وَأَحْطَطُ... فَالْعَيْشُ فِيهِ رَعَدُ
وَأَطْلُبُ فَمَنْ طَلَبَ الْعُلْيَا وَجَدَّ وَجَدَّ وَأَفْصَدُ بِهَا نَاصِرَ الدِّينِ الْجَوَادِ فَقَدْ
يَحْيِي الْغِنَى مَنْ غَدَا يَطْوِي السَّارِيْنَا

هَذَا ابْنُ دَاوُدَ رَاجِي فَضْلِهِ غَنَمًا فَاقَ الْمُلُوكَ جَمِيعًا وَالْوَرَى كَرَمًا
أَوْفَاهُمْ وَأَعَزُّ الْعَالَمِينَ حَمَى حَازَ الْعُلَا فَسَوَاهُ فِي الْبَرِيَّةِ مَا
/ ١١٥٥ / غَدَا بِكُلِّ لِسَانِ الْفَضْلِ مَنُوعًا

جِيُوشُهُ حَيْثُ تَسْرِي فِي مَوَاكِبِهَا تَكْسُو الْمَمَالِكَ رُغْبًا فِي مَرَاتِبِهَا
فَأَفْصَدَ إِلَيَّ أَخِذَ الدُّنْيَا وَوَاهِبَهَا مَلِكٌ مَوَاهِبُهُ تَغْشَى الْوَرَى وَبِهَا
قَدْ سِيرَ الْمَدْحُ فِي الدُّنْيَا لَهَا صَيَا

هَذَا هُوَ الْبَحْرُ حَدَّثَ عَنْ عَجَائِبِهِ قَدْ عَمَّ كُلَّ الْبَرَايَا مِنْ مَوَاهِبِهِ
يَرَى الثَّنَا فِي الْوَرَى أَوْ فِي مَكَاسِبِهِ قَدْ جَمَعَ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَشَادَبَهُ
مَجْدًا وَشَتَّتَ جَمَعَ الْمَالِ تَشْتِيَا

إِلَى حِمَى الصَّالِحِ السُّلْطَانِ جُدَّ وَمَلَّ وَبِالْقَرِيضِ عُلَاهُ وَالْمَدَائِحِ صَلَّ
وَلِإِنْ سُنِّلَتْ فَقُلْ فِي مَدَحِهِ وَأُطِّلْ الْقَائِدُ الْخَيْلَ تَحْمِلُ فِي أَلْ...
نَزَالَ أَسَدًا لَدَى الْهَيْجَا أَمَارِيَتَا

فَالنَّصْرُ مِنْهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ وَلَهُمْ يَرُوعُ آخِرُهُمْ فِي الرُّوعِ أَوْلَهُمْ
فَمَنْ رَأَاهُمْ لَدَى الْهَيْجَا تَهَوَّلَهُمْ يُخَالُ فَوْقَ السَّعَالِي مَنْ تَأْمَالَهُمْ
إِذَا هُمْ أَفْتَحَمُوا نَقْعًا عَفَارِيَتَا

يَا طَالِبَ الرَّفْدِ اقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ ذَا دِيَارَ بَكْرٍ لَتَنْجُو مَنْ شَقَا وَأَدَى
/ ١٥٥ ب / وَفِي أُمُورِكَ سَهْمُ الْخَطْبِ إِنْ نَقَذَا بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ السُّلْطَانِ لُذْ فَإِذَا
وَأَقَيْتَ مَغْنَاهُ بِالْأَمْوَالِ أُغْنِيَتَا

حَلَلْتَ مَغْنَى بِهِ كَمْ وَأَفَدَ غَنَمَا وَكَمْ شَقِيٍّ بِهِ بَعْدَ الشَّقَا نَعَمَا
مُعْظَمَ الْقَدْرِ يَكُنَّ النَّاسُ مُحْتَرَمَا وَبِتَّ جَارَ أَعَزِّ الْعَالَمِينَ حِمَى
مُنْعَمَ الْبَالِ وَالْإِحْسَانِ أُولِيَتَا

لُذْ بَابِنَ دَاوُودَ إِذْ صَرَفَ الزَّمَانُ نَزَلَ وَإِنْ عَرَا الْخَطْبُ فِيمَا تَبْتَغِيهِ وَجَلَ
وَنَادَهُ فِي الدِّيِّ تَرْجُو لَدَيْهِ تَنَلْ يَا قَاتِلَ الْمَحِلِّ بِالْجَدْوَى كَمَا قَتَلَ
النَّبِيُّ دَاوُودَ يَوْمَ الرُّوعِ جَالُوتَا

بِكَ السَّعَادَةُ قَدْ بَانَتْ عَلَائِمُهَا وَدَوْلَةُ الْمَجْدِ قَدْ قَامَتْ دَعَائِمُهَا
لَمَدَحَةٍ مَدْحُكَ السَّامِيِّ تَمَائِمُهَا فَاسْتَجِلْ بِكُرًا يُجِيدُ الشُّعْرَ نَاطِمُهَا
وَحِيَّهَا بَنَدَى كَفَيْكَ حَيَّتَا

فَصَيْدَةٌ يَا أَجَلَ الْخَلْقِ شَاعِرَةٌ عَدَتْ بِمَدْحِكَ فِي الْآفَاقِ سَائِرَةٌ

كَالْدُرِّ وَاقَتْ إِلَى نُعْمَاكَ نَاضِرَةً بَقِيَتْ مَا دَامَتْ الْأَفْلَاكُ دَائِرَةً
فِي رِفْعَةٍ وَمِنْ الْأَسْوَاءِ وَفِيَّهَا

[٨٩٦]

هَلَالُ بْنُ مُحَفُوظِ بْنِ هَلَالٍ، أَبُو النَجْمِ الرَّسْعَنِيُّ، المعروف بابن
السَّراج^(١).

كان فقيهاً حنبلي المذهب قارئاً للقرآن العزيز من أهل الزهد والورع والدين والخير،
تفقه ببغداد على المذهب الأحمدي، وسمع من الكاتبة شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج
الإبري، وعاد إلى بلده، وحدث عنها. سمع منه هناك جماعة من الطلبة والمجتازين،
وتوفي في شعبان سنة عشر وستمائة، ولم يكن قول الشعر من شأنه.

أنشدني الشيخ أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف المحدث
الرسعني الفقيه الحنبلي بالموصل في سنة إحدى وثلاثين وستمائة - من لفظه وحفظه - قال:
أنشدني أبو النجم هلال بن محفوظ الرسعني لنفسه، وقد ندبه الأمير عماد الدين أبو العباس
أحمد بن علي بن أحمد بن المشطور الكردي المهراني، أن يجعل نظره في وقف بناء برأس
عين^(٢)، فامتنع وأبى وطلب / ١٥٦ ب / منه الاستعفاء والإقالة، وكتب هذه الأبيات إليه،
وأنشدنيها، وهي من قوله: [من الوافر]

أَقْلَنْيْ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ فَلَسْتُ كَمَا يَظُنُّ بِي الْأَمِيرُ
تَعَاظَمْتَ الْأَمَانَةُ فِي أَدَاهَا أَتَحَسَبُ أَنَّهُ أَمْرٌ يَسِيرُ
سَمَّاءَاتٍ وَأَرْضٌ مَعَ جِبَالٍ وَأُحَدِّقُ دَابِيَّ وَأَبَى ثَبِيرُ
إِذَا عَجَزَتْ جِبَالُ الْأَرْضِ عَنْهَا فَكَيْفَ يُطِيقُهَا رَجُلٌ كَيْسِيرُ

(١) الجزري، والرسعني نسبة إلى رأس العين.

ترجمته في: التكملة للمنزري ٢/ ٢٩٠ رقم ١٣٢٤. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٦٨. شذرات الذهب
٥/ ٤٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩٣ رقم ٥٥١.

(٢) رأس عين: وهو رأس عين الخابور، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حران ودينسر. انظر: معجم
البلدان/ مادة (رأس).

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

/١٥٧/

[٨٩٧]

هارونُ بنُ الحسينِ بنِ كُرْجِي بنِ هَارُونِ^(١).

ذكره صاحبُ الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه في تأريخه، وقال: إربلي المولد والمنشأ؛ خدين لا يطمَعُ الغدْرُ في وفائه، وقرين لا يحل الدهر عقد إخائه، ومصاحب استوى في الصحبة مغيبه ومشهده، ومخالط اعتدل في الخلطة مصدره وموردُه؛ فهو مأمونة مكائده وغوائله، محمودة أواخره وأوائله، عذبت أخلاقه رقةً وصفاءً، وملىء وجهه بشراً وحياءً، له أدب نفس كالزهر النضير، ووثيقة رأي محكمة التدبير، وإشفاق على معاشره وصديقه، تجاوز إشفاق الأخ على شقيقه، ونصيحة للمستشير بآرائه، يستشف المغيب من ورائه.

وكان شيخنا أبو المظفر المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي - رحمه الله تعالى - يُسميه شيخ / ١٥٧ ب / الجماعة، لما عنده من العقل والحزم، وجودة التصرف، وكثيراً كان يصفه وفيه يقول: [من البسيط]

شَيْخُ الْجَمَاعَةِ مَخْدُومٌ وَمَشْكُورٌ وَرَبْعُهُ بَنِي الْحَاجَّاتِ مَعْمُورٌ

وقال فيه أيضاً: [من البسيط]

شَيْخُ الْجَمَاعَةِ بَذَرُ الدِّينِ هَارُونُ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مَعْجُونُ
دُو الْفَهْمِ يَعْرِفُهُ وَالْغَمْرُ يَجْهَلُهُ كَالدَّرِّ وَالْدَّرُّ فِي الْأَصْدَافِ مَكْنُونُ

ثم قال: وعنده دينٌ لا يهديه إلى غير الصدق سيئله، ويقينٌ لا يميل به عن سواء الحق دليله، حنفي المذهب، مائل [إلى] التشيع غير مغال فيه، مواظب على الصلوات الخمس، وصيام كل خميس. كناه شيخنا أبو المظفر ابن طاهر الخزاعي بأبي الرأي.

(١) ترجمته في: التكملة للمنزوي ٢/ ٢٣٢ رقم ١٢١٢. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٤ رقم ٤٢٤، وفيهما: «هارون بن الحسين بن كرج بن هارون».

وكان من أولاد الأمراء الأجناد، وذوي العُدَّة والعتاد. وكان أبوه - رحمه الله - وأدركته، من المشهورين بإربل في زمن الحاجب أبي منصور سرفتكين ابن عبد الله - متوليها - يقوم مقامه إذا غاب عنها، ولا يتخلف عنه إذا عاد إليها.

أولد خمسة من البنين لم يكن / ١٥٨ / فيهم أربع منه ولدًا ولا أكثر سؤددًا. وكان ربما قرض البيتین والأبیات من الشعر، سلامة طبع جُبِلَ عليها، وصحة خاطر هدها الظرف إليها، وأنا ذاكر جميع ما وقفني عليه من ذلك عن آخره.

وكانت وفاته بعد عشاء الآخرة من الليلة المسفرة عن الأحد الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وستمئة بإربل، فأسكنه الله فسيح جنانه، وأورده موارد غفرانه، في نعيم غير منقطع أمده، وثواب لا يحصى عدده.

وكان مولده بإربل في شهر رمضان سنة ستين وخمسماية؛ وسمع الحديث على أبي المعالي نصر الله بن سلامة الهيتي، وأبي المعالي صاعد بن علي بن عمر الواسطي الواعظ، وأبي المظفر المبارك بن طاهر بن المبارك الخزاعي البغدادي وغيرهم.

ومن شعره ما أنشدني صاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رحمة الله عليه - في سنة خمس وعشرين وستمئة، قال: أنشدني أبو الرأي هارون بن الحسين لنفسه:

[من البسيط]

هَلْ أَرَحِمْتَ قَيْلَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ	١٥٨/ب/ يَ مُوقَدَ النَّارِ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي
مُغْرَى بِجُبِّكَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدِ	هَلْ أَعْطَفْتَ عَلَيَّ صَبَّ أَسِيرِ هَوَى
مُخَيَّرَافِيكَ بَيْنَ الشَّوْقِ وَالسُّهْدِ	يَفْنَى الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى صَبَابَتُهُ
لَمْ يُبْقِ هَجْرُكَ لَا صَبْرِي وَلَا جَلْدِي	كُنْ كَيْفَ مَا شِئْتَ لَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدٌ

وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني هارون بن الحسين لنفسه: [من الطويل]

يَنَامُ خَلِيَّ الْقَلْبِ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ	مَنْ الشَّوْقُ مَا تَطْوَى عَلَيْهِ أَضَالَعِي
لَقَدْ لَا مَنِّي الْوَاشُونَ فِيمَنْ أَحَبَّهُ	وَلَكِنْ دُونَ الْعَذْلِ سُدَّتْ مَسَامِعِي
كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَوْ مِهِمُ	فَنَمْتُ عَلَيْهِ جَارِيَاتٍ مَدَامِعِي

وأنشدني ، قال : أنشدني أبو الرأي قوله في صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة :

[من الكامل]

يَا لَأَتَمِّي فِي حُبِّهِ وَمُعْتَمِّي مَهْلًا فَمَا دُفِئَ الَّذِي قَدْ دُفِئَهُ
وَاللَّهُ لَوْ عَلِقَ الْفُؤَادُ مِنَ الْوَرَى بِهِ وَى حَيْبَ غَيْرِهِ مَزَقَّتُهُ
/ ١٥٩ / قَالَ الْعَوَازِلُ خَلَّهَ فَأَجَبْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَصْبِرُ عَنْ هَوَاهُ تَرَكْتُهُ

وأنشدني ، قال : أنشدني أبو الرأي لنفسه : [من السريع]

يَا غَافِلًا عَنِّي بِلَذَاتِهِ إِشْرَبْ وَطَبِّ دَامَ لَكَ الْعُمُرُ
وَارْحَمْ فَتَى لَا يَرْتَقِي دَمْعُهُ قَدْ خَانَهُ وَصْلُكَ وَالِدَهُرُ

وأنشدني ، قال : أنشدني من شعره : [من الكامل]

يَا تَائِهًا بِالْحُسْنِ صَلْنِي فَقَدْ أَشْتَقَى الْهَجْرَ أَنْ مَنِّي
إِرْجِعْ إِلَيَّ طَيْبِ الرِّضَا فَإِلَى مَتَى هَذَا التَّجَنِّي
يَا لَأَتَمِّي فِي حُبِّهِ وَمُعَارِضِي فِي كُلِّ فَنٍّ
دَعْنِي أُمُوتُ بِحُبِّهِ يَا لَأَتَمِّي بِاللَّهِ دَعْنِي
لَوْ كَانَ عِنْدَكَ بَعْضُ مَا أَخْفِيهِ مِنْ أَلَمٍ وَحَزْنٍ
لَعَذَرْتَنِي فِيمَا لَقِيتُ مِ سَنِ الْغَرَامِ وَلَكُم تَلْمِزِي

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه : [من الكامل]

/ ١٥٩ ب / هُنَيْتَ بِالْخَلِّ الْجَدِيدِ يَانَا قَضَاءً أَبَدًا عُهُودِي
حَتَّى مَ أَرْغَبُ فِي الْوَصَا ل وَأَنْتَ تَرْغَبُ فِي الصُّدُودِ
وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَا لْ أَعِيرَ سُلُوَانَ الْجَدِيدِ
لَأَتَاكَ مَنِّي مَا يَلِي نْ لَوْ قَعَهُ صُلْبُ الْحَدِيدِ
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي تَنَمَّى بِرُؤْيَيْهِ سَعُودِي
إِرْجِعْ إِلَيَّ حُسْنِ الرِّضَا فَقَدْ أَشْتَقَى مَنِّي حَسُودِي
وَأَقْبَلْ وَصَايَا اللَّهِ فِي حُسْنِ الرِّعَايَةِ لِلْعَبِيدِ

[٨٩٨]

هَذَا بَنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هَذَا بَنُ،
أَبُو الْمَفَاخِرِ الْأَسْعَرِيِّ الْكَاتِبِ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَالِمَةِ.

كَانَ ذَا أَدَبٍ وَكِتَابَةٍ وَفَضِيلٍ وَشَعْرِ.

أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو
الْبَكْرِيِّ - مِنْ لَفْظِهِ - بِحَلَبَ بِخَانِكَاهِ الْقَصْرِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةٍ، قَالَ:
أُنْشَدَنِي أَبُو الْمَفَاخِرِ هَذَا بَنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْكَاتِبِ الْأَسْعَرِيِّ لِنَفْسِهِ: [مِنْ السَّرِيعِ]

وَالطَّيْرُ لَا يَحْظَى بِغَيْرِهَا فِي النَّاسِ إِلَّا الرَّجُلُ الْقَانِصُ
جَوَاهِرُ الْعَالَمِ مَكْنُونَةٌ يُرْزُهُمَا مِنْ بَحْرِهِ الْغَائِصُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ: أُنْشَدَنِي أَبُو الْمَفَاخِرِ لِنَفْسِهِ يَصِفُ الشَّبَابَةَ: [مِنْ الْمُتْقَارِبِ]

وَسَاجَعَةٌ مِنْ بَنَاتِ النَّبَاتِ لَهَا نَقَمٌ لَسْتُ تَعْلَمُ مَا هِيَ
مُصَوِّتَةٌ تَسْتَفِزُّ الْعُقُولَ وَلَكِنْ أَوْكَارَهَا فِي الشَّفَاهِ

[٨٩٩]

هُرَيْرُ بْنُ الْمُعَمَّرِ بْنِ سَنَانَ بْنِ عُفَيْلَةَ بْنِ شَبَابَةَ؛ أَحَدُ بَنِي قُدَيْمَةَ بْنِ
نَبَاتَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَقِيلٍ الْعُقَيْلِيِّ.

أَخْبَرَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي بِإِرْبِلَ - مِنْ لَفْظِهِ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ: كَانَ بَيْنَ هُرَيْرٍ وَبَيْنَ عَيْسَى بْنِ الْمُفْدَى صَفَاءٌ وَمَوَدَّةٌ لَا يَشُوهُ رَيْبٌ مِنْ
مُفَاوِضَةٍ بِالْمَالِ وَالْأَنْفُسِ. ثُمَّ ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرْبَانَهُ، فَاحْتَرَبُوا الْأُمُورَ بَيْنَهُمْ وَمُنَافَسَاتٍ.

وَكَانُوا عَلَى زَمَانٍ صَفَائِهِمْ وَوَدَادِهِمْ، يَقُولُ هُرَيْرُ الْأَشْعَارُ فِي عَيْسَى بْنِ الْمُفْدَى؛
وَقَتْلَ يَوْمٍ ثَاجٍ، قَتَلَهُ / ١٦٠ب/ عَيْسَى بْنُ الْمُفْدَى. وَكَانَ حَسْبُهُ دَارِعًا فَاعْتَرَضَهُ وَهُوَ يَطْرُدُ
الْخَيْلَ، فَظَلَمَهُ بِرَمَحٍ عَلَى الْفَرِيضَةِ، فَبَرَزَ مِنَ الْفَرِيضَةِ الْأُخْرَى؛ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ أَسَفَ
عَلَيْهِ أَسْفًا شَدِيدًا، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ هُرَيْرٌ مَرْغَمًا فَأَقْسَمَ لَا يَأْخُذُ عَنْ كُلِّ طَرَفٍ

منه إلا قتيلاً. ثم التقوا بعد ذلك بالجيش وكان قتل هُرير سنة ست أو سبع وستمائة. وكان من قبيلة قد بلغوا من العز والمنعة ما لم تبلغه قبيلة من قبائل العرب حتى بلغوا أربعمائة فارس تركب الخيل.

ثم أنشد من شعر هُرير هذا: [من الطويل]

أَقُولُ وَقَدْ حَنَنْتُ بِجُودَةٍ نَافَتِي وَلَمْ يَدْرُ وَرْدُ الْمَاءِ... مَا حَايَنُهَا
تَحَنُّ عَلَى عَيْسَى وَقَدْ شَطَّتِ النَّوَى بَعِيسَى وَيَّاتِ الْبَوَادِي تَبِينُهَا
فَيَا لَيْتَ عَيْسَى يَنْظُرُ الْيَوْمَ أَوْ يَرَى دُمُوعَ أَمْرِيءَ بِالْمَاءِ جَادَ مَعِينُهَا
مَضَى زَمَنٌ عَيْنِي تُعِينُ عَلَى الْبُكََا وَذَا الْعَامَ عَادَتْ تَبْتَغِي مَنْ يُعِينُهَا

وأنشدني أيضاً من شعره يقول: [من الطويل]

عَزِيزٌ عَلَيْنَا مَنْ عَقِيلَ ظَعَائِنُ عَدَوْنُ مِنَ الدَّهْنَا بَغَيْرِ بُعُولِ
جَرَرَنَ دُيُولًا لِلْقَطِيعَةِ عُنْدَنَا عَلَى الْعَدْرِ لَا عَادَتْ لِجَرِّ دُيُولِ

[٩٠٠]

هُمَامُ بْنُ رَاجِي اللَّهِ بْنِ سَرَايَا بْنِ أَبِي الْفَتْوحِ نَاصِرِ الْمَصْرِيِّ.

كانت ولادته في أواخر سنة تسع وخمسين وخمسمائة^(١).

(١) في هامش الأصل: «وفاته في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة». ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٨٢/٢٧ وفيه: «همام بن راجي الله بن ناصر بن داود، أبو العزيمات الفقيه الشافعي المصري». التكملة للمنذري ٣/٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٢٤٥٧. وفيه: «سألت عن مولده، فقال: في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة بـ (وتأ) من صعيد مصر الأدنى». سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦١ رقم ٢٢٤. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٦٢٨، وفيه: «إمام الجامع الصالح الذي بظاهر القاهرة وخطيبه هو وأولاده، قدم القاهرة، وقرأ العربية على العلامة ابن بري، وارتحل إلى العراق فسمع بهما من أبي سعد عبد الواحد بن علي بن حمويه، وعبد المنعم بن كليب، وتفقه على الإمامين المجير محمود بن المبارك الواسطي، وأبي القاسم يحيى بن فضلان، وقرأ بمصر الأصول على أبي المنصور ظافر بن الحسين. وصنف، ودرس، وأفتى، وقال الشعر الجيد، وأم بالجامع المذكور إلى حين وفاته، وله كتب في الأصول، والخلاف، والمذهب. روى عنه: المحب بن النجار، والزكي المنذري، والرفيع الأبرقوهي، وابنه أبو المعالي. توفي بالشارع بظاهر القاهرة». طبقات السبكي ٥/١٦٤ - ١٦٥ وفيه كنيته «أبي الغنائم». حسن المحاضرة ١/١٩٢. نهاية الأرب ٢٩/١٩١ - ١٩٢. طبقات الإسنوي ٢/١٤٥. ديوان الإسلام ٤/٣٤٧ رقم ٢١٤١. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٤٢٤ - ٤٢٥ رقم ٣٩٥. الأعلام ٨/٩٣. معجم المؤلفين ١٥٢/١٣.

كان شاعراً فاضلاً، امتدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب - صاحب الديار المصرية - .

أنشدني الشيخ الأمين العدل أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيب بحلب - رحمه الله تعالى - قال : أنشدني همام بن راجي الله لنفسه :

[من الطويل]

أَرَى الدَّهْرَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِدِي وَمَا فِيهِ لِي عَيْبٌ وَلَا لِي لَهُ ذَنْبٌ
إِذَا طَمَحْتَ نَفْسِي لَشَيْءٍ أَنَا لَهُ فَإِنَّ الدَّلُولَ السَّهْلَ لِي مُرْتَقَى صَعْبٌ
إِلَى كَمْ أَقَاسِي ضَيْقَ عَيْشِي وَمَكْسَبِي كَانَ زَمَانِي قَدْ عَدَا وَهَوَلِي حَرْبٌ
وَقَدْ قَلَّ فِي الدُّنْيَا صَدِيقُ مُسَاعِدُ إِذَا قَلَّ مَطْلُوبِي وَإِنْ أَعْضَلَ الْخَطْبُ
وَمَنْ عَجَبَ الدُّنْيَا بَأَنِّي خَامِلٌ وَقَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِي بِهَا الشَّرْقُ وَالْعَرَبُ
/ ١٦١ ب / وَمَنْ نَكَدَ الْأَيَّامُ أَنِّي إِمَامُهَا وَيَحْكُمُ فِي رِزْقِي وَفِي مُهْجَتِي كَلْبٌ
وَأَمْنَعُ مِنْ حَقِّي وَيُوقِفُ رَاتِبِي وَلِي مَسْجِدٌ جَارِيهِ فِي وَفْقِهِ نَهْبٌ
وَقَدْ حَارَفُسُ فِي بُلُوغِ بِلَاغَتِي وَفِي وَصْفِ تَصْنِيفِي وَتَابَعِهِ وَهْبٌ
وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى الشَّعْرَ عِنْدِي صِنَاعَةً لَمَا كَانَ مَذْكَورًا زُهَيْرٌ وَلَا كَعْبٌ
وَمَالِي مَرْكُوبٌ وَلَا لِي مُؤَنَةٌ وَلَا لِي مَلْبُوسٌ غَلِيظٌ وَلَا شُرْبٌ
وَلَكِنَّمَا أَلْقَى إِذَا مَا شَكَّوْنُهُ إِلَى الْكَامِلِ السُّلْطَانِ لَمْ يَبْقَ لِي عَتَبٌ

وأنشدني أيضاً، قال : أنشدني همام لنفسه : [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلْكُ الدُّعَاءُ فِي مَضْرَسَةِ سَاعَةٍ وَلَا حَظَّ لِي فِيهَا وَلَسْتُ مُعْظَمًا
وَأَعِظُ مَا لَا قِيَّتَ فِيهَا بِأَنَّنِي أَرَى كُلَّ ذِي نَقْصٍ عَلَيَّ تَقْدَمًا

وأنشدني أيضاً، قال : أنشدني لنفسه : [من الطويل]

دَعِ الْفَضْلَ لَا تَعْبَأْ بِهِ فِي زَمَانِنَا فَإِنَّ كَمَالَ الْفَضْلِ لِلْمَرْءِ عَائِبٌ
يُقَدِّمُ فِيهِ الطَّرْدُ غَيْرَ مُلَاتِمٍ وَيُطْرَدُ فِيهِ مُشَبَّهُ وَمُنَاسِبٌ

وأنشدني، قال : أنشدني من شعره : [من الوافر]

قَلَّوْنِي إِذْ نَشَأْتُ بِهِمْ وَحِيدًا وَمَالِي فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ يُوَاظِي
فَدَعَ قَوْلَ الْمُحَرِّقِ وَأَطْرَحَهُ فَلَيْسَ بِلَا حَقِّي أَبْنُ خَطِيبٍ رَازِي

أَذْنِبُ لِلسَّبَّاحِ يَكُونُ قَرْنًا وَعُصْفُورٌ يَطِيرُ مَعَ الْبَوَازِي

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

قَالُوا: نَرَاكَ قَلِيلَ الْحَظِّ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالْفَضْلِ مَعْنَاهُ وَنَاطِرُهُ

[٩٠١]

الهيثم بن جعفر، أبو المتوكل الأشبيلي.

الأديب الفاضل الشاعر من المجيدين في علم الأدب ونظم الشعر بقطره، يفوق أهل زمانه؛ فضلاً وفهماً وفصاحةً ورجاحة.

ومن شعره ما قاله على لسان غيره: [من البسيط]

بَارِضَ رَنَّةٍ أَوْ طَانِيٍّ وَأَوْ طَارِيٍّ وَلِيَّ هَوًى فِيهِمْ عَارٍ مِنَ الْعَارِ
سَمِيَّ يَحْيَى وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ فَمَاذَا صُنْعُ سَحَّارِ

وقوله وهو أول شعر قاله في المكتب: [من الخفيف]

بِهَلَالِ الْمَلَاكِ يَحْيَى بْنُ رُشْدٍ / ١٦٢ ب/ هَلْ تَبَدَّى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي
مَنْ غَزَا لَيْسَ يَشُبُّ وَجْدًا بَوَجْدِ لَاحِ عُذْرِي لِلَّهِ مَا بِي
جَلَّ رَبُّ أَهْدَاكَ يَا بَدْرَ سَعْدِ بَدْرُ تَمَّ بَدَا، فَقُلْتُ: تَعَالَى

أراد بقوله «اللاهي» من اللهو.

حرف الواو

[٩٠٢]

وَتَّابُ بْنُ أَبِي الثَّرِيَّا بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيِّ الْمَالِكِيِّ .

من أهل ديار مصر .

كانت ولادته في سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة المعزية .

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبى بحلب - رحمه الله

تعالى - قال : أنشدني وثاب بن أبي الثريا بن عبد الرحمن الأزدي لنفسه :

[من الخفيف]

يَا دِيَارَ الْأَجْبَابِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِسْأَلِي سَاكِنِيكَ لَمْ زَادَ وَجْدِي
الْريِّحِ وَجَدْتُهُمَا مِنْ حَبِيبِي أَمْ لِقُرْبِ الدِّيَارِ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ

[٩٠٣]

وَزِيرُ الْجَبَلِيِّ .

رأيتُ من شعره هذه القصيدة يمدح بها بدر الدين أيدمر الوالي الحلبي ، ويهنته بأخذ

اللاذقية : [من الكامل]

زَهَتْ الْبِلَادُ وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا وَتَرَنَّمَتْ بِسُرُورِهَا أَطْيَارُهَا
وَالْأَرْضُ مُشْرِقَةٌ بِنَيْعِ نَبَاتِهَا قَدْ فُتِحَتْ بِرِيَاضِهَا أَزْهَارُهَا
/١٦٣ب/ وَكَذَا الرَّعَايَا أَصْبَحَتْ فِي نِعْمَةٍ مِنْ حَيْثُ قَدْ رَخَّصَتْ لَهَا أَسْعَارُهَا
لَمَّا قَدِمْتُ وَكَانَ سَعْدُكَ قَادِمًا يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَيَا جَبَّارُهَا
يَا مَالِكَ التُّرْكِ الَّذِي سَجَدَتْ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ كِبَارُهَا وَصَغَارُهَا
وَلْعُظْمَ هَيْبَتِكَ الْجِبَالُ تَزْعَزَعَتْ وَالْكَفَرُ مِنْكَ تَهَدَّمَتْ أَعْمَارُهَا
كَمْ بِالْمَرِيقَبِ مِنْ جَوَارٍ خُرِدَ هَلَكْتَ عِدَاةٌ قَصَدَتْهُمْ نَصَارُهَا

وهي قصيدة أطول من هذه ، ومن حقها أن تطرح ولا يثبت منها شيء لرداءة ألفاظها

وسخافتها .

[٩٠٤]

وسوانُ بنُ منصور بن وسوان بن ملكيشوا بن قحطان، أبو يعقوب
الكردي الهذباني، المعروف بالمتقف^(١).

من أهل إربل.

كان جندياً في خدمة الأمير زين الدين أبي منصور يوسف بن علي بن بكتكين - صاحب إربل - ثم فارق خدمته وتوجه إلى البلاد الشامية، ولحق الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي - رحمه الله تعالى - / ١٦٤٤ هـ / فخدم مع أخيه الملك العادل أبي بكر.

ثم خدم الملك الأوحـد نجم الدين أبا الفتح أيوب، وسار معه إلى خلاط، وتوفي الملك الأوحـد سنة تسع وستمئة، وبقي بعده. وخُبرْتُ أنه قُتل بُتَيْنِير^(٢) قتله مماليكه في سنة ثلاث عشرة وستمئة وأخذوا وقتلوا.

وكان فارساً شجاعاً مقداماً شاعراً أكثر أشعاره في الحروب والشجاعة والإقدام.

وقد ذكره العماد أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني في كتابه ذيل الخريدة، وقال: لقيتُ أبا يعقوب بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة؛ وهو شاب جندي... خاطره هندي. هذا آخر كلامه.

أنشدني الأمير أبو العباس أحمد بن الخضر بن سلار الكردي الهذباني الإربلي بها - من لفظه وحفظه - قال: أنشدني أبو يعقوب وسوان بن منصور بن وسوان بن ملكيشوا بن قحطان الكردي الهذباني الإربلي لنفسه: [من الوافر]

/ ١٦٤ هـ / سَلِي عَنِّي الصَّوَارِمَ وَالرِّمَاحَا وَخَيْلاً تَسْبِقُ الْهُوجَ الرِّيَاحَا
وَأُسْدَا خَيْسَهَا سُمُرَ الْعَوَالِي إِذَا مَا الْأُسْدُ حَاوَلَتْ الْكَفَاحَا
فَإِنِّي نَابِتٌ عَقْلاً وَلَبَّاءُ إِذَا مَا صَائِحٌ فِي الْحَرْبِ صَاحَا

(١) ورد ذكره في تاريخ إربل ١/ ٧٢.

(٢) بتينير: اسم بلدين من أعمال الخابور عليا وسفلى. انظر: معجم البلدان/ مادة (بتينير).

إِذَا مَا جَأتْ وَلَمْ أَخَفِ الْجَرَّاحَا
أَرَأَيْتِ النَّجْمَ أَرْتَقِبُ الصَّبَّاحَا
بَقَائِلَةَ الْهَجِيرِ عَدَا وَرَاحَا
وَأَثْبِتُ فِي الْكَرِيهَةِ لَا بَرَّاحَا
وَلَمْ تُطَقِ الْكَبَّاشُ لَهُ نَطَّاحَا
وَلَا يَثْنِي لَهَا قَدَمًا وَرَاحَا
سَبَّتْ بِجَمَالِهَا الْخَوْدُ الرَّدَّاحَا
تَسَلَّى عَنْكَ يَوْمًا وَاسْتَرَّاحَا
صَبَا نَجْدٌ وَنَشْرُ الرَّنْدِ فَاحَا
كَوَجْهِكَ لِي وَبَدْرُ التَّمِّ لَاحَا

وَأُورِدُ مُهَجَّتِي لُجَجَ الْمَنَايَا
وَكَمْ لَيْلٍ سَهَرْتُ وَبَتُّ فِيهِ
وَكَمْ فِي قَدْ قَدْ فَرَسِي وَنَضَوِي
لَعَيْنِكَ فِي الْعَجَّاجَةِ مَا الْأَقْيِي
فَلَوْ عَايَتْنِي عَايَتُ كَبْشًا
يَدُقُّ السَّمْهَرِيَّةَ فِي صُدُورِ
قَدَيْتِكَ أَنْتَ لَا خَوْدُ رَدَّاحٍ
قَدَيْتِكَ لَا تَطْزَنِّي أَنْ قَلْبِي
وَلَا يَضْبُو لَغَيْرِكَ حِينَ هَبَّتْ
إِذَا مَا الشَّمْسُ مِنْ شَرْقٍ تَبَدَّتْ

وقال أيضاً: [من البسيط]

لَزُرْتُكُمْ كُلَّمَا هَبَّتْ نَسِيمُ صَبَا
تَلَمُّ بِي بَعْدُ بَعْدِي عَنْكُمْ أَرْبَا
جَفَوْتُ مُنُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ لَدَا سَبَا

١٦٥/ لَوْلَا الْوُشَاةُ وَلَوْلَا كَثْرَةُ الرُّقْبَا
وَكُنْتُ أَقْضِي بِكُمْ مِنْ قَبْلِ مُؤَلِّمَةِ
مَا كُنْتُ أَعْهَدُ مِنْكُمْ ذَا الْجَفَاءِ وَقَدْ

وقال من قصيدة طويلة في تاج الملوك أبي سعيد بوري بن أيوب بن شاذي:

[من البسيط]

وَكُلَّمَا تَمَّ حُسْنًا فَهُوَ مَاحِقُهُ
وَهُدْبُ أَجْفَانِهِ الْمَرَضَى يُعَالِقُهُ
بَعَيْنُهُ وَهُوَ مَا بِالْعَيْنِ رَامِقُهُ
وَالْخَمْرُ مِنْ رَيْقِهِ الْمَعْسُولُ رَائِقُهُ
بِنَفْسِجَا تَحْتَهُ تَزْهَى شَقَائِقُهُ
يَقُومُ مُعْتَدِلًا شَيْخُ يَعَانِقُهُ
وَأَيْنَ مِثْلِي مَنْ فِي الْوُدِّ صَادِقُهُ
وَالذُّلُّ عِنْدِي مَنْ يَوْمَ أَفَارِقُهُ
مِنْ بَأْسِهِ مِثْلَ مَا يَلْقَاهُ عَاشِقُهُ

بَدْرٌ مِنَ التُّرْكِ بَدْرُ التَّمِّ يَعِشِقُهُ
مِنْ قَوْسِهِ يَوْمَ حَرْبٍ قَوْسٌ حَاجِبُهُ
يَصِيدُ كُلَّ هَزْبٍ وَهُوَ رَامِقُهُ
الْوَرْدُ مِنْ خَدِّهِ وَالْدُرُّ مِنْ فَمِهِ
عِدَارُهُ تَمَّ عُذْرِي فِيهِ حِينَ بَدَا
قَوَامُهُ كَقَوَامِ الرُّمُوحِ مُعْتَدِلُ
أَنَا الْمَعْنَى بِهِ فِي الْوُدِّ صَادِقُهُ
الْعَزُّ عِنْدِي مَنْ يَوْمَ أُوَاصِلُهُ
١٦٥/ب/ يَلْقَى عَدُوَّ ابْنِ أَيُوبَ وَحَاسِدُهُ

وله ما قاله على لسان سكين : [من مخلع البسيط]

يَا حَامِلِي أَنْتَ فِي أَمَانٍ مِنْ نَكْدِ الدَّهْرِ وَالْأَعَادِي
إِلَّا مِنْ الْحَبِّ فَهُوَ أَمْضَى مِنِّي إِذَا حَلَّ فِي الْفُؤَادِ

ومما قاله على لسان مروحة : [من المتقارب]

نَسِمْي دَوَاءً لَكَرْبِ الْفَتَى وَدَاءُ الْهَوَى مَالَهُ مِنْ دَوَاءِ
لَهُ فِي التَّرْوِجِ بَيِّ رَاحَةٍ وَكَيْفَ يُدَاوِي الْهَوَى بِالْهَوَاءِ

وقال من قصيدة : [من الطويل]

وَأَمْسَى بَيَاضُ الْعِزِّ بِالدُّلِّ أَسْوَدًا وَأَصْبَحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ كَاللَّيْلِ مُظْلِمًا

قال العماد أبو حامد محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني ، قد حافظ في هذا البيت على خمس مطابقات .

فَأَيُّ قُلُوبٍ تَأْمَنُ الْخَوْفَ بَعْدَهُ وَأَيُّ عِيُونٍ بَعْدَهُ تَأْمَنُ الْعَمَى

وقال أيضاً : [من المتقارب]

١١٦٦/ إِذَا الْمَرْءُ ضَاقَ بِهِ دَرْعُهُ وَسُدَّتْ لَدَيْهِ وَجُوهُ الطَّلَبِ
وَعَزَّ الْمُسَاعَدُ فِي دَهْرِهِ فَلَا دُوَّ إِخَاءَ وَلَا دُوَّ نَسَبِ
وَأَصْبَحَ مَنْ فَرَجَ آيسًا وَلَمْ يَتَّقْ غَيْرُ حُلُولِ الْعَطَبِ
أَتَاهُ الْقَضَاءُ بِلُطْفِ الْإِلَهِ فَفَرَجَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبِ

وقال أيضاً : [من المديد]

كُنْ بِلُطْفِ اللَّهِ دَا ثَقَّةً وَارْضَ بِالْجَارِي مِنَ الْقَسَمِ
وَاصْطَبِرْ لِلْأَمْرِ تَكْرَهُهُ فَلَعَلَّ الْبُرْءَ فِي السَّقَمِ

وله في الصبر : [من المجتث]

إِصْبِرْ إِذَا أَشْتَدَّ أَمْرٌ فَالصَّبْرُ لَا شَكَّ مُرٌّ
وَدَارَ دَهْرِكَ مَادَا مَتَّ اللَّيَالِي تَمُرُّ
فَرَبَّمَا سَاءَ لَيْلٌ فِي صُبْحِهِ مَا يُسْرُ

وقوله فيه أيضاً: [من الوافر]

تَلَقَّ الْحَادِثَاتِ بِحُسْنِ صَبْرٍ
فَكَمِ اللَّهُ مِنْ لَطْفٍ خَفِيٍّ

١٦٦ب/ وقال أيضاً: [من الخفيف]

قَالَ فِي الثَّغْلِبِ الْحَكِيمِ مَقَالاً
أَنَا أَعْدَى مِنَ الْكِلَابِ وَلَكِنْ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

دَعَاؤُهُ يُخْرِقُ أَبْوَابَهُ
وَقَدْ ضَرَبَ الشَّوْقُ فِي قَلْبِهِ
وَأَقْبَلَ يَطْلُبُ وَصَلَ الْحَيْبِ

وقوله في الزهد: [من الوافر]

إِلَهِي إِنْ تُؤَاخِذْنِي بِعَدَلٍ
فَإِنْ أَكْ لِلرِّضَا يَارَبِّ أَهْلًا

وقال في مثله: [من الوافر]

إِلَهِي أَثْقَلْتُ ظَهْرِي دُؤُوبِي
وَمَا عَذْرِي إِلَيْكَ سِوَى أَتْكَالِي

وقوله فيه: [من الوافر]

١٦٧أ/ إِلَهِي لَيْسَ لِي فِي الْحَشْرِ دُخْرُ
عَجَزْتُ عَنِ الْمَرَآكِبِ إِذَا رُدُّتَال

وقال أيضاً: [من الرمل]

كَيْفَ آنَسْتُ الْبُريِّقَ الْمُؤَمِّضَا
لَا حَ كَالْهِنْدِيِّ طَوْرًا مُعَمِّدًا
يَا أُثَيْلَاتِ اللَّوَى كَمْ عِبْرَةٍ

خَبَّرِي هَلْ طِيبُ أَيَّامِكَ لِي
وَعَزَّالٌ صَادَ قَلْبِي بِالْحَمَى
أَمْرَضْتَ أَجْفَانَهُ إِذَا مَرَضْتَ
كَلَّمَ سَادَدَ سَهْمًا لِحَظَّهُ
مَا عَلَيْهِ فِي الْهَوَى لَوَائِهِ
مَنْ مُجِيرِي مَنْ تَجَنَّيْهِ وَقَدْ

وقال في الشمعة: [من السريع]

وَشَمْعَةٌ تَبْكِي عَلَى نَفْسِهَا
١٦٧ب/ تُنْفَعُ بِالنُّورِ وَلَكِنَّهَا
كَدُودَةٍ لِلَّهِ تَبْنِي وَلَا

وقوله في البرد: [من الطويل]

وَعَذْرَاءُ مِنْ غُرِّ السَّحَابِ أَقْبَلَتْ
فَأَلْقَتْ عَلَى الْأَرْضَيْنِ قَدْأً وَتَوَامًا
كَغَيْرَانَةٍ حَطَّتْ خِمَارًا وَقَطَّعَتْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

إِذَا مَا اشْتَدَّ مَكْرُوهٌ بَعِيدٌ
كَذَاكَ اللَّيْلُ أَظْلَمَ مَا تَرَاهُ

وقوله في الزهد: [من البسيط]

مَالِي سَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَزَيْتَهَا
وَعُودُهَا كَذِبٌ وَجَدُّهَا لَعَبٌ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنْ أَشْرَاكِ زَيْتَتِهَا

عَائِدٌ أَمْ فَائِتٌ مَا قَدْ مَضَى
وَحَمَى عَنْ مَقْلَتِي الْغُمُضَا
بِأَبِي الْجَفْنِ الْمَرِيضِ الْمُمْرَضَا
نَصَبَ الْحَبِّ فُؤَادِي غَرَضَا
قَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ سَهْمًا إِنْ تَضَى
جَارِي حُكْمِ الْهَوَى لِمَا قَضَى

بِأَذْمُعٍ مِنْ نَفْسِهَا تَجْرِي
فِي نَفْعِهَا لِلْخَلْقِ فِي ضَرٍّ
تَبْقَى وَتَنْضَرُ وَلَا تَذَرِي

مُعَارِضَةٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عَزَالِيهَا
مِنَ الدَّرْبِ بَادِيَهَا سَوَاءً وَتَالِيَهَا
لَفَرَطٍ تَجَنَّيْهَا سُمُوطَ لَالِيهَا

فَتَمَّ يَكُونُ إِدْرَاكَ النَّجَاحِ
إِذَا مَا حَانَ إِقْبَالُ الصَّبَاحِ

وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّهَا نَعَصُ
وَرَوْحَهَا نَضَبٌ وَعَذْبُهَا نَعَصُ
وَالْحِرْصُ يَزْدَادُ بِي وَالْعُمْرُ يَنْتَقِصُ

وقال أيضًا / ١٦٨أ/ يمدح الملك المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن عمر بن

شهينشاه بن أيوب صاحب حماة: [من البسيط]

كَمْ يَسْتُرُ الصَّبُّ مَاذَا الدَّمْعُ يُظْهِرُهُ
وَالْحُبُّ أَطْيَبُ مَا بَاحَ صَاحِبُهُ
وَذِي الصَّبَابَةِ تَطْوِينُهُ وَتَشْهَرُهُ
بِمَا يَكْتُمُ وَالْمُحِبُّوبُ يَهْجَرُهُ

إِذَا شَفَى النَّفْسَ مِنْ دَمْعٍ يُحَدِّدُهُ
 نَوَاطِرُ السَّحَرِ صَبَابَاتٍ يَسْحَرُهُ
 بَعْدَ الْهُدَى فِي هَوَى مَنْ لَيْسَ يَعْذَرُهُ
 فُؤَادُهُ لَمْ يَزَلْ بِاللَّحْظِ يَقْمَرُهُ
 وَقَدْ حَوَى الْقَلْبَ مَا يَحْوِيهِ مَئْزَرُهُ
 وَصَفَرَ الْخَدَّ مِنْ خَدَّيْهِ أَحْمَرُهُ
 وَشَعْرُهُ مِثْلُ لَيْلٍ بَتُّ أَسْهَرُهُ
 فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ يَنْسَانِي وَأَذْكَرُهُ
 بِالْصَّدِّ وَالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ يَنْصُرُهُ
 مُحَمَّدٌ لُصُوفِ الدَّهْرِ أَدْخَرُهُ
 وَالْغَالِبُ الْمَلِكُ الْقَهَّارُ يَفْهَرُهُ
 وَجَابِرُ عَسْكَرِ الْإِسْلَامِ عَسْكَرُهُ
 فَكَفَّهْ أَبَدًا تَزْدَادُ أَنْهَرُهُ
 أَيَّامُهُ الْغُرُ أَعْيَادُ وَأَشْهَرُهُ
 وَالْيَوْمَ مَكْسُورُنَا بِالْجُودِ يَجْبُرُهُ
 سُوقٌ وَصَارَ عَلَى الْغَالِي تَخِيرُهُ
 مَنْ حَاتَمَ الْجُودَ مَنْ فِي الرُّوعِ عَتَرُهُ
 هُمْ سَمَاعٌ وَهَذَا الْيَوْمَ نَنْظُرُهُ
 وَكُلُّ خُبْرٍ دَقِيقٌ فَهُوَ يَخْبُرُهُ
 بِجَدِّهِ وَهُوَ عَالِي الْجَدِّ يَعْقُرُهُ
 وَكَمْ سَمَا بِاسْمِهِ الْمَشْهُورُ مَبْرَهُ
 وَسُورُهُ لَا أَرَى قُصْرًا مَسُورُهُ
 وَالْبَسْدُ مِنْ وَجْهِهِ لِلْبَدْرِ يَنْهَرُهُ
 مِنَ الْأَنَامِ وَمَنْ صَافَاهُ جَوْهَرُهُ
 صَافِي السَّرِيرَةِ لَا غَشٍّ يَكْدَرُهُ
 صُبْحًا بَدَا يَهْزِمُ الظُّلُمَاءُ مُسْفِرُهُ

وَفِي الْبُكَاءِ شِفَاءُ النَّفْسِ مَنْ قَلَقَ
 يَا لِّلْبُدُورِ مَنْ الْبَدْرُ الَّذِي نَظَرَتْ
 مُتِمًّا ظِلَّ يَمْشِي فِي ضَالَّتِهِ
 يَسْكُو إِلَى قَمَرِ الظُّلُمَاءِ مَنْ قَمَرِ
 سَقِيمٍ خَضِرَ حَوَى جِسْمِي السَّقَامُ بِهِ
 وَيَبِضُّ الْعَيْنَ مَنْ عَيْنِيهِ أَسْوَدَهَا
 فَوَجْهُهُ مِثْلُ صُبْحٍ بَتُّ أَرْقَبُهُ
 أَهْوَى رِضَاهُ وَيَهْوَى السُّخْطُ لِي وَأَنَا
 وَكَيْفَ يَخْذُلُ يَوْمًا جَيْشُ مُصْطَبِرِي
 /١٦٨ب/ وَنَاصِرُ الدِّينِ وَالذُّنْيَا فَتَى عَمَرِ
 الْوَاهِبُ الْمَلِكُ مُلْكًا غَيْرَ مُكْتَرَثُ
 وَكَاسِرُ عَسْكَرِ الْإِفْرَنْجِ يَوْمٌ وَعَيَّ
 أَهْلُ الشَّامِ إِذَا مَا عَاضَ نَهْرُكُمْ
 وَهُوَ الَّذِي أَيُّ أَرْضٍ حَلَّهَا فِيهَا
 عَشْنَا بِهِ بَعْدَ مَوْتٍ كَانَ نَازِلَنَا
 وَصَارَ بَعْدَ كَسَادِ الشَّعْرِ مِنْهُ لَنَا
 مَنْ كَانَ قَيْسٌ وَمَنْ قُسٌّ وَمَنْ هَرَمٌ
 دَعَا ذَكَرَ مَنْ مَارَايْنَاهُمْ بِأَعْيُنِنَا
 وَكُلُّ عِلْمٍ جَلِيلٌ فَهُوَ يَعْلَمُهُ
 وَكُلُّ مَنْ جَدَّفَ فِي أَمْرِ يُعَانِدُهُ
 كَمْ جَامِعٍ جَامِعٍ فِيهِ الْخَطِيبُ لَهُ
 أَضْحَتْ حَمَاءُ بِهِ مِثْلُ السَّمَاءِ سَمَتْ
 وَالشَّمْسُ مِنْ وَجْهِهِ لِلشَّمْسِ تُخْجَلُهَا
 /١٦٩أ/ بَحْرٌ مُحِيطٌ لَمَنْ نَاوَاهُ مُهْلِكُهُ
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ لَا عَزْمٌ يُقْلِقُهُ
 إِذَا بَدَا مُقْبِلًا فِي الدَّرْعِ تَحْسِبُهُ

يَخُوضُ مَوْجَ بَحَارِ الْمَوْتِ جَحْفَلُهُ
وَيُورِدُ الْخَيْلَ مَا تَهْوَى وَيَصْدُرُهَا
وَالْخَيْرُ يُوجِدُهُ وَالشَّرُّ يَعْدِمُهُ
وَجَحْفَلُ الْمَوْتِ لَا تَنْخَاضُ أَبْحَرُهُ
وَتُورِدُ الْخَيْلَ مَا تَهْوَى وَتُصْدِرُهُ
وَالْجَوْرُ يَدْحَضُهُ وَالْعَدْلُ يَنْشُرُهُ^(١)

١٦٩/ب/ (٢).

(١) بعد هذا بياض بمقدار ثمانية أسطر تتلوها صفحة فارغة.

(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل.

ذكر من اسمه ياقوت

[٩٥]

ياقوتُ بنُ عبد الله، أبو عبد الله، الروميُّ الأصل، البغداديُّ
المنشأ، الحمويُّ المولد^(١).

أخبر عن نفسه بما ذكر في كتابه «معجم الأدباء» ما هذا معناه ولفظه: أَنَّهُ حُمِلَ إِلَى
مدينة السلام طفلاً عُمُرُهُ خمس سنين أو ست، وملكه رجل تاجر من حماة، يُعرَف
بعسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي. ونشأ في حجره وعَلَّمَهُ الكتابة واتخذهُ مأخذ
الولد؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الرَغْبَةِ فِي الْعِلْمِ أُمِّيًّا لَا يَعْرِفُ الْخَطَّ وَلَا شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ. وَكَانَتْ هِمَّتُهُ
فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَالْدُنْيَا، فَعَلَّمَهُ الْخَطَّ وَظَهَرَ مِنْهُ شَفَقَةٌ عَلَيْهِ، وَحَبَّبَ الْعِلْمَ إِلَيْهِ مُنْذُ كَانَ فِي
الْمَكْتَبِ؛ فَمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنْذُ كَانَ عُمُرُهُ سَبْعَ سِنِينَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى مَا خَلَّتْ يَدُهُ مِنْ كِتَابٍ يَسْتَفِيدُ
مِنْهُ أَوْ يُطَالَعُهُ، أَوْ يَكْتُبُ مِنْهُ شَيْئًا أَوْ يَنْسَخُهُ.

ثم سافر في بضائع مولاه برّاً وبحراً إلى كيش أربع مرات، وإلى /١٧٠ب/ مصر عدّة
مرار، وإلى دمشق نوباً لا تحصى، إذ كَانَ فِي حَكْمِ مَوْلَاهُ وَبَعْدَهُ. وَغَاضِبِ مَوْلَاهُ

(١) ترجمته في: تاريخ إربل ٣١٩/١ - ٣٢٤ رقم ٢٢٣. العبر ١٠٦/٥. مرآة الجنان ٥٩/٤ - ٦٣. لسان
الميزان ٢٣٩/٦. شذرات الذهب ١٢١/٥ - ١٢٢. الجامع المختصر لابن الساعي ٣٠٧/٩. التكملة
للمنذري ٢٤٩/٣ - ٢٥٠ رقم ٢٢٥٦. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٦٦ - ٢٧٠ رقم
٣٨٠. سير أعلام النبلاء ٣١٢/٢٢ - ٣١٣ رقم ١٨٨. العبر ١٠٦/٥ - ١٠٧. النجوم الزاهرة
١٨٧/٦. إنباه الرواة ٧٤/٤ - ٩٢ رقم ٨٤٠. العسجد المسبوك ٤٣٩/٢. المستفاد من ذيل تاريخ
بغداد ٢٥٣ - ٢٥٤ رقم ١٩٦. الفلاكة والمفكوكن للدلحي ٩٢ - ٩٣. ديوان الإسلام ٣٨٧/٤ - ٣٨٨
رقم ٢١٩٣. معجم المؤلفين ١٨٧/١٣. كشف الظنون ٦٤. هدية العارفين ٥١٣/٢. الأعلام
١٣١/٨. وفيات الأعيان ١٢٧/٦ - ١٤٣. تكملة بروكلمان ٨٨٠/١. تاريخ الأدب الجغرافي
لكراتشكوفسكي ٣٣٥/١. أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد ٦١/١
وما بعدها. مقدمة الجزء الخامس من معجم البلدان - طبعة وستفيلد. مقدمة معجم الشعراء في معجم
البلدان لكامل سلمان الجبوري.

في سنة ست وتسعين وخمسمائة وأعتقه. فكانت حرفته النسخ، فكتب بيده في مدة سبع سنين ثلاثمائة مجلد.

ثم عاود صلح مولاه، وسافر إلى أن [توفي] مولاه في سنة ست وستمائة. وانفرد بنفسه وسافر إلى بلاد خراسان؛ ثم رجع إلى ديار مصر والشام، ولقي مشايخها وعلماءها، وشاهد أدباءها وفضلاءها، وجالس صدورها وكبراءها، وأخذ عنهم الآداب الكثيرة، واستفاد منهم الفوائد الغزيرة.

ثم نزل حلب وسكنها إلى أن توفي بها في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة. وكان مولده - فيما ذكره - سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة لازيادة على ذلك.

وألّف كتباً منها؛ كتاب «معجم البلدان» أجاد تأليفه، وكتاب «معجم أئمة الأدب» لم يقصر في جمعه، وكتاب «معجم الشعراء»، وكتاب «ضرورات الشعر»، وكتاب / ١٧١ / «مختصر تاريخ بغداد» لأبي بكر الخطيب البغدادي، وكتاب «منتخب كتاب الأغاني»، وكتاب في «النسب»، وكتاب «الأبنية»، وكتاب «مختصر معجم البلدان» على غير ذلك الترتيب الذي رتبّه، وإلى غير ذلك من التأليفات.

وكان ضئيلاً بما يجمعه لا يحبّ إطلاع أحد على ما يؤلّف، شديد الحرص عليه، لا يفيد لمخلوق فائدة البتّة. وكان ربّما سُئل عن شيء وهو به عارف لم يجب عنه شحاً وجفاءً طبع هكذا كانت شيمته مع الناس. وخلف كتباً وأوصى أن توقف ببغداد بدرب دينار بمسجد الشريف الزيدي.

شاهدته بالموصل؛ وهو كهل أشقر أحمر اللون، أزرق العينين. وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام، واقتضيته شيئاً من شعره، فأجاب إلى ذلك وجعل يماطلني ويعدني هكذا مدة من الزمان. ثم سافر إلى بلاد الشام، فما عدتُ رأيته بعد ذلك.

أنشدني صاحب الوزير / ١٧١ ب / شرف الدين أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رحمه الله تعالى - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله ياقوت لنفسه في غلام يرمي بالنشاب: [من الطويل]

وَذَلَّيْ لَهْ خَصْرُ كَصْبِرِي نَحَافَةً وَرَذْفُ كَوْجِدِي فِي مَحِيَّتِهِ عُظْمًا
إِذَا مَرَّمِي الْعُشَاقَ عَنْ قَوْسٍ حَاجِبٍ بِالْفَرَمَى الْقَرْطَاسَ عَنْ قَوْسِهِ سَهْمًا
يَحْنُ إِلَيْهِ الْقَوْسُ فِي حَالِ نَزْعِهِ وَيَنْزِعُ مِنْ هَوْلِ الْفِرَاقِ إِذَا يُرْمَى

وأنشدني، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من المتقارب]

وَذَلَّيْ مِنَ التُّرْكِ ذِي نَخْوَةٍ عَلَى الصَّبِّ يَعْجُزُ عَنْهَا الْأَسَدُ
إِذَا رُمْتَ مِنْهُ وَصَالًا أَبَى وَصَالٌ بِحَيْشٍ قَوِيٍّ الْعُدَدُ
بَسِيفِ اللَّحَاطِ وَرُمَحِ الْقَوَامِ وَلَمَعَ الْخُدُودُ وَلُبْسِ الزَّرْدِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه، وكتب به إلى بعض الأكابر وقد دخل إليه مرة، وأراد

الإستئذان عليه ثانيًا: [من السريع]

/١٧٢/ الْعَيْنُ مِنِّي لَمْ تَزَلْ فِي أَدَى مَنْ نَظَرِي لِلْهَمْلِ الْمَاشِيَةِ
وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهَا إِذَا رَأَتْكُمْ رَأَتْ الْعَافِيَةِ
بِالنَّظَرَةِ الْأَوَى أَنْجَلَى دَاوُهَا فَلَتَجْلَهَا نَظَرْتُكَ الثَّانِيَةِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إلى صديق له: [من البسيط]

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَيْنِ كَمْ رَشَقَتْ صُرُوفُهُ بِسَهَامِ الْبَيْنِ إِحْسَانِي
إِنْ جَاءَ بِالْقُرْبِ يَوْمًا مِنْ أَحَبَّتَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَقَصْدٌ مِنْهُ أَقْصَانِي

وأنشدني الشيخ الحافظ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار

البغدادي بها - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو عبد الله

ياقوت بن عبد الله في غلام تركي على عينه وقاية سوداء قد رمدت^(١):

[من الكامل]

/١٧٢ب/ وَمَوْلِدٌ لِلتُّرْكِ تَحَسُّبُ وَجْهَهُ بَذْرًا يُضْيِئُ سَنَاهُ بِالْإِشْرَاقِ
أَرْخَى عَلَى عَيْنِهِ فَضْلَ وَقَايَةٍ لِيَرُدَّ فَتَتَّهَاعَ عَنِ الْعُشَاقِ
تَاللَّهِ لَوْ أَنَّ السَّوَابِغَ دُونَهَا نَقَذَتْ فَهَلْ بِوَقَايَةٍ مِنْ وَاقٍ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني ياقوت لنفسه: [من الطويل]

فَخَلَّفَنِي حَلْفَ الْبَلَا وَالْبَلَابِلِ
فَمَا نَظَرُ إِلَّا بِهِ بِالْبَلَابِلِ
كَنَسْبَةِ عَيْنَيْهِ إِلَيَّ سَحَرِ بَابِلِ
وَقَرِطَ عَرَامِي مِنْ غَرِيمٍ مُمَاطِلِ
وَيُوْهِي قُوَى صَبْرِي بِحُسْنِ الشَّمَائِلِ
وَأُضْحِي يَضْحِي بِالْكَمِيِّ الْحُلَاحِلِ

بِنَفْسِي ظَنِّي مَرَّبِي فِي الْقَلَاقِلِ
تَنَاهَبَهُ الرَّأُوُونُ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
رَشًا مِنْ بَنِي الْأَثْرَاكِ إِمَّا نَسْبَتُهُ
تَزَايَدَ وَجَدِي مِنْ تَنَاقُصِ وَدِّهِ
يُوسِّعُ عُدْرِي فِيهِ ضَيْقُ بَجْفَنِهِ
يُضْحِي الْوَرَى بِالْبُدْنِ فِي عَيْدِ نَحْرِهِمْ

ونقلت من خطه قوله ما كتبه إلى بعض أصدقائه : [من السريع]

إِلَى قَضَاءِ الْفَرَضِ وَالنَّقْلِ
يَمْشِي بِحَزَنِ الْأَرْضِ أَوْ سَهْلِ
بِهَاءِ عَرَفْنَا صُورَةَ الْعَدْلِ
مُسْتَحْقِبًا مِنْ فَضْلِكَ الْجَزْلِ
طَوْرًا وَطَوْرًا مَوْضِعَ الْكُحْلِ
فِي لَوْنِهِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
مُدْلَلُهُ التَّمْيِيزُ وَالْعُقْلِ
مَنْ فَعَلَ هَذَا الْأَسْوَدَ النَّذْلِ
يُحْجَبُ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْفَضْلِ
حَتَّى أَنْجَلِي عَنِّي عَمَى الْجَهْلِ
مَأْخُوذَةٌ مِنْ صِفَةِ الْقُفْلِ
أَهْلُ الْحَجَى وَالْفَهْمِ وَالنُّبْلِ
شَهْدَ الْعَلَا مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

عَبِيدُكَ الدَّاعِي أَتَى قَاصِدًا
/ ١٧٣٣ / مِنْ خَدَمَةِ يَخْدُمُهُ كُلُّ مَنْ
وَرَامَ تَقْيِيلَ يَدَيْكَ الَّتِي
وَيَشْتَكِي بَعْدَ الثَّنَا وَالِدُّعَا
فِي مَوْطِنِ التَّوْحِيدِ مَكْنُونُهُ
فَحَالُ مَنْ دُونَكُمْ أَسْوَدُ
فَهَا أَنَا مُذْ ذَاكَ فِي حَيْرَةٍ
عَظِيمًا يُمِيتُ الْقَلْبَ تَذْكَارُهُ
لَمْ يَحْجَبُوا وَقَدْ الْعَطَايَا فَلَمْ
فَظَلْتُ فِيهِ مُفَكِّرًا وَاجْمًا
لَمَّا بَدَا لِي أَنَّ أَوْصَافَهُ
وَقَالَ لِي الْقَلْبُ : إِذَا كُنْتَ مِنْ
فَلَا تُرْعَ لِأَبَدٍ لِلْمُجْتَنِي

وقوله وهو مقيم بمرو من بلاد خراسان : [من الكامل]

مَا مَرَّ مِنْ عُمْرِي بِبَلَا نَفْعِ
إِلَّا أَنْتَحَاهُ الدَّهْرُ بِالْمَنْعِ
حَتَّى أُمِدَّ لِأَخْذِهَا ضَبْعِي
تَاللَّهِ أَشْعَبَ الطَّبْعِ
وَأَتَاكَ شَيْبُ الرَّأْسِ بِالرَّدْعِ

/ ١٧٣٣ ب / أَضْحَى يَضِيقُ فُسْحَةَ الْأَمَلِ
مَا عَنِّي لِي غَرَضٌ فَأَقْصِدُهُ
يُذْنِي لِي الْأَمَالُ يَهْزَأُ بِي
وَلَتَ تَقُولُ : أَمَا عَقَلْتُ أَمَا
يَا قَلْبُ ضَاقَ الْعُمْرُ عَنْ أَمَلِ

فَارْجُ الْإِلَـهَ وَتُسَبِّ عَلَيْهِ عَسَىٰ يُعْطِيكَ فِي الْآخِرَىٰ بِلَا مَنَعٍ

وقال فيمن تورّع بوعده، ثم لم يف به: [من البسيط]

يَا سَيِّدَ ابْدَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
مَاذَا دَعَاكَ إِلَى وَعْدٍ تُصَيِّرُهُ
لَا تَعْجَلَنَّ بِقَوْلٍ ثُمَّ تُخْلِفُهُ
فَالْوَعْدُ بَذْرٌ وَلُطْفُ الْقَوْلِ مَنِيَّةُ

حُلُمًا وَعِلْمًا وَأَبَاءً وَأَجْدَادًا
بِالْخُلْفِ وَالْمَطْلِ وَالتَّسْوِيفِ إِبْعَادًا
فَيُثْمِرُ الْمَطْلُ بَعْدَ الْوُدِّ أَحْقَادًا
وَلَيْسَ يُجْدِي إِذَا لَمْ تَلْقَ حَصَادًا

وقال في الغزال: [من البسيط]

١٧٤/ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ بُشْرُ
الْبَدْرِ قَدْ شَانَهُ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ
قَالُوا: أَمَا قَلْبُهُ قَدْ قَدْ مِنْ حَجَرٍ
لَوْلَاهُ مَا بَتُ طَوْلُ اللَّيْلِ مُرْتَقِبًا

لَوْ لَمْ يَكُنْ بَشْرًا مَارَاقَ مَعْنَاهُ
وَجَلَّ حَبِّي عَنْ عَيْبٍ وَحَاشَاهُ
فَقُلْتُ: ذَاكَ بِهِ قَدْ تَمَّ مَعْنَاهُ
أُرَعَى النُّجُومَ سَقِيمَ الْقَلْبِ لَوْلَاهُ

وقوله مما كتبه إلى صديق: [من الطويل]

نَكَرْتُ الْوَرَى حَتَّى نَكَرْتُ أَبَا نَصْرٍ
لَئِنْ غَيَّرْتَهُ الْحَادِثَاتُ فَطَالَمَا
وَأِنْ قَصُرْتُ أَيَّامُ صَفْوٍ وَوَدَادِنَا
فَلَا تَأْتِيَنَّ هَجَرَ الصَّدِيقِ تَعَمُّدًا

وَأَيُّ أَخٍ مَا غَيَّرْتَهُ يَدُ الدَّهْرِ
بَقِيَتْ وَإِيَّاهُ لَكَ الْمَاءُ وَالْخَمْرُ
فَمَا فِي لِيَالِي حَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ قَصْرِ^(١)
فَفِي صَرْفِ هَذَا الدَّهْرِ مَا شِئْتَ مِنْ هَجَرٍ

وكتب إليه أيضاً: [من الطويل]

تَبَاعَدْتُمْ لَا أَبْعَدُ اللَّهُ دَارَكُمْ
لَئِنْ كُنْتُمْ عَنْ أَرْضٍ مُضَرَّ رَحَلْتُمْ
هَنِيئًا عَلَى رُغْمِي لِدَارٍ حَلَلْتُمْ
١٧٤ب/ فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا تَمْنَى مِنَ الدُّنْيِ

وَأَوْحَشْتُمْ لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكُمْ
فَإِنْ كُنْتُمْ فِي مُهْجَتِي قَدْ نَزَلْتُمْ
وَبُؤْسًا لِرُبْعٍ عَنْ مَغَانِيهِ بَثْتُمْ
لَكَانَ مَنَآيَ أَنْتُمْ لَا عُدَمْتُمْ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

زَارَنِي الْبَدْرُ بَعْدَ طَوْلٍ مَطَالٍ
وَصُدُودٍ أَطَالَهُ وَتَجَنَّنِي

وَنَقَىٰ بِالنَّفَارِ نَوْمِي عَنَادًا
فَتَرَشَّفْتُ مِنْ نَّيَّابِهِ خَمْرًا
لَمْ يَزَلْ دَابُّهُ الصُّدُودُ إِلَيَّ أَنْ
وَأَرَانِي بَعِزَّهُ السَّلْدُ مَنِّي
لَمْ يَنْلُ طَيْبَهَا غُرُورُ التَّمَنِّي
عَلَّمَ الْجَفْنَ أَنْ يَهَاجِرَ جَفْنِي

وكتب إلى صديق له بهراة: [من الوافر]

أَمْوَلَايَ جَمَالَ الدِّينِ يَا مَنْ
أَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ قَدْتُكَ نَفْسِي
وَلَا تَرْضَىٰ بَمَثَلِي فِي إِيَابِي
وَكُنْتُ بِلَائِكُمْ لَكَ مَعَ فَعَالٍ
لَهُ خُلُقٌ عَلَى الصَّهْبَاءِ يُزْرِي
مَلِكِي فِي عِلَانِيَّتِي وَسَرِّي
عَلَى الْأَمْلَاقِ عَبْدًا طَوَّعَ أَمْرِي
لَأَنَّكَ جُرْتَ لِمَا جَارَ دَهْرِي

وقوله في التغزل^(١): [من الطويل]

١٧٥/ يُضَاعَفُ نَارِي فِيهِ بَارِدُ ظَلْمِهِ
أَيَا مَلِكِ الْحُسْنِ الَّذِي أَتَقَادَتِ الْوَرَى
يُسَالِمُ سَلْمًا دَائِبًا رَبَّ حَرْبِهِ
مُحِبُّكَ قَدَمَا كَانَ يَلْقَاكَ مُحْسِنًا
وَيُضْعَفُ مَا أَلْقَاهُ بَارِدُ ظَلْمِهِ
إِلَيْهِ فَمَا يَأْبَىٰ أَمْرًا فَضَّلَ حُكْمَهُ
وَيُؤْذَنُ حَرْبًا مِنْهُ طَالِبَ سَلْمِهِ
فَوَقَّعَ لَهُ يُجْرِي عَلَى حُسْنِ رَسْمِهِ

وقوله وقد بلغ خمسا وأربعين سنة: [من الطويل]

يَقُولُ أَنَا لَمْ تَصَابَيْتْ بَعْدَ مَا
فَقُلْتُ: يُدَاوِي كُلَّ دَاءٍ بَضِئِهِ
بَدَا فِي نَوَاحِي عَارِضِيكَ مَشِيبُ
وَهَذَا التَّصَابِي لِلْمَشِيبِ طَيِّبُ

[٩٠٦]

ياقوتُ بنُ عبدِ الله أبو الدَّرِّ الروميُّ العزِّيُّ^(٢).

عتيقُ الملك الظاهر عز الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي - رحمه الله تعالى - سلطان الموصل وملكها.

قدم الموصل طفلاً ونشأ بها، ومال إلى الاشتغال بالعلم حتى لقبه الناس بالعالم؛ لأنه تعلق من العلم بسبب قوِي. وكان صهر الأمير أمين الدين ياقوت / ١٧٥ ب / ابن

(١) تاريخ إربل ١/ ٣٢٣.

(٢) ترجم له المؤلف سابقاً في الجزء الثالث برقم ٢٧٤ باسم (عبد الرحمن بن عبد الله).

عبد الله الكاتب الخطاط الموصلي - صاحب الخط الحسن - علي إبنته - رضي الله عنه - .

وأبو الدر كان شاباً أشقر أبيض اللون، مشرباً بحمرة، جميلاً ذا منظر ورواء، ثابت العقل، وافر الفضل؛ فيه فهم وفطنة، وحياء ورزانة. اجتمع فيه العلم والدين، وحسن السيرة واليقين، والعفاف والنزاهة، والمروءة والنباهة، ولم يُعرف له مُنذ نشأ صبوةً، وكتب الخط الرائق الذي فاق به علي أقرانه؛ لأنه كتب علي حميد، وجود عليه، وتخرج به، واقتبس منه أدباً وعلماً؛ وله فكر خارق في حل التراجم، وحسن عبارة في الإنشاء. وهو من الكتاب الأفراد في الكتابة، وله أشعارٌ ورسائل.

سألتُه عن مولده، فقال: يكون تقديراً في سنة تسعين وخمسمائة. وتوفي يوم الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالموصل. ودفن غربي المدينة بمقبرة الباب العمادي، فوق عين الكبريت بتربة كان حموه أنشأها لنفسه - رحمه / ١٧٦ / الله تعالى - .

ومن شعره ما حدثني بالموصل، ومن خطّه نقلتُ، يقول ياقوت بن عبد الله الأتابكي: الذي حدا الخادم علي عمل هذه الأبيات، وإن لم يكن من أرباب الصناعات، أن الصدر الكبير الفاضل القاضي عز الدين القيلوي - حرس الله مجده - لما وصل إلى الموصل - خلد الله ملك مالكةا - نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين، كمل الله سعاده كما كمل سيادته، وبلغه في الدارين مناه وإرادته، ما يعجز البليغ عن فهمه فضلاً عن أن يورده، لكن فضائل المجلس كانت تملئ علي لسانه وتسعده، فطرب الخادم من استنشاق رياها، واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء مُحياها، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده، بأبيات تخبر المجلس بمحبة الخادم له وتعبده.

ثم أنشدني الأبيات وأنفذها إليه وهي: [من البسيط]

حَيَا نَدَاكَ كَمَالِ الدِّينِ أَحْيَانَا	وَتَشَرُّ فَضْلِكَ عَنْ مَحْيَاكَ حَيَانَا
أَهْدَتَ عَلَيَّ الْبُعْدَ لِي رَوْحاً وَرَيْحَانَا	وَحَسُنَ أَخْلَاقُكَ اللَّاتِي خُصِصْتَ بِهَا
حَوَيْتَ يَا عَمْرُ الْمَحْمُودُ سِيرَتَهُ	خَلَقاً وَخُلُقاً وَافْضَالاً وَإِحْسَانَا

إِنْ كَانَ نَجْلٌ هَلَالٌ فِي صَنَاعَتِهِ وَنَجْلٌ مُقْلَةٌ عَيْنَا الدَّهْرِ قَدْ كَانَا
فَأَنْتَ مَوْلَايَ إِنْسَانُ الزَّمَانِ وَقَدْ عَدَوْتَ فِي الْخَطِّ لِلْعَيْنَيْنِ إِنْسَانَا
قَدْ بَتَّ فَضْلُكَ عِزُّ الدِّينِ مُقْتَصِدًا وَنَتَّ شُكْرَكَ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
فَضَاعَ نَشْرُكَ فِي الْحَدْبَاءِ وَانْتَشَرَتْ آيَاتُ فَضْلِكَ أَرْسَالًا وَوَحْدَانَا
أَنْتَنِي عَلَيْكَ وَأَمَالِي مُعْلَقَةٌ بِحُسْنِ عَفْوِكَ تَرْجُو مِنْكَ عُفْرَانَا
وَأَنْ تَطْفَلْتُ فِي صَدْقِ الْوُدَادِ وَلَمْ يَقْضِ التَّلَاقِي لَنَا عَفْوًا وَلَا حَانَا
فَمَا أَلَامَ عَلَيَّ شَيْءٌ آتَيْتُ بِهِ (فَالَاذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا) (١)
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي عِلْمٍ وَفِي آدَبٍ وَأَرْجَحَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

فأجابه الصاحب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة
الفقيه الحنفي - حرس الله / ١٧٧ هـ / معاليه - عن هذه الأبيات على الروي والوزن، وأنشدنيها
بحلب بمنزله المعمور في سنة خمس وثلاثين وستمائة :

[من البسيط]

يَا مَنْ أَبْحَثُ حَمَى قَلْبِي مَوَدَّتَهُ وَمَنْ جَعَلْتُ لَهُ أَحْشَايَ أَوْطَانَا
أَرْسَلْتُ نَحْوِي آيَاتًا طَرِبْتُ بِهَا وَالْفَضْلَ لِلْمُبْتَدِي بِالْفَضْلِ إِحْسَانَا
فَرُحْتُ أُخْتَالُ عُجْبًا مِنْ مَحَاسِنِهَا كَشَارِبِ ظِلٍّ بِالصَّهْبَاءِ نَشْوَانَا
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَجَاءَتْ وَهِيَ لَا بَسَّةٌ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالتَّرْصِيعِ الْوَانَا
حَكَّتْ بِمَشْوَرِهَا وَالنَّظْمِ إِذْ جُمِعَا بِأَحْرَفِ حَسَنَتِ رَوْضًا وَيَسْتَانَا
جَرَّتْ عَلَى جُرُولِ أَثْوَابِ زِينَتِهَا إِذْ أَصْبَحَتْ وَهِيَ تَكْسُو الْحُسْنَ حَسَانَا
أَضْحَتْ تُغَيِّرُ وَجْهَ الْعَنْبَرِيِّ فَمَا بَسُّو اللَّقِيطَةَ مِنْ دُهِلِ بْنِ شِيَانَا
يُمْسِي لَهَا أَبْنُ هَلَالٍ حِينَ يَنْظُرُهَا يَحْكِي أَبَاهُ بِمَا عَانَاهُ نَقْصَانَا
كَذَاكَ أَيْضًا لَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ عَدَا عَبْدًا يُجْرُ مِنْ التَّقْصِيرِ أُرْدَانَا
أَنْتَ وَعَبْدُكَ مَعْمُورٌ بَعْلَتِهِ فَعَادَرْتَهُ صَحِيحًا خَيْرَ مَا كَانَا

(١) عجز بيت لبشار بن برد، وصدره:

«يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن»

انظر: ديوانه ١٩٤/٤.

١٧٧ب/ وَكَيْفَ لَا تَدْفَعُ الْأَسْقَامَ عَنْ جَسَدِي
وَهِيَ الصَّبَا حَمَلْتُ رَوْحًا وَرِيحَانًا
فَمَا عَلَى طَيْفِهَا لَوْ عَادَ يَطْرُقُنَا
فَرَبَّمَا زَارَ أَحْيَانًا فَأَحْيَانًا
فَاسْلَمْ فَأَنْتَ أَمِينُ الدِّينِ أَحْسَنُ مَنْ
وَشَى الطُّرُوسَ بِمَنْظُومٍ وَمَنْ زَاتَنَا
وَلَا تَحْطُتْ إِلَيْكَ الْحَادِثَاتُ وَلَا
حَلَّتْ بِرَبِّعِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَانَا

وأنشدني لنفسه ، وكتبه لي بخطه ، ما مدح به بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله

- صاحب الموصل - من قصيدة أولها : [من الكامل]

حَكَمَ الزَّمَانَ بِكُلِّ مَا تَخْتَارُ
وَجَرَتْ بِمَا أَمَلْتَهُ الْأَقْدَارُ
وَأَزْدَانَتِ السُّنِّيَا بِمُلْكِكَ وَأَعْتَدِي
فِي وَصْفِ مَجْدِكَ تُنْظِمُ الْأَشْعَارُ
وَعَدْتَ رَبُّوعَ السَّعْدِ أَهْلَةَ الرَّبِّي
مُخَضَّرَةً قَدْ حَفَّهَا النُّوَارُ

ومنها يقول :

أَيَّامَ عَزَّكَ كُلُّهُنَّ أَصَائِلُ
مِنْ حُسْنِهِنَّ وَلَيْلُهَا أَسْحَارُ
أَنْتَ الْأَنْسَامُ جَمِيعُهُمْ وَزَمَانُكَ الْأَ
يَّامُ وَاللَّدُنِّيَا لِمَجْدِكَ دَارُ
/١٧٨/ فُتِ الْمُلُوكُ وَغَيْرُهُمْ بِمَنَاقِبِ
شَهِدَتْ بِهَا الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ
أُحْيِيَتْ آلُ الْمُصْطَفَى بِمَكَارِمِ
سَارَتْ بِهَا الرُّكَبَانُ وَالسُّقَارُ
وَنَعَشَتْهُمْ بَنَدَى يَدَيْكَ فَأَصْبَحُوا
تَهْمِي عَلَيْهِمْ دِيمَةً مَذَرَارُ
كَلَّتَا يَدَيْكَ لَنَا سَحَابٌ هَاطِلُ
يُمْنَاكَ يُمْنٌ وَالْيَسَارُ يُسَارُ
فَاسْلَمْ لِهَذَا الْمُلِكِ تَنْظِمُ شَمْلُهُ
مَا عَرَدَتْ فِي أَيْكِهِ الْأَطْيَارُ
فِي دَوْلَةِ حَفِّ النِّعَمِ رَوَاقُهَا
اللَّهُ جَارُكَ وَالنَّبِي الْمُخْتَارُ

وأنشدني لنفسه حين وصل إربل يمدح الوزير صاحب الكبير العالم المنعم شرف

الدين أبا البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المستوفي - رضي الله عنه - من

غير معرفة تقدّمت : [من الطويل]

أَيَا ذَاكَرٍ أَظْلَمًا مَسَاوِيءَ إِرْبِلِ
كَأَنَّ رُؤْيَا قَدْ نَطَقَتْ بِهَا جَهْلًا
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي إِرْبِلِ مَنْ فَضِيلَةٌ
سَوَى شَرَفِ الدِّينِ الَّذِي جَمَعَ الْفَضْلَا
/١٧٨ب/ لَتَاهَتْ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ لَأَنَّهَُا
بَسْكُنَاهُ فِيهَا حَارَتِ الْمَجْدِ وَالنُّبْلَا
فَتَى شَعَلَتْهُ الْمَكْرُمَاتُ فَلَنْ تَرَى
لَهْمَتِهِ فِي غَيْرِ مَكْرُمَةٍ شُغْلَا

مَنْ النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ
إِلَى الْمَلِكِ النَّعْمَانِ تَنْمَى فُرُوعُهُ
إِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَلَمْ يَدْعُ
أَبَا الْبَرَكَاتِ الْخَيْرِ دَعْوَةَ مُخْلِصٍ
مَدَحْتُكَ لَا أَرْجُو الْجَوَائِزَ وَالرُّشَى
بِهَآ يَهْتَدِي السَّارُونَ فِي قَصْدِهِ السَّبِيلَ
فَأَكْرَمَ بِهِ فَرْعًا وَأَكْرَمَ بِهِ أَصْلًا
لِذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
يَوَدُّكَ عَنْ بَعْدٍ وَمَا عَايَنَ الشُّكْلَ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمُدْحَ فِي أَهْلِهِ أَوْلَى

وأنشدني لنفسه في غلام مؤذن: [من الخفيف]

بِأَبِي شَادِنٍ يُؤَدِّنُ لَلْأَجْدِ
كَلَّمَآ جَدَلُ اللَّحَاطِ قَتِيلًا
رَوْتَسْبِي لِحَاظُهُ كُلُّ مُوجِرٍ
قَالَ: تَيْهًا بِقَتْلِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ

وأنشدني أيضًا قوله ما كتبه إلى بعض الكبراء: [من البسيط]

كُلُّ الْحَوَائِجِ بَعْدَ اللَّهِ مَرْجِعُهَا
أُحْيَيْتَ أَمَلَنَا مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطْتُ
إِلَيْكَ يَا مَنْ لَدَيْهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
كَالرَّوْضِ أَحْيَاهُ لَمَّا أَنْ ذَوَى الْمَطَرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

سَلَامٌ كُنْشَرِ الرَّوْضِ بِأَكْرَهُ الصَّبَا
عَلَى الْجَانِبِ الْمَحْرُوسِ لَا زَالَ عَالِيَا
فَضَوَّعَ مِنْ رِيَّاهُ مَا كَانَ كَامِنَا
وَأَصْبَحَ مِنْ رَبِّبِ الْحَوَادِثِ آمِنَا^(١)

١٧٩/ب/ (٢).

(١) بعدها بياض بمقدار ١٠ أسطر.

(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل.

ذِكْرُ مَنْ اسْمُهُ يَحْيَى

[٩٠٧]

يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى، أَبُو زَكْرِيَا الضَّرِيرُ الْمَقْرِيُّ،
الْمَوْصِلِيُّ الدَّارُ وَالسُّكْنَى.

وكان من قرية من قُرَى العراق تُدعى بَرَقَطَا.

هاجر إلى الموصل واستقرَّ مقامه بها إلى حين وفاته في شهر رمضان سنة ثمانى عشرة
وستمائة. ورأيت به شيخاً طويلاً كهلاً أسمر اللون ساكناً بالمدرسة العتيقة. وكان شاعراً
قارئاً للقرآن العزيز فاضلاً.

وحدثني صاحبُ الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال :
أخبرتُ عنه أنه كان يضرب بالعود، وينادم الأكابر، ويشرب الخمر. ورد إربل غير مرة، ولم
أستشده من أشعاره إلى أن ورد في سلخ ذي الحجة سنة عشر وستمائة، فأنشدني لنفسه من
قصيدة يمدح بها أتابك نور الدين أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود - صاحب
الموصل - : [من البسيط]

عَزَّ تَدِينُ لَهُ الْأَعْنَاقُ فِي الْقُلُلِ / ١٨٠ب/ ذَيْنُ الصَّوَارِمِ وَالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ
مَوَاطِنًا فِي ذُرَى الْعَلْيَاءِ لِلنُّقُلِ إِرْكَبَ عَلَى صَافِنَاتِ الْعِزِّ مَتَّخِذًا

ومنها في المديح :

كَمَا اكْتَسَى آدَمُ مِنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ كُلُّ الْمُلُوكِ اكْتَسَتْ مِنْ فَخْرِكُمْ حُلُلًا
كَذَلِكَ الْقَيْلُ نُورُ الدِّينِ فِي الْمَثَلِ أَتَى آخِرًا وَحَازَ السَّبْقَ قَاطِبَةً

وقال من قصيدة أولها : [من الكامل]

رَشَاءُ بَوَجَّتِهِ الضَّالَّالَةُ وَالْهُدَى مَنَحَ الْقَضِيبَ رَشَاقَةً وَتَأَوَّدَا
لِتَيْمَنَ مَقَوَّهًا وَمُبَلَّدَا أَلَّتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيَّ قَادِر
فَكَأَنَّهُا بُدُنٌ تَحُثُّ بِهَا الْحُدَا رَحَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الصُّدُورِ قُلُوبُنَا
خَرَّتْ إِلَيْهِ مَعَ الْجَوَارِحِ سُجَّدَا لَمَّا رَأَتْ أَنْوَارُ كُنْهِ جَلَالِهِ

وقال يمدح أتابك نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل : [من الطويل]

أَتَعْلَمُ مَا يَلْقَاهُ فِي كُلِّ مَعْلَمٍ
يُثِيرُ لَهُ التَّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةٍ
/ ١١٨١ / سَرَى طَائِرٌ عَنْ سَانِحٍ عَنْ يَمِينِهِ
أَلَا يَا ابْنَةَ الرُّومِيِّ هَلْ لَكَ مَوْعِدٌ
إِذَا كَانَ فِيكَ الْغَدْرُ طَبْعًا تَكَلَّفَنِي
فَبَاتَتْ وَلِيَّ إِخْلَاصٍ نِيَّةٌ مُؤَمِّنٌ
فَلَا هَمَّتَنِي فِيهَا تَهْمٌ بَرِيَّةٌ
وَأَحْلَمْتُ عَنْهَا عَقَّةً بَعْدَ فُذْرَةٍ
مَلِيكَ تَخَافُ الْأَرْضُ سَطْوَةَ بَاسِهِ
أَجَارَ فَمَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ خَائِفٌ
رَأَيْنَا عَيَانًا مِنْهُ بَعْدَ سَمَاعِنَا الْأَ
جْرِيِّ كَمُوسَى صَامِتٌ مِثْلُ صَالِحٍ
أَيَا مُعْطِي الْخَيْرَاتِ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ
وَصَلَّتْ فَمَا الْعَيْنُ الرُّومِيُّ بِمُمْطَرٍ
خُلِقْتَ لِعَزْمٍ وَاقْتِدَارٍ وَهَمَّةٍ
فَأَنْسَيْتَنَا قُسًا وَعَمْرًا وَحَاجِبًا
/ ١١٨١ ب / أَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِكُشْفِ مُلَمَّةٍ
تَهْنُ بَعِيدَ الْفُطُرِ مَا نَاحَ طَائِرٌ
وَلَا زِلَّتْ فِي عِزِّ مُقِيمٍ وَنِعْمَةٍ
فَدُونَكُهَا عَذْرَاءُ كَالْمَسْكِ نَشْرُهَا
وَعِشْ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ وَسَعَادَةٍ

وقال أيضاً يمدحه : [من الكامل]

أَحْيَا الصَّبَابَةَ بِاخِلِّ بَوْصَالِهِ
وَأَمَاتَ صَبْرَ الصَّبِّ يَوْمَ زِيَالِهِ ^(١)

طَبْعًا وَيَبْخُلُ عَامِدًا بَوْصَالَهُ
 فَالْبَانُ يَخْجَلُ مِنْهُ مَنْ تَمَيَّالَهُ
 إِلَّا أُغْتَتِي عَنْ سَيْفِهِ وَنَبَالَهُ
 مَا خَاطَهَا إِلَّا بَدِيعُ جَمَالِهِ
 لَمَحَتْ مَحَاسِنُهُ فَيُبَحُّ فَعَالَهُ
 مِنْ فَوْقِ عُصْنٍ فِي كَثِيبِ رَمَالِهِ
 وَأَرَاهُ حُلُوهَا إِذْ خَطَرْتُ بَيَّالَهُ
 وَصُدُّوهُ بَوْصَالَهُ وَمَطَالَهُ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى خَيَالِ خَيَالِهِ
 لَسَلِمَهَا الْإِبْلَالُ مِنْ بَلْبَالِهِ
 وَبَلَّغَتْ مَجْدًا جَلَّ عَنْ أَشْكَالِهِ
 أَسْمَى نُجُومَ الْمَجْدِ دُونَ مَنَالِهِ
 فَاقَ الْمُلُوكَ بَيَّاسَهُ وَنَوَالَهُ
 حَزْبًا لَمَّا تَرَجُّوهُ مِنْ إِفْضَالِهِ
 صَرَغَى إِذَا أَشْتَبَكَ الْوَعَى بِمَحَالِهِ
 بَحْرُ يُنِيلُ النَّيْلَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
 عَنْهُ يُنَوَّلُ مِنْ كَرَائِمِ مَالِهِ^(١)
 تُلْهِى أَبَا الْأَشْبَالِ عَنْ أَشْبَالِهِ
 شَهِدَ الْوَرَى بِجَلَالِهَا وَجَلَالِهِ
 حَرَمٌ يُفُوزُ مَخِيْمٌ بِظَلَالِهِ
 وَالْعَدْلُ حَتَّى تُفُتَ عِنْدَ كَمَالِهِ
 وَأَجَرَتْ ذَا الْأَقْدَارِ مَنْ إِفْلَالِهِ
 لَا يَرْهَبُونَ الدَّهْرَ مَعَ أَهْوَالِهِ
 وَالدَّهْرُ طَوَّعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ

قَمَرٌ يَجُودُ عَلَى الْوَرَى بِصُدُودِهِ
 يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحِ الشَّيْبَةِ عَطْفُهُ
 مَا سَلَ سَيْفٌ لِحَاطَهُ فِي جَحْفَلٍ
 لِبَسَ الْعِيُونَ مِنَ الْمَلَا حَةَ حُلَّةٍ
 لَوْ كَانَ يُعْدَى خُلُقُهُ مِنْ خُلُقِهِ
 قَمَرٌ بَدَأَ مَنْ تَحْتَ لَيْلٍ مُظْلَمٍ
 أَهْوَى اسْتِمَاعَ الْبَحْرِ خَيْفَةَ هَجَرِهِ
 /١١٨٢/ وَيَزِيدُنِي كَلْفًا بِهِ إِعْرَاضُهُ
 يَا فَتْنَةَ الْعُشَّاقِ رَفَقًا بِأَمْرِي
 هِيَ صَبُوءٌ عُذْرِيَّةٌ لَا يُرْتَجَى
 وَلَقَدْ قَتَلْتُ الدَّهْرَ خُبْرًا وَالْوَرَى
 حَتَّى حَلَلْتُ بِرُبْعِ مَلِكٍ مَا جَدَ
 فِي رُبْعِ نُورِ الدِّينِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
 مَلِكٌ تَرَى صَيْدَ الْمُلُوكِ بَيَّابَهُ
 التَّارِكُ الْإِبْطَالُ فِي يَوْمِ الْوَعَى
 حَبْرٌ يُحِيرُ الْحَبْرَ حُسْنُ جَدَالِهِ
 [مَا أَمَّهُ دُوْ عُسْرَةٍ إِلَّا أَتْنَسَى
 كَرَمٌ يَبْخُلُ حَاتِمًا وَشَجَاعَةٌ
 وَثَرِيهٌ أَغْقَابُ الْأُمُورِ بِصِيرَةٍ
 مَوْلَايَ نُورُ الدِّينِ يَا مَنْ رُبْعُهُ
 حُزْتُ الصِّفَاتِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 أَمِنَ الْغَنَى بِكَ أَنْتَقَاصَ غَنَائِهِ
 /١١٨٢ب/ وَغَدَا الرَّعَايَا فِي حِمَاكَ بِغَبْطَةٍ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي فَاقَ الْوَرَى

وَفَتَّى تَنْقَلُ فِي الْعُلَا حَتَّى غَدَتْ
وَعَدَا الْوَرَى أَضْيَافَهُ فِيمَرَهُم
أَنْتَ الَّذِي أَغْنَيْتَنِي وَحَمَيْتَنِي
فَلْيَشْكُرَنَّكَ عَبْدُكَ الْقَنُّ الَّذِي
فَتَّهَنَ بِالْعَيْدِ الَّذِي وَأَفَاكَ يَا
وَأَسْلَمَ وَدُمَ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
وَحُشُّ الْفَلَا وَالطَّيْرُ بَعْضُ عِيَالِهِ
فِي سَلْمِهِ أَوْلَاكَ يَوْمَ نَزَالِهِ
مَنْ صَرَفَ دَهْرُكَ عَنْ أَقْبَالِهِ^(١)
إِفْضَالَ طَوْلِكَ مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ
خَيْرَ الْوَرَى بِالسَّعْدِ مَنْ إِقْبَالِهِ
مَانَحَ قُمْرِيٍّ بِأَعْلَى ضَالِهِ

[٩٠٨]

يحيى بن أحمد، بن يوسف بن أحمد، أبو زكريا الواعظ
الحسني^(٢).

من أهل غرناطة.

ذكر صاحب الوزير أبو البركات المستوفي في تاريخه - رحمه الله تعالى - وقال: ورد
إربل وعقد بها مجالس الوعظ. وكان له من العامة قبول عظيم. وكان يجيء الناس أكثر
مجالسه ويتكفّفهم.

وصله الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو سعيد كوكبوري / ١١٨٣ / بن علي [بن] بكتكين
بصلة، وأراد السفر فأمر العامة أن يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم فأجابهم إلى ذلك في
خامس جمادى الآخرة من سنة تسع عشرة وستمائة.

ثم قال: أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة التزم في أثنائها الإتيان بكلمات منثورة ذكرها
لي، تبين إنها كتبت بلون غير المداد، يقول فيها^(٣): [من البسيط]

يَا دَوْحَةَ الْبَانِ مِنْ شَرْقِيَّ كَاطِمَةٍ
لَسَاكِنِيكَ عَلَيْنَا خِدْمَةٌ وَلَنَّا
كَمْ أَعْدَلُ الْقَلْبِ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمْ
دَنُوا فَلَمَّا دَنَا وَصَلِي بِهِمْ بَانُوا
سَقَاكَ مِنْ عَبْرَاتِ السُّحْبِ هَتَانُ
عَلَيْهِمْ بِالْوَفَا عَهْدٌ وَأَيْمَانُ

(١) أقتاله: أعدائه.

(٢) توفي بعد سنة ٦١٩ هـ. في الأصل: «الخشني» وقد صوّناه من تأريخ إربل.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٢٦ - ٣٢٧، ومنه نقل ابن الشعار الترجمة بحذفها.
(٣) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٣٢٦.

هُمُ عَلَّمُونِي الْهَوَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ حَتَّى إِذَا وَلَجُوا بِأَبِ الْهَوَى خَانُوا
هُمُ الَّذِينَ بِسُحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا دَمَ الْهَمَامِ وَشَرَعُ الْحُبِّ إِذْ عَانُوا
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِي بِالصَّدْرِ أَكْتُمَ مَا بِالْقَلْبِ غَادَرَهُ صَبْرٌ وَكْتَمَانُ

[٩٠٩]

يحيى بن إبراهيم بن محمد، أبو تراب بن أبي إسحاق البزاز
البغدادي^(١).

من أهل الكرخ^(٢).

ذكره الشيخ / ١٨٣ ب / أبو عبد الله محمد بن سعيد الديبشي، وقال: سكن اللوزية من محال الجانب الشرقي، وتفقه على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - على أبي الحسن بن الخل، وسمع منه ومن أبي الفرج عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني، وأبي الوقت^(٣) السجزي وغيرهم، وروى عنهم.

وسافر إلى الشام، وأقام بدمشق مدة، وحدث بها وعاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان سنة أربع عشرة وستمائة. كتبنا عنه بعد عوده من الشام. وكان سماعه صحيحاً، ويفهم ما يقرأ عليه.

قال وسألته عن مولده، فقال: في السادس والعشرين^(٤) من شعبان سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ هذا آخر كلامه.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل بن أبي المعمر التبريزي بإربل - رحمه الله

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ٤٠٦/٢ رقم ١٥٤٨ وفيه: «توفي في الثالث عشر من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة ببغداد». تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٢٦١. التقييد لابن نقطة/ الورقة ١٢٥ - ١٢٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٣ - ٦٤ رقم ٤٧. طبقات الإسني/ الورقة ١٤٨. العقد المذهب لابن الملقن/ الورقة ١٦٩.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (كرخ بغداد).

(٣) في التكملة: «أبي الوقت عبد الأول بن عيسى».

(٤) في التكملة: «السادس عشر».

تعالى - في سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني أبو تراب لنفسه: [من الوافر]
 / ١٨٤/ أَحْنُ إِلَيْكَ مَنْ قَرُطُ أَشْتِيَاقِي لَكِي الْقَاكَ مِنْ قَبْلِ التَّلَاقِي
 عَدُوُّكَ هَالِكٌ يَهْوِي سَرِيعًا إِلَيَّ النَّيْرَانُ لَمْ يَنْفَعَهُ رَاقِي
 وَمَنْ يَهْوَاكَ يَكْفُ وَلَا يُبَالِي وَمَنْ يَشْنَاكَ يَهْلِكُ وَهُوَ بَاقِي
 إِذَا جُنَّ عَطَاشَى يَوْمَ نَشْرِ لَسَقِينَا فَأَنْتَ هُنَاكَ سَاقِي

[٩١٠]

يحيى بن إسحاق، الأمير، أبو زكريا الميوقري^(١).

صاحب ميورقة^(٢) وودان^(٣).

كان مشهوراً بالبأس والشجاعة بطلاً من الأبطال، مقدماً في الحروب جواداً سخياً
 أديباً بليغاً شاعراً فصيحاً. لم يقع إليّ من شعره غير بيت مفرد من قصيدة وهو:

[من الخفيف]

حَفَيْتُ خَيْلَنَا وَعَزَّ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا لَهَا الْخُدُودَ نَعَالَا

[٩١١]

يحيى بن أسعد بن يحيى بن موسى، أبو المفضل - المذكور أبوه
 في أول الكتاب في حرف الهمزة^(٤) - السنجاري الأصل، الفارقي
 المولد، الدنيسري الدار.

ذكره أبو حفص عمر بن الخضر بن اللّمش التركي في كتابه «حلية السرين من

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ٣/ ٤٢٠ - ٤٢١ رقم ٢٦٧١، وفيه: «يحيى بن إسحاق بن حمو الصنهاجي الميوقري، توفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بالبرية من نظر تلمسان». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧٥ - ١٧٦ رقم ٢١٥. الغصون اليانعة ١٥١. المعجب ٢٧٣، ٢٧٥، ٣١٤، ٣١٧. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٩ رقم ٢٣٤. الأعلام ٩/ ١٦٥.

(٢) ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس. انظر: معجم البلدان/ مادة (ميورقة).

(٣) ودان: مدينة بإفريقية في جنوبها، بينها وبين زويلة عشرة أيام من جهة أفريقية. انظر: معجم البلدان/ مادة (ودان).

(٤) ترجم المؤلف لوالده (أسعد بن يحيى بن موسى ...) في الجزء الأول برقم ١٤٦.

خواص الدُنيسريين»^(١). وقال: من أهل القرآن، قرأه بالقرآت على أبي سعد^(٢) سعد الله بن غنائم النحوي الحموي^(٣) بها، وقرأ على شيخنا أبي الحسن النيلي^(٤) بدُنيسر جملةً من كتب القراءات، وله عناية بالتجويد، وحسن الأداء في القراءة.

وهو سامي الهمّة في التشاغل بعلوم منها: الفقه والنحو والطب وغيرها.
وله في النظم والنثر والترتيب والإنشاء تصرف.

ثم قال: أنشدني لنفسه إملاءً بدُنيسر موعظةً: [من الكامل]

وَاحْجَلْتَنِي يَوْمَ الْحَسَابِ وَقَوْلُهُ	مَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَالزَّمَانُ مُوسِعُ
أَوَلَمْ نَعْمَرْكَ الطَّوِيلَ وَنَسْتُرُ السَّ	تَرَ الْجَمِيلَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَرْجِعُ
/ ١٨٥ / لَوْلَمْ تَكُنْ لَكَ فِي الْقُرُونِ مِنَ الْأَلَى	عَبْرًا مَا فِي ذِكْرِهِمْ مَا يُفْنَعُ
أَوَلَمْ تَكُنْ [لَكَ] أَعْيُنُ فَتَرَى بِهَا	أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ لِلْمَوَاعِظِ مَسْمَعُ
مَاذَا أَقُولُ وَلِي دُنُوبٌ نَكَسَتْ	رَأْسِي حَيَاءً فَهَوَ لَا يَتَرَفَّعُ
وَاحْسَرَتَا لَوْ كَانَ يُغْنِي حَسْرَةً	وَأَوَيْلَتَا لَوْ أَنَّ وَيْلًا يَنْفَعُ
ضَيَّعْتُ أَيَّامِي لَغَيْرِ إِفَادَةٍ	تُرْجَى فَقَلْبِي بِالْهُمُومِ مُرَوِّعُ
وَجَوَانِحِي مِنْ حَرِّ شَوْقِي فِي لَطْفِي	وَجَدْبِهِ تُحْنِي عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ
مَا لِي سِوَى الظَّنِّ الْجَمِيلِ وَسِيلَةٍ	فَهُوَ الْجَوَادُ وَجُودُهُ لَا يُمْنَعُ

قال: وأنشدني لنفسه متغزلاً: [من الكامل]

يُخْفِي الْهَوَى وَدُمُوعُهُ بُدْيَهُ	صَبَّ صَبَابُهُ وَجَدَهُ تُصْبِيَهُ
وَتَمِيَّتُهُ أَشْوَاقُهُ فَإِذَا بَدَا	مِنْ نَحْوِ رَامَةٍ بَارَقَ يُحْيِيَهُ
وَإِذَا النَّسِيمُ سَرَى إِلَيْهِ بَشَّرُكُمْ	نَشَرَ الَّذِي مِنْ جُبِّكُمْ يَطْوِيَهُ
فَتَرْدُهُ زَفَرَاتُهُ مِنْ حَرِّهَا	عَنْهُ وَبَاعَتْ شَوْقَهُ يُدْنِيَهُ
يُغْرِيبُهُ عَاذِلُهُ وَأَيْنَ سُلُوهُ	مِنْهُ وَطَوَّعَ غَرَامَهُ نَاهِيَهُ

(١) ط ١٨٩/٢ - ١٩٢، ونقل عنه الترجمة كاملة.

(٢) في بغية الوعاة «علي أبي سعيد» وهو تصحيف.

(٣) انظر: ترجمته في بغية الوعاة ٥٨٠/١.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الدباس النيلي، ترجمته في تاريخ دنيسر ص ٣٢.

١٨٥ ب / فَهُوَ السَّلِيمُ بِوَجْدِهِ فَلَذَا إِذَا
رَقَّ الْعَذُولُ لِحَالِهِ مِنْ سَقَمِهِ
أَسْ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ مِنَ الْحَمَى
وَمُهَفَّفَ عِبْتُ الصَّبَا بِقَوَامِهِ
سَكَرَتْ لَوَاحِظُهُ بِخَمْرِ السَّحَرِ مَنْ
سَلَّتْ سُيُوفُ التَّيِّهِ مِنْ إِعْرَاضِهِ
يَا بَدْرُ إِنْ طَالَ الْمَطَالُ فَعُدْ عَلَيَّ
أَيُّنَ الْمَفْرُ وَلَا مَفْرَ لِعَاشِقٍ

هَبَّ النَّسِيمُ كَأَنَّهُ رَاقِيهِ^(١)
وَبَكَى وَحَسْبُكَ عَاذِلُ يَكِيهِ
هَيْهَاتَ عَزَّ مِنَ الْأَسَى أَسِيهِ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ لِمُسْتَجْلِيهِ
فَتَرَاتَهَا وَدَلَّالُهُ سَاقِيهِ
لَحَظَاتُهُ فَمُحِبُّهُ فِي التَّيِّهِ
بُعْدَ الْبَعَادِ تَحِيَّةُ تَحِيهِ
حَكَمْتَ عَلَيْهِ يَدُ السَّقَامِ وَفِيهِ

قال : وأنشدني لنفسه إملأ : [من الخفيف]

أَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى مِنَ الْحُبِّ جَهْرًا
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ وَشَى بِي فَإِنِّي
لَيْتَ شَعْرِي مَاذَا تَقُولُ وَشَاتِي
وَإِذَا مَا الْحَيِّبُ كَانَ عَلَى الْحُ
١٨٦ أ / وَحَيَاةُ الْهَوَى وَحَقَّ زَمَانُ الْ
لَوْ أَطَقْتُ الْمَزِيدَ فِي الْحُبِّ لَا زُدُّ
يَا مُنَى النَّفْسِ يَا نَهَايَةَ أَمَا
بِالَّذِي صَانَ ذَا الْجَمَالَ عَنِ الرِّيدِ
لَا تَدْعُ مُهْجَتِي تَذُوبُ مِنَ الشَّوْ
فَقُوَادِي مِنَ التَّهَاجَرِ مَفْؤُ
لَسْتُ مَنْ يَسْتَطِيعُ صَبْرًا عَلَى الْبَ

لَذَّةُ الْعَشْقِ أَنْ تَهْتَكَ سْتَرًا
أَسْتَلِذُ الْهَوَى وَإِنْ كَانَ مُرًّا
أَنَا مُغْرَى بِجُبِّهِمْ أَنَا مُغْرَى
بِ مُعِينًا لَمْ تَخْشَ زَيْدًا وَعَمْرًا
وَوَضَّلَ وَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا وَعُسْرًا
تُ وَلَكِنِّي تَحَمَّلْتُ وَقُرَا
لِي بِمَنْ قَدْ كَسَا جُفُونَكَ سَحْرًا
بَةِ بِالطَّائِفِينَ شُعْثًا وَعُغْرًا
قَ غَرَامًا فَأَنْتَ بِالْحَالِ أَدْرَى
دُ وَعَيْنَايَ بَعْدَ بَعْدِكَ سَهْرَى
يْنِ وَمَنْ ذَا يُطِيقُ لِلْيَسَنِ صَبْرًا

قال : وأنشدني أيضًا لنفسه : [من مجزوء الطويل]

أَلَذُّ الْهَوَى مَا ذَلَّ فِيهِ عَزِيْزُهُ
وَأَفْتَكُهُ طَرَفُ كَحِيلٍ إِذَا رَنَّا
وَأَفْتَلُهُ لِلْعَاشِقِينَ غَرِيْزُهُ^(٢)
تُبْلِيلُ أَلْبَابِ الْبَرَايَا رُمُوزُهُ

(١) السليم: الملدوغ.

(٢) الغريزة: الطبيعة والسجية.

قال : وأنشدني لنفسه إرتجالاً : [من مجزوء الوافر]

فَدَيْتُكَ كُفَّ عَنْ ظُلْمِي فَقِيَّ الْأَيَّامَ مُعْتَبِرُ
جَنَى طَرْفِي عَلَى قَلْبِي فَكَانَ جَزَاءَهُ السَّهَرُ

[٩١٢]

/١٨٦ب/ يحيى بن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم بن منصور بن
العاص، أبو زكريا الموصلي.

المذكور والله في الجزء الأول من الكتاب^(١).

أخبرني أنه ولد في الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة
ستمائة بالموصل؛ وهو شاب ذو نواذر ومضحكات ومفكاهة ومداعبات وأزجال
وموشحات، وأشعار في الزكالكش هزليات.

غلب عليه نوع المداعبة والهزل فشهّر به، واستمر في نهجه وله معرفة بأحوال
الساسانية، وكلام أهل التلارية، ومقالات المنجمين والطريقة. وعنده قحة في مخاطباته
وقلة حياء ومصادفة وجرأة في الكلام الرديء الفاحش؛ إلا أن فيه ذكاء وله طبع في الشعر.

ومما أنشدني لنفسه يمدح بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله - صاحب الموصل - ويذكر
الخلعة التي جاءت من أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن محمد،
/١٨٧أ/ والسيف والسنجق^(٢)، وأن يخطب له على المنبر ويضرب الدينار باسمه ومؤازرته
ومعاضدته له : [من البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ وَقَامَ فِي الْمُنْبَرِ الْبَذْرِيُّ خَاطِبُهُ
وَأَشْرَفَتْ غُرَّةُ الدُّنْيَا وَابْتَهَجَ الـ مُلْكُ الْمُؤَبَّدِ وَاهْتَزَّتْ مَنَاقِبُهُ
وَشُرِّفَ السَّنَجَقُ الْمَيْمُونُ حِينَ غَدَا تُلَوَّى عَلَى مَلِكِ الدُّنْيَا عَصَائِبُهُ

(١) مرت ترجمته في الجزء الأول برقم ١٦٤، وفيه اسمه (إسماعيل بن موسى بن منصور بن إبراهيم بن العاص).

(٢) السنجق : العلم.

ر الدِّين ذِي الشَّرَفِ الْعَالِي مَنَاقِبُهُ
حَقٌّ تَجَلَّتْ لِرَأْيِهِ كَوَاكِبُهُ
يَسْمُو بِهِ الدَّهْرُ حَقًّا فَهُوَ صَاحِبُهُ
عَلَى تَهَادِي فَزَفْتَهَا سَحَائِبُهُ
كَأَنَّمَا الْقَدْرُ الْجَارِي مَضَارِبُهُ
فَأَصْبَحَ الْمُلْكُ قَدْ عَزَتْ مَطَالِبُهُ
أَوْتُوا وَأَمَّ سَبِيلَ الْحَقِّ رَاكِبُهُ
وَقَتُّ الَّذِي خَطَّهُ فِي اللَّوْحِ كَاتِبُهُ
هَذَا الَّذِي تَفْتَحُ الدُّنْيَا كِتَابَهُ
وَالسَّعْدُ رَافِعُهُ وَاللَّهُ نَاصِبُهُ
فَعَالٌ تَهْدِي إِلَى مِنْ ظَلَّ نَاسِبُهُ
خُضِرَ مَوَاطِئُهُ حُمِرَ قَوَاضِيهِ
مَنْ بَعْدَهُ مَلِكٌ إِلَّا عَوَاقِبُهُ
بِلَادُ طُرٍّ وَأَطْوَارٌ أَتَجَادِبُهُ
مَا دَرَّ شَارِفُهُ وَأَنَحَطَّ غَارِبُهُ

أَبِي الْفَضَائِلِ سُلْطَانِ الرَّعِيَّةِ بَذْ
سَمْعًا دَعَوْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيَّ
وَاخْتَرْتُ أَرْوَعَ صَفَى اللَّهِ جَوْهَرَهُ
الْبَسْتَهُ حُلَّةً جَاءَتْ مِنَ الْمَلَأِ الْأَ
وَصَارَ مَا أَبَدًا تَعْنُو الرُّقَابُ لَهُ
قَلَدْتُ أَمْرَ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرُهُمْ
فَالآنَ قَرَّتْ عِيُونُ الْعَالَمِينَ بِمَا
يَا مَعَشَرَ النَّاسِ أَوْفُوا بِالنُّذُورِ فَذَا الـ
هَذَا الَّذِي ظَهَرَتْ بِاللَّهِ آيَتُهُ
/ ١٨٧ ب / مَلِكٌ لَهُ عِلْمُ الْإِقْبَالِ مُنْتَشِرٌ
يُنَبِّئُكَ عَنْ أَصْلِهِ أَفْعَالُهُ وَكَذَا الْأَ
يُبْضُ مَنَاقِبُهُ صَفْرٌ مَوَاهِبُهُ
هَذَا الَّذِي يَخْتُمُ الْمُلْكُ الْعَقِيمَ فَمَا
هَذِي الْبَدَايَةُ فَانْظُرْ كَيْفَ تَخْطُبُهُ الـ
فَلَا فِتْنِي الْفَلَكَ الدَّوَارُ يَخْدُمُهُ

وأنشدني لنفسه : [من الخفيف]

صَلَّ حَظًّا فَقُلْ بِغَيْرِ مَخَافَةٍ
مَ وَقَصَّ دِي مَقَرُّ دَارِ الْخَلَافَةِ
مَالٍ مِنْ جَمْعِهِمْ بِحَرْفِ الْإِضَافَةِ

وَمَتَى شِئْتُ أَنْ تَنَالَ مِنَ الْمَوْتِ
إِنِّي شَاعِرٌ أَتَيْتُ مِنَ الشَّا
وَأَظْهَرَ النَّصَبِ تَرْتِفَعُ وَتَجْرُ الـ

وأنشدني لنفسه يهجو يوسف بن عبد الكريم الشاعر الموصلِي الملقب بالكُوْزِينِ .

وكان مشوه الخلق ضعيف العينين : [من السريع]

فَرْدًا بِلَا صِيَّتٍ وَلَا صَوْتٍ
بَشْخَصِهِ عِنْدِي إِلَيَّ الْفَوْتِ
يَقْنَعُ مِنْهُ (١)

/ ١٨٨ ب / قَالُوا: نَرَى الْكُوْزِينَ دُونَ الْوَرَى
فَقُلْتُ: كُفُّوا لَيْتَهُ لَمْ يَزَلْ
أَقْلُ مَا فِي وَجْهِهِ أَنَّهُ

وأنشدني أيضاً فيه يهجوهُ: [من البسيط]

تَقَلَّبَ الدَّهْرُ تَقْلِيْبًا عَجِبْتُ لَهُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ فِي آلَتِهِ عَبْرُ
وَكَانَ عَهْدِي بِالْكُودَيْنِ مِنْ خَشَبٍ نَقِي وَجْهِ يَدُقُّ الثُّوبَ يَنْقُصِرُ
وَقَدْ غَدَا يُوسُفُ الْكُودَيْنِ هَامُتُهُ تَدُقُّ وَالْوَجْهُ مِنْهُ أَسْوَدُ حَجَرُ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ حين قرب الشيطان الشاعر الإربلي^(١)؛
ويحيى هذا كان ينعتُ بالنجم: [من البسيط]

قُلْ لِلْمَلِكِ الَّذِي مَا زَالَ مُعْتَصِمًا يُجِيبُ بِالرُّحْبِ وَالْإِكْرَامِ دَاعِيَهُ
حَاشَا مَقَرَّكَ وَالْأَمْلَاكَ تَحْرُسُهُ أَنْ تُبْعِدَ النَّجْمَ وَالشَّيْطَانَ تُدْنِيَهُ

١٨٨/ب/ وأنشدني لنفسه في حسين بن عمر بن العصار الشيرجي . وكان كبير

الأنف جداً: [من الكامل]

قُلْ لِلْحُسَيْنِ الشَّيْرَجِيِّ عَدَمَتُهُ قَاضِي الْفُسُوقِ وَحُجَّةِ الْمُتَمَرِّدِ
شَبَّهْتُ أَنْفَكَ كَرْدِكُوهِ بَعَيْنَهَا وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا جَلِي الْمَقْصَدِ
إِنَّ الْمَلَا حِدَ أَصْبَحُوا فِي قَلْعَةٍ وَرَأَيْتُ أَنْفَكَ قَلْعَةً فِي مُلْحَدِ

وأنشدني لنفسه يخاطب بدر الدين لؤلؤ: [من الطويل]

أَمْوَلَايَ بَدْرَ الدِّينِ نَعْمَاكَ لَمْ تَكُلْ إِلَى رَحْلَةٍ وَسَطِ الشِّتَاءِ وَلَا الصَّيْفِ
مَلَكَتْ وَمِلَأُ الْأَرْضَ جَذْبٌ وَرَوْعَةٌ فَاطْعَمْتُ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنْتُ مِنْ خَوْفِ

وأنشدني له فيه أيضاً يخاطبه: [من الخفيف]

سَرْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا أَطْلُبُ الْأَمَ سَنَ لَخَوْفِي وَالْأَمْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ
جِئْتُ مُسْتَنْصِرًا بِحِلْمِكَ مِنْ بَأْ سِكَ عَبْدٌ قَدْ فَرَّ مِنْكَ إِلَيْكَ

وأنشدني قوله: [من مجزوء الرجز]

١٨٩/أ/ يَأْمَنُ يَخَافُ الْعُسْرَ أَوْ يَخْشَى مِنَ الْمَكَارِ
أَقْصَدُ أَبَا الْفَتْحِ وَدُرُ تَقْزِي بَابَ دَارِهِ
فَالْأَمْنُ فِي يَمِينِهِ وَالْيُسْرُ فِي يَسَارِهِ

(١) وهو (يوسف بن نفيس بن أبي الفضل المرلي)، ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٩٤ .

وأنشدني لنفسه : [من البسيط]

وَصَائِمٌ جَاءَنِي وَالْكَأْسُ مُتْرَعَةٌ وَسَطَ النَّهَارِ تُحَاكِي جَذْوَةَ النَّارِ
فَقَالَ لَمَّا رَأَاهَا فِي قَمِيٍّ: غَرَبَتْ: اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا وَقْتُ إِفْطَارِي

وأنشدني لنفسه يهجو : [من الطويل]

وَقَالُوا: يَرَى مَسْعُودٌ شَخْصَكَ مُنْكَرًا فَأَوْضَحَ لَنَا مَا قَالَهُ بَيَّانًا
فَقُلْتُ: صَحِيحٌ ذَاكَ مَا زَالَ ظَهْرُهُ إِلَيَّ فَيَا اللَّهَ كَيْفَ يَرَانِي

[٩١٣]

يحيى بن أبي بكر بن مكِّي، أبو زكريا الكاتب التميمي.

من أهل بَجَانَةَ من بلاد المغرب^(١).

كان يكتب لبعض بني عبد المؤمن المستولين يومئذ على البلاد المغربية. وكان من الأفاضل في زمانه أدباً وكتابةً وقولاً للشعر، وحفظاً للأشعار؛ ذا حظٍّ جزيل من علم اللغة والعربية.

حدثني / ١٨٩ب / أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف القرطبي بحلب، قال: اتفق أن اجتمع جماعة من غلمان صاحب المغرب وخواصه يرمون بالشباب فيبينما هم في ذلك إذ أقبل الأمير حينئذ، ثم قصد القرطاس فأزاله من مكانه، ووضع يده عوضه، وقال للرملة: أيكم أصاب يدي دفعت إليه ألف دينار فأشار إليه بعض الحاضرين، وقال: أعيدك أيها الأمير من السوء، هذا لا يمكن وإنما نجعل موضع يد الأمير الهدف ويرمي فأزال يده من ذلك فابتدر أحد الغلمان ورمى فأصاب الهدف الذي وضع، فدفعت إليه الأمير ألف دينار، فقال أبو زكريا بديها في ذلك الوقت وكان حاضراً ذلك كله، وأنشدناه: [من البسيط]

يَا خَامِسَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَسَى شَكْوَاكَ تُقْبَضُ فِي الْيَدِي وَتُقَرَضُ
عَلِمْتَهَا الْبَسْطَ لِلْجَذْوَى لَسَائِلَهَا حَتَّى مِنَ السَّهْمِ يُضْمِي لَيْسَ يَنْقَبِضُ
لَمْ يَقْصِدِ السَّهْمُ إِلَّا كَيْ يُعْرِفَنَا هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي فِي كَفِّهِ الْغَرَضُ

(١) انظر: معجم البلدان / مادة (بجانة).

/ ١٩٠ / وأنشدني، قال: أنشدني أبو زكريا أيضاً من شعره: [من الطويل]

بَكَيْتُ فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ وَلَا أَجْدَى فَكَيْفَ وَقَدْ أَهْدَى لِي الْبَيْنُ مَا أَهْدَى
وَمَا فَرَّقَهُ الْأَحْبَابُ إِلَّا رَزِيَّةً تُبِيدُ الْفَتَى سُقْمًا وَتَقْتُلُهُ وَجَدًا
هُمْ أَوْرَثُوا قَلْبِي الصَّبَابَةَ وَالْجَوَى وَهُمْ أَوْرَثُوا عَيْنِي الْمَدَامَعَ وَالشُّهْدَا
أَيَا هَنْدُ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَيَوْمُهُ فَقَدْ طَالَ مَا شَقَّ الْقُلُوبَ وَمَا هَدَا
نَسِيرٌ وَمَا نَذَرِي لَفَرَقْتَنَا مَدَى سَوَى أَنَّ هَذَا الْبَيْنَ مَا يَبْتِنَا جَدًا
أَيَا هَنْدُ إِنِّي غَيْرُ رَاضٍ بِسَلْوَةٍ وَلَا نَافِضٍ وَدًّا وَلَا نَاقِضٍ عَهْدًا
وَلَوْ كَانَ لِي بُدٌّ عَنِ الْبُعْدِ وَالنَّوَى أَقَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهُمَا بُدًّا
أَيَا هَنْدُ لَوْ أَبْصَرْتُ شَوْقِي وَلَوْ عَتِي لَجَدَدْتُ لِي حُبًّا وَأَسْقَعْتُ لِي وَدًّا
أَعْنَدُكَ أَنِّي فِي بُحُورٍ مِنَ الْأَسَى غَرِيقٌ وَلَمْ أَبْلُغْ لِعَايَتِهَا حَدًّا
فَهَاتِيكَ حَالِي وَالْذِّيارُ قَرِيبَةً فَكَيْفَ إِذَا مَا أَرَدْتُ عَنْ دَارِكُمْ بُعْدًا

[٩١٤]

يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد - ويلقب
البطريق - ابن نصر بن حمدون بن ثابت بن / ١٩٠ ب / مالك بن
ليث بن عامر بن غنم بن فهر بن دلجة بن بشر بن معاوية بن
بدر بن ثعلبة بن حبال بن نصر بن سؤاة بن سعد بن مالك بن
ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسين، وأبو زكريا
الأسدي^(١).

(١) توفي سنة ٦٠٠ هـ.

ترجمته في: لسان الميزان ٢/٢٤٧. أمل الآمل ٢/٣٤٥. أعلام العرب للدجيلي ٢/٣٢. روضات
الجنات ٤/٢٣٢. الطليعة للسماوي ٢/٤٢٧ - ٤٢٩ رقم ٣٣٣. الكنى والألقاب ١/٢٢٦ - ٢٢٧. الثقات
العيون ٣٣٧. لؤلؤة البحرين ٢٨٣. مستدرک الوسائل ٢/٤٧٦. فقهاء الفيحاء ١/١٣٢. مصفى المقال ٥٠١.
معجم مؤلفي الشيعة ١١، ١٤٧، موسوعة أعلام الحلة ١/٢٥٧. منهج المقال ٥١٣. تأريخ الحلة ٢/١٣.
تذكرة المتبحرين ٧٣. الأعلام ط ٨/١٤١. تأسيس الشيعة ١٣. هدية العارفين ٢/٥٢٢. إيضاح المكنون
٢١/٢، ٢١/١. الذريعة ١/٨٣، ٣/٢٢٢، ٤/١٩٨، ٧/١٧٥، ٢١/٥.

كانت ولادته ومنشأه بالحلة المزيديّة.

كان عالماً فقيهاً قدوةً في مذهب الشيعة إماماً من أئمتهم، سمع الحديث الكثير، وسافر [إلى] البلدان، وسمع عليه أهلها عدّة كتب من تصنيفه وتصنيف غيره؛ ثم عاد إلى الحلة المزيديّة فكانت وفاته بها في سنة إحدى وستمئة.

وقد ذكره الشريف أبو عبد الحميد فخار بن معد بن أحمد بن محمد الحلي الموسوي في مشايخه، وقال: لقي أبو زكريا يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن البطريق الأسدي الحلي الفقيه العماد الطبري تلميذ أبي علي بن الطوسي، وقرأ عليه ولقي غيره.

وعلت سنّه حتى بلغ ثمانين سنّة، وصنّف كتباً حسنة، ومضى / ١١٩١ / إلى واسط، وأقام عشرين سنة، ثم عاد إلى الحلة فمكث بها قليلاً، ثم فارقها وقدم إلى الموصل، ثم إلى حلب واستوطنها مدة ثم رحل عنها. وكان حسن المذهب، طيب المعاشرة، هذا آخر كلامه.

صار إليّ من تصنيفه كتاب كبير لقبه بـ«العمدة من صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار علي بن أبي طالب وصيّ المختار وعلى الأئمة من ذريته الأطهار»، وصنف كتاباً آخر وسمه بـ«مستدرك المختار في مناقب المختار» استخرجه من المسانيد الصحاح المؤلفة. تكلم على الأحاديث ومعاني الآيات، وفصله فصولاً، وأضاف إلى ذلك مقطعات حسناً من شعره في مدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وسلامه -.

وكان شاعراً أديباً؛ وهو والد أبي الحسن علي بن يحيى بن الحسن بن البطريق الذي مرّ شعره متقدماً في مكانه^(١).

ومن شعره ما أنشدني الشريف النقيب الأجل العالم السيد الأطهر / ١١٩١ ب / جمال آل رسول الله ﷺ فخر الدين أبو الوفا عبيد الله بن علي بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني الموصلّي بها - رضي الله عنه - قال: قرىء على يحيى بن الحسن الأسدي

(١) ترجمته في الجزء التاسع برقم ٤٤١.

لنفسه ، وأنا أسمع في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - :

[من الطويل]

إِذَا حَرَّفُوا نَصًّا عَلَيْكَ مُحَبَّرًا فَهَلْ حَرَّفُوا مَا فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَإِنِّي سَأُبْدِي فِيكَ مَا نَبَذَ الْعَدَا بَظَهَرِ مِنَ الْوَحْيِ الْعَزِيزِ الْمُرْتَلِ
وَمَنْ مُسْنَدِ الْأَثَارِ عَنْ سَيِّدِ الْوَرَى نَبِيَّ الْهُدَى الْمُنْعَوْتَ بِالْمَتَزَمِّلِ
أَبَا حَسَنٍ إِنِّي إِلَيْكَ مُمَسِّكٌ وَبَعْدَ إِلَهِ الْعَرْشِ أَنْتَ مُعَوْلِي

وأنشدني أيضاً ، قال : أخبرنا لنفسه قراءة عليه يمدحه - صلوات الله عليه - :

[من الكامل]

وَإِذَا الْمَدَائِحُ زَيْنَتْ فَخَرَّ أَمْرِي كَانَ الْمَدِيحُ يَفْخَرُكَ الْمَمْدُوحَا
وَإِذَا الْمَنَاقِبُ زَيْنَتْ بِمَدَائِحٍ جَعَلْتَ مَنَاقِبَكَ الْمَدِيحَ مَدِيحَا
/ ١٩٢ / أَنْتَ الَّذِي رَدَّ إِلَهُ بِقَوْلِهِ شَاطِئِي الْفُرَاتِ عَلَى الْبَرِيَّةِ يُوحَى^(١)
أَنْتَ الَّذِي مُذَلِّمٌ نَزَلَ فِي فَضْلِهِ بِرِسَالَةِ الرُّوحِ الْمُؤَيَّدِ يُوحَى

وأنشدني عنه قوله يمدحه - كرم الله وجهه - : [من الوافر]

إِمَامٌ لِلْمُعَانِدِ وَالْوَلِيِّ وَمَوْلَى لِلْمُؤَافِقِ وَالْقَلْبِيِّ
لَهُ قَرَضُ الْوَلَاءِ بِيَوْمِ خُمٍ بِوَحْيِ اللَّهِ فِي النَّصِّ الْجَلِيِّ
فَحَسْبُكَ مِنْ مُفَاخَرَةٍ قَدِيمًا غَدَا نُورًا عَلَى الْعَرْشِ الْعَلِيِّ
وَحَسْبُكَ مِنْ مَنَاقِبِهِ حَدِيثًا وَصِيٌّ لِلنَّبِيِّ الْأَبْطَحِيِّ

وأنشدني عنه أيضاً فيه عليه السلام : [من البسيط]

جَاهَدْتُ فِيكَ بِقَوْلِي وَاللِّسَانُ لَهُ فَضَّلَ عَلَى السَّيْفِ وَالْعَسَاةِ الدُّبُلِ
لَوْلَا اللِّسَانُ لَمَا سَلَ الْحُسَامُ وَلَا الـ تَقَتَّ جُمُوعُ الْوَعَى فِي مَعْرَكِ حَفَلِ
فَالْقَوْلُ تَخْدُمُهُ الْأَسْيَافُ إِنْ سَعَدَتْ أَرْبَابُهَا وَبِهِمْ شَوْقٌ إِلَى الْعَمَلِ
بِهِ عَرَفْنَا مَقَادِيرَ السَّعِيدِ مِنَ الشَّـ قِي لَا بِالطَّبَاةِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

/ ١٩٢ ب / وأنشدني عنه فيه - كرم الله وجهه - : [من الكامل]

تَشْيِي مَقَاصِدُهُ الرَّدَى عَنْ قَصْدِهِ وَمَقَاصِدُ الرَّحْمَانِ غَايَةُ قَصْدِهِ
أَبْدًا رِضَا الْجَبَّارِ فِي سَطَوَاتِهِ وَكَذَارِضَا الْمُخْتَارِ فِي إِفْرَنْدِهِ
نَهَضَتْ بِهِ رُتَبُ الْكَمَالِ بِسُودَدٍ أَعْيَا عَلَى مَنْ رَامَ فِيهِ بَجْهَدِهِ

وأنشدني عنه أيضاً - صلوات الله عليه وسلامه -: [من الطويل]

مَنَاقِبُ فِي دِينٍ عَلَيْهَا طَلَاوَةٌ وَمِنْهَا لَجِيْدُ الْمَكْرُمَاتِ تَمَائِمُ
قَلَائِدُ فِي بَيْتِ الدِّيَانَةِ وَالْهُدَى وَمِنْهَا لَفْخَرُ الْمَكْرُمَاتِ مَكَارِمُ

[٩١٥]

يحيى بن الحسين بن أحمد بن مروان بن علي بن سلامة بن مروان،
أبو زكريا الطنزي - بالنون والزاي - .

من طنزة، بلدة فوق الجزيرة العُمرية من ديار بكر^(١).

وقد أوردت من شعر جد أبيه مروان بن علي في كتابي المتقدم الملقب بـ«تحفة
الكبراء المذيل على معجم الشعراء».

وكانت / ١٩٣ / ولادة أبي زكريا - هذا - في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بطنزة .
ونشأ بها وانحدر إلى الموصل ، وتفقه بها على الشيخ أبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر
الموصلي الفقيه الشافعي مدة بالمدرسة الأتابكية العتيقة . وحفظ كتاب التنبيه للإمام أبي
إسحاق الشيرازي على ظهر قلبه . وقرأ شيئاً من مسائل الخلاف والفرائض على الإمام أبي
المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي ، ولازمه مدة ، وتميز فيما قرأ عليه .

وانحدر إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يسمع درس الشيخ أبي علي يحيى بن
الربيع بن سليمان بن حرّاز العدوي الواسطي مدرّس النظامية . ثم انتقل بعد مديدة إلى دار
الذهب وسمع بها الدرس من أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن فضلان ، وكان المدرس
بها يومئذ . واستدلّ بين يديه ولازم الإشتغال وتمهّر في المسائل الخلافية وعلم المذهب
والفرائض .

(١) انظر : معجم البلدان/ مادة (طنزة).

ثم أصعد من بغداد في سنة خمس وستمائة، /١٩٣ب/ وأقام بالموصل مُدِيْدَةً سيرة، ثم توجه إلى بلدته فولّي القضاء والتدريس بها. فكان يقضي ويدرس ويفتي وبقي على ذلك مُدَّة. ثم صُرف عن القضاء بسبب تغير وزير كان بديار بكر؛ ثم أعيد عن قريب.

وكان قد فقهت نفسه، ورقّ طبعه، ينظم الشعر الرقيق. وكان اجتماعي بالقاضي أبي زكريا بحلب في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة بالمدرسة النورية المعروفة بالنفّرية.

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

مَنْ لِي بِطَيْفِكَ أَنْ يَكُونَ مُسَامِرِي
لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ
تَاللّٰهِ لَوْ يُرْجَى لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
هَلْ أَنْتَ يَا أَمَلِي عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَنْ دَعَا
إِنْ عَادَ شَمْلِي جَامِعًا بِأَحْبَتِي
/١٩٤أ/ قَضَيْتُ عُمْرِي لِلْأَجَبَةِ شَاكِرًا

يَا غَائِبًا لَمْ يَخُلْ مِنْهُ خَاطِرِي
أَيَّامُ كُنْتُ مُصَاحِبِي وَمُعَاشِرِي
أَوْ يُقْتَدَى لَقَدَيْتِهِ بِالنَّاطِرِ
أَنْتَيْتَنِي أَمْ هَلْ قَدَيْتُكَ ذَاكَرِي
بِفَنَائِهِ مِنْ مُحْرَمٍ وَمُجَاوِرِ
مَنْ بَعْدَ طَوْلِ قَطِيعَةٍ وَتَهَاجِرِ
وَعَفَرْتُ زَلَّاتِ الزَّمَانِ الْغَادِرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه إملاءً: [من الكامل]

إِنْ كَانَ صَدُّكَ عَنْ قَلْبِي وَمَلَالِ
فَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْتَنِي رَاضٍ بِمَا
قَسَمًا بِوَجْهِكَ إِنَّهُ لِي كُجْبَةٌ
لَوْلَاكَ لَمْ أَخْضَعْ لَوَاشٍ كَاشِحِ
لَكِنْ حُبِّكَ قَدْ تَمَلَّكَ مُهْجَتِي
يَا قَامَةَ الْعُضْنِ الرَّطِيبِ وَفَرَحَةَ الصِّدِّ
هَبْ أَنْتَنِي رَاضٍ بِصَدِّكَ وَالْقَلْبِي
مَوْلَايَ أَنْتَ جَعَلْتَنِي غَرَضًا لِمَا
وَتَرَكْتَنِي بَيْنَ الرَّجَالِ يَسُومُنِي

أَوْ كَانَ عَنْ تَيْهِ وَقَرُّطُ دَلَالِ
تَرْضَاهُ لِي يَا مُتَّهَى أَمَالِي
حَجَّتِي لَهَُا مُتَّابِعٌ مُتَوَالِي
كَلًّا وَلَا أَغْضَبْتُ فَيْكَ رَجَالِي
كَرْهًا فَلَا أُلْوِي إِلَى عُذَالِي
بِبِ الْكُثْبِ أَمَّا مَلَكْتُ مَطَالِي
لَمْ لَا تَجُودُ تَكْرُمًا بِوَصَالِي
أُرْمَى الْغَدَاةَ بِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ
مَنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لِحِمْلٍ نَعَالِي

[٩١٦]

يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن القائد
 أبي علي يعرف بمؤيد الحق بن صالح بن علي بن سعد بن
 كريم بن محمد بن الحسن بن الحارث بن علي / ١٩٤ ب / بن
 سعد بن مسعود بن يعقوب بن حارثة بن الأعصم بن غنم بن
 أسد بن سالم بن سعد بن الحارث بن صخر بن الحارث بن
 صخر بن الحارث بن الخرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن
 عامر بن حارثة بن أمراء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد
 - وهو عسان - بن الغوث بن مالك بن زيد بن گهلان بن سبأ بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو زكريا بن أبي طي الأزدي^(١).

من أهل حلب، هكذا كتب نسبه من خط يده.

كانت ولادته في آخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وتوفي بها يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين
 وستمائة.

وكان أبوه نجاراً - وكذلك جدّه - واشتغل أبو زكريا بصناعة النجارة مع أبيه برهة من
 الزمان ثم تركها وحفظ القرآن العزيز، وتعلّم الكتابة، ومال إلى طلب العلم والأدب، ولقي
 العلماء وجالس الفضلاء؛ فقرأ فقه الإمامية على أبي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب
 السروي المازندراني.

(١) ترجمته في: إعلام النبلاء / ٤ / ٣٧٨. لسان الميزان / ٦ / ٢٦٣ - ٢٦٤ رقم ٩٢٤. الإعلام لابن قاضي شهبة - خ.
 تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٢١ رقم ٦٣٤. الذريعة / ١ / ٣٣٦، ٢١٩ / ٣، ٢٨٧. معجم
 المؤلفين / ١٣ / ١٩٥، ١٩٦ وفيه: «يحيى بن حميدة». كشف الظنون / ٢٧، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٩٨، ٦٩٣،
 ٩٩٧، ١٠١٣، ١٠٩٩، ١١٠٤، ١١٥٥، ١٥٢٠، ١٦٢٢، ١٧٢٣. إيضاح المكنون / ٢ / ٥٦٨. هدية
 العارفين / ٢ / ٥٢٣. الفاطميون في مصر / هامش ٢٩٩. علم التأريخ عند المسلمين ٥٨٠. ملحق تأريخ الأدب
 العربي / ١ / ١٧٠. الأعلام / ٨ / ١٤٤، وفيه: «يحيى بن حميدة بن ظافر...».
 كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م،
 ص ١١ - ١٣.

/١٩٥/ وقرأ الخلاف على أبي الثناء محمود بن طارق الحلبي الفقيه الحنفي .

ثم انتقل إلى تعليم الصبيان وإقراء القرآن الكريم، فلزم ذلك إلى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ثم جذبهُ الوزير نظامُ الدين أبو المؤيد محمد بن الحسين الطغرائي وزير الدولة الظاهرية يومئذٍ إلى تعليم ولده، فلزمه إلى سنة ستمائة .

ثم ترفع عن ذلك، ولزم بيته وطلب مشايخ الأدب، فقرأ على أبي محمد القاسم بن القاسم الواسطي، وأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي^(١)، وأبي القاسم أحمد بن هبة الله بن الجبراني الحلبي^(٢)، وأبي الحرم مكّي بن ريان النحوي الماكسي وغيرهم .

ثم عمل الشعر وصار أحد شعراء دولة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وارتفعت منزلته عنده، وولاه نقابة الفتيان في سنة تسع وستمائة؛ فكان نقيب حضرته .

ثم أحبَّ التصنيف، وصنّف كتباً في التواريخ وتفسير القرآن الكريم والآداب والفقه /١٩٥ب/ والأصول كثيرة منها: التاريخ الكبير الذي وسمه بـ«معادن الذهب في تاريخ حلب» وهو كتاب جمع فيه أخبار الملوك والعلماء، واحتوى على أخبار الشام التي لا يوجد مجموعته في كتاب قديم ولا حديث، وابتدأ به من أول الفتوح إلى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وأوصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الإسلام والحديثة؛ وهو كتاب نافع ومفيد، وكتاب «التنبيه على محاسن التشبيه» أتى فيه بجميع فنونه وما قال العلماء فيه؛ وهو كتاب حسن في بابه، وكتاب في «محاسن الغلمان» يحتوي على ألف وتسعمائة غلام. جمع فيه من جيد الأشعار اللطيفة المعاني ما لا يوجد مجموعاً في كتاب، وقدمه للملك الظاهر فأعجب به وأثابه عليه أحسن ثواب، وكتاب «لمح البرهان في تفسير القرآن»، وكتاب «البيان في أسباب نزول القرآن»، وكتاب «غريب القرآن» /١٩٦أ/ مختصر، وكتاب «المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين»، وكتاب «خلاصة الخلاص في آداب الخواص»، وكتاب «حوادث الزمان» تاريخ على حروف المعجم، وكتاب «تاريخ العلماء»، وكتاب «أسماء الشعراء»، وكتاب «شفاء الغليل في

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٥٧ .

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٩١ .

ذم الصاحب والخليل»، وكتاب «الحاوي» ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهاءهم وشعراءهم وأئمتهم المصنفين في مذاهبهم، وهو مرتب على حروف الهجاء. وغير ذلك من التصانيف الكثيرة، وبلغت مُصنَّفاته أكثر من خمسين مُصنَّفًا.

وكان هذا الرجل يأخذ نفسه بالتصنيف والجمع والتأليف ويخلق أسماءً وألقاباً لكتب فيضعها ويضيفها إلى نفسه ويتحلها. ولم يكن إلا صاحب دعاوى ومخاريق وأباطيل ويُوهم أنه قد صنَّف وليس عنده ممَّا /١٩٦ب/ ذكر علم ما، ولا وجدت شيئاً من مُصنَّفاته إلا اليسير.

وحدثني الصاحبُ الإمامُ أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي بحلب - أيده الله تعالى - قال: كان ابن أبي طي كذاباً كثير الكذب والتحريف؛ وإن هذه الكتب التي عددها وادعاها، وعمل لها فهرستاً، تمويهاً وتوهمياً لم أقف منها على شيء؛ إلا أنه كان يقول قد صنف الكتاب الفلاني في العلم الفلاني فנסأله إحضاره فيحتج بحجة ما ويغالطنا ويوهم أنه قد فرغ. وكُل ما يتلفظ به ويدعيه زور وكذب فإذا صح له ذلك وصدق في تصنيفه فيكون قد أغار على بعض الكتب، فيقدم فيه أو يؤخر، أو يزيد قليلاً أو يختصر، ويخلق له اسماً غريباً ويتحلها. هكذا كانت شيمته. وكان قد جعل التصنيف بضاعته، ورأس ماله وصناعته.

ومن شعره ما أنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الصفار الشيباني الدمشقي بها في المحرم سنة /١٩٧أ/ أربعين وستمئة، قال: أنشدني يحيى بن أبي طي الحلبي بها، لنفسه ما كتبه إلى الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف في أول قصّة: [من الوافر]

وَعَيْتَ ذَوِي الْمَقَاقِرِ وَالْعِيَالِ	غِيَاثَ الدِّينِ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي
سَعِيدَ الْجَدِّ دَا جَاهٍ وَمَالٍ	وَمَنْ أَصْبَحَتْ مِنْ نِعْمَى يَدَيْهِ
حُقُوقُ مَنْ عَطَائِكَ وَالنَّوَالِ	أَتَى شَهْرُ الصِّيَامِ وَلِي عَلَيْهِ
بِمَاعَوَدَتْ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ	فَخُذْ يَا مُوجِدِي يَدَيَّ يَدَيْهِ
يَقْصُرُ مِنْكَ عَنْ نَظَرِ لِحَالِي	فَلَمْ أَذْكُرْكَ شَكَا فِي أَهْتَمَامِ
فَتَحْرِمُ مَنْطِقِي شَرَفَ السُّؤَالِ	وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ تُعْطِيَ أَبْتَدَاءَ

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو زكريا لنفسه: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٌ بَتُّ بِهَا وَحْدِي مُلَازِمًا بِالْهَمِّ وَالْوَجْدِ
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَارِجَائِهَا وَمَدْمَعِي يَجْرِي عَلَى الْخَدِّ
كَأَنَّهَا فِي طَوْلِهَا إِذْ بَدَتْ شَعْرَكَ يَا مَنْ زَادَ فِي الصَّدِّ

/ ١٩٧ / وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن أبي طي لنفسه: [من الكامل]

صَمَتَ الْأَرَاكُ وَلَمْ يَبْحَ سَرِيرَةٌ فَطَفَى يَبْرُدُ الثَّغَرُ مِنْهُ أَوَّارًا
وَالْعُودُ بِأَحْ بَسِيرِهِ لَوْ شَاتِهِ فَرَقًا فَأُورِدَهُ الْكَلَامُ النَّارًا

وأنشدني، قال: أنشدني يحيى بن حميد لنفسه: [من المتقارب]

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَنَا بِالْحَمَى وَطِيبَ زَمَانٍ لَنَا قَدْ مَضَى
وَنَدَمَانُنَا رَشَائِي اللَّحَازِ كَالْبَدْرِ وَجْهًا إِذَا مَا أَضَا
إِذَا عَبَّ فِي كَاسِهِ خَلَّتَهُ هِلَالُ الشُّعَاعِ إِذَا أَوْمَضَا

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من السريع]

يَا قَمَرًا زَادَ غَرَامِي بِهِ لَمَّا بَدَا لَيْلُ عَذَارِيهِ
قُلْتُ لِعُذَّالِي عَلَيْهِ أَنْظُرُوا وَرَدًا وَرِيحَانًا بِخَدْيَيْهِ
يَحْمِيهِمْ مَا أَنْ يَقْطَعَا صَارِمٌ قَدْ سَلَّهُ مِنْ غُنْجِ عَيْنَيْهِ

وأنشدني أبو العباس / ١٩٨ / أحمد بن يوسف بن عبد الله المؤدب الحلبي، قال:

أنشدني أبو زكريا بن أبي طي من شعره في الشفق: [من الكامل]

وَكَاثَمًا شَفَقُ السَّمَاءِ وَقَدْ بَدَا فِي صَحْنِ خَدِّ الشَّرْقِ لِلْمُتَمَلِّ
خَجَلٌ بَدَا فِي خَدِّ رُومِيٍّ وَقَدْ مَنَحَ الْعِتَابَ عَلَى لِسَانِ الْمُرْسَلِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في المعنى بديهة: [من البسيط]

كَأَنَّمَا الشَّفَقُ الشَّرْقِيَّ حِينَ بَدَا خَدٌّ لَا غَيْدَ رُومِيٍّ بِهِ خَجَلٌ
أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُوهَتْ ذَهَبًا أَوْ دُرَّةٌ مَسْهَأٌ فِي سَخِرَةٍ بَلَلٌ

وحدثني الصاحب الإمام أبو القاسم بن أبي جرادة، قال: استعار مني يحيى بن أبي

طي النجار كتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة» الذي / ١٩٨ / ألفته

وجمعه في نسب أجدادي وأخبارهم - رحمهم الله تعالى - فبقي عنده مَدَّة يطالعه ، ثم سيره بعد ذلك إلي فتصفحته فوجدت في أثائه ورقة بخط يده متضمنة هذه الأبيات من شعره .

قال الفقير إلى رحمة الله تعالى ، الراجي رحمة ربه ؛ المبارك بن أبي بكر بن حمدان بن أحمد الموصلي مؤلف هذا المجموع : أعارني هذا الكتاب المذكور الصاحب الإمام أبو القاسم - فسح الله في أجله - فكتبت منه فوائد خطيرة ، ونكتا جلية ، أودعتها كتابي الذي ذيلته على معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني ، ونقلت الأبيات المذكور من خط / ١٩٩ / ناظمها وقد صدرها بهذه الألفاظ المسجوعة وهي : «ولما وقفت على هذا النسب الأصيل ، والحسب النبيل ، والفخر الجليل ، قلت :

[من الكامل]

تُعْشِي وَمَنْ فَلَقَ الصَّبَاحَ بِهِاءُ
شَرَفًا تَخْرُ لِفَضْلِهِ الْعُظْمَاءُ
بِقَضَائِلَ تَعْنُو لَهَا الْجَوَازُاءُ
لَهُمْ بِهِ يَبْنِ الْأَنَامَ لَوَاءُ
عُمَرَ الْكَمَالِ عَلَى الْأَنَامِ عَالَاءُ
مَنْ طَعِمَ ذَلِكَ إِذَا تُمَطَّقَ مَاءُ
مَنْ قَوْمِهِ وَأَتَى بِهِ الْأَجْزَاءُ
لَا يَسْتَطِيعُ لِحَاقَهَا الْقَدَمَاءُ
وَلَهُ عَلَى جَنْسِ الْحَدِيدِ سَنَاءُ
وَلَهُ عَلَيْهِ الْفَخْرُ وَالْعَلِيَاءُ

نَسَبٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَزَالَةِ بِهِجَةٌ
لَا يَحْتَوِي إِلَّا عَلَى مُتَوَطَّد
أَوْ أَرُوعَ وَسَمَ الزَّمَانَ بَنَانُهُ
رَبُّ اللُّوَاءِ أَبُو جَرَادَةَ عَامِرُ
وَلَهُمْ بِخَاتَمِ مَجْدِهِمْ وَكَمَالِهِمْ
بَحْرُ الْعُلُومِ وَأَيْنَ عَذْبُ مَذَاقِ ذَا
قَسَمًا أَقْوَلُ وَإِنْ تَقَدَّمَ الْأَلَى
فَلَقَدْ سَمَاوَعَلًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
فَالسَّيْفُ مِنْ نَفْسِ الْحَدِيدِ نَجَارُهُ
/ ١٩٩ ب / وَمُحَمَّدٌ مِنْ نَسْلِ آدَمَ قَدْ أَتَى

ومن شعره أيضًا في أهل البيت - صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين - :

[من الكامل]

مَنْ كَلَّ أَيَّضَ ذِي قَوَامٍ نَاضِرٍ
رَوَيْتَ مَعَاظِفُهُ بَغِيْثَ بَاكِرٍ
مُسْكِيٍّ صُدُغَ صَارَمِيٍّ مَحَاجِرٍ
سَمَحَتْ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ تَهَاجِرٍ

أَنَا فِي إِسَارِ غَدَائِرٍ وَنَوَاطِرٍ
رِيَّانٍ مِنْ مَرْحِ الصَّبَا فَكَائِمًا
خَمْرِيَّ رَيْقُ لَوْلُؤِيَّ ضَوَاحِكِ
لِلَّتِنَا بِكَاطِمَةٍ وَقَدْ

فِي الْأَفْقِ لَوْلُؤُ ثَغْرِهِ فِي نَاطِرِي
مَنْ وَجْهَهُ بَادِ بُنُورِ بَاهِرِ
أَحْدَاقُ عَادِلٍ حُبِّهِ الْمُتَكَاشِرِ
خَفَقَانُ أَحْشَائِي عَلَيْهِ وَخَاطِرِي
رَقَّتْ كَشَوْفِي أَوْ كَدَمْعِي الْقَاطِرِ
نَشْرِي مَدِيحِ أَخِي النَّبِيِّ الطَّاهِرِ
مَنْ بَأْسَهُ قَلْبُ الْهَزْبِ الْحَادِرِ
وَوَظْهِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشَاوِرِ
وَالْعَامَرِي وَذِي الْخُمَارِ الْكَافِرِ
حَجَرَ الشَّدِيدِ عَنِ الْقَلْبِ الدَّائِرِ
وَرَمَى الْبِلَادَ بِكُلِّ مَوْجٍ زَاخِرِ
وَالصَّفِّ وَالشُّورَى وَسُورَةِ غَافِرِ
رُشْدًا وَلَا سَلَّ حَدِيثَ الطَّائِرِ
وَالْجَانِ أَيْسَنُ لِلْيَبِ الْخَابِرِ
عِنْدَ اللَّيْلِ وَكُلَّ طَبِّ خَابِرِ
وَبَكْفِهِ كَفَّ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ بَاطِنٍ أَوْ ظَاهِرِ
وَأَخْذِلْ لِحَاذِلِهِ الْأَذْلَ الصَّاغِرِ

وَقَدْ أَضْطَجَعْنَا وَالنُّجُومُ كَانَهَا
وَالْبَدْرُ سَارَ فِي السَّمَاءِ كَانَهُ
وَالشُّعْرَيَانِ كَانَمَا أَحْدَاقَهَا
وَسَهْمِلُ الْوَقَادِ يَخْفِقُ دَائِبًا
وَاللَّيْلُ يَرْفُلُ فِي فُضُولِ غَلَائِلِ
وَالرَّيْحُ تَنْشُرُ عَرْفَهَا بَنَسِيمَهَا
/ ٢٠٠ / خَيْرَ الْأَتَامِ وَمَنْ يَذُلُّ مَهَابَةً
صَنَوِ النَّبِيِّ وَصَهْرَهُ وَوَزِيرَهُ
وَمَيِّرَ عَتَبَةٍ وَالْوَلِيدَ وَشَيْبَةَ
وَمُزَعَزَعَ الْبَابِ الْمَشِيدَ وَقَالَعَ الدَّ
وَمُغِيضَ تَيَّارِ الْفُرَاتِ وَقَدْ طَمَا
سَلَّ عَنْهُ إِنْ أَنْكَرْتَ سُورَةَ مَرِيمَ
وَأَسْأَلُ حَدِيثَ الشَّمْسِ عَنْهُ فَإِنْ تَجَدَّدَ
وَالسَّطْلُ وَالْمُنْدِيلُ فِيهِ مُعْجَزُ
وَحَدِيثُ يَوْمِ الدَّوْحِ أَعْظَمُ مَوْقِعًا
إِذْ قَامَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مُحَمَّدٌ
مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَذَا مَوْلَى لَهُ
يَارَبِّ وَالِ مِنَ الْأَتَامِ وَلِيَّهِ

وخرج يوماً إلى بستان السلطان الملك الظاهر غياث / ٢٠٠ ب / الدين غازي بن يوسف بن أيوب بحلب - رحمه الله تعالى - وتَنَوَّقَ في إحسان عمارته، وغرس فيه أنوار الغروس . وكان بوابه رجلاً اسمه مالك ، فمنعه من دخوله ، فكتب على بابه :

[من السريع]

رَاحَ لِأَرْوَاحِ الْوَرَى مَالِكَا
صَيَّرَتْ فِيهَا خَازِنًا مَالِكَا

قُلْ لِّغِيَاثِ الدِّينِ يَا مَالِكَا
بَنَيْتَ فَرْدَوْسًا فَلِمَ أَنْتَ قَدْ

وقال في هذا البستان أيضاً : [من الكامل]

مِمَّ وَفِي مُعَاقَرَةِ السُّرُورِ

إِنْ كُنْتُ تَرَعَبُ فِي النَّعِيدِ

فَعَلَيْكَ بِالْقَصْرِ الْغَيَا ثِيَّ الْأَعْرُ الْمُسْتَيَّرِ
قَصْرٌ عَلاَ عَنَ أَنْ يُحْيَا طَ بِوَصْفِهِ فَكُرُ الْخَيَّرِ
فَاقَ الْخَوْرَنَقَ حُسْنُهُ وَعَلاَ عَلَى حُسْنِ السَّيِّدِ
/ ١٢٠١ / فَكَأَنَّهُ فِي الدُّوْحِ فِي الْـ مَيِّدَانِ فِي الرُّوْضِ الْبَهِيَّرِ
كَسَرَى لَدَى الْعِلْمَانِ فِي الْإِ يَوَانَ فِي سِيَّ بَسْطِ الْحَرِيرِ

وقال في قبة الورد في البستان المذكور، وهي قبة بين يديها سطران من شجر الجوز الطوال، وبين ذينك السطرين نهرٌ تحفّ به روضتان ومن غريبها نهر:

[من السريع]

كَقَبَّةِ الْوَرْدِ الَّتِي حُسْنُهَا تَقْصُرُ عَنْهُ (١)
كَأَنَّهَا وَالِدُوحٍ مِنْ حَوْلِهَا تَمِيسُ فِي أَغْصَانِهَا الْمُلْدِ
مُمْلَكٌ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ حَقَّتْ بِهِ طَائِفَةُ الْجُنْدِ
وَالنَّهْرُ مِنْ غَرِيبِهَا سَائِحًا كَصَارِمِ جَسَدٍ مِّنْ غَمْدِ

وقال يمدح الإمام علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وسلامه -:

[من مجزوء الرجز]

٢٠١/ب / حُبُّ عَلِيٍّ شَرَفٌ لَمَنْ بِهِ يَلْتَحِفُ
وَبُغْضُهُ النَّفَاقُ وَالـ كَفَرُ الَّذِي يُفْتَرُ
مَيِّزٌ مُحْيِيهِ فَهُمْ إِذَا الْأَنْسَامُ أَنْكَشَفُوا
جَوَاهِرُ خَالِصَةِ وَمَنْ سَوَاهُمْ خَزَفُ

وقال أيضاً: [من الخفيف]

يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَجَافٍ قَلِيلاً كَمْ تَسَامَى بِمَنْخَرٍ مَبْخُوسِ
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ كِرَامٍ وَلَكِنْ أَنْتَ فِيهِمْ قَوَائِمُ الطَّائِفِ

وله يصف فؤارة: [من الكامل]

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا... وَالْبَرْمُكَةُ الـ فَيَحَاءُ وَالشَّطُّ

وَالْمَاءُ فِيهَا مُرْسَالًا غَدَقًا جَعْدًا كَأَنَّ مُتُونَهُ الشَّمْطُ
وَكَأَنَّمَا الْقَوَارُ فِيهَا رَاقِصٌ قَدْ جَلَّلَتْهُ دَوَائِبُ شُمَطُ

وقوله فيها أيضاً: [من مجزوء الرمل]

وَتَرَى الْقَوَارَ يَحْكِي فِي عُلُوٍّ وَأَنْحَادَارِ
عَادَةً قَامَتْ تَنْتَى لَكَ مِنْ تَحْتِ الْإِزَارِ

[وقال في راجع الحلي الشاعر: [من مجزوء الخفيف]

قِيلَ لِي رَاجِحٌ هَجَا كَ فَلَمْ لَا تُجِيئُهُ
قُلْتُ مَنْ كُلُّهُ عِيُو بَ بِمَمَّا إِذَا أُعِيئُهُ^(١)

[٩١٧]

يحيى بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير بن خالد بن داغر، أبو
جعفر بن أبي البقاء بن القيسراني، الكاتب المنشيء^(٢).

من أهل حلب.

كانت ولادته بها في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

من بيت مشهور بالرياسة والجلالة والفضل والكتابة والأدب والشعر، فإن والده كان
كاتباً؛ له الخط الرائق المليح يضرب بجودته المثل. واستوزره الملك العادل نور الدين أبو
القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر سلطان الشام - رضي الله عنه - وارتفعت منزلته لديه،
وتقدم في دولته.

وأبو جعفر من أعيان أهل حلب في الفضل وأماثلهم وصدورهم المقدمين،
وأفاضلهم وصاحب ديوان الإنشاء، ورأس كتاب الرسائل، وكاتب السر والمُعتمد عليه

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) وهو حفيد محمد بن نصر بن صغير القيسراني الشاعر.

ترجمته في: تكملة إكمال الإكمال ٢٤٦. نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي ١١٤/٣ مط المارونية بحلب.
الوافي بالوفيات - خ - ٢٤/١٤٣. وفي شعر ابن القيسراني جمع وتحقيق د. عادل جابر صالح محمد، ترجمة
وافية لعقب القيسراني.

في دولة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف - خلد الله ملكه - وقبله لأبيه الملك العزيز، وجدّه الملك الظاهر / ٢٠٢ب / - رحمهما الله تعالى -

وذكر لي أنّه حفظ القرآن العزيز، وسمع شيئاً من الحديث على أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي. وأخذ طرفاً من علم العربية على الشيخ أبي الحرم مكي بن ريان الماكسي النحوي حين ورد حلب، وقال شعراً سهلاً كتابياً، وترسل ترسلًا فاق به على كتاب زمانه، واستظهر كثيراً من الأشعار؛ وله يد في حلّ التراجم والغوص على معانيها وكشف مشكلاتها، والبديهة الحاضرة في إنشاء الرسائل. وربما أنشأ الرسالة في المعنى المقترح عليه إرتجالاً من غير روية كأنه يحفظها من قبل وذلك لذكاؤه المفرط، وفطرته السليمة.

ثم إنّه من المتمولين وذوي اليسار وأرباب النعم وعنده تواضع وحسن محاضرة وفكاهة.

ومما أنشدني لنفسه من حفظه يهنيء السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي - رحمه الله تعالى - بالصوم: [من الكامل]

وَأَبْشُرْ بِأَنْفَسٍ مَغْنَمٍ مِنْ أَجْرِهِ	/ ٢٠٣ / إِسْعَدْ بِأَيَّامِ الصَّيَامِ وَشَهْرِهِ
لَمَّا اسْتَكَانَتْ بِالْخُضُوعِ لِقَدْرِهِ	يَا مَالِكًا شَرَفَتْ بِنَا أَقْدَارُنَا
مَنْ صُنِعَ الْطَافِ الْإِلَهِ وَبَرِّهِ	لَا زِلْتَ فِيهِ حَائِزًا مَارْمَتَهُ
وَتَرَى مُحَاقَ السَّيِّئَاتِ كَبْدَرِهِ	تُنْمَى لَكَ الْحَسَنَاتُ مِثْلَ هَلَالِهِ
قُدَارُ فِينَا مِثْلَ لَيْلَةِ قَدْرِهِ	وَيَزِيدُ قَدْرُكَ رَفْعَةً تَسْمُو عَلَى الْآ
ئُرْهَا عَلَى الْبُشْرَى بِمَوْسِمِ فِطْرِهِ	وَحَتَمَتَهُ بِسَعَادَةٍ تُوفِي بِشَا

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض من أهدى إليه تفاحاً، ثم أنفذ له بعد ذلك رُمّاناً: [من

الطويل]

وَأَهْدَى إِلَى عَافِيهِ أَنْفَسَ مَا يُهْدَى	أَيَا مَا جَدَّافًا قَاقِ الْوَرَى كُلَّهُمْ مَجْدًا
وَتَبَعْتُ لِي مَا يَبْعَثُ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَا	أَرَاكَ تَوَخَّانِي بِبِرِّكَ عَامِدًا
نُهُودًا فَوَاهَا لَوْ بَعَثْتَ لَهَا قَدَا	مَنْحَتَ خُدُودًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ بَعْدَهَا

إِذَا كُنْتُ لَا أَبْغِي لِرَقِي مَالِكَا سَوَاكَ وَلَا أَلُوكُ فِي طَاعَةِ جُهْدَا

وأنشدني لنفسه متغزلاً : [من السريع]

٢٠٣ب/ يَا قَمَرًا يَخْتَالُ فِي حُلَّةِ
سَيْفٍ بِالْحَاطِكِ لَمْ سَلَّهُ
وَوَرَدُ خَدَيْكَ عَلَيَّ فَتَتَّي
بَعَثْتَ خَطَاً مِنْكَ مَضْمُونُهُ
تَلْتَمُ لِي الْأَرْضَ وَإِنِّي إِلَى
قَبْلِ فَمِي تُحْيِي بِهِمَا مُهْجَتِي
فَالشَّوْقُ بِي نَحْوَكَ لَوْ بَعْضُهُ
وَوُضِلَهُ الْوَحْشَةُ بِي لَمْ تَدَعْ
فَهَلْ مَزَارُ مِنْكَ يَذْنُونَا
وَاهَا لِيَوْمٍ فِيهِ يُقْضَى لَنَا أَجْ

وَقَيْتَ مِنْ عَيْنِي بَعِينَ اللَّهِ
عَلَى دَمِ الْعُشَّاقِ مَنْ سَلَّهُ
أُظُنُّهُ ذَلِكَ قَدْ دَلَّهُ
يَضْرُمُ مِنْ نَارِ الْهَوَى شُعْلَهُ
لَثَمَ ثَنَائِيَاكَ لَذُو غُلَّةِ
فَالْأَرْضَ مَا تَصْنَعُ بِالْقُبْلَةِ
حَلَّ بِرِضْوَى لَمْ يُطْقِ حَمْلَهُ
بَيْنَ جُفُونِي وَالْكَرَى وَضَلَّهُ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى ضَلَّهُ
تَمَاعُ شَمَلٍ بِكَ وَاهَا لَهْ

وأنشدني لنفسه، وكان الملك العزيز قد توجه إلى قنسرين، فخرج أبو جعفر بعده قاصداً خدمته، وأمسى عليه المساء فبات بقرية للصاحب كمال الدين / ٢٠٤هـ / أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وتسمى القرية قذار، فكتب إليه منها : [من الوافر]

كَمَالِ الدِّينِ يَا مَنْ طَالَ فَرْعَا
وَيَا بَحْرًا خَضَمًا لَا يُفِيدُ
وَيَا مَوْلَى أَرَى انْفَاقَ عُمْرِي
مَسِيرِي عَنْ جَنَابِكَ عَاضُ أَنْسِي أَلْ
وَعَادِرَ لِي فُؤَادًا مُسْتَهَامًا
وَأَحْشَاءَ مُقْلَقَلَّةٍ وَعَيْنَا
وَلَمَّا لَمْ أَطِقْ لِلْبَيْنِ حَمَلًا
أَتَيْتُ (قَذَارًا) أَسْتَشْفِي ثَرَاهَا
وَأَحْذُ عَنْكُمْ أَثَرًا فِيْهِ هَدْيِ
فَزَادَتْ بِي بِذِكْرِكُمْ غَرَامَا

وَطَابَ أَرْوَمَةٌ وَزَكَانَجَارَا
عُقْبَاةً بِدُرَّةٍ إِلَّا كَبَارَا
إِذَا فَارَقْتُ خِدْمَتَهُ خَسَارَا
لِذِي أَدْنَاهُ قُرْبِكَ لِي نَفَارَا
وَقَلْبًا مِنْ فِرَاقِكَ مُسْتَطَارَا
مُؤَرَّرَقَةً وَأَنْفَاسًا حَرَارَا
وَأَضْرَمَ فِي حَشَايَ الشَّوْقُ نَارَا
وَأَسْتَجِدِّي سَكُونًا وَاضْطَبَّارَا
إِلَى قَلْبِي هُدُوءًا أَوْ قَرَارَا
وَضَلَّتْ بِهِمَا مَسَاءً وَابْتِكَارَا

(أَمُرُّ عَلَى الدِّيارِ دِيَارِ لَيْلَى / وَأُذْرِي أَدْمَعًا لَوِ أَنْبَتَهَا / وَرَحْتُ أَرَى بَنَفْسِي مِنْ تَنَائِي / أَسِيرُهُمْ وَأَكْمُ وَأُودُّ أَنْ لَا / فَلَا أَخْلَتْ مَعَ الْمَلِكِ اللَّيَالِي / وَلَا زَالَتِ عِرَاصُكَ أَهْلَاتِ / أَقْبَلُ ذَا الْجِسْدَارَ وَذَا الْجِدَارَا / جَنَيْتُ مِنَ الْقُلُوبِ بِهَا ثَمَارَا / مَزَارُكُمْ فُتُورًا وَأُنْكَسَارَا / يَفُكُّ الدَّهْرُ لِي مِنْهُ إِسَارَا / وَلَا أَفْصَلْتُ لَكَ الْإِيَّامُ دَارَا / تَفِيضُ نَدَى وَتَزْدَادُ أَخْضَرَارَا

وأنشدني لنفسه فيما يكتب على حلقة باب دار : [من الطويل]

عَلَوْتُ عَلَى بَابِ عَلَا النَّاسِ رَبُّهُ / نَوَالًا وَإِحْسَانًا فَحَسْبِي بِذَا فَخْرًا / أَنَا الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى مِنَ الْفَقْرِ لِلْوَرَى / فَمَنْ صَافَحْتَنِي كَفَّهُ أَمِنَ الْفَقْرَا

وأنشدني لنفسه ما يكتب على مفتاح : [من الطويل]

إِذَا عَدَّ أَهْلُ الْفَخْرِ عُرَّ مَنَاقِبِ / سَمَّا كُلُّ ذِي طَوْلٍ بِهَا مَنْ يُطَاوُلُهُ / فَخَرْتُ بِأَنْ صَافَحْتُ رَاحَةَ مَالِكٍ / مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ أَنَامِلُهُ

وأنشدني أيضاً : / ٢٠٥ / لنفسه حين فتح الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف

- رحمه الله تعالى - شيزر، وكان صاحبها يومئذ شهاب الدين أبو المحاسن يوسف بن مسعود، عاصياً عليه فلما وصل إليها لم يمكنه العصيان بها، ونزل وسلّمها طائعاً. وصارت

مضافة إلى مملكة الملك العزيز غياث الدين : [من البسيط]

يَا مَالِكًا خَافَتْ الْأَمْلاكُ سَطْوَتَهُ / وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الدَّانِي مَعَ الْقَاصِي / لَمَّا رَأَتْ شِيزَرَ رَايَاتِ نَصْرِكَ فِي / أَرْجَائِهَا أَلْقَتِ الْعَاصِي إِلَى الْعَاصِي

والعاصي هذا المشار إليه اسم نهر يمرّ تحت قلعة شيزر.

وأنشدني، قال : كتب إلي / ٢٠٥ ب / من ينتمي إلى قول الشعر بهذه الأبيات :

[من البسيط]

مَا كُلُّ مَنْ قَالَ مَدْحًا فِيكَ يَكْتَسِبُ / وَإِنْ أَقْلَ فَمُودُ بَعْضٍ مَا يَجِبُ / مَا فَوْقَ فَوْقَ مَدِيحِ الْمَادِحِينَ لَهُ / إِنْ لَمْ أَقْلَ فِيكَ قَالَ الْجُودُ وَالْحَسَبُ / مَوْلَايَ مَا الْبَدْرُ مُحْتَاجٌ إِلَيَّ مَدَحٍ / كَمَالُهُ فِي الْمَعَالِي شَاهِدٌ عَجَبُ / فُقْتُ الْكَرَامَ فَأَنْتَ الْغَيْثُ إِنْ بَخِلُوا / وَاللَّيْثُ إِنْ جَبَنُوا وَالسَّهْلُ إِنْ صَعِبُوا

وَلَقَبُوكَ شَهَابَ الدِّينِ فَاخْتَصَرُوا
سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثَ الْجُودِ يَسْنُدُهُ
وَعَاقَنِي عَنْكَ غَيْثٌ لَمْ يَزَلْ كُنْدِي
لَوْلَاهُ مَا قَاتَنِي حَجٌّ إِلَيْكَ وَلَا أَلْ
وَقَدْ بَعَثْتُ أَخِي عَمْدًا لَتُكْرِمَهُ
لَوْ أَنْصَفُوكَ لَقَالُوا السَّبْعَةُ الشُّهُبُ
ذَوُ الرِّجَاءِ وَلَا مِيزَانٌ وَلَا كَذِبُ
يَدِيكَ يَهْمِي عَلَى الدُّنْيَا وَيَنْسَكِبُ
تَرَامُ ذَيْلِكَ إِنْ نَابَتْنِي النَّوْبُ
فَكُنْ بِهِ مُحْسِنًا دَامَتْ بِكَ الرُّتْبُ

قال : فكتبت إليه الجواب عنها بهذه الأبيات على الوزن والقافية : [من البسيط]

٢٠٦/ يَا فَاضِلًا قَدْ سَقَانَا مِنْ بِلَاغَتِهِ
وَيَا أَخَا سَمَحِ الدَّهْرِ الْبَخِيلُ بِهِ
قَدْ هَاجَ نَظْمُكَ لِي شَوْقًا إِلَيْكَ عَدْتُ
وَشَبَّ فِي غَرَامَا زَادَنِي كَلْفًا
فَلَوْ عَرَفْنَا مَكَانَا أَنْتَ فِيهِ لَزُرُ
بَلْ لَوْ مَنَحْنَاكَ دُنْيَانَا وَمَا مَلَكَتْ
فَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَنْزِلَةً
مُدَامَةً قَبْنَا مِنْ شُرْبِهَا طَرَبُ
وَالْفَضْلُ مُذْكَانَ فِي أَبْنَائِهِ نَسَبُ
بَحْرًا أَنْفَاسِهِ الْأَحْشَاءُ تَلْتَهَبُ
وَدَدْتُ مِنْهُ بِأَنِّي جَارُكَ الْجَنْبُ
نَاهُ وَلَوْ سَحَبْتَ أَذْيَالَهَا السُّحُبُ
أَيْمَانُنَا لَفَعَلْنَا بَعْضَ مَا يَجِبُ
نَصِيبُ مَنْ رَامَ فِيهَا شَاوُكَ النَّصَبُ

وأملئ علي من إنشائه هذه الرسالة، ثم وصلها بشيء من شعره؛ وهي جواب أبيات كتبها إليه صاحب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحنفي العقيلي - أدام الله أيامه - :

«يقبل اليد الشريفة المولوية القاضوية الإمامية العالمية المالكية الكمالية أعلاها الله ورفعها / ٢٠٦ب/ وأولاهها بسطةً وأوسعها، ونظم فيها أشتات المكارم وجمعها . . . وينهي أولاً أشواقه التي هي في كل الأوقات متزيدة، وغرامه الذي قبله منه في نار موصدة، ووحشته لذلك المحيّا الذي محاسنه للقلوب مستعبدة، ورغبته إلى الله تعالى في أن يجعل أيام الاستسعاد بلاقائه غير مستعبدة.

وثانياً ورود الكتاب الكريم على يدي مملوك المولى عز الدين، فأقبل المملوك عليه، وتناوله من يديه، ووضع على عينيه، وهزّ طرباً عطفه، ووقف من فحواه على بديع المقال، ورأى السحر الحلال،

وعرف كيف تتفاوت قيم الرجال، واجتلى تلك العقيلة التي فتنت
العقول، وفعلت بالألباب ما لا تفعله الشمول، وحكمت لقائلها بالبلاغة
على كل من يقول شعراً، وبالتفصيل على كل من ينظم درّاً.

وجرّاه الحسد على التعرض للجواب، ولو ساعده التوفيق لكان إقراره
بالعجز عن مجاراتها هو / ٢٠٧/ عين الصواب، ثم أطمعه في التصيد من
بحرها علمه بأنّ المولى غريم كريم لا يناقش في الحساب. ويتقن أنّ الله
- سبحانه - يؤتي الحكمة من يشاء من عباده، وأنّه قد أجزل منها إرفاد
المولى فلا عار على أوليائه في استرفاده:

[من الطويل]

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبَنِي لَوْلَا مُحِبَّتُكَ الْفَقْرُ
فَطَلَّ الْمَمْلُوكُ مَنكراً، وقال مقصراً معتذراً - ثم اتبع ذلك بهذه الأبيات -:

[من الخفيف]

يَا نَسِيمَ الصَّبَا أَثَرْتَ غَرَامَا
يَا نَسِيمَ الصَّبَا لَقَدْ شَفَّ قَلْبِي
فَتَعَمَّدَ مَسَرَّتِي وَأَعْدَلِي
خَصَّنِي مِنْهُ مُنْعَمًا بِكِتَاب
فَقَضَضْتُ الْخَتَامَ عَنْهُ كَأَنِّي
وَلَثُمْتُ النَّفْسَ الَّذِي ضَمَخْتُ بِالْ
وَتَرَشَّفْتُهُ فَدَارَ عَلَى الْأَفْ
/ ٢٠٧ ب/ قَسَمًا مَا خَمِيلُهُ جَادَهَا الطَّد
لَا وَلَا رَوْضَةً بِحَزْنِ بَكْيِ الْمُرْ
لَا وَلَا السُّدْرَ نَظَّمْتُهُ عَقُودًا
عِنْدَ ذِي اللَّبِّ مِنْهُ أَحْسَنُ مَرَأَى
رَقَمْتُهُ كَفُّ الْكَمَالِ فَحَازَ الـ

فِي فُؤَادِي فَزِدْتَنِي أَسْقَامَا
مَنْكَ وَجَدَّ عَصِيَّتُ فِيهِ الْمَلَامَا
ذَكَرَ مَوْلَى أَهْدَى إِلَيَّ السَّلَامَا
حِينَ وَأَفَى قَبْلَتُهُ إِعْظَامَا
عَنْ رَحِيقٍ إِذَا فَضَضْتُ الْخَتَامَا
مُسْكٌ مِنْهُ الْأَنَامِلُ الْأَقْلَامَا (١)
هَامَ مِنْهُ مَا أَطْرَبَ الْأَفْهَامَا
لُ فَشَقَّتْ أَزْهَارُهَا الْأَكْمَامَا
نُ عَلَيْهَا فَاتَّبَعْتُهُ ابْتِسَامَا
فِي نُحُورِ أَيْدٍ تُجِيدُ النُّظَامَا
حِينَ يَدُولُهُ وَأَسْنَى مَرَامَا
حُسْنٍ فِي طَيْهِ كَمَالًا تَمَامَا

بَةَ جُودٍ إِلَّا وَجَاءَتْ أَمَامَا
 بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامَا
 نِعَامَ فِينَا وَاجْزَلِ الْأَقْسَامَا
 مَنْ يَدْ أَمَتَتِي الْإِعْدَامَا
 مَغْرَمَ مَا أَفَيْقُ مِنْهُ غَرَامَا
 حُبِّ قَدْ مَازَجَ الْحَشَا وَالْعِظَامَا
 غَادَرْتَنِي أَسْتَكْفِفُ الْإِنْعَامَا
 مِلْتُ سُكْرًا وَعَفْتُ [حَتَّى] الْمُدَامَا
 رُحْتُ مِنْهَا مُتِمًّا مُسْتَهَامَا
 وَالشُّوقَ مَا حَمَاكَ الْمَنَامَا
 نَ أَشْتِيَاقُ أَوْرَثَ بَقْلِي ضَرَامَا
 رَتَدَانِيكَ أَنْفَقُ الْآيَامَا
 رُكُضًا بَلْ فَوْقَ ظَهْرِ النُّعَامِي^(١)
 لَا يُسَامِي وَقَدْرُهُ لَنْ يُسَامَا
 لُ مِنْ الْمَجْدِ غَارِبًا وَسَنَامَا
 كَ وَنَجْمِي أَفْقِيكَ دُمْتُ وَدَامَا
 نَجْمَ بَدْرًا يُنَوِّرُ الْإِظْلَامَا
 لَهُمَا أَنْ سَيَعْلُوَانِ الْأَنَامَا
 وَهُمَا الْأَعْدَمَانِ لُؤْمًا وَدَامَا
 يَلُ بِالصُّبْحِ سُجَّدًا وَقِيَامَا
 وَأَكْفُ بِهَا بُيَارِي الْعَمَامَا
 وَى وَمَاتُوا مَا أَسْتَحْقَبُوا أَثَامَا^(٢)
 يَّا وَمَيِّتًا بِالصِّدْقِ فِيهَا ذِمَامَا

تِلْكَ كَفُّ مَا جَارَتْ الْغَيْثُ فِي حَلْدِ
 يَا كَمَالَ الدِّينِ الَّذِي عَصَمَ الدِّ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي قَسَمَ الْإِ
 يَا سَلِيلَ الْعَدِيمِ كَمْ لَكَ عِنْدِي
 أَنَا وَاللَّهُ فِي وَدَادِكَ مُغَرَّرِي
 لَوْ تَطَلَّعْتَ فِي ضَمِيرِي وَجَدْتَ الـ
 عَمَرْتَنِي نِعْمَاكَ حَتَّى لَقَدْ
 وَصَفْتَ لِي أَخْلَافَكَ الْغُرُ حَتَّى
 وَحَلْتَ لِي مِنْكَ الشَّمَائِلُ حَتَّى
 /٢٠٨/ إِنْ تَصَفَّ لِي مِنَ التَّأَلُّمِ وَالْوَحْشَةِ
 فَلَقَدْ هَاجَ لِي أَشْتِيَافُكَ نِيرًا
 وَعَزِيْزُ عَلَيَّ أَنِّي فِي غَيْدِ
 وَلَوْ أَسْطَعْتُ جُنُكُمُ لَا عَلَى الْأَنْعَامِ
 فَبَاقٍ مَا شِئْتَ فِي اعْتِلَاءِ مَدَاهِ
 تَسْتَرْقُ الْأَحْرَارَ جُودًا وَتَحْتِ
 وَتَمَلَّيْ مَسْرَّةَ بَسْلِيلِي
 لَتَرَى الْمَجْدَ مَا جَدَا وَأَخَاهُ الـ
 فَالْإِمَارَاتُ مِنْهُمْ مَا شَاهَدَاتُ
 وَهُمَا الْأَزْمِيَانِ أَضْلًا وَقِرْعًا
 وَهُمَا سِرُّ أَسْرَةٍ يَصْلُوْنَ الدِّ
 بِوُجُوهِهِ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ نُورًا
 وَغَنُّوا دَهْرَهُمْ شَعَارُهُمُ التَّقَى
 فَتَذَكَّرْ فِرَاسَتِي وَأَرْعَ لِي حَ

(١) النعماني: ربح الجنوب.

(٢) غنوا: أقاموا.

٢٠٨ ب/ / وَأَعْتَقَر لِي إِطَالَةَ عُدُّهَا أَذِّ
ي بِذِكْرَاكَ مَا أَمَلُ الْكَلَامَا
وَإِذَا أَبْتُ فَأَلْفَنِي لِتَرَى مَدِّ
ي حُسَامًا قَدْ قَلَدُوهُ حُسَامَا

وأنشدني لنفسه ، وكان قد عزم على الخروج إلى قريته المعروفة بالتيارة :

[من مجزوء الكامل]

عَرَّجَ بَنَا نَحْوَ التَّيَّارَةِ
نَقَضِي بِهَا حَقَّ الزِّيَّارَةِ
وَنَهَزُ أَغْصَانُ السُّرُورِ
رَبَّهَا وَتَسْتَجْلِي ثَمَّارَةِ
وَتَشُنُّ فِيهَا لِلْخَلَا
عَةِ غَارَةٌ فِي إِثْرِ غَارَةِ
فَقُلُوبُنَا شَوْقًا إِلَى
تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُسْتَطَارَةِ
قَدْ حَلَّ فِيهَا الْحُسْنُ فَهْ
ي لَسِيلِ وَادِيهِ قَرَارَةِ
وَمَتَّى حَلَلْتَ بِدَارَهَا
فَلَقَدْ حَلَلْتَ إِذْنُ بَدَارَةِ
تُلْهِيكُ أَفْمَارُ تَرَى
لَوْجُوهَهَا فِيهَا أَسْتَارَةِ
وَيَشُوقُ طَرْفَكَ مَنْظَرُ
فَأَقْتِ مَحَاسِنُهُ الْعِبَارَةِ
وَتَسُوفُ مَا يُنْسِيكَ طِيْدُ
بَبَ شَمِيمِ نَجْدِ وَالْعَرَارَةِ
/ ٢٠٩ / وَهَنَّاكَ وَرَدُّ الْعَيْشِ عَذُّ
بُ لَا تَلْمِ بِهِ مَرَارَةِ
وَالْجَوُّ أَرْكَنُ وَالْعَمَّا
مُ عَلَى الرَّبِّي مُرْخِ إِزَارَةِ
وَالرَّوْضُ أَحْوَى وَالزَّمَا
نُ عَلَى مَعَاطِفِهِ نَضَارَةِ
وَالطَّيْرُ فِي أَشْجَارِهَا
يُؤَدِّي لِمَسْمَعِكَ اشْتِجَارَةِ
فَاغْنِمِ بِهَا طِيبَ الْحَيَا
ةَ فَإِنَّمَا هِيَ مُسْتَعَارَةِ
وَأَدْرِ بِهَا رَاحًا تُرِيدُ
حُ مِنْ الِهُمُومِ الْمُسْتِثَارَةِ
وَصَفَّرَاءَ تَحْسِبُهَا عَلَى
كَفِّ الْمُدِيرِ لَهَا شَرَارَةِ
وَأَجْسُرْ عَلَى اللَّذَاتِ قَالِ
فَطَلْنُ اللَّيْبُ أَخُو الْجَسَارَةِ
فَالِدَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةِ
فِي أَهْلِهِ وَيَجُوزُ تَارَةِ

وأنشدني لنفسه يستدعي صديقًا له ينعت بالعفيف أبي طالب بن صفر :

[من الكامل]

قُلْ لِلْعَفِيفِ أَخِي النَّدَى
رَبِّ الْقَوَافِي وَالْمَدَائِخِ
يَا مَاجِدًا قَدْ أَفْحَمْتَ
أَوْصَافُهُ مِنَّا الْقَرَائِخِ

تَيَّارَ بَحْرٍ نَدَاهُ سَابِخْ
عَنْ نَظْمِهِ الْحَلِيِّ رَاجِحْ
فِي الْوُدَادِ إِلَيْهِ طَامِحْ
أَبْدَأْ عَلَى الْيَّامِ جَامِحْ
مَنْ مِنْ زَمَانِكَ وَالسَّوَانِحْ
مَمَّ بِكَ الْأَشْيَاءُ وَالْبَوَارِحْ
بِرْكَ بَصَافِي الدَّهْنِ طَافِحْ
تَاجُ تَكَلُّلِهِ الشَّرَائِحْ
وَمَشْمُهُ كَالْمُسْكِ فَائِحْ
عَتَهُ فَأَفْحَمَ كُلَّ مَادِحْ
عَايَنْتَهُمْ غُرَّ جَحَاجِحْ
سَانَ الصَّحَائِفِ وَالصَّفَائِحْ
سَتْ طُلُوعَ بَدْرٍ مِنْكَ لَائِحْ
نُسُ الْمُعْجَلِ كُلِّ نَازِحْ
لَمْ تَأْتِ أَلْسِنَةً قَوَادِحْ

٢٠٩ب/ يَا مَنْ لِسَانُ الْحَمْدِ فِي
يَا مَنْ يَخْفُ لِنَقْصِهِ
يَا ذَا الَّذِي مَازَالَ طَرَّ
وَعَنْ بَانَ قَلْبِي نَحْوَهُ
مَوْلَايَ لَقِيَّتْ الْيَّامَا
وَحَمَمَاكَ سَعْدُكَ أَنْ يُلْ
عُنْدِي وَحَقَّكَ صَحْنُ شَشْ
وَعَلَيْهِ مِنْ سِنْبُوشِجْ
حَسْبُ أَفْتَرَا حَكَ طَعْمُهُ
قَدْ أَحْكَمَ الطَّاهِي صَنَا
وَعَصَّابَةَ بُبْلٍ إِذَا
تَرَى مِنْهُمْ عَيْنَاكَ فُرَّ
يَتَرَقَّبُونَ إِذَا عَزَمَ
فَهْلُمْ تُذْنُ لَهُمْ مَنْ الْأ
٢١٠أ/ وَأَعْلَمَ بِأَنَّ لَهُمْ إِذَا

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى الْعَفِيفِ أَيْضًا: [من المجتث]

لِبِّ حَلِيفِ الْعَلَاءِ
وَوَاحِدِ الْفَضْلَاءِ
زُقْنَةَ الْجَزَاءِ
جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ
لَا صَحِيحَ عَقْدِ الْإِخَاءِ
سَلَبَتْ لَبِّي وَرَائِي
كَالْكَوَاعِبِ الْعَذْرَاءِ^(١)
كَالْعَادَةِ الْحَسَنَاءِ

قُلْ لِلْعَفِيفِ أَبِي طَا
يَا سَيِّدَ الْأَدَبَاءِ
يَا ذَا الْمَحَلِّ الَّذِي جَا
غَمَرْتَنِي بِأَيَّادِ
لَوْلَاكُمْ لَمْ أَرَحْ
مَلَكْتُ طَرْفِي وَسَمْعِي
بِكَوَاعِبِ عَذْرَاءِ
جَاءَتْ إِلَيَّ تَهَادَى

(١) في الأصل: «كالكاغب» وما أثبتناه ليستقيم الوزن.

رَفِي دُجَى الظَّلَمَاءِ
 أَيَّ لَهَا وَالرَّائِي
 فَعَالَى الْإِشْقَاءِ
 سِي لَذَّةِ الْإِغْفَاءِ
 عَذْبَاءَ عَلَى الْأَطْمَاءِ
 مَلَابَسِ السَّرَاءِ
 فَسِيحَ خَطْوِ الرَّجَاءِ
 لَبِ سَعِيدِ الْبَقَاءِ
 عَلَى كَرِيمِ الْوَفَاءِ
 خِلَاقِ مُرِّ الْإِبَاءِ
 وَأَنْتَ كَنْزُ أَفْتِنَائِي
 بِهِ عَلَى أَعْدَائِي
 مِنْ سَائِرِ الشُّعْرَاءِ
 مِنْهُ مَنَالُ السَّمَاءِ
 فَلَمْ أَطِقْ مِنْ عِيَائِي
 تَمْشِي عَلَى أَسْحِيَاءِ
 مَنْ أَعْيَنَ الرَّقَبَاءِ
 فَهَاعِلَى إِعْيَاءِ
 نَاعِ مَنْ خَرَقَاءِ
 يَا سَيِّدَ الْكُورِمَاءِ
 سُبِّ مَنْ الْغُلُوَاءِ

لَهَا سَنَى يُخْجِلُ الْبَدْ
 تُصْبِي السَّمِيعَ وَتُلْهِي الرِّ
 حَلَّتْ بَقْلِي مَحَلِ الشُّ
 / ٢١٠ ب / وَأَشْبَهَتْ بَيْنَ جَفَدَ
 وَأَرْشَقْتَنِي بِرُودَا
 فَرَحْتُ أَسْحَبُ مِنْهَا
 قَرِيرَ عَيْنٍ وَقَلْبِ
 بَقِيَّتَ لِي يَا أَبَاطَا
 فَصَرْتُ مِنْكَ وَدَادِي
 حُلُوَ الشَّمَائِلِ عَذْبِ الْأَ
 فَأَنْتَ كَهَفُ اعْتِمَادِي
 وَأَنْتَ سَيْفِي أَسْطَوُ
 وَمَنْ يُجَارِيكَ نَظْمًا
 كَمَنْ يَرُومُ بِجَهْلِ
 وَرُمْتُ نَظْمَ جَوَابِ
 وَقَدْ بَعَثْتُ عَوَانًا
 فِي خُفْيَةٍ وَأَسْتَتَارِ
 / ٢١١ / تَكَلَّفُ الْخَطْوُ مَنْ خَوَّ
 خَرَقَاءُ كَفَّ وَلَيْسَ الصَّ
 فَأُولَٰهَا مِنْكَ صَفْحًا
 وَلَا تَقْلُ لِي قَدْكَ أَتَ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إليه أيضاً جواب شعر ورد عليه منه : [من الخفيف]

وَبَبْتُ عَنْكَ أَسْهُمُ الْحَدَثَانِ
 وَحُ وَالرُّوحُ وَالْمُنَى وَالْأَمَانِي
 حَتَّى تَطُولَ عُمَرُ الزَّمَانِ
 فَيَدُ عُمَرِ الْقِرَانِ وَالْأَقْرَانِ

عَشْتُ مَنْ طَارِقِ الرَّدَى فِي أَمَانِ
 وَوَقَانَا إِلَهَ فَيْكَ فَأَنْتَ الرُّ
 وَتَوَلَّاكَ بِالسَّلَامَةِ وَالصَّحَا
 سَاحِبًا فَضْلَ بُرْدَةِ الْعَيْشِ تَسْتَدُ

كُرِّرَ وَالْقَدْرَ أَهْلَ الْأَوْطَانِ
 لَيْسَ وَالرُّكْبَتَيْنِ مَنْ ضَرَبَانَ
 ضُمِّرَ السَّابِحَاتِ فِي الْأَرْسَانِ
 دُمِّنَ الْقُلُوبِ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
 زَادَ فِيهِ حُسْنًا عَلَى حَسَّانِ
 سَجَبًا ذِيْلَهُ عَلَى سَجَبَانِ
 هَكَ مِنْ دُونِهِ لَطَى النِّيْرَانَ
 بِكَ شَيْءٌ مَا كَانَ فِي حُسْبَانِي
 بِي وَعَيْنِي تَجُودُ بِالْهَمَلَانَ
 جَزَ وَصْفِي فَكَلَّ عَنْهُ لِسَانِي
 فِي وَسْمَعِي مِنْهَا عَرُوسَ الْيَّانِ
 رُحْتُ مِنْهَا مُعَاقِرَ اللَّدْنَانَ
 يَ مِنْهَا نَزِيلُ رَوْضِ الْجَنَانِ
 يَ اسْتَقَى خَاطِرِي وَقَرَّ جَنَانِي
 هَا عَقُودُ الْجَمَّانِ وَالْعَقِيَّانِ
 بَبُكَاءِ السَّمَاءِ فِي نَيْسَانَ
 فِيهِ فُرْسَانُ ضُمِّرَ الضَّيْمَرَانِ^(١)
 دُونَ أَلْفَاظِهَا الْحَسَّانِ الْمَعَانِي
 رِي بَعْجَزِي إِلَيْكَ مَدُّ بَنَانِي
 لَكَ فِي الشَّعْرِ ظَاهِرُ الْبُرْهَانِ
 أَرَايْنِ الثَّمَادُ وَالرَّافِدَانَ
 حَ فَرَّقَهُ خَوَاطِرُ الْإِخْوَانِ
 عَرَّابَاهُ مَثَلُ مَايَا بَنَانِي
 غَرَّ حَتَّى حَيْبُ وَأَبْنَاهَانِي

رَافِلًا فِي مَلَابِسِ الْفَخْرِ عَالِي الدِّ
 أَمِنَ الظُّهْرَ وَالْمَفَاصِلَ وَالرَّجْ
 تَضَرَّعَ الْأَسَدَ قُوَّةً وَتَفُوتُ الـ
 /٢١١ب/ يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي حَلَّ بِالْوُ
 وَأَدِيبًا أَطَاعَهُ الشَّعْرُ حَتَّى
 وَحَوَى الْعِلْمَ وَالْفَصَاحَةَ حَتَّى
 عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى وَجْ
 وَتَمَادَى أَيَّامُ بُعْدِكَ فِي فُرْ
 وَأَصْطَبَارِي يَشُحُّ عَنْكَ بِهِ قَلْدُ
 وَسُرُورِي بِذِي الْيَتِيْمَةِ قَدْ أَعْدُ
 أَسْفَرْتُ حِينَ أَقْبَلْتُ فَاجْتَلَى طَرْ
 وَتَرَشَّفْتُهَا فَبِتُّ كَأَنِّي
 وَتَصَفَّحْتُهَا فَخَيَّلَ لِي أَنَّ
 ثُمَّ كَرَّرْتُهَا وَرَدَّدْتُهَا حَتَّى
 قَسَمًا مَا سَوَّالِفُ الْغَيْدِ زَانَتْ
 وَتُغُورُ الرِّيَاضُ ضَا حَكَّةً غَدَ
 زَارَهَا وَأَفْدُ الصَّبَا فَبَارَتْ
 /٢١٢أ/ عِنْدَ أَهْلِ التَّمْيِيزِ فِي الْحُسْنِ إِلَّا
 لَا تَسْمُنِي الْجَوَابُ عَنْهَا فَأَفْرَا
 يَا أَخِي يَا عَفِيفُ إِنْ أَعْتَرَأَفِي
 لَا تَقْسُ خَاطِرِي بِخَاطِرِكَ الْخَطِّ
 أَنْتَ رُوحُ الْإِخْوَانِ فِي خَفَةِ الرُّو
 وَأَعْفَنِي مِنْ جَوَابِ شَعْرِكَ إِنْ الشِّ
 وَأَبْقَ فِينَا وَدُونَ قَدْرِكَ أَهْلُ الشِّ

وكتب إليه أيضاً عن شعر له إليه وأنشدنيه : [من الخفيف]

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي جَلَّ فِي نَظْ
يَا صَدِيقًا مَا حَادَ مُذْ كَانَ عَنْ حُسْنِ
قَدْ لَعَمْرِي أَصْفَيْتَنِي الْوُدَّ وَأَسْتَدَّ
وَتَمَلَّكَتْ رَقَّ حَمْدِي وَمَنْ شَأْ
بُسُلَافٍ أَدَارَ فَكْرُكَ فِي سَمِّ
/ ٢١٢ ب / فَعَلَّتْ بِي وَأَنْتَ أَدْرَى بِمَا تَفْ
وَتَوَهَّمْتَهَا أَتَنْتَنِي مِنَ الْجَدِّ
وَتَلَقَّيْتُ كُلَّ مَا أَعْرَبْتَ عَنْ
وَتَخَلَّصْتُ حِينَ وَاجَهْنِي رَأْ
وَتَعَوَّضْتُ عَنْهُ عَوَّضَكَ اللَّهُ
لَا سَقَى اللَّهُ صَوْبَهُ لَا وَلَا
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَطْرَقْتَنِي بَا
يَا عَفِيفَ الدِّينِ أَغْنَيْتَنِي مِنْ أُمُورِ
إِنْ حَظَّنِي لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِإِسْعَاءِ
لِي دَيْنٌ عَلَى الزَّمَانِ وَقَدْ آ
وَبَقَلْبِي مِنْهُ وَمَا بُحْتُ بِالشُّكِّ
لَا أَرُومُ الْقَصَاصَ مِنْهُ وَمَنْ يَدِّ
وَرَجَائِي فِي السَّلَامِ مِنْهُ فَإِنْ سَا
يَا أَخِي يَا عَفِيفُ حَسْبِي بِذِكْرِ أَسَدِّ
/ ٢١٣ أ / عَدَّ عَنْ هَذِهِ الْمُنَى إِنَّمَا الْعَيْدُ
لَا عَدَمًا مِنْكَ أَهْتَمَّ أَمَّا بِهِ جُدَّ

سَمِ الْمَعَانِي وَتَنَزَّاهَا عَنْ مِثَالِ
مِنْ فَعَالٍ أَوْ عَنْ صَوَابٍ مُقَالِ
شَطَكْتَ بِالنُّصْحِ خَاطِرِي مَنْ عَقَالَ
نَ الْمَعَالِي أَقْتَنَاءَ حَمْدِ الْمَوَالِي
عَيَّ مِنْهَا مَا دَبَّ فِي أَوْصَالِي
عَلَّهِ بِالْعُقُولِ بَنَتْ الدَّوَالِي
نَّةَ لِمَا طَافَتْ بِسُكْرِ حَلَالِ
هُ بِحُسْنِ الْقَبُولِ وَالْإِقْبَالِ
يُكَ بِالنُّصْحِ مَنْ خَبِثَ السَّعَالِي
هُ بِخَيْرِ الْأَعْوَاضِ وَالْأَبْدَالِ
جَادَ ثَرَى ضَمِّ شَبْهَهُ بِيَلَالِ
بِ الْأَمَانِي بِزُخْرُفِ الْأَقْوَالِ
أَنَا مَنْ هَمَّهَا خَلِي الْبَالِ
دَوْقَالِي بِوَعْدِهِ مَا وَقَى لِي
نَسْنِي مِنْهُ بِالْمَطَالِ الْمُطَالِ
وَوَى جَرَّاحَ بَطِيئَتِهِ الْإِنْدِمَالِ
غِي قَصَاصًا مِنْ جَائِرِ مُغْتَالِ
لَمَنِّي فَهُوَ مُتَهَيَّئٌ أَمَّالِي
مَكَ رَاحًا وَرَاحَةً مِنْ كَلَالِ
كَشْ مِنْامٍ وَنَحْنُ طَيْفُ خِيَالِ
تَ الْمَعَالِي مِنَ الطَّرِيقِ الْعَالِي

وكتب إليه أيضاً جواب أبيات : [من السريع]

مَالِدُرُ زَانَتْهُ يَدَا نَاطِمٍ وَالرَّوْضُ غَبَّ الْعَارِضِ السَّاكِبِ

حَسْبُكَ عَلَى سَالَفَتِي كَاعِبٍ^(١)
 زَخَرَفَهَا فَكَّرْتُ أَبِي طَالِبَ
 سَدَّتْ سَجَايَاهُ فَمِ الْعَائِبِ
 وَفَضْلِهِ الرَّاهِنِ وَالرَّاتِبِ
 لَا لَأَلَمْ تَدُنْ مَنْ ثَاقِبِ
 يُعْشِي ضِيَاءَ الْكَوْكَبِ الثَّاقِبِ
 مِنْ بَرَحَهَا فِي نَصَبِ نَاصِبِ
 فِيهَا بَنَانُ النَّازِمِ الْكَاتِبِ
 إِلَى مَجَانِيهِهَا يَدُ الرَّاعِبِ
 عَزَّ جَنَابِي وَاحْتَمَى جَانِبِي
 فَضْلُ الَّذِي أَعْيَا عَلَى الْخَاطِبِ
 يُعْجِزُ حَضَرَ الْحَافِظِ الْحَاسِبِ
 لَا أَفُكُ الْقَوْلَ وَلَا كَذَابِ
 نَاءَ عَلَى الْمُصْحُوبِ وَالصَّاحِبِ
 نَفْسِي مِنْ عَوْدِ الصَّبَا الذَّاهِبِ
 لَذَّةُ بَرْدِ الْمَاءِ لِلشَّارِبِ
 جَنَابُكَ الْمُتَمَرِّعِ بِالْعَائِبِ
 فِي الدَّهْرِ مِنْ حَادِثِهِ اللَّازِبِ
 يَرْخُصُ سَعَرَ الدَّهَبِ الدَّائِبِ
 عَلَى مَعَالِيكَ مِنَ الْوَاجِبِ

[وَالْوَشْيُ مِنْ كَفِّ صَنَاعٍ وَلَا الـ
 أَبْهَى لِعَيْنِ الْيَوْمِ مِنْ رَوْضَةٍ
 الْأَلْمَعِي الْأَرِيحِي الَّذِي
 مَتَى تَعْرِفْنَا بِمَعْرُوفِهِ
 أَوْدَعَهَا مِنْ دُرِّ الْقَاطِظِ
 يُضِيءُ فِيهَا لِلْمَعَانِي سَنَى
 وَوَصَفَ أَشْوَاقَ عَدَا قَلْبُهُ
 فَاعْتَلَقَتْ طَرْفِي بِمَا أَبْدَعَتْ
 وَرُخْتُ مَسْرُورًا بِهَا بِاسْطَا
 إِنَّهُ عَفِيفَ الدِّينِ يَا مَنْ بِهِ
 /٢١٣ب/ يَا ذَا النُّهَى وَالْفُضْلِ وَالْمَنْطِقِ
 كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدِ شُكْرُهَا
 أَقْسَمُ بِاللَّهِ يَمِينٌ أَمْرِي
 أَنْكَ مِنْ قَلْبِي فِي مَنْزِلٍ
 وَأَنْكَ الْيَوْمَ لِأَشْهَى إِلَيَّ
 وَأَنْ مَرَاكَ لَهُ فِي الْحَشَا
 وَلَوْ أَطَعْتُ الشُّوقَ مَا كُنْتُ عَنْ
 بَقِيتَ مَا شِئْتَ الْبَقَا آمِنًا
 تُهْدِي لِي الشَّعْرَ الَّذِي نَظَّمَهُ
 وَتَجَنَّتِي شُكْرِي الَّذِي نَثَرَهُ

وكتب إليه أيضاً جواب أبيات: [من السريع]

مَلَكْتُ رَقَّ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
 سَافِرَةً فِي طَالِعِ السَّعْدِ
 وَنَشَرَهَا أَذْكَى مِنَ النَّدِّ

قُلْ لِعَفِيفِ الدِّينِ ذِي الْمَجْدِ
 بَيَّنْتُ فَكَّرَ لَكَ أَرْسَلْتَهَا
 /٢١٤أ/ الْقَاطِظُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ

فِيهِ شَفَاءُ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
لَا عَمَدَ الْمُهْدِي وَالْمُهْدِي
صَدْرِي بَلْ أَوْطَأْتُهَا خَدِّي
قَدْ كُنْتُ أَسْتَعْدِي وَلَا مُعْدِي
قَبْلُ نَجِيَّ الْهَمِّ وَالْوَجْدِ
مَنْ أَوْحَدَ فِي عَصْرِهِ فَرْدِ
فِي هَزْلِكَ الْمُلهِي وَفِي الْجَدِّ
فِي حَالَتِي قُرْبِكَ وَالْبُعْدِ
نَظَّمْ عَلَى الْحَلِيِّ وَالْكُنْدِي
أَفْحَمْتُ مَنْ قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي
فَضْلُكَ لَا يَخْصُرُ بِالْعَدِّ
يُصَحِّفُ اللَّفْظَ عَلَى عَمَدِ
وَأَتَمَّا الْفَخْرُ لَهُ مُعْدِي
تَصْحِيفُهُ فِي غَايَةِ الْبَرْدِ
فِي عَيْشِكَ الْمُقْتَبِلِ الرَّغْدِ

جَلَوْتُهَا مِنْكَ بِخَطِّ عَدَا
فَقُمْتُ لَمَّا أَقْبَلْتَ قَائِلًا
أَمَهْرْتَهَا وَدِّي وَأَفْرَشْتُهَا
أَعَدْتُ عَلَى الْهَمِّ وَيَا طَالِمَا
وَسَرَّتْ الْقَلْبَ وَقَدْ كَانَ مَنْ
تَقْدِيكَ نَفْسِي يَا أَبَا طَالِبِ
أَخْلَافُكَ السَّهْلَةُ مَعْسُوكَةٌ
وَذَكَرُكَ الْمَوْضُوعُ بِالْحَمْدِ
دَانَ لَكَ الشُّعْرُ فَأَزْرَيْتَ بَالِدَ
لَا غَرَوْ أَنْ أَفْحَمْتَنِي مِثْلَ مَا
كَيْفَ أَجَارِيكَ إِلَى غَايَةِ
وَذَلِكَ الشَّخْصُ الثَّقِيلُ الَّذِي
لَمْ يَكُنِ التَّصْحِيفُ مِنْ شَأْنِهِ
/ ٢١٤ ب / حَرَّزَهُ بِالْهَجْرِ فَقَدْ صَارَ مَنْ
وَأَبَقَ عَلَى الدَّهْرِ تَنَالُ الْمُنَى

وله إليه أيضاً : [من الخفيف]

دَلَّهُ فِي الزَّمَانِ جَاهًا وَرَفَعَهُ
خَانِنًا الْأَصْدِقَاءَ دِينَ وَشَرَعَهُ
رُلْنَا خُلُقَهُ وَكَرَّمْ طَبْعَهُ
نَ بِهِ أَصْلَهُ الْكَرِيمَ وَقَرَعَهُ
سَعُ فِي بَذْلِهِ وَيَبْدُلُ وَسَعَهُ
بِكَ تَقْلِيدَنَا أَيَادِيكَ خُدَعَهُ
خَ الَّذِي أَخْتَرْتَهُ وَتُحْكَمُ صُنْعَهُ
سَدَّكَ إِذْ تَنْقُضِي الصَّلَاةَ بِسُرْعِهِ
لَوْ عَلَى الْعَيْنِ مِنْهُ أَيْمَنَ طَلَعَهُ
سَامَ فِي عِزَّةٍ عَلَيْهَا وَمَنْعَهُ

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي نَلْتُ بِالْوُ
يَا صَدِيقًا لَهُ الْوَفَاءُ إِذَا مَا
حَبَّذَا أَنْتَ مَنْ فَتَى سَهْلَ الدَّهْرِ
وَحَبَانَا مِنْهُ بُذِي أَدَبَ زَا
وَأَمْتَنَانِ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ يُو
قَدْ عَلِمْنَا حَقِيقَةً أَنْ مَطْلُو
وَأَمَرْنَا مَسْكَاً تُجِيدُنَا طِبْ
وَتَهِيأُ فَاَنْقُلْ خُطَاكَ إِلَى عَجْ
لَا حَيِّي مِنْكَ الْمُحْيَا الَّذِي أَجْ
يَا أَبَا طَالِبٍ بَقِيتَ عَلَى الْآيِ

كَيْفَ لِي أَطْعُ الزَّمَانَ وَيَا مِي بِمَرَاكَ كُلَّهَا يَوْمَ جُمُعَةٍ

/٢١٥/ والعفيف هذا؛ هو أبو طالب عقيل بن الحسن بن عقيل بن صقر من أهل حلب، ومن بيت مشهور بها. شيخ حسن طويل أسمر اللون، ممتع الحديث، فكه المجلس، جيد في نفسه؛ عنده مروءة وفيه تودد وحسن عشرة لمعارفه وأصدقائه.

وكان يخدم متصرفاً للأمرء، ثم لزم بيته وواظب على الصلوات الخمس وبتراعى إلى نظم القريض، ويتعاطى فيه. يفعل ذلك مزاحاً وانبساطاً، وله ذوق قريب في قوله وتركيب أوزانه، ويقول شعراً ملحوناً، نازل الطبقة. وكانت بينه وبين أبي جعفر بن القيسراني الكاتب المنشئ صحبة قديمة، وصداقة وكيدة.

وكان أبو طالب يحب أن يكتب أبا جعفر بالأشعار ويجاوبه عنها ويداعبه ويماجنه بالأبيات النادرة؛ ولولا سقوط شعر أبي طالب واللحن الذي يقع في أثنائه، لأوردت منه شيئاً في كتابي هذا. وكنت أفردت له ترجمة بذاتها لما كان بيني وبينه من أكيد الصُّحبة والإجتماع؛ لكنَّه من الهذيان /٢١٥ب/ الذي لا يعتدُّ به. ومن أصلح ماله من النظم قوله من أبيات كثيرة، كتبها إلى بعض أصدقائه: [من مجزوء الخفيف]

نَقَذَ الْوَرَقَ وَالْوَرَقَ فُقُؤَادِي قَدْ أَحْتَرَقَ
لَا تَدْعُنِي أَصِيحُ مَثُ لَ السَّمَامِينَ طَقَ طَلَقَ

وكانت وفاة العفيف أبي طالب ليلة الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة خمسين وستمائة، ودفن بمقبرة الجُبيل شمالي القلعة بكرة يوم الجمعة بتربة مخصوصة بهم - رحمه الله تعالى - وسألته عن ولادته، فقال: ولدت في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بحلب.

ثم نرجع إلى ذكر أبي جعفر بن القيسراني. كتب المخلص عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم التميمي إلى أبي جعفر عند عوده من دمشق، واتفق وصوله إلى حلب قبل عيد الأضحى بيومين وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة.

/٢١٦/ دُمَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا لَ لَدِي أَمَلٍ يَرْجُونَ دَاكَ وَعَشْ لَلْفُضْلِ وَالْجُودِ
مَا عُدَّ غَيْرُكَ إِلَّا وَأَغْتَدَّتْ غُرّاً أَعْمَالُكَ الْبَيْضُ فِي أَعْمَالِهِ السُّودِ
أَنَا أُرْتَحَالُكَ عَنَّا كُلِّ صَالِحَةٍ نَادَى إِلَيْهَا وَأَقْصَى كُلِّ مَقْصُودِ

لَا رَدَّ دُونَكَ بَابَ الْخَيْرِ فَاتِحُهُ فَبَابِ فَضْلِكَ عَنَّا غَيْرُ مَرْدُودٍ

فأجابه أبو جعفر بهذه الأبيات، وأنشدنيها: [من البسيط]

أَمْخْلَصَ الدِّينَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَنَّا مَا شُكْرُ أَيْسَرَهَا عِنْدِي بِمَحْمُودٍ
وَقَفَّتْ مِنْكَ عَلَيَّ نَظْمٌ أَدَارَ عَلَيَّ سَمَعِي وَفَهْمِي وَلَبِّي بَنَتْ عُنُقُودَ
لَقَدْ مَلَكَتْ بِهِ وَدِّي الصَّرِيحَ كَمَا أَوْرَدْتَنِي مِنْهُ بُخْرًا غَيْرَ مَوْرُودِ
مَنْحَتَنِي مِنْهُ جُودًا مَا بَرَحْتُ إِلَى نَقَائِسَ مَنْ حُلَاهُ ثَانِيًا جِيْدِي
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَا جَنَّتْ يَدُ الْبُعْدِ مِنْ هَمِّي وَتَسْهِدِي
وَمَا نَثَرْتُ بِذَلِكَ الْفُطْرَ مِنْ دُرَرٍ عَلَيْكَ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَشْهُودِ
وَيَوْمَ أَلْقَى مُحِيَّاكَ الْجَمِيلَ فِدَاً لَكَ الْيَوْمَ عَيْدِي مِنْ حُسْنٍ بِهِ عَيْدِي
بَقِيَتْ لِلْفَضْلِ تَبْدِيهِ فَأَنْتَ لَهُ كَالْمَاءِ لِلْعُودِ بَلْ كَالنَّارِ لِلْعُودِ

٢١٦ب/ ومن نثره ما كتبه إلى صاحب الإمام كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي المدرّس العقيلي - أسعده الله تعالى - من حمص عند توجهه إلى خدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي - خلّد الله ملكه - بدمشق، يعرفه بوصوله :

«أدام الله نعمة المجلس السامي كمال الدين؛ ولا زالت محامدُه مفروضة، ومنته على الأعناق مفضوضة، والمسار على سمعه وقلبه الشريف معروضة، ولا برحت يده بالإحسان مبسوفة، وأيدي الحوادث عنه مقبوضة.

الخادمُ ينهي أنه سطر خدمته هذه من حمص وقد هبَّ عليه من ٢١٧أ/ حمص، وقدم عليه من نسيم الاقتراب من الخدمة الشريفة السلطانية ما أحيا روحه، وبعث إليه مسيحه، وهاج أشواقه وتباريحه، واستشعرت نفسه سعادة المثل بأبوابها، واستنار جبينه لما سيأشبهه من ترابها، وتيقن إعتاب دهره عند تقبيله عتباتها، ونجاح سعيه بوقوفه في مواقف عبيدها وأهل موالاتها، والله تعالى يقرب له ميقات الاستسعاد بمراي عظمته التي تخشع لها البصار، وتخضع لها

الأقدار، ويستسرّ لأنوارها الأقدار، وتتوجه الوجوه والنيات إلى كعبة كرمها، ويحلّ الرجاء بأرجاء حرمها، وترفع الأقدار باستتال ديم فضلها ونعمها ليسترجع الخادمُ بصره وبصيرته منها بنظره. ويشم لما حلّ حاله من سماء إحسانها ديمة ثرة، ويرد بحر كرمها الذي يقذف بدر الأنعام من معدنها، وتأخذها بقوة، ويأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها، ويُشافه /٢١٧ب/ بالدعاء والإحماذ والإبتها إلى الله تعالى، في أن يمدّ ظل سلطانها على العباد والبلاد، وأن يمتع الخليقة منه بتلك الخليقة، التي هي اللذ في الأجفان وأندى على الأكباد، ويفوز بخدمة المجلس التي هي مادة أنسه، وراحة نفسه، ومشاهدة محياه الذي له فيه مغنى عن قمره وشمسه، فإن مسألة الشوق إليه قد أخذت بحققها، ومسافة الصبر قد الجأت إلى أضيّق طرقها. وكيف به لو أعارته الريح إليه جناحاً؟ أو لو زويت له الأرض فغدا على خدمته غدواً ورواحاً؟ وسطرها ونفسه تعد، ويده من خجلة التأخر ترتعد. وما يدري بماذا يعتذر؟ ولا ماذا ينظر ويتنظر؟ غير أن نفسه واثقة بأن سلطاننا - خلد الله ملكه - شريف الطبع، كريم الصنع. لا يناقش في هذا الحساب، ولا ينافس إلا في الثواب، وأنه إلى عادته في الأحسان أجنح، وأن سجاياه الشريفة أندى وأسجع، ملكه الله الليالي خولاً، والأيام /٢١٨أ/ عبيداً، وجدد له في كل يوم جديد ملكاً جديداً، وأغنى الدنيا به عمن سواه كما أغنى جار البحر عن [أن] يتيمم صعيداً، وحرس نعمة المولى وأبقاها، وضاعف له أسباب السعادة وأولاها، وعطف على مكارم أخلاقه أعنة الثناء وثناها - إن شاء الله تعالى -.

ومما كتبه إلى السلطان الملك الناصر صلاح الدين عز نصره - بعد عوده من مصر، وقد بلغه عتب منه بانقطاع كتبه عنه :

«أعز الله سلطان المقر الأشرف الأعظم السلطاني، وزاده اقتداراً وأعقبه ظفراً وانتصاراً، وأوسع الدنيا بملكه افتخاراً، وحاطه بمعقباته

الحافظات ليلاً ونهاراً، وجعل ملائكة نصره أعواناً وأنصاراً؛ ولا زالت الأقدار لأوامره مُعليةً، ولبعيد آماله مدنية، ولعقائل الممالك إليه مهدية / ٢١٨ب/ وإلى طاعته في كل مراد ومرام متهدية.

يقبل الأرض خدمةً يعتقدها فرضاً، ويلثم العتبات الشريفة التي لا يرضى لها السماء أرضاً، ويُنهى مواصلته أيام مولانا بأدعيته التي يرفع وظائفها، ويهدي لطائفها، وينشر صحائفها. واستفتاحه أبواب القبول بدوامه على ذلك واستمراره، ومحافظته عليه في آناء ليله وأوقت نهاره. والله تعالى يسمع ويجيب إنَّه سميع مجيب، ويقسم بالله العظيم، وبحق نعمة مولانا وحقوقها عظيمة، وكفارتها معلومة أنَّ المملوك لم يؤخر مطالعته عن الأبواب العالية إلاَّ استصغاراً لنفسه عن هذا المقام، وإجلالاً لعظمة مولانا التي تتضاءل عندها همم الملوك العظام، وتهيباً أن يخاطب مقرَّ الشرف والعظمة بما يستمده من خاطر بهمَّ بعده عن الخدمة الشريفة مكدود، وقلب مُحلاً عن موارد السعادات مطرود، وجنان تبهره أنوار تلك العظمة / ٢١٩أ/ التي إذا حاول من قلمه سجوداً، بآيات حمدتها قال جبينه أنا أحقُّ منه بالسجود.

وعنده والله من الأسف لبعده عن الخدمة الشريفة ما لا تتخيَّله الأوهام، ومن الأشواق إلى تعفير وجهه في مواطئ أقدام مولانا ما لا يطيق حصره، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾^(١). ولئن أخره سوء حظّه، فإنَّه يتذمَّم إلى حلم مولانا وعفوه بأنَّ له في ولاء الدولة القاهرة القدم المتقدمة، وعقيدة الإخلاص المستحكمة، وأنَّه مملوكها الذي ما نشأ إلاَّ في خدمة أبوابها، ولا شام غيث إحسان إلاَّ من سحابها، ولا فغر إلاَّ بالدُّعاء لأيامها فمًا، ولا أجرى في غير طاعتها قلمًا ولا قدمًا، ولا عرف غير سلطان الله تعالى وسلطانها

منعمًا . وآماله فيها تتأكد على الدوام ، وتزداد اشتداداً على تراخي الأيام ، والله سبحانه يبلغه من خدمة مولانا ما يبلغه رضاهُ ، ويفوز منه بسعادتي دنياه وأخراه . ويخلد ملك مولانا ، وينصر الإسلام / ٢١٩ ب / بنصره ، ويجعل أمره في عباده وبلاده من أمره ، ويسعد ممالك الآفاق بما يطلعه عليها من أنوار بدره وأضواء فجره ، يغني آمال الأولياء بما يقذفه لقربها من در بحر ، ويبعثه إلى بعيدها من متراكم قطره ، والأمر أعلى - إن شاء الله تعالى - .

ومما كتبه إلى السلطان الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين أبي الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - وكان قد أبل من مرض ناله - على لسان السلطان الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر غازي بن يوسف بن أيوب - رحمه الله تعالى :

«يُقْبَلُ الأرض بالمقرّ الأشرف العالي المولويّ السلطاني الملكيّ
الأشرفي الشاهي - أعز الله سلطانه - ولا زالت / ٢٢٠ هـ / الأيام مستبشرة
بعافيته ، والآمال صحيحة بصحته ، والإسلام مستعليًا بسلامته ، والأقدار
مُتقاصرة عن نيل قدرته ، والدنيا مقبلة أبدأ بإقبال دولته ، والتوفيق موافقًا
لمماليكه وأهل مودّته ، والحياة مُعرضة عن أعدائه وأضداده وحسدته .
خدمة يجددها على اختلاف أحواله وطاعة يتسرّب منها ملابس إقباله ،
وينهي مواصلته أيام مولانا بالدعاء واختياله في حلّ السّراء ، واختصاصه
بعظيم الهناء ، لما من الله تعالى على الإسلام والمسلمين والدنيا والدين
من عافية مولانا التي أشرقت الآفاق بأنوارها ، وسلامته التي عمّت القلوب
بمسارها ، وصحته التي صحت بها زواجر الإقبال ، واعتدال مزاجه
الشريف الذي قضى للزمان وأهله بالاعتدال . ووقاية الله - تعالى - ذلك
الجسم الذي هو من لطفه مجسم وإشراق شمس تلك العزة أضاء بها شقّ
الأمل الذي / ٢٢٠ ب / كان أظلم فالحمد لله على هذه النعمة التي لا
يدانيها الشكر ، ولا يقوم بحقّها الوصف والنشر ، وهو المحمود على لطفه

بالمملوك حيث لم يبلغه خبر التياث مزاج مولانا إلا مقترناً بخبر عافيته،
وكمال سلامته؛ ولولا ذلك لتفرقت أفلاذ كبده، وبرز قلبه إشفاقاً من
جلده وجلده.

وهو من كل الكرم أكرم، والله تعالى يصرف عن مولانا كل مكروه،
وينور بعافيته القلوب والوجوه، ويضفي على جسمه شعار الصحة،
ويخصه بالعمر الجديد المديد الفسحة، ويهدي إلى خاطره الشريف ما
يُهديه إلى خواطر أوليائه وممالكه من الفرحة؛ ويبلغ المملوك عنه أطيب
الأنباء، ويجعل الناس كلهم فداءً له من الأولياء والأعداء. والمملوك
يسأل تشريفه بأوامر مولانا ونواهي، والله تعالى يوزعه شكر أياديه، ويوفقه
لحيازة مرضيه - إن شاء الله تعالى -.

[٩١٨]

يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن
محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن
ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن حصن بن
رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب الأنصاري - صاحب
رسول الله ﷺ - بن عمرو بن المنهال بن عدي بن طريف بن
عبيد بن شراد بن زيد بن حامد بن ليث بن الأشجع بن
الحارث بن ربيعة بن ضبة بن جندب بن مرثد بن جشم بن
مالك بن عوف بن سالم بن مرة بن مالك بن أوس بن حارثة بن
ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن
مازن بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي^(٢).

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ٢/ ٤٦٣ رقم ١٦٦٦. طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٦٥. بغية الوعاة
٢/ ٣٣٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٤٢٧.

نقل هذا النسب من خط تلميذ أبيه، أبي الدرّ ياقوت بن عبد الله الكاتب الموصلي - رحمه الله تعالى - .

أبو زكريا بن أبي محمد النحوي، المعروف والدّه بـابن الدّهان .

كانت ولادة يحيى قبل موت أبيه بثمانية أيام . وكان موت أبيه / ٢٢١ب / يوم الأحد غرة شوال من سنة تسع وستين وخمسائة بالموصل .

وكانت وفاة يحيى هذا - بها أيضاً - في سنة ست عشرة وستمائة، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الزاهد - رضي الله عنه - ونشأ وأحبّ الاشتغال بالعلم والأدب، ولم يزل راغباً في تحصيله، مائلاً إليه بكلّيته .

وصحب الشيخ أبا الحرم مكي بن ريان الماكسي النحوي تلميذ والده، ولازمه إلى أن توفي ودرس عليه أدباً كثيراً، واستفاد منه علماً وافراً؛ نحواً وعربية وعروضاً ولغةً وأشعاراً قديمة حتى تميّز وبرع في ذلك على أقرانه . وكان يرجع إلى جودة فهم وذكاء وفطنة، ونسخ بخطه كتباً كثيرة أدبية .

وكان فقيراً مملقاً متعذراً عليه القوت، واتصل بالأتابك عزّ الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود - رحمه الله تعالى - صاحب الموصل، وولاه التقدّم في الرباط، وصار شيخ الشيوخ به، وحظي لديه، واكتسب منه رزقاً صالحاً، وولاه بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله خازناً / ١٢٢٢هـ / لخزانة كتب المدرسة التي أنشأها على دجلة، وألّف عدّة مجاميع باسم الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن أرسلان شاه تحتوي على أشعار رقيقة غزلية . وكان الناس يتجنبونه لما يرون فيه من التكبر والتهيه وشراسة الخلق والفظاظة . وكان مع ذلك شاعراً سهلاً الشعر، صاحب قصائد ومقطعات .

أنشدني صاحب الوزير أبو البركات المستوفي الإربلي بها - رضي الله عنه - قال :
أنشدني أبو زكريا يحيى بن سعيد بن المبارك النحوي ابن الدّهان لنفسه :

[من الطويل]

وَقَائِلَةٌ أَصْبَحَتْ فِي النَّاسِ شَاعِرًا وَقَدْ كَانَ يَخْلُو مِنْ أَمَائِكَ الْعَصْرُ

فَقُلْتُ لَهَا: يَا وَيْبَ غَيْرِكَ قَرَضِي مَلَامَكَ عَنِّي وَأَهْدِي أَنِّي لَكَ الْعُدْرُ
فَإِنِّي وَإِنْ أَلْقَيْتُ حَظِّي هَابِطًا لَذُوْهُمَّةً مِنْ دُونَ قَمَّتْهَا النَّسْرُ
وَمَا جُلُّ فَخْرِي بِالْقَرِيضِ وَنَظْمِهِ وَلَسْتُ أَمْرًا أَسْرَى فَضَائِلَهُ الشَّعْرُ
وَلَكِنِّي شَرَفْتُ نَثْرِي بِمَذْحِهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمُوَ بِهِ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
وَمَنْ كَانَ بِكُرِّ اللَّفْضَائِلِ وَاجِدًا لَهَا فَخَلِيقٌ أَنْ تُزَفَّ لَهُ الْبُكْرُ

٢٢٢/ب/ وأنشدني أبو محمد عبد الله بن عمر بن سعدي البوازيجي الأنصاري

بحلب - رحمه الله تعالى - قال: أنشدني أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان النحوي
بالموصل لنفسه ما كتبه إلى الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ بن عبد الله - صاحب
الموصل - على ظهر كتاب أهده له يتقاضى رسماً كان له عليه في النيروز:

[من المنسرح]

مَوْلَايَ يَا سَيِّدَ الْمُلُوكِ وَيَا أَعْظَمَ مَنْ يَلْتَجِيهِ مَلْهُوْفُ
قَدْ حَانَ رَسْمِي فَأَنْعِمْ عَلَيَّ بِهِ فَأَنْتَ بَيْنَ الْأَنْامِ مَوْصُوفُ

ونقلت من خطه شعره من صدر كتاب ألفه وسمّاه «نتائج القرائح» خدم به الملك

القاهر عز الدين أبا الفتح / ٢٢٣/ مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل

- رحمه الله تعالى -: [من السريع]

هَلْ لَغَرَامِي فِيكَ مِنْ آخِرِ أَمْ هَلْ عَلَيَّ صَدِّكَ مِنْ نَاصِرِ
يَا رَبَّةَ الْخَذَرِ الَّتِي أَصْبَحَتْ فَاتَكَّةً بِالْأَسَدِ الْخَادِرِ
رَقِي لِمَنْ أَصْبَحَ فِي وَجْدِهِ بِحُبِّكُمْ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ
وَلَا تَنْظُرِي بِي سُلُوءًا فَمَا يَخْطُرُ لِي غَيْرُكَ فِي خَاطِرِ
وَاهَا لِقَلْبِي كَيْفَ مَلَكْتُهُ غَرِيرَةً سَاحِرَةَ النَّاطِرِ
خَلِيَّةً عَنِ فَرْطِ وَجْدِي بِهَا رَاقِدَةً عَنِ جَفْنِي السَّاهِرِ
تُبْدِي إِذَا مَا طَلَعَتْ طُلُوعُهُ غَرَاءَ مِثْلِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ
فَإِنْ تَشَيْتُ فَلَهَا قَامَةٌ تَقْدُ قَدْ الْعُصْنِ النَّاضِرِ
وَأَفَرَةَ الْحُسْنِ فَوَاحِشَرَتَا وَاحِرَبَا مِنْ حُسْنِهَا الْوَافِرِ
قَاسِيَةً لَمْ تَرِثْ لِي مِنْ جَوَى قَلْبِي وَلَا مِنْ دَمْعِي الْهَامِرِ
كَأَنَّمَا مَا عَلِمْتَ أَنَّني عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَلِكِ الْقَاهِرِ

مُعْطِي الْهُيْ حَلْفُ النَّدَى الْغَامِرِ
الزَّارِي عَلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ
مَدِيحِ نَحْوِيكُمْ الشَّاعِرِ
لَهُ سَوَى عَفْوِكَ مِنْ غَافِرِ
تَكْفُ كَفِّ الزَّمَنِ الْجَائِرِ
وَلَا لِمَا تَكْسِرُ مِنْ جَابِرِ

الْقَيْلِ عَزَّ الدِّينَ رَبَّ الْعَلَا
/ ٢٢٣ب/ نَجَلِ الْمُلُوكِ الصِّدْقِ الْوَرَى
مَوْلَايَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ اسْتَمِعْ
فَإِنْ يَكُنْ قَصْرُ فِيهِ فَمَا
لَا زِلْتَ فِي عَزِّ مَنِيعِ الدُّرَى
لَيْسَ لِمَا تَجْبِرُ مِنْ كَاسِرِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

مَا دُمْتُ حَيًّا وَدَامَ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ
لَهُ عَذَارٌ عَلَى الْخَدَيْنِ كَالْأَسِ
وَجْهٌ مَلِيحٌ فَمَا بِالْحُبِّ مِنْ بَاسِ

قَالُوا: إِلَى مَا تُعَانِي الْحُبَّ قُلْتُ لَهُمْ
كَمْ ثُبْتُ يَوْمًا فَيُثْنِي هَمَّتِي رَشًا
إِذَا كَلِفْتُ بِمَنْ تَهْوَى وَكَانَ لَهُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الشَّمْلُ وَاجْتَمَعَا
أَوْهَتْ قُوَى الْوَصْلِ حَتَّى صَارَ مُنْقَطَعَا
عُمْرِي فَلَيْتَ التَّدَانِي لَمْ يَكُنْ وَقَعَا

مَا زِلْتُ أَطْلُبُ مِنْ دَهْرِي لِقَاءَكُمْ
مَدَّتْ إِلَيْنَا صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ يَدَا
فَمَا اكْتَسَبْتُ سِوَى حُزْنٍ أَكَابِدُهُ

وقوله يتذكر / ٢٢٤/ الصَّبَا وَيَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ: [من الوافر]

حَكَى أَلْفَ ابْنِ مُقْلَةَ فِي الْكِتَابِ
أَفْتَشُ فِي التُّرَابِ عَلَى شَبَابِي

وَعَهْدِي بِالصَّبَا زَمَنًا وَقَدِّي
فَصِرْتُ الْآنَ مُنْحِنِيًا كَأَنِّي

[٩١٩]

يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن
الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء
التكريتي^(١).

من ربيعة، قاضي ماردين.

(١) ترجمته في: التكملة للمنزدي ١٠٩/٣ رقم ١٩٥٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ - ٦٢٠) رقم ٧٠٩. معجم الشافعية لابن عبد الهادي/ الورقة ١٠٦.

حدثني صاحب الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، وقال: قاضي ماردين؛ هو يحيى بن سعيد، قدم حلب رسولاً في سنة ثلاث عشرة وستمائة، ونزل بخانكاه الملك الصالح نور الدين إسماعيل بن محمود بن زنكي بن آقسنقر - رضي الله عنه - واجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث، وأملى عليّ من شعره.

وهو شيخ حسن مُتَّفَقٌ فقيه من بيت الحديث والفقه، سمع ببغداد شهدة بنت الأبري، والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل / ٢٢٤ب / بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني، وبالموصل خطيبها أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن الطوسي، وصدر الدين شيخ الشيوخ أبا القاسم عبد الرحيم بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري. وكان مدرساً بمدرسة أبي الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلية.

سألته عن ولادته، فقال: في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة بتكرت، وبلغتنا وفاته ونحن بحلب في ذي الحجة من سنة عشرين وستمائة، وتوفي بماردين؛ وقيل توفي ليلة الإثنين تاسع ذي القعدة.

وقد ذكره الإمام أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الفقيه الشافعي الموصلية في كتاب «طبقات الفقهاء الشافعية». وقال: وُلِدَ القاضي أبو المجد بتكرت، وتفقّه بها مُدَّةً، وتوجه إلى الموصل وتفقّه بها مُدَّةً على الشيخ أبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه المدرّس بها يومئذ. وأعاد له الدرس بالمدرسة الفخرية على دجلة مُدَّةً طويلة.

ثم توجه إلى ماردين وأقام بها وولي التدريس / ٢٢٥ / والقضاء بها زمناً طويلاً، وتعيّن فيها للتدريس والفتوى والقضاء. وكانت له المناظرة بجامعها. وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، عفيفاً في ولايته.

ثم قال: وذكر لي من أثق به؛ أنه لما عزم على الحج صعد المنبر يوم الجمعة، وقال: يا أهل ماردين قد وليت عليكم القضاء مُدَّةً طويلة، فأسألكم بالله: إن من كانت له عليّ مظلمة أن يقوم يطالبني بها فإن كانت من مال قضيتها، وإن كانت بسبب السلطان

تداركتها منه ، وإن عجزت عن ذلك تضرعت عليه في عفوها عني . فضجَّ الناس بالبكاء وارتفعت أصواتهم بالآيمان المؤكدة أنه ليس فينا من له منك شكوى ولا يتخلفك مكروه ؛ فبلغ ذلك صاحبَ ماردین فعظمت مكانته عنده ، وحجَّ في تلك السنة . وكان هو الرسول إلى ديوان الخلافة وغيره من الملوك عن صاحب ماردین ، هذا آخر كلامه .

أنشدني صاحب الإمام أبو القاسم بن أبي جرادة بحلب - أيده الله تعالى - قال :
أنشدنا / ٢٢٥ ب / القاضي يحيى بن سعيد بن أبي تمام التكريتي لنفسه هذه الأبيات يرثي بها أخاه فخر الدين أبا الفخر وقد توفي بتكريت في سنة أربع وثمانين وخمسمائة :

[من الطويل]

رَشَادًا وَلَا لَأَقَامَا الدَّهْرَ دَا عُرُ
تَجِيءُ بِكُمْ فِي الْقَادِمِينَ بِشَائِرُ
سَلَامِي إِلَى قَبْرِ سَقْتِهِ بَوَاكِرُ
إِلَى أَنْ يَنَادِي فِي الْبَرِيَّةِ حَاشِرُ
تَوَلَّتْ مِنَ الدَّهْرِ الْحَوُورُ مَقَاخِرُ
وَلَا غُرَوَانِ الْغَرْبِ [لِلْبَدْرِ] سَاتِرُ
غَمَامًا مِثْلًا قَطْرُهُ مُتَوَاتِرُ
تَمَدُّ إِلَيْهِ مَنْ بَعِيدٌ نَوَاطِرُ
كَأَنَّ فُؤَادِي عِنْدَ ذِكْرِهِ طَائِرُ
فَلَسْتُ بَعِيدًا أَنْ تَرَكَ الْبَصَائِرُ
رُقَادِي وَأَنَّ الْجَفْنَ مَنِي لِمَاطِرُ
وَضَمَّ سَرَاةَ الْعَالَمِينَ مَقَابِرُ
وَرَأَجِي حَيَاةَ عُمُرِهِ مُتَقَاصِرُ
وَلَا نَصَبْتُ لِلْخَاطِئِينَ مَنَابِرُ
لَمَّا حَكَمْتُ فِي الْعَالَمِينَ مَقَادِرُ
لِيُشْرِبَهُ بِالْمَوْتِ بَادٍ وَحَاضِرُ

أَيَا نَازِلِي أَرْضِ الْعِرَاقِ لَقِيتُمَا
وَلَا زِلْتُمَا فِي غَبْطَةٍ وَسَلَامَةٍ
إِذَا جِئْتُمَا تَكْرِيَتَ فِي اللَّيْلِ اهْدِيَا
ثَوَاهُ فَتَى لَا يَخْلُفُ الدَّهْرُ مِثْلَهُ
أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَحْيَا أَبُو الْفَخْرِ بَعْدَمَا
بَجَانِبَهَا الْغَرْبِي غُيِّبَ بَدْرُهُ
سَقَى اللَّهُ قَبْرًا ضَمَّ عَقْلًا وَعَفَّةً
وَلَا زَالَ مُخْضَرَّ الْجَوَانِبِ مُوْنَقَا
وَقُولَا لَهُ إِنِّي فَقِيْدٌ لِفَقْدِهِ
وَأَنَّكَ إِنْ غُيِّبْتَ عَنْ عَيْنِ نَاطِرِي
كَفَى بِي حُزْنًا أَنْ فَقَدَكَ سَالِبِي
/ ٢٢٦ أ / إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَانْدَرَسَ الْعُلَا
وَصَارَ أَخُو الْأَدَابِ وَالْعَقْلِ وَالْحَجَى
فَلَا حُبْرَتَ لِلْكَاتِبِينَ مُحَابِرُ
وَلَوْ أَنَّ بِالْمَقْدَارِ حَوْلًا وَقُوَّةً
وَلَكِنَّهُ الْكَأْسُ الْمُدَارُ عَلَى الْوَرَى

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني القاضي أبو المجد قوله : [من الطويل]

إِذَا كَانَ عُودِي نَاطِرًا [أَوْ شَبِيهَتِي] لَهَا رَوَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَبِهَاءِ

وَمَا نِلْتُ مَا أَمَلْتُهُ مِنْ وَصَالِكُمْ فَمَنْ لِي إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيَّ فَنَاءُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه وكتبها إلى صديق له: [من الطويل]

وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ إِلَيْكَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّوْقَ لِي مِنْكَ أَكْثَرُ
لَأَنَّ الَّذِي اشْتَأَفَهُ مِنْكَ حَاضِرٌ بِقَلْبِي وَمَنْ تَشَأَفَهُ لَيْسَ يَحْضُرُ

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من المنسرح]

٢٢٦ب/ لَوْ أَنَّ كُتِبِي إِلَيْكَ وَاصِلَةٌ بِقَدْرِ شَوْقِي مَا أُخْصِيَتْ عَدَدًا
لَأَنَّ ظَنِّي أَنِّي مَتَى وَلَعَتِ بِي كَفُّ دَهْرِي تَكُونُ لِي عُدَدًا

وأنشدني، قال: أنشدني له: [من الوافر]

أَلَا يَا كَعْبَةَ الْإِحْسَانِ طَرًّا وَمَنْ هُوَ فِي مَعَانِيهِ جَمَاعَةٌ
لِئِنْ قَصُرْتُ فِي قَصْدِي وَحَجِّي إِلَيْكَ فَشَرَطْتُ حَجِّي الْإِسْطَاعَةَ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو المجد بن أبي الوفاء لنفسه: [من الوافر]

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ ضَجِيجٌ عَلَى عَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ الْوُفُوفِ
وَأَرْسَلْتُ الدُّعَاءَ وَظَلْتُ أَرْجُو إِجَابَتَهُ مِنَ الْبَرِّ الْعَطُوفِ
وَمَا زَالَتْ ضُلُوعِي فِي أَجِيجٍ وَمَا بَرَحْتُ دُمُوعِي فِي وَكَوْفِ
إِلَيَّ أَنْ قِيلَ لِي فِي ... نِلْتُ الْمُنَى وَأُمِنْتُ مِنْ أَمْرِ مُحُوفِ

وأنشدني قال: أنشدني القاضي يحيى بن سعيد من شعره: [من الكامل]

٢٢٧أ/ ضَحَكَ الرَّبِيعُ وَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ وَتَمَّائِلَتْ بِيَدِ الصَّبَا الْأَشْجَارُ
وَجَرَتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ نَسَائِمٌ نَسَجَتْ رَفِيقُ ثَنَائِهَا الْأَسْحَارُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

سَقَتْكَ دَارُ السَّلَامِ عَادِيَةً صَوْبُ نَدَاهَا تَجُودٌ مُزْنَتُهُ
فِيكَ إِمَامُ الْهُدَى وَمَنْ خَجَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى مُدْبَدَّتْ أَسْرَتُهُ
مَنْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِالسَّمَاكِ وَمَنْ عَلَتْ عَلَى النَّيِّرِينَ هَمَّتُهُ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي بِهِ انْتَصَرَ الدُّ يَنْ وَقَامَتْ لِلدِّينِ حَجَّتُهُ

أَحْمَدُ مَنْ أَحْمَدَتْ عَوَاقِبُهُ وَسَرَّتْ الْعَالَمِينَ سِرَّتُهُ^(١)
لَا زَالَ فِي نِعْمَةٍ مُؤَبَّدَةٍ مَحْرُوسَةٍ بِالْدَوَامِ دَوْلَتُهُ
مَا فَارَقَ الْعَبْدُ تُرْبَهَا مَلَأَ لَكِنْ لَتُهْدِيَ الدُّعَاءَ بَلَدَتُهُ

[٩٢٠]

يحيى بن سليمان بن شاذول، أبو زكريا الحريري اليهودي.

من أهل طليطلة^(٢).

كان شاعراً قوي القريحة، غزير المادة؛ له شعر كثير في المدح والهجاء. وكان رديء اللسان، خبيث الطوية؛ ما مدح أحداً إلا وعاد / ٢٢٧ ب / وهجاه.

وصنّف مصنفات باللسان العبري كثيرة منها كتاب «المقامات» ومقامة مفردة سماها «الروضة الأنيقة» باللسان العربي.

وكان ذا قدرة في الشعر. وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأول بالعبري، والأنصاف الأواخر بالعربي. وكان قد طاف البلدان وجال في أقطارها؛ ثم سكن بأخرة حلب، ولم يزل بها إلى أن مات ليلة الأربعاء ليلية بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وقد ذكره صاحب الوزير أبو البركات المستوفي - رحمه الله تعالى - وقال: ورد إربل في العشر من محرم من سنة سبع عشرة وستمائة، وحدثني أن اسمه بالعبرانية يهوذا، وإنما نقله إلى العربية. وكان طويلاً من الرجال أشيب.

سألتُه عن مولده، فقال: عمري إلى هذه السنة خمس وخمسون سنة، فانظر متى يكون مولدي؛ ثم حسب معي فأخطأ في تنزيله. يسكن بين ظهрани الفرنج، وكلامه مغربي / ٢٢٨ / قريب عهد بالخروج من بلده، تراه كأنه يعتريه سهر. وكنت أخبرت بوروده وأثنى عليه رجل من اليهود.

(١) أحمدت: صارت محمودة.

(٢) طليطلة: مدينة ذات خصائص محمودة بالأندلس، عملها بعمل وادي الحجارة، وهي على شاطئ نهر باجة. انظر: معجم البلدان / مادة (طليطلة).

وأنشدني، قال: أنشدني الحريري لنفسه في التاريخ المقدم ذكره: [من الطويل]

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا مَحَجَّةُ الْخَدْرِ لَمَّا فَضَحَتْ أَيْدِي الْمَدَامِعِ مِنْ سَرِيٍّ
وَلَيْلَ طَرَفَتْ الْحَيَّ فِي بُرْدَةِ الدُّجَى مُنَمِّمَ بَرْدِ الْأَفَقِ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
سَرَيْتُ إِلَيْهَا حِينَ هَوَمَ قَوْمُهَا كَمَثَلِ حُبَابِ اسْتِدَارَ عَلَى خَمَرٍ^(١)
تُحِيطُ بِهَا بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَأَسَدٌ مِنَ الْأَبْطَالِ دَامِيَةُ الظُّفْرِ
وَتَغْرِ الْمَنَايَا بِاسْمٍ عَنْ أَسَنَةٍ وَيُسْفِرُ عَنْ خَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحَمَّرٍ
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي حُلَّةِ ذَهَبِيَّةٍ كَمَا اشْتَبَكَتْ زُهْرُ النُّجُومِ عَلَى الْبَدْرِ
جَنَيْتُ بِهَا فِي جَنَّةِ الْحُسْنِ زَهْرَهَا بِمُخَصَّبَةِ الْأُرْدَافِ مُجَدَّبَةِ الْخَضِرِ
لَثِمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِيْمِيَّةِ الطُّلَى مُدَامِيَةَ الْأَلْمَى حَبَايَةِ الثَّغْرِ

ثم قال أبو البركات: هذا منقول من قول المعتمد محمد بن عباد^(٢) - ملك

الأندلس :- [من الطويل]

٢٢٨/ب/ وَكَمْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتْنَا نَعْمُ جُنْحَهَا بِمُخَصَّبَةِ الْأُرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

عاد شعر الطليطي:

وَبَتْنَا بِفَرَشِ الْوَصْلِ لَيْلًا وَفَوْقَنَا لِحَافٍ فَرَّاشَ مَزَقْتَهُ يَدُ الْهَجَرِ
وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصُّبْحِ حُسْنًا كَأَنَّهُ بِشَاشَةٍ وَجْهَ الْمَلِكِ ذِي النَّائِلِ الْعَمْرِ
تَبَسَّمَ لِلْفُصَادِ جُودًا وَكُفُّهُ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّصْلُ عَنْ مَبْسَمِ الثَّغْرِ
وَاللسيف في يمينه لمح كأنه شَهَابٌ بِهَا يَنْقُضُ أَوْ قَدَرٌ يَجْرِي
بَحْدِيهِ آثَارُ النَّجِيعِ كَأَنَّهَُا شَقَائِقُ نَعْمَانٍ عَلَى ضَفَّتِي نَهَرِ
مَلِكٌ يَلُودُ الْمُلُوكَ مِنْهُ بِأَصِيدِ صَقِيلَ فَرْنَدِ الْحَمْدِ وَالْعَرَضِ وَالْبُشْرِ
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ يَبْذُلُ الْيَدَ الْعَذْرَاءِ وَالْفَتَاكَ الْبَكْرِ

(١) الحُبَاب: الحية. الخمر: ما وارك من شجر، ولعله المراد.

(٢) محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، المعتمد ابن عباد، صاحب اشبيلة وقرطبة وما حولها (ت ٤٨٨هـ).

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧ - ٣٥. مطمح الأنفس ١١ - ٢٢. خريدة القصر - شعراء المغرب ٢/ ٢٥. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨ - ٦٦ رقم ٣٥. البيان المغربي ٣/ ٢٤٤ - ٢٥٧. نفع الطيب ٢/ ١١٩. شذرات الذهب ٣/ ٣٨٦. الوافي بالوفيات ٣/ ١٨٣. الأعلام ٦/ ١٨١. وغيرها.

بَعَزَمَ يَهْدُ الطَّوْدَ هَدًا وَنَجْدَةً تَهْزُ قُدُودَ السُّمْرِ فِي كُلِّ حُمْرٍ
قال أبو البركات إلى هاهنا أنشدني ولم أسمعها منه . وأنشدته عنه قوله :

[من الطويل]

وَدَيْ قَلَمٍ إِنْ صَالَ يَوْمًا بِكَفِّهِ
نَسِيتُ بِهِ فَعَلَ الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرَ
/٢٢٩/ بَيَاضُ مَعَانِيهِ بَسُودُ سَطُورِهِ
يُرِيكَ صَبَاحَ الْوَصْلِ فِي لَيْلَةِ الْهَجْرِ
لَيْبٌ فَمَا تَذَرِي أَرَايَا لِحَادِثٍ
يُدَبِّرُ أَمْ سَهْمًا إِلَى غَرَضٍ يَبْرِي
يُقَسِّمُهُ جُودٌ يَقْبِضُ وَهَمَّةٌ
فَمَنْ مَهْلٍ عَمْرٍ وَمَنْ جَبَلٍ وَغَرٍ
رَمِيتُ بِأَمَالِي إِلَيْهِ وَإِنَّمَا
حَمَلْتُ بِهَا الْمَرْعَى الْجَدِيبَ إِلَى الْقَطْرِ

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني الحريري لنفسه يمدح السلطان الملك الأشرف شاه أرمين
مظفر الدين أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب - رحمه الله تعالى - :

[من الكامل]

بُسُوفٌ عَزَمَتْكَ الْقَضَاءُ يُصُولُ
وَمَضَاءُ بِأَسْكَ فِي يَدَيْهِ نُصُولُ
لَفَرْنَدَ سَيْفِكَ مِنْ بَهَائِكَ رَوْنَقُ
بِكُلَيْهِمَا مَاءُ الْجَلَالِ يَجُولُ
قَدْ حَزَتْ بِأَسْكَ مَعَ نَدَى لِكُلَيْهِمَا
أَبْدًا سِيُوفٌ تَبْرِي وَسِيُوفُ
فَلَقَدْ ثَنَيْتَ اللَّيْثَ وَهُوَ فَرِيْسَةٌ
وَلَقَدْ تَرَكْتَ الْغَيْثَ وَهُوَ نَحِيلُ
وَلَكِنْ ذُكِرْتَ عَلَى الْعِدَا يَوْمَ الْوَعَى
مَنْ ذَكَرُكُمْ نَفْسُ الْكُمَا تَسِيلُ
/٢٢٩ب/ مَا لِي وَشَرَحَ خِلَالَكُمْ فَخَالَكُمْ
كَالصُّبْحِ لَا يَبْغَى عَلَيْهِ دَلِيلُ
لَكِنْ وَصَفَكَ مُفَحِّمُ أَهْلِ النَّهْيِ
سَيَّانٍ فِيهِ عَالَمٌ وَجَهْلُ
قَالَ الْعِدَا مَا لِلْيَهُودِ وَلِلنَّدَى
فَأَجَبْتُهُمْ أَخْطَاكُمْ التَّخْصِيلُ
مَا شَقَّ مُوسَى بِخَرَجُودٍ لِلْوَرَى
إِلَّا لِيَعْبُرَ فِيهِ إِسْرَائِيلُ

وأنشدني أبو الفتح محمد بن أبي الخير بن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي بإربل
- رحمه الله تعالى - قال : أنشدني أبو زكريا يحيى بن سليمان الحريري لنفسه :

[من الكامل]

أَرْضٌ سَقَتْ غِيْطَانَهَا أَعْطَانَهَا
وَزَهَتْ عَلَى كُبَّانَهَا قُضْبَانَهَا
سَلَبَتْ فُؤَادِي حُورَهَا وَنُحُورَهَا
وَسَطَتْ بِنَا وَلِدَانَهَا وَلِدَانَهَا

ثَمَلْتُ بكَاسِ عُقَارِهَا أَزْهَارُهَا
وَلَكِنَّ جَلًّا أَتَارَهَا أَذَارُهَا
وَالشَّمْسُ بِالْحَمَلِ الْمُئِيرِ تَزَيَّنَتْ
/ ٢٣٠ / وَكَوَاعِبُ سَلَتْ صَوَارِمَ لِحْظِهَا
وَلَقَدْ تَلَّأْ لَا ذُرَّهَا بِنُحُورِهَا
فَتَكَّتْ بِالْبَابِ الْكُمَاةِ فَسِيفُهَا
لَمْ يُبْقَ شَخْصًا بِالْبَسِيطَةِ سَالِمًا
خُودٌ تَقُورٌ نَافَرَتْ أَفْرَاطِهَا
فَاشْرَبَ بِأَرْضِ غَاظِلَتِهَا مُزْنَةٌ
فَتَعَاشَقَتْ وَتَعَانَقَتْ أَفْنَانُهَا
وَتَصَاخَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا
وَتَنَسَّمَتْ وَتَبَسَّمَتْ أَيَّامُهَا
بِمُدِيرِهَا وَمُنِيرِهَا وَمُجِيرِهَا
بِحَكِيمِهَا وَعَعِيمِهَا وَكَرِيمِهَا
دُوحَ الْمُنَى عَذَبَ الْجَنَى عَالِي السَّنَى
فَتَجَدَّدَتْ بِيَهَائِهِ أَيَّامُهَا
جَادَتْ يَدَاهُ حَيَا نَدَاهُ عَلَى النُّفُ
/ ٢٣٠ ب / لَيْثُ الشَّرَى غَيْثُ الْوَرَى نَجْمُ الشَّرَى
فَجَمَّالُهُ أَعْمَالُهُ وَنَوَالُهُ
شَهْمٌ عَدَا هَدَى الْهُدَى إِنْ أَوْقَدَا
بَجَنَابِهِ نَشْرَ الْهُدَى رَايَاتِهِ
عَزَمُ سَمَا، بَارِي السَّمَا، مَاضِي الشَّبَا
يَا كَامِلًا بَلْ فَاضِلًّا يَا فَاعِلًا
أَنْعَمُ بَعِيدٌ بَلْ سَعِيدٌ فِي مَزِيدٍ
لَكَ فِي الْمَآثِرِ دَوْلَةٌ بَلْ صَوْلَةٌ

حَتَّى أَغْتَدَى حَيْرَانَهَا رِيحَانُهَا
فَلَقَدْ حَوَى إِحْسَانَهَا نَيْسَانُهَا
لَمَّا رَأَتْ مَا زَانَهَا مِيزَانُهَا
فَكَأَنَّمَا أَجْفَانُهَا أَجْفَانُهَا
وَزَهَا بِجِنْدِ قِيَانَهَا عَقِيَانُهَا
مِنْ طَرْفِهَا وَسَنَانُهَا وَسَنَانُهَا
إِلَّا سَبَى إِنْسَانُهَا إِنْسَانُهَا
وَحَلَّتْ بِهَا خِلَانُهَا خِلَانُهَا
فَكَأَنَّمَا هَتَّانُهَا فَتَّانُهَا
وَتَصَافَحَتْ وَتَنَآوَحَتْ أَغْصَانُهَا
وَتَدَاوَلَتْ وَتَبَادَلَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَهَلَّلَتْ وَتَكَلَّلَتْ أَزْمَانُهَا
وَمُعِيرَهَا حُسْنًا جَلَاهُ عِيَانُهَا
وَزَعِيمِهَا عُقْدَتْ لَهُ تَيْجَانُهَا
سُحِبَ الْغَنَى يُرَوَّى بِهَا ظَمَانُهَا
وَتَوَطَّدَتْ بَعْلَانُهُ أَرْكَانُهَا
سَ وَمَا أَنْجَلَى حَتَّى أَنْجَلَى حَرْمَانُهَا
نَارَ الْقَرَى تَعْشُولُهَا ضَيْقَانُهَا
أَمْوَالُهُ سُؤَالُهُ خَزَانُهَا
نَارَ النَّدَى قَلْبَ الْعَدَا قُرْبَانُهَا
فَحَكَّى قُلُوبَ عِدَاتِهِ خَفَقَانُهَا
مَهْمَا الظُّبَا لَيْسَ الدَّمَى غَرْبَانُهَا
مَا قَصَّرَتْ عَنْ فَعْلِهِ أَعْيَانُهَا
سَدَمَنْ أَيْادٍ أَيْنَعَتْ أَفْنَانُهَا
بَلْ جَوْلَةٌ حَازَ الْمَدَى فُرْسَانُهَا

[٩٢١]

يحيى بن عبد الله بن المُفَرَّج بن درع بن الحسن بن الخضر بن
حامد، أبو زكريا بن أبي القاسم التغلبي .
قاضي تكريت، والمدرس بالمدرسة النظامية .
إمام من أئمة المسلمين، ومن خيارهم .

كان فاضلاً عالماً كاملاً فقيهاً، شافعي المذهب قارئاً مفسراً نحوياً لغوياً عروضياً
شاعراً أديباً مترسلاً، جامعاً لأشتات الفضائل، قيماً بفتق المسائل / ٢٣١ / اشتغل بتكرير
على والده بحفظ القرآن العزيز والأدب، وشيء من الفقه . وبالحديث على أبي محمد عبد
الرحمان بن محمد البلخي .

ثم انحدر إلى بغداد فصحب الشيخ أبا النجيب السهروردي، والشيخ يوسف بن
محمد الدمشقي والرضي أبا الخير أحمد بن إسماعيل القزويني، وقرأ إصلاح المنطق على
الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن الخشاب النحوي، واشتغل مدة مقامه ببغداد؛ ثم
عاد إلى تكريت .

وكان قد برز في علم الفقه والأدب، وولي قضاء تكريت مدة طويلة مع حسن سيرة
واشتهار بالفضل والعفة والديانة والتفنن في العلوم . وكان يدرس ويفتي ويحكم؛ ثم
استدعي من ديوان الخلافة إلى بغداد، وولي تدريس المدرسة النظامية، وذكر الدرس بها في
يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر من سنة سبع وستمائة .

ورد إليه النظر في الوقوف التي تختص بالمدرسة النظامية أيضاً، واستتاب ولده الأكبر
في تولي الوقف ولم يزل على التدريس بالنظامية / ٢٣١ ب / إلى سنة أربع عشرة وستمائة
فصرف عنها؛ وولي مكانه محيي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان البغدادى
الفقيه الشافعي، فسكن القاضي رباط شيخ الشيوخ إلى أن توفي به، ولم يزل مقبلاً على
الاشتغال بالعلم والعبادة على أحسن طريقة، وأجمل سيرة .

وكانت وفاته عشية الإثنين ثامن شهر رمضان سنة ست عشرة وستمائة . ودفن يوم
الثلاثاء غريبها بمقبرة الشونيزية - رحمه الله تعالى - .

وكانت ولادته بتكريت في مستهل المحرم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وتخرج به عالم كثير من التلامذة.

وكان شيخاً كيساً لطيفاً في محاورته، ظريفاً في مجالسته، حسن الإيراد مليح العبارة، ذا وقار وسكينة وهيبة؛ وله من التصانيف كتاب «تفسير القرآن العزيز» ينيف على عشرين مجلداً، وكتاب «الحقير النافع على مذهب ابن شافع» وكتاب / ٢٣٢ / «اللُّهنة في إزالة اللُّكنة» في النحو، وكتاب «التقريب في بضاعة الأديب» في صناعة الشعر، وكتاب في «العروض والقوافي»، وكتاب «الاختصاص في التاريخ الخاص» يدخل في ست مجلدات قصره على ذكر مشايخه الذين قرأ عليهم وتلامذته الذين قرأوا عليه، وأتبعه بذكر أقاربه وأهله وأشعار ورسائل ومكاتبات إلى أصدقائه في النظم والنثر وغير ذلك.

ومن شعره ما أنشدني ولده شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن يحيى التكريتي بالموصل في سنة اثنتين وعشرين وستمائة - رحمه الله - من لفظه وحفظه، قال: أنشدنا والذي لنفسه هذه الأبيات كتبها في صدر رسالة طويلة أنفذها إلى بعض الكبراء:

[من الطويل]

أَلَمْ وَغَرِيْبُ الدُّجْنَةِ مُغْدِفُ	خَيْالِ سُلَيْمَى طَارِقاً يَتَعَسَّفُ
تَقَانِفُ لَا يَقْطَعْنَ بِالْعَيْسِ كُلَّمَا	مَضَى نَفْنَفٌ مِنْهَا تَعَرَّضَ نَفْنَفُ
/ ٢٣٢ ب / هُجُوْلًا تَنَاصِيْهَا الْهَوَاجِلُ مَا بِهَا	أَيْسُ سَوَى جَنْ تَجُوْلُ وَتَعْرِفُ
وَرَبْدٍ وَعَوْرٍ هَادِجَاتٍ وَنَعْبٍ	وَبُومٍ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ يَهْتَفُ
وَقَدْ هَاجَ صَرٌّ وَالسَّمَاءُ عَرِيَّةٌ	عَشِيَّةٌ لَيْلَ يَوْمِهِ ظَلٌّ يَنْطَفُ
فَسَاوَرُ عَوْلِ الْيَبْدِ غَيْرُ مُخَادِرٍ	وَنَاكَرُ هَوْلِ اللَّيْلِ لَا يَتَخَوَّفُ
عَلَى حَيْنِ حَلِّ الْحَيِّ مِنْهَا بِوَاحِفٍ	وَمَنْ دُونَهَا مَجْهُوْلَةٌ لَيْسَ تُعْرِفُ
وَأَلَّتْ سُلَيْمَى حَلْفَةً مَا تَحْلَهَا	بَأَنَّ لَا تَزَالِ الدَّهْرُ تَجْفُو وَتَصْدَفُ
وَنَائِي الْقَلَى شَرُّ الْبَعَادَيْنِ مَطْلَبًا	لَأَنَّ الْمَطَايَا قَطَعَهُ لَا تُكَلِّفُ
فَجَابَ الْفَلَا بَعْدَ الْفَلَا مُتَعَسِّفًا	وَمَنْ أَيْنَ يَدْرِي مَا الْفَلَا وَالتَّعَسَّفُ
إِلَى مُدْنَفٍ مُضْنَى لِيَهْنَأُ رُقَادُهُ	وَقَدْ كَادَ يُضْنِيهِ الضَّنَى وَالتَّأْسَفُ

بَرَاهُ الْهَوَىٰ حَتَّىٰ تَنْكَرَ شَخْصُهُ
وَمَا كَانَ طَمَاحًا إِلَىٰ وَصْلِ غَاةٍ
وَلَكِنْ سُلَيْمَىٰ حِينَ مَرَّتْ كَانَهَا
عَلَى النَّاسِ لَوْلَا أَنَّهُ يُتَعَرَّفُ
وَلَا شَفَهُ قَدَمًا قَوَامٌ مُهْفَهَفُ
عَزَالٌ بِمَنْظُورِ الصَّرِيْمَةِ أَهَيْفُ

ومنها قوله:

تَكَالَفَ حَبَانُومَ صَارَ سَجِيَّةً
/ ٢٣٣ / وَطَالَ عَلَىٰ ذِي الْهَمِّ حَتَّىٰ كَانَمَا
وَأَوَّلُ أَحْوَالِ الْمُحِبِّ التَّكَلُّفُ
بِلَا وَسْطِ لَيْلٍ عَلَى اللَّيْلِ يَعْطِفُ

وأنشدني أيضاً من لفظه وحفظه وأمله عليّ، قال: أنشدني والدي الإمام يحيى بن

عبد الله لنفسه: [من البسيط]

لَأَبْدَ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَيْقٍ وَمِنْ سَعَةٍ
وَاللَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شُكْرَ نِعْمَتِهِ
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَالَيْنِ مُعْتَقًا
فَمَا عَلَىٰ شِدَّةٍ يَبْقَى الزَّمَانُ فَكُنْ
وَمِنْ سُرُورٍ يُؤَاتِيهِ وَمِنْ حَزَنٍ
مَادَامَ فِيهَا وَيُغَيِّ الصَّبْرَ فِي الْمَحَنِ
فَرَضِيكَ هَذَيْنِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
جَلْدًا وَلَا نِعْمَةً تَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني والدي وقد سُئِلَ عن حركة الأمر، فقال:

[من الرجز]

لَأَلْفِ الْوَصْلِ ضُرُوبٌ تَنْحَصِرُ
فَالْفَتْحُ فِيمَا كَانَ مِنْ رُبَاعِي
/ ٢٣٣ ب / وَالضَّمُّ فِيمَا ضَمَّ بَعْدَ الثَّانِي
وَالْكَسْرُ فِيمَا مِنْهُ مَا تَخَلَّى
فِي الْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَأُخْرَىٰ تَنْكَسِرُ
نَحْوُ أَجَبٍ يَزِيدُ صَوْتِ الدَّاعِي
مَنْ فَعَلَهُ الْمُسْتَقْبَلُ الزَّمَانُ
إِنْ زَادَ عَنَ أَرْبَعَةَ أَوْ قَلَّ

وأنشدني أبو نصر عبد الرحيم بن يحيى التكريتي ببغداد، قال: أنشدني والدي من

شعره: [من المتقارب]

تَأْمَلْ إِذَا قُلْتَ مَاذَا تَقُولُ
وَلَا تَأْتِ مَا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ
وَسَلْ إِنْ سَأَلْتَ الَّذِي يُسْتَطَاعُ
وَحَاذِ قَرِيْبَكَ قَبْلَ الْبَعِيدِ
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا
فَإِنَّ لِكُلِّ رَجَالٍ نَعَالًا
لِنُعْطَىٰ وَإِلَّا أَضْعَفَتِ السُّؤَالَا
فَإِنَّ مِنَ الْأَهْلِ دَاءَ عُضَالَا

وأنشدني الشيخ العلامة الإمام الزاهد أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد الفقيه الشافعي المدرس النصيبي العدوي بثغر حلب إملاءً من لفظه وحفظه في شوال سنة / ١٢٣٤هـ / اثنتين وأربعين وستمائة - أسعده الله تعالى - قال: أنشدني القاضي تاج الدين أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن المفرج التغلبي التكريتي - رحمه الله تعالى - لنفسه ببغداد: [من الهزج]

تَعَلَّمْ مَنْ دَوَى الْحُكْمَ	سَـةَ وَأَعْمَلْ بِفَتَاوِيهِمْ
فَقَدْ قَالُوا لِمَنْ يَرْعَى	بُ فِي مِثْلِ مَسَاعِيهِمْ
إِذَا سُذَّتْ عَلَى قَوْمٍ	كَ عِلْمًا لَا تُقِمُّ فِيهِمْ
فَلِإِنْ الْحَيِّ لَا يُطْرَرُ	بُهُمْ صَوْتُ مُعْنِيهِمْ

وأنشدني الشيخ العالم أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلية الفقيه الشافعي بحلب - أيداه الله تعالى - قال: أنشدني / ٢٣٤هـ ب / القاضي الإمام أبو زكريا يحيى بن عبد الله التكريتي لنفسه من جملة مقطعاته: [من الكامل]

لِي فِي الرُّبُوعِ وَمَا بِهِنَ أَنْيْسُ	قَلْبٌ وَدَمْعٌ مُطْلَقٌ وَحَيْسُ
هَذَا يَدُ الْأَشْوَاقِ تَحْلُبُ دَرَهُ	وَلِذَاكَ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ وَطَيْسُ
شُكَاوِي لَوْ نَفَعَتْ شَكَايَ فُرْقَةٍ	أَضْنَتْ وَشَوْقِي فِي الْحَشَا مَرْسُوسُ
دَاءٍ إِنْ مَا اجْتَمَعَ الْحَيُّ فَأَتَشَى	حَيًّا وَلَوْ دَاوَاهُ جَالِيْنُوسُ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

عَزَائِمُ صَبْرِي فَرَقَتْهَا	وَأَلْقَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّهَادِ
وَصَيَّرَتْ نِيَّ مَثَلًا لِلْأَنَامِ	أَدَاوِلُ مَا يَبْنِي حَضْرَ وَبَادِي
فَشْهَرُ وَصَالِكَ طَيْفُ الْخِيَالِ	وَيَوْمُ صُدُودِكَ يَوْمُ التَّنَادِي
وَحَسْبُكَ أَنْتِي عَلَى مَا عَلِمْتَ	إِلَى مَا حَكَمْتَ لَسَهْلُ الْقِيَادِ
فَقَتْلِي حَيَاتِي إِذَا شِئْتَهُ	وَعِلْمِي بِأَنَّكَ رَاضٍ مُرَادِي

وقال أيضاً: [من البسيط]

هَلْ لِي عَلَى أَنْ أَسْحَ الدَّمَعَ أَعْوَانُ	هَذَا الْغُيُورُ وَمَا بِالْدَارِ سُكَّانُ
/ ١٢٣٥هـ / مَا أَوْحَشَ الرَّبْعَ بَعْدَ الطَّاعِنِينَ وَإِنْ	تَأَسَّسْتُ فِيهِ أَطْيَارٌ وَغَزْلَانُ

تُرَى يُكُونُ لَعَوْدِ الدَّارِ أَهْلَهُ
وَآخِيَةَ السَّعْيِ مَا عِنْدِي سَمَحْتُ بِهِ
قَفْ سَاعَةً أَيُّهَا الْحَادِي فَقَدْ نَشَأْتُ
وَأَسْأَلُ أَثِيلَةَ سَفْحِ الْمُنْحَنِ بِهِمْ
قُلْ لِلشُّمُوتِ تَوَقُّعُ فُرْقَةٍ أَمَّا
فَالْمَرْءُ مَا عَاشَ تَطْوِينُهُ وَتَنْشُرُهُ
يَا رَاقِدًا وَيَقَايَا اللَّيْلِ قَدْ طُوِبَتْ
حَيْرَانُ غَيْكَ أَمْسَى فَيْكَ مُهْتَدِيًا
تَصَرَّمَ الْعُمُرُ فَاسْتَدْرَكَ بَقِيَّتَهُ
يَوْمٌ وَهَلْ لاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ إِيَّانُ
وَعَزَّيْنِي فِي الَّذِي أُبْغِيهِ وَجَدَانُ
لِلْقَلْبِ مَنِّي صَبَابَاتٌ وَأَحْزَانُ
فَرَبَّمَا أَخْبَرْتُ عَنْهُمْ مَتَى بَانُوا
إِنْ نَمْتُ هَوْنًا فَصَرَفُ الدَّهْرِ يَقْطَانُ
مَنْ الزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ بَعْدَ الصُّبْحِ وَسَنَانُ
وَالرُّشْدُ عِنْدَكَ أَضْحَى وَهُوَ حَيْرَانُ
وَفِي التَّدَارِكِ إِنْ حَاوَلْتُ إِمْكَانُ

[٩٢٢]

يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى بن عامر بن شجاع بن كامل، أبو
البقاء الكِنَانِيُّ المقدسي الخطيب^(١).

كانت ولادته بأودلا قرية من قرى نابلس^(٢) في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين
وخمسماية. ونشأ ببيت / ٢٣٥ب / المقدس - حمى الله حوزته - ونزل عَقْرِيَا^(٣) من
الغوطة^(٤). وتولى خطابتها سنين كثيرة. وكان أبوه قبله خطيبها.

واستظهر الخطيب أبو البقاء القرآن المجيد، وقرأ طرفاً من الفقه على مذهب الإمام
الشافعي - رضي الله عنه - وسمع الحديث النبوي كثيراً وقرأ عليه ببغداد ودمشق وديار
مصر. وأجاز لمن سمع منه، وله مشايخ يكثر تعدادهم. وأنشأ خطباً، ونظم شعراً. وكانت
له منزلة لطيفة عند ملوك الشام بني أيوب ينفذونه إلى البلاد وأطرافها رسولا.

وتوفي بدمشق حين حاصرها معين الدين بن شيخ الشيوخ نيابة عن الملك

(١) ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ٢٣١ رقم ٢٨٤. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٧.

(٢) نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين. انظر: معجم البلدان/ مادة (نابلس).

(٣) عقرية: اسم مدينة الجولان، وهي كورة من كور دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (عقرية).

(٤) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق. انظر: معجم البلدان/ مادة (الغوطة).

الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب - سلطان الديار المصرية -. وكان بها يومئذ الملك الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب متغلباً ثامن عشر محرم سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ودفن بجبل قاسيون - رحمه الله تعالى - .

أنشدني أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الرزاق الدمشقي بحلب في المدرسة ١٢٣٦/ العصورنيّة في ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وستمائة، قال: أنفذ الملك الأُمجد أبو المظفر بهرام شاه بن فرخشاه بن شهنشاه بن أيوب - صاحب بعلبك - والدي في رسالة إلى مدينة السلام في سنة اثنتين وعشرين وستمائة يهنئ الظاهر بأمر الله أبا نصر محمداً بتوليته الخلافة ويعزي بوفاة والده الناصر لدين الله بعد إنشاء خطبة وتقديم كلام منشور، وقال: سمعتها من لفظ والدي وهو يوردها غير مرة، وأتبعها بهذه الأبيات: [من السريع]

جئْتُ أَعَزِّي وَأُهْنِي مَعَا	بِالسَّالِفِ الْمَاضِي وَالْبَاقِي
هُمَا إِمَامَانِ فَمُذْغَابٌ دَا	بَدَا لَنَا ذَاكَ بِإِشْرَاقِ
هُمُ أَمَنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ	لِيَعْنَةَ أَوْ أَخْذَ مِيثَاقِ
دَامَ إِمَامُ الْأَرْضِ فِيهَا لَنَا	وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْإِرَاقِ

[٩٢٣]

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، أبو الحسين المصري، المعروف/ ٢٣٦ب/ بالجزار^(١).

(١) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين: شاعر مصري ظريف ولد سنة ٦٠١هـ وتوفي سنة ٦٧٩هـ. كان جزاراً بالفسطاط، وكذلك أبوه وبعض أقاربه. وأقبل على الأدب، وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، فمدحهم وعاش بما كان يتلقى من جوائزهم. وكان بينه وبين السراج الوراق وغيره مداعبات. وكان من أصدقاء «ابن سعيد» صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب» فملاً ابن سعيد خمسين صفحة من كتابه بما انتقى من شعره. له: «العقود الدرية في الأمراء المصرية - خ» منظومة انتهى بها إلى أيام الظاهر بيبرس، و«ديوان شعر - خ» صغير في المكتبة الصادقية بتونس، لعله مختارات من شعره، فإن ديوانه: كبير كما يقول ابن تغري بردي، و«فوائد الموائد - خ» و«الوسيلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب» ذكره بروكلمان، و«تقايف الجزار» شعر. جمع شعره الشيخ محمد السماوي - صاحب الطليعة، بديوان يربو على ١٢٥٠ بيتاً - خ.

ترجمته في: المغرب في حلى المغرب: القسم الخاص بمصر ١/ ٢٩٦ - ٢٤٨، فوات الوفيات =

لم أسمع شعره إلا من صاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الفقيه بحلب - أدام الله سعادته - لأنه لما عاد قافلاً من ديار مصر إلى حلب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وكان سافر إليها رسولاً من قبل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف - خلّد الله ملكه - فاقام بها نحو ستة أشهر؛ فدخلت إليه مهتئاً بالقدوم والسلامة، وتجارينا في الأحاديث والمذاكرة.

ثم سألتُهُ عن من شاهد ولقي بتلك الديار من الشعراء الذين يشار إليهم في الشعر المستجاد؟ فذكر لي جماعة كثيرة منهم هذا الجزار الشاعر، وأثنى على شعره، وتمكنه من استنباط المعاني اللطاف ووصفه بالشاعر البارِع، وأنه لم يكن له نظير في زمانه، وذكره ذكراً جميلاً.

ثم أشار إلى بعض غلمانه فأتاه بكتاب فدفعه إليّ؛ وهو مجلد لطيف الحجم من أشعار الجزار سمّاه / ٢٣٧ / «تقطيف الجزار» قد كتبه ناظمه خدمة له وسمعه منه جميعه. يشتمل على أغراض غريبة، ونكت طريفة من مديح وهجاء ومُجون وهزل، وأغراض مختلفة النعوت والأوصاف فاستطرفته جداً، واقتضبت من أثنائته ما ينبغي أن يسطر ويثبت؛ فمن ذلك قوله يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا جعفر المنصور بن محمد بن أحمد - رضي الله عنه -: [من الكامل]

بِمَدَائِحِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ نَافَسْتُ كُلَّ مُرَجَّزٍ وَمُقَصِّدٍ

= ٢/ ٦٣٠ - ٦٣٢، شذرات الذهب ٥/ ٣٦٤، مسالك الأبصار - خ - ١٢/ ١٦٦، البدر السافر ٢٢٥، عقود الجمان للزركشي ٣٤٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥، البداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣، الغدير ٥/ ٤٢٦ - ٤٣٣، ورجع وفاته «سنة ٦٧٢هـ» اعتماداً على رواية لابن حجة وعلى البداية والنهاية، مع أن الثاني أرخه سنة ٦٧٩ و Brock 1:574, S.1:409(335)، كشف الظنون ٤٦٣، السلوك ج ١/ ٣/ ٦٨٤. عيون التواريخ ٢١/ ٢٥١ - ٢٦٧. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦١ - ٧٨. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٠١. تذكرة النبيه ١/ ٦٠ - ٦١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ - ٦٨٠) ص ٣٣١ - ٣٣٣ رقم ٤٧٧. العبر ٥/ ٣٢٤. ديوان الإسلام ٢/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٦٩٠. تالي كتاب وفيات الأعيان ١٧١ - ١٧٣. تاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٠٢. عقد الجمان ٢/ ٢٦٠. معجم المؤلفين ٣/ ٣٠٧. إيضاح المكنون ٢/ ١١٣. هدية العارفين ٢/ ٥٢٥، نسمة السحر ٣/ ٣٥٦ - ٣٦٣، أعيان الشيعة ٥٢/ ٤٤ - ٥٠، أدب الطف ٤/ ٧٧ - ٨٧، أنوار الربيع ١/ ٢١٣، الطليعة ٢/ ٤٣٣ - ٤٣٧. الأعلام ٨/ ١٥٣.

وفي جريدتي البلاغ ٥ رمضان ١٣٥٣هـ، والأهرام ٢٣/ ٩/ ١٩٣٤م بعض أخباره.

وَرثَ الْخِلَافَةَ سَيِّدًا عَنْ سَيِّدٍ
وَحَمَى بِهِ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
نَبَأَ عَظِيمًا فِي الْعِلَا وَالسُّودِ
أَغْنَاهُ عَنْ تَرْجِيْعِ لَحْنِ الْمُشْدِ
شَرَفَ يَرُوحُ بِهِ الْفَخَارُ وَيَعْتَدِي
وَلَكُمْ أَتَانًا مِنْ حَدِيثِ مُسْنَدٍ
بِالْعِي ضَلَّ عَنْ السَّيْلِ الْأَرْشَدِ
لِلْعَجَزِ عَنْهَا كُلُّ طَرْفٍ أَرْمَدِ

خَيْرُ الْخَلَائِفِ مَنْ بَنَى الْعَبَّاسَ قَدْ
اللَّهُ شَرَّفَهُ وَشَرَّفَ بَيْتَهُ
سَلَّ عَنْهُ آيَاتُ الْكِتَابِ تَجَدَّلَهُ
وَإِذَا غَدَا الْقَارِي وَرَجَّحَ مَدَحَهُ
مَنْ مَعَشَرَ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِمْ
وَلَكُمْ أَتِيئًا فِيهِمْ مِنْ آيَةٍ
/ ٢٣٧ ب / مَا شَكَّ فِي تَفْضِيلِهِمْ إِلَّا أَمْرُ
وَكَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ يَطْرِفُ جَفْنُهُ

ومنها يقول (١):

نَادَى نَدَاكَ عَلَى مَدَى مُسْتَبْعِدٍ
يَا مَنْ بِذَيْلِ رَجَائِهِ عُلِقَتْ يَدِي
كَانَ الْحَيَا حَظَّ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
ذَاكَ الْحَمَى لَا كُيُونَ أَوَّلَ مُنْشَدٍ
كَالْمَسْكَ مَبْثُوثًا بِفَرْقِ الْفَرْقَدِ
كَالِدُرِّ إِذْ وَافَى بِسَلْكَ مُنْضَدٍ
فَاشْهَدْ بِهَا عِنْدَ ابْنِ عَمِّكَ فِي عَدِ

يَا ابْنَ الْأَثَمَةِ دَعْوَةً مِنْ مَادِحٍ
أَمَلِي يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ مَعَ النَّوَى
أَرْجُو نَدَاكَ مَعَ الْخُمُولِ وَرَبِّمَا
وَاحْسَرْتَا لَوْ أَنَّ لِي سَبَبًا إِلَى
وَلَكِنْ أَرَى وَجْهِي يُعْفَرُ فِي تَرَى
وَلَقَدْ بَعَثْتُ بِهَا قَصِيدًا لَفْظُهَا
وَجَعَلْتُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ دَخِيرَتِي

وقال يمدح صدر الدين ابن القرميسيني (٢): [من السريع]

بَدْرٌ دُجَى يَحْمِلُهُ عُصْنُ بَانَ
غُيِّبَ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْعِيَانُ
وَجَدَا شُجَاعًا بَسُلُوكَ جَبَانَ
خَوْفَ تَجَنِّيهِ عَلَيْهِ أَمَانَ
خَدْيِهِ مِنْ حُسْنِهِمَا جَتَّانُ

بَانَ أَصْطَبَارِي وَالْكَرَى مُنْذُ بَانَ
شَاهَدَهُ الْقَلْبُ وَإِنْ كَانَ قَدْ
/ ٢٣٨ / لَا قَيْتُ مِنْ بَعْدِ فِرَاقِي لَهُ
مَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ لِلْصَّبِّ مِنْ
وَاحِرَ قَلْبَاهُ وَلِلْعَيْنِ فِي

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٢٩٨.

(٢) وهو صدر الدين عبد الرحمن ابن القرميسيني، ناظر ثغر الاسكندرية في سنة ٦٢٨ هـ. القصيدة في المغرب ٣٠٦/١.

وَرَدُّ وَفِي مَبْسَمِهِ الْأَفْحَوَانُ
وَالْحَوْرُ لَا تَسْكُنُ إِلَّا الْجَنَانُ
صَدْرُ مِنَ الْعِلْيَاءِ أَعْلَى مَكَانُ
فَاصِلُ حُكْمًا بِوَجِيزِ الْيَبَانُ
سُودَ جُفُونِ اللَّحْظِ يَبِضُ الْجَفَانُ
الْوَأْفَرُ الْعَرْضُ الْبَسِيطُ الْبَنَانُ
عَجِبْتُ مِنْهَا عِنْدَ قَبْضِ الْعَنَانُ
أَسْرَارُ أَخْلَاقٍ لَدَيْهِ حَسَانُ
كَالشَّمْسِ لَوْلَا هَالَةُ الطَّيْلَسَانُ
تَفَرَّقْتُ عَنِّي صُرُوفُ الزَّمَانُ

فِي صُدْغِهِ الْأَسُّ وَفِي خَدِّهِ الْـ
أَسْكَنْتُهُ قَلْبِي وَفِيهِ لُظْيُ
لَهُ مِنَ الصَّدْرِ مَكَانٌ وَلَدُ
الْعَالَمِ الْعَامِلُ وَالْفَاضِلُ الْـ
وَالنَّاطِرُ الْيَقْظَانُ أَغْنَتْهُ عَنْ
وَالْكَامِلُ الْفَضْلُ السَّرِيعُ النَّدَى
عُودَ بَسْطِ الْكَفِّ حَتَّى لَقَدْ
وَحَلَقَهُ يُنْبِئُكَ بِالْحُسْنِ عَنْ
دُو طَلْعَةِ كَالْبَدْرِ فِي التَّمَّ بَلْ
لَوْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ شَمْلِي بِهِ

وقال فيه أيضاً يمدحه^(١): [من الرجز]

تَحْفُهُ الْهَالَةُ مِنْ لَثَامِهِ
مُذْ أَطْلَعَ الْأَنْجَمَ بِأَبْتَسَامِهِ
تَنْقَلُ ذَاكَ اللَّيْنُ عَنْ قَوَامِهِ
ظُلُمًا بِمَا فَوْقَ مِنْ سَهَامِهِ
سُقْمُكَ أَضْحَى الْأَصْلَ فِي سَقَامِهِ
عَلَى مَشْوِقِ الْقَلْبِ مُسْتَهَامِهِ
فَوْقَ لَهَيْبِ دَامَ فِي اضْطِرَامِهِ
أَغْنَتْ بِكَأْسِ الثُّغْرِ عَنْ مُدَامِهِ
إِذْ فَرَعَهُ أَبْدَى دُجَى ظَلَامِهِ
أَلْزَمَنِي شَوْقِي بِالتَّزَامِهِ
لَوْ سَاعَدَ الدَّهْرُ عَلَى دَوَامِهِ
جِيذَ زَمَانٍ كُنَّ فِي نَظَامِهِ
عَدَّتْ رَعَايَا الصَّدْرِ فِي أَيَّامِهِ

٢٣٨/ب/ أَقْبَلَ مِثْلَ الْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ
وَمَزَّقَتْ أَنْوَارُهُ ثُوبَ الدُّجَى
وَمَاسَ فَاشْتَاقَتْ عُصُونُ الْبَانِ أَنْ
أَصْمَى قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ طَرْفَهُ
يَا جَفْنَهُ رَفَقًا بِصَبِّ مُذْنَفِ
وَأَنْتِ يَا أَعْطَافَهُ هَلْ عَطْفَةٌ
مَنْ لِي بِمَنْ فِي خَدِّهِ نَارُ حَيَا
كَمْ لَيْلَةً أَسْكَرَنِي بِرَيْقِهِ
وَبِتُّ لَا أَجْزَعُ مِنْ حَرَّاسِهِ
وَيَتَنَّا طَيْبُ عَنَاقِ طَالِمَا
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ الَّذِي وَدَدْتُ أَنْ
تَلْكَ لِيَالٍ بَلْ لَالُ شَرْفَتْ
كُنْتُ بِهَا فِي لَذَّةِ الْأَمْنِ كَمَا

أَلَا مَرَّ النَّاهِي الَّذِي عَزَمْتُهُ
/ ٢٣٩/ وَالنَّاظِرَ يَقْظَانَ وَجَدًّا بِالْعُلَا
صَدْرُ بَهْ لَه سِرُّ مُودَعٌ
عَزَائِمٌ رَدَّ بِهَا الْإِيَّامَ مِنْ
وَنَقْطَةً قَدْ خَصَّصَهُ اللَّهُ بِهَا
وَسَطْوَةً لَوْ نَظَرَ اللَّيْثُ بِهَا
تَخْدُمُهَا الْهَمَّةُ بِاهْتِمَامِهِ
فَاعْذَرُهُ إِنْ أَعْرَضَ عَنْ مَنَامِهِ
تُذِيعُهُ الْحِكْمَةُ مِنْ أَحْكَامِهِ
أَعْوَانِهِ وَالِدَهْرٍ مِنْ خُدَامِهِ
تُوحِي إِلَيْهِ الْعَيْبَ مِنَ الْهَامِهِ
لَا عَمَلَ الْحِيلَةَ فِي إِحْجَامِهِ

وقال أيضاً وقد اكتسب بالشعر ثم عاد إلى الجزارة، فعاتبه على ذلك بعض

أصحابه^(١): [من الخفيف]

لَا تَلْمَنِي يَا سَيِّدِي شَرَفَ الدِّي
كَيْفَ لَا أَشْكُرُ الْجَزَارَةَ مَا عَش
وَبَهَا أَضْحَكَ الْكِلَابُ تُرَجِي
نِ إِذَا مَا رَأَيْتَنِي قَصَّابَا
تُحْفَظَانِي وَأَرْفُضُ الْآدَابَا
نِي وَبِالشَّعْرِ كُنْتُ أَرْجُو الْكِلَابَا

وقال أيضاً^(٢): [من الرمل]

يَا لَقَوْمِي أَنَا مَنْ فَقَدَ
/ ٢٣٩ب/ حِينَ أَلَى الدَّهْرُ أَنَّ
ضَاقَ صَدْرِي وَأَضْرَرْتُ
وَأَرَى الْأَمَّالَ لِلْمَرَرِ
وَأَبِي قَدْ بَاتَ مَنِّي
مَلْنِي فَقَرَّأْتُ وَإِنْ كُ
كُلَّ يَوْمٍ أَطْرُقُ الْخَدَّ
فَرَعْتُ دُكَّانَهُ لَوْ
رِي فِي أَنَحَسِ حَالِهِ
يَ لَا أَرَى مَنْ فِيهِ أَلَهُ
بِي مَعَ الْفَقْرِ الْبَطَالَهُ
ء وَإِنْ لَدَدْتُ عُلالَهُ
يَسْأَلُ اللَّهُ الْإِقْصَالَ لَهُ
لَا شَفِيعًا لَا مَحَالَهُ
بَّازَ مِنْهُ بِحَوَالِهِ
أَنَّهُ دَارُ الْوُكَّالِهِ

وقال في رجل اسمه الوجيه طلب منه فصاً من الكتان ومطلبه به^(٣): [من الطويل]

طَلَبْتُ مِنَ الْكَتَّانِ فَصًّا فَجَادَ لِي الـ
وَجِيَهُ بِوَعْدِ عَوْضِ الْمَنِّ بِالْمَيْنِ

(١) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٦.

(٢) القطعة في المغرب ١/ ٣١٦ - ٣١٧.

(٣) البيتان في المغرب ١/ ٣١٧.

إِذَا جِئْتَهُ يَدْعُو عَلَيْهِ لِسَانُهُ إِذَا قُلْتُ أَيْنَ الْقَصُ، قَالَ: عَلَى عَيْنِي
وقوله في النجم بن عديسة، وقد ادعى الشعر ووالده يعرف بالمعلم:

[من المتقارب]

١٢٤٠ / أَرَى النَّجْمَ نَجَلَ عَلَيَّ عَدَا
هُوَ ابْنُ الْمُعَلِّمِ عِنْدَ الْفَخَّارِ
يُذَكِّرُنَا مَنْ مَضَى قَبْلَهُ
وَعِنْدَ الْقَرِيضِ هُوَ الْأَبْلَهُ
وقال أيضاً^(١): [من مجزوء الكامل]

مَنْ مُنْصَفِي مَنْ مَعْشَرِ
صَادَقْتُهُمْ وَأَرَى الْخُرُوءَ
كَالْخَطِّ يَسْهَلُ فِي الطُّرُوءِ
وَإِذَا أَرَدْتَ كَشَطَهُ
كُثِّرُوا عَلَيَّ وَكُثِّرُوا
جَ مِنْ الصَّدَاقَةِ يَعْسُرُ
سَ وَمَحْـوَهُ مُتَعَدِّرُ
لَكِنَّ ذَاكَ يُؤْتَرُ

وقال أيضاً^(٢): [من السريع]

إِنْ كُنْتُ مَمَّنْ رَاعَنِي هَجْرُكُمْ
فَلَا أَدَامَ اللَّهُ لِي سَلْوَةً
أَوْضَقْتُ دُرْعًا بَتَجْنِيكُمْ
وَرَدَّ قَلْبِي عَاشِقًا فِيكُمْ

وقال في أمرد يعرف بابن نعيم^(٣): [من السريع]

يَا ابْنَ نَعِيمٍ دَامَ دَمِّي لِمَا
خَالَفْتَ مَنْ رَبَّاكَ فِي فِعْلِهِ
سَلَكْتَهُ مِنْ قُبْحٍ مِنْهُاجٍ
إِذْ أَنْتَ دَخَّالُ ابْنِ خَرَّاجٍ

٢٤٠ ب / وقال على باب بعض الأمراء^(٤): [من المتقارب]

أَمْوَلَايَ مَا مِنْ طَبَاعِي الْخُرُوجِ
وَصِرْتُ أَرْوَمُ لَدَيْكَ الْغَنَى
وَلَكِنْ تَعَلَّمْتُهُ بِالْحُمُولِ
فِيخْرِجْنِي الضَّرْبُ عِنْدَ الدُّخُولِ

(١) أيضاً في المغرب ١/ ٣١٧.

(٢) ن. م.

(٣) وهو ابن نعيم الخراج. والبيتان في ن. م.

(٤) ن. م. ص ٣١٨.

وله في مسلماني^(١) لا يبرح في يده كتاب^(٢): [من الكامل]

قَالُوا: النُّعِيلُ وَإِنْ تَيَّيَّنَ عَيْهُ لِلْعَالَمِينَ وَعَابَ عَنْهُمْ رُشْدُهُ
يَمْشِي وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ قَلَمًا عَلمَ أَمْرُهُ فِي حَمَلِهِ مَا قُضْدُهُ
فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعْجَبُوا مِنْ فِعْلِهِ فَأَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَجَدُهُ

وكتب إلى شرف العلأ هاشم بن الأشرف العلوي^(٣): [من الكامل]

شَرَفْتُ بكَ الْعُلَيَاءُ يَا شَرَفَ الْعُلَا لِمَا عَلَوْتَ بِهَا جَمِيعَ الْعَالَمِ
وَالْكَامِلُ الْمَلِكُ ارْتِضَاكَ لِعَزْمَةِ أَعْتَنَهُ عَنْ سُمُرٍ وَيَضُ صَوَارِمِ
فَأَحْرُسُ بِرَأْيِكَ مَجْدَ دَوْلَتِهِ الَّذِي مُدْشِدْتَهُ لَا يُسْتَطَاعُ لَهُادِمِ
فَأَجْمَعُ بِهِ شَمْلَ الْفَخَارِ فَإِنَّمَا بِمُحَمَّدٍ كَمَلَ الْفَخَارِ لَهُاشِمِ

/ ١٢٤١/ وكتب إليه وقد أمر له بغلّة فوجدها قديمة^(٤): [من الوافر]

كَتَبْتُ لَنَا بِذَلِكَ الْبَرِّ بَرًّا وَقَضْدًا فِي الثَّنَاءِ وَفِي الثَّوَابِ
فَكَدَّرَ صَفْوَهُ الْكِيَالُ حَتَّى بَقِينَا مِنْهُ فِي عَجَبٍ عَجَابِ
وَجَدْنَاهُ عَتِيقًا وَارْتَضَيْنَا بِهِ إِذْ [عَادًا] وَهُوَ أَبُو ثَرَابِ

وأخبرني صاحب الإمام أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الفقيه الحنفي المدرس - أيداه الله تعالى - بحلب، قال: كنت بالقاهرة جالسًا في المنزل الذي نزلت به في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وكان قد أهدى إليَّ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر رطبًا جاءه من قوص هدية مع المفرد الذي يصل بشارة النيل / ٢٤١ب/ وكان الأديب أبو الحسين الجزار حاضرًا قد جاءني، وقد قرب رحيلي عن القاهرة يشكو إليَّ ما يجده من الوحشة لقرب الفراق،

(١) المسلماني هنا: أي النصراني.

(٢) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٨.

(٣) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩.

(٤) الأبيات في المغرب ١/ ٣١٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٣. المختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٣. تاريخ الإسلام.

وما بين المعقوفتين سقط في الأصل وأكملناه من المغرب، وعتيق هو أبي بكر، وأبي تراب تورية إذ هو كنية علي بن أبي طالب.

فقدمت للجماعة شيئاً من ذلك الرطب، فارتجل أبو الحسين الجزار بيتين وهما:

[من مجزوء الرجز]

أَطْعَمْتَنَا التَّمَرَ الَّذِي لِلْبَرَكَاتِ قَدْ حَوَى
لِلَّهِ مَا أَطْيَاهُ لَوْلَمْ تُشَبِّهْ بِالنَّوَى

وكتب للأمر شرف الدين يعقوب سألته عن المجد وكيل الأمير سيف الدين علي بن

قليج^(١): [من الخفيف]

سَيِّدِي أَنْتَ هَلْ أَتَاكَ مِنَ الْمَجْدِ
أَوْ تَنَاسَى أَمْرِي وَحَاشَا مَعَالِيهِ
/ ٢٤٢ / أَذْرِكُونِي فِي مَنْ الْبَرْدُ وَهُمْ
الْبَسْتَنِي الْأَطْمَاعُ وَهُمْ أَفْهًا جَسَدُ
كَلَّمَا أَزْرَقَ لَوْنُ جِسْمِي مِنَ الْبَرِّ
سَدَ لَذَاكَ الْحَدِيثَ عَنِّي جَوَابُ
فَيَسَّرِي إِلَيَّ مِنْهُ عَتَابُ
لَيْسَ يُنْسَى وَفِي حَشَايَ التَّهَابُ
مَيَّ عَارَ وَلِي فَرَى وَتِيَابُ
دَخَلْتُ أَنَّهُ سَنَجَابُ^(٢)

وأنشد الأمير شرف الدين يعقوب، وقد مطله بوعد^(٣): [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي لَنَدَى
لَا غَرَوَانُ أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالِ
كَفَيْهِ كُلُّ الْجُودِ مَنُشُوبُ
صَبْرِ الْجَمِيلِ وَأَنْتَ يَعْقُوبُ

وقال أيضاً^(٤): [من الخفيف]

أَنَا فِي رَاحَةٍ مِنَ الْأَمَالِ
لِي عَجْزُ أَرَاخٍ قَلْبِي مِنَ الْهَلْ
أَيْنَ مَنْ هَمَّتِي بُلُوعُ الْمَعَالِي
مَنْ وَمَنْ طُولُ فِكْرَتِي فِي الْمُحَالِ

(١) علي بن قليج، سيف الدين، من أمراء مصر في القرن السابع، توفي سنة ٦٤٣هـ.

ترجمته في: مفرج الكروب ١٦٥/٥، ١٧١، ١٧٤، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٦٣. ذيل الروضتين ١٧٧.
تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ - ٦٥٠) ص ١٦٥ رقم ١٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٦. البداية والنهاية
١٧١/١٣. سير أعلام النبلاء ١٤٦/٢٣. والأبيات في المغرب ٣/ ٣١٨ - ٣١٩، والبيتان ٣، ٥. في ذيل مرآة
الزمان ٦١/٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ - ٦٨٠) ص ٣٣٢. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٠٢.
البداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣. والأبيات ٣ - ٥ في تالي كتاب وفيات الأعيان.

(٢) السنجاب: حيوان من فصيلة الثعالب له ذنب طويل وفراؤه جيد.

(٣) البيتان في المغرب ١/ ٣١٩.

(٤) من قصيدة قالها في الأمير جمال الدين بن يغمور، في المغرب ١٠/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

تُ لَهُ حَامِدًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
 هُ فَيُرْجَى وَلَا رُغُوبُ الْبَغَالِ
 لَّ مُحَلٍّ أَضْحَى بَعِيدَ الْمَنَالِ
 زَلْ لَذْلٌ فِي مَبْتَدَى الْأَحْوَالِ
 فَلَقَدْ قَلَّ عَنْ سَطَاهُ أَحْتِمَالِي
 عَ فَسَيَّانٍ فَرَعَتِي وَأَشْنَعَالِي
 هُرْتُ تَرَوِي كَسِيرَةَ الْبَطَالِ

طَابَ عَيْشِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ كُنْتُ
 مَا لِبَاسُ الْحَرِيرِ مِمَّا أَرَجِيْتُ
 رَاحَةَ السَّرَفِي التَّخْلُفَ عَنْ كُ
 إِنَّ عَزَّ الْإِنْسَانَ فِي تَرْكِهِ الْعِ
 / ٢٤٢ب / يَا مُعِينِي عَلَى الزَّمَانِ أَعْنِي
 كُلَّ يَوْمٍ أَسْعَى وَلَكِنْ بَلَاءَ نَفْ
 عَمَلِي دَائِمٌ وَلِي سِيرَةٌ فِي الدَّ

وقال في صدر الدين بن القرميسيني^(١): [من الكامل]

وَقَدْ انْتَهَوْا الْبَدَايَةَ الْحَشِرَ^(٢)
 يُنْجِي وَلَا سَلَمُوا مَنَ الْوُزْرِ
 فِيهِمْ قَتْلُكَ عُقُوبَةُ الْكُفْرِ
 فَتَضَاءَلُوا كَتَضَاءَلِ الدَّرِّ
 شَتَّانَ بَيْنَ الْمَكْرِ وَالْمَكْرِ
 حَسَدُ يُوَاصِلُهُمْ إِلَى الْحَشِرِ
 مُتَكَتِّمًا فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 بِمُرَادِهِمْ وَأَضِيعَةَ الْعُمَرِ
 إِلَّا لِكَسَبِ مَثُوبَةِ الصَّبْرِ
 فَفَ الْحَلَمِ عِنْدَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
 أَنَّ الْعُلُومَ وَدَيْعَةَ الصَّدْرِ
 لِعُلَاكَ قَدْ ضَاهَى أَبَا دَرِّ
 يَرَوِي مَدِيحَكَ أَتْلُ يَا مُقْرِي
 كَتَزَّاحِمِ الْأَمَالِ فِي الْفَكْرِ
 تَارُوا الْمُقَامَ بِهَاءَ عَنِ النَّفْرِ^(٣)

وَالْعَصْرِ إِنَّ عِدَاكَ فِي الْعَصْرِ
 ظَلَمُوا فَمَّا أَبَقُوا لَهُمْ وَزَرًا
 كَفَرُوا صَنَائِعِكَ الَّتِي أَشْتَهَرْتَ
 ظَهَرُوا النُّورُكَ وَهُوَ شَمْسٌ ضَحَى
 مَكْرُوا وَقَدْ مَكَّرَ إِلَهُ بِهِمْ
 دَعَهُمْ فَلَا بَرَحَ التَّغَابُنِ مِنْ
 وَأَنْشُدْ إِذَا مَا زُرْتَ تُرِبَتُهُمْ
 مَا تُؤَا بَغِيضَهُمْ وَمَا ظَفَرُوا
 تَاللهَ مَا أَخَرْتَ مُدَّتَّهُمْ
 / ٢٤٣أ / وَلِرَأْفَةِ رَدَّتْ سَطَاكَ بَكْ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ كَوْنُهُمْ جَهْلُوا
 لَهِ دَرُّكَ كُلُّ مُتَمَدِّحٍ
 لَوْ لَا أَخَافُ اللهَ فُلْتُ لَمَنْ
 حَجَّتْ لَكَ الْعَافُونَ فَازْدَحَمُوا
 نَالُوا الْمُنَى بِمَنَى جَنَابِكَ فَاخْ

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٢.

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل.

(٣) النفر من منى: النزول منها وهو من مراسيم الحج.

وقال فيه أيضاً^(١): [من الكامل]

إِفْعَلْ مَعِيَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
يَا حَاكِمًا عَمَّ الرِّعَى
يَا مَنْ تَشَرَّفْتَ الْمَحَلَّ
مَوْلَايَ لَا تُبْدِ اسْتَعَا
ضَاقَتْ عَلَيْهِ يَا رَحِيبَ
كَفَرْتَ بِهِ الْأَصْحَابُ إِذْ
وَتَبَاعَدَتْ عَن قُرْبِهِ
/ ٢٤٣ ب / وَإِلَى مَتَى طَمَعًا يَصْرُ
مَا يَبِينَنَّ قَوْمٌ لَا يَعِ
وَإِذَا ارْتَضَى الْإِنْسَانُ يَوْمَ
مَوْلَايَ صَدَرَ الدِّينِ يَا
يَا مُنْعَمًا عَمَّ الْوَرَى
بِكَ فِي الزَّمَانِ الْمُسْتَعَا
مَوْلَايَ دَعْوَةٌ مِّنْ عَدَا
يَدْعُوكَ لَمَّا أَنْ تَنَا
فَأَجْرُهُ مِّنْ زَمَنٍ يُرَا
زَمَنٌ مَّدَامَعُهُ الْمُدَا
تَبَّأَ لِعَيْشٍ قَدْ تَنَعَّ
وَلَبَّأَسُوهُ خَلَقٌ تَبَّ
وَعَدَا دُرُوزًا مُتَقَنَّا
فَهُوَ الصَّحِيحُ وَإِنَّمَا
/ ٢٤٤ أ / فَأَجَرَ غَلَامَكَ مِّنْ زَمَا

يَا مَنْ لَدَيْهِ الْفَضْلُ كُلُّهُ
سَاءَ بَعْدَ ظُلْمِ الْغَيْرِ عَدْلُهُ
سَاءَ إِذْ عَادَا فِيهَا مَحَلُّهُ
لَا عَن مُحِبٍّ أَنْتَ شُغْلُهُ
الْصَّادِرُ مِنْ دُرِّ حَلَّتْ سُبُلُهُ
أَوْ رَأْفَتُهُ بِالشَّعْرِ رُسُلُهُ
أُخْوَانُهُ وَجَفَاءَهُ أَهْلُهُ
فُجِدَ هَذَا الْوَقْتُ هَزْلُهُ
زُيِّنَ عَلَيْهِمْ فِي الدَّهْرِ ذُلُّهُ
مَا بِالْخُمُولِ فَايُنْ فَضْلُهُ
مَنْ فَرَعُهُ زَاكَ وَأَصْلُهُ
فِي الدَّهْرِ نَائِلُهُ وَبَذْلُهُ
ثَمَنُ الزَّمَانِ أَشَدَّ مَحَلُّهُ
مُتَبَدِّدًا مُذْ غَبَّتْ شَمْلُهُ
قَصَصَ صَبْرَهُ وَازْدَادَ حَبْلُهُ
مَنْ تَلَدَاهُ وَالْمَعَهُ هَوْدٌ بِخُلُّهُ
مَعَهُ فِيهِ وَالزَّفَرَاتُ نُقْلُهُ
صَصَّ شُرْبُهُ فِيهِ وَأَكْلُهُ
رَأَى كُفُّهُ مِنْهُ وَشَلُّهُ^(٢)
بِالْعَاشِ وَالْخِيَّاطِ قَمْلُهُ
جَلْدِي الْمُفْتَقُ مِنْهُ كُلُّهُ
نَ قَدْ أَنَاخَ عَلَيْهِ كُلُّهُ

(١) بعضها في المغرب ١/ ٣١٠ - ٣١١.

(٢) الشَّلُّ: الخياطة.

وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ فَارَأَاهُ
بَاعَ الْعَمَامَةَ وَالشَّمَشَ
هَذَا الْقِرَانَ بِهِ تَعَكَ
فَمُرَّ الزَّمَانَ فَعَقَدَهُ
بِالْبَرْدِ مَضْرُورٌ وَرَجُلُهُ
فَعَلَّوْهُ عَارٍ وَسُقْلُهُ
سَسَ نَجْمُهُ فَعَدَا يُضْلُهُ
فِي أَيْدِي مَوْلَانَا وَحَلَّهِ

وقال يمدح الإسكندرية^(١): [من الوافر]

أَرَى الْإِسْكَندريَّةَ ذَاتَ حُسْنٍ
هِيَ الثَّغْرِ الَّذِي يُبْدِي أَبْتَسَاماً
إِذَا وَافَيْتَهَا لَمْ تُبْقِ هَمّاً
حَلَلْتُ [بظاهر] مِنْهَا كَأَنِّي
فَلَا بَشَرٌ مُعْطَلَةٌ وَكَمْ قَدْ
بَيَّاضَ يَمَلَأُ الْآفَاقَ نُوراً
وَأُقْسِمُ لَوْرَاتِهَا مَضْرُيَوماً
/ ٢٤٤ب / وَكَمْ قَصْرُهَا أَضْحَى كَحُضْنِ
يَرُصُّ فُضُوصَهُ بَانِيهِ رَصّاً
لَهَا سُورٌ إِذَا لَأَقَى الْأَعَادِي
هُوَ الْفَلَكُ اسْتَدَارَ بِهَا وَكَمْ قَدْ
أَحَاطَ بِسُورِهَا بَحْرٌ أَجَاجٌ
وَحَسْبُكَ أَنَّ صَدْرَ الدِّينِ فِيهَا
هُمْ السَّادَاتُ لَا يُرْجَى وَيُخْشَى
إِمَامٌ جَلَّ قَدْرًا أَنْ يُهْنَى

وله من قصيدة كتبها إليه أيضاً^(٣): [من الخفيف]

بَذَلْ وَجْهِي إِلَّا لِمِثْلِكَ بِذَلِكَ
وَاعْتَزَّازِي إِلَّا بِجَاهِكَ ذُلُّهُ

(١) القطعة في المغرب ٣/ ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وأكملته من المغرب.

(٣) القطعة في المغرب ١/ ٣٠٤.

يَا جَوَادًا سَحَابُ كَفِّهِ بِالْجَوِّ
وَالَّذِي لَوْرَاهُ فِي دَسْتِهِ الْقَضْ
لَكَ نَيْلٌ قَدْ أَخْجَلَ النَّيْلَ جُودًا
ومنها قوله (٢):

٢٤٥/ يَا أَمِينًا قَدْ زَادَهُ اللَّهُ مَجْدًا
لِي نَصْفِيَّةً تُعَدُّ مِنَ الْعُمَرِ
لَا تَسْلُنِي عَنْ مُشْتَرَاهَا فَيَّهَا
نَشَفَ الرِّيحُ صَدْرَهَا وَرَأَاهَا
ظَلَمَتْهَا الْأَيَّامُ حُكْمًا فَأُضْحَتْ
كُلَّ يَوْمٍ يَحُوطُهَا الدَّقُّ وَالْعَصْرُ مُرَارًا وَمَا تَقَرُّ بِعَمَلِكُ
وَهِيَ تَعْتَلُّ كُلَّمَا غَسَّلُوَهَا
أَيْنَ عَيْشِي بِهَا الْقَدِيمُ وَذَاكَ الـ
حَيْثُ لَا فِي أَجْنَابِهَا رُفْعَةٌ قَدْ
قَالَ لِي النَّاسُ حِينَ أَطْنَبْتُ فِيهَا:

دُونَ هَذَا الْوَرَى وَعَلَى مَحَلِّهِ
سَنِينًا غَسَلْتُهَا أَلْفَ غَسَلِكُ
مَنْدُ فَصَلَّتْهَا نَشَاءٌ بِجُمْلِكُ
كُلَّ يَوْمٍ تَشْكُو هَوَاءً وَنَزَلِكُ
فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ غَيْرِ زَلِكُ
وَيُزِيلُ الشَّاءُ تَلْكَ الْعَلَّةُ
تَتَّقُ فِيهَا وَخَطَرَتِي وَالشَّمْلِكُ
طُ وَلَا فِي أَكْمَامِهَا قَطُّ وَصَلِكُ
بَسَّ أَكْثَرَتْ خَلَّهَا وَهِيَ بِقَلِكُ

فسير له صدر الدين بن القرميسيني نصفية وملبوساً فكتب إليه (٣): [من السريع]
أَشْكُرُ مَوْلَانَا وَنَصْفِيَّتِي
أَرَاهَا جَدَّوَاهُ مِنْ كُلِّ مَا
٢٤٥ب/ كَمْ لَيْلَةٍ كَادَتْ مَعَ الْمَاءِ إِذْ
تَشْكُرُهُ أَكْثَرُ مَنْ شُكْرِي
يَسْكُنُ مِنْ دَقٍّ وَمِنْ عَصْرِ
يَغْسِلُهَا غَسَّالُهَا تَجْرِي
وقال يمدح القاضي زين الدين ابن الزبير (٤): [من الكامل]
بَانَتْ وَقَدْ كَلَّفَتْهَا تَوْدِيعِي
مَا يَنْ فَيُضِ جَوَى وَفَيُضِ دُمُوعِ

(١) الفضل بن يحيى، وزير هارون الرشيد، وكان يشتهر بالكرم.

(٢) الأبيات من قصيدة في المغرب ٣٠٣/١٠. وتاريخ الإسلام.

(٣) الأبيات في المغرب ٣١٠/١.

(٤) زين الدين يعقوب بن عبد الرافع بن الزبير، عاش طويلاً، وولى الوزارة للظاهر بيبرس ثم صرفه وولى بهاء الدين بن حنا. «انظر: النجوم الزاهرة ١٠٣/٧، ١٧٩». والأبيات من قصيدة في المغرب ٣٣٣/١ - ٣٣٤، وقد مدحه يوم كان ناظر ألبهنساء في سنة ٦٣٣هـ.

وَتَجَلَّدْتُ لِلْيَيْنِ مِثْلَ تَجَلُّدِي
وَلَكُمُ تَعَلُّلَهَا مَوَاعِيدُ الْمُنَى
قَالَتْ: دَمَمْتُ الْيَيْنَ، قُلْتُ لَهَا: عَسَى

وقال أيضاً: [من البسيط]

إِنِّي لَمَنْ مَعَشَرَ سَفْكُ الدِّمَاءِ لَهُمْ
تَبَيَّنَتْ أَنْعَامُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى وَجَلٍ
تَزْدَادُ بِالِدَمِّ إِشْرَاقًا عِرَاصُهُمْ

وقال يمدح الأجل العدل شرف الدين أبا حامد محمد بن علي بن سعيد بن أبي جرادة

الحلبي العقيلي: [من مجزوء الرجز]

٢٤٦/ / لَأَزِمُ قَلْبِي كَمَدُّهُ
وَطَالَ عُمْرُ اللَّيْلِ حِ
وَارْحَمَتَا الْعَاشِقِ
يَسْتَنْجِدُ الدَّمَاعِ إِذَا
إِلَى مَتَى يُقِيمُهُ
مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ إِذَا
لَا يَسْتَطِيعُ الْبَطْشُ فِي الشَّدِّ
يَا عَاذِلِي عَنِّي فَكُمُ
هِيَ هَاتِ أَنْ تَذِرِي بَمَا
يَا أَبَا بِي الْغُضَنِ الَّذِي
تَغْبِطُهُ شَمْسُ الضَّحَى
دُوْ مَبْسَمِ أَحْسَنَ فِي
وَرِيقُهُ عَزْدُ وَكَ
كَأَنَّمَا اسْتَعَارَ مَا
٢٤٦ب/ / وَخَدُّهُ مُورَدٌ
يَصُدُّنِي عَنْ لُثْمِهِ
لَحْظٌ يَسْلُ أَيُّضًا

وَبَانَ عَنِّي جَلْدُهُ
تَنَى قُلْتُ قَدَمَاتِ غَدُهُ
فِي الْحُبِّ ذَابَتْ كَبْدُهُ
لَمْ يَلْقَ مَنْ يَسْتَنْجِدُهُ
حُكْمُ الْهَوَى وَيُقَعِّدُهُ
جَارَ عَلَيْهِ سَيِّدُهُ
لَدَّةَ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ
سَهَرْتُ لَيْلًا تَرْقُدُهُ
يَلْقَى الْعَلِيلُ عَوْدَهُ
يُعْجِبُنِي تَأْوُدُهُ
وَالْبَكْدُ أَمْسَى يَحْسُدُهُ
تَنْضِيْدُهُ مِنْضُودُهُ
كَنْ أَيْنَ مَنِّي مَوْرَدُهُ
فِي تَغْرِهْ مُقْلَدُهُ
يَا حَبَّذَا مُوْرَدُهُ
إِذَا رَنَّا مَهْمَدُهُ
عَلَى الْقُلُوبِ أَسْوَدُهُ

إِلَى مَتَى يَنَالُنِي
لَمْ يَبْقَ فِي الْخَلْقِ فَتَى
قَدْ عَدِمَ الصَّدِيقُ فِي الْ
إِنْ السَّعِيدَ مَنْ عَدَا
قَرِيبًا رَمَى الْفَتَى
وَأَنْ مِثْلِي فِي الْوَرَى
وَهَكَذَا مَنْ شَرَفَ الْ
أَيُّ كَرِيمٍ لَمْ يَزَلْ
وَلَمْ يَخْبَ فِي الدَّهْرِ مَنْ
نَرُو حَدِيثَ الْجُودِ عَنْ
كَمْ مُسْلِمٍ حَقَّقَهُ
/ ٢٤٧ / وَعَزُمُهُ لَا يَتَنَا
فَبَيْتُهُ قَدْ نَصَبْتُ
لَقَدْ زَكَّيْتُ أَصُولَهُ
وَقَدْ سَمَّيْتُ فَخْرًا بِهِ
دُورًا حَاقَهُ هَانًا بِهِ
وَطَالَ مَاءَ عَزَبِذَا الْ
وَلَقُظُّهُ الْبَدْرُ إِذَا
فَطَرُسُهُ بِخَطِّهِ
فَإِنْ حَسِبْتُ أَنَّ
دُوقَلَمَ كَالسَّهْمِ فِي
يَهْزُهُ كَالْمَشْرِفِ
مَا دَرِيَوْمًا نَفْسُهُ
فَلَوْ تَرَأَى لِأَبْنِ عَبَّ
مَا ضَلَّ عَافٍ فِي دِيَا
/ ٢٤٧ ب / كَلَّا وَلَمْ يَشُقْ فَتَى
يَا أَبْنَ الْبُذَيْنِ فَضْلُهُمْ

مَنْ كَلَّ دَهْرَ نَكْدَةٍ
يَغْرُرُنِي تَوَدُّهُ
لَدُنِّيَا فَمَنْ ذَا يَجِدُهُ
وَهُوَ قَلِيلٌ عَدَدُهُ
فِي الْمَوْبَقَاتِ وَلَدُهُ
لَمْ يَخْلُ مِمَّنْ يَخْسُدُهُ
لَدَيْنِ الْأَجَلِ يَعْصِدُهُ
نَشْكُرُهُ وَنَحْمَدُهُ
يَوْمُهُ وَيَقْصُدُهُ
بَنَانُهُ وَتُسْنِدُهُ
لَأَنَّ لَهُ مُحَمَّ دُهُ
هِيَ فِي الْمَعَالِي أَمَدُهُ
عَلَى الثَّرِيَّا عَمَدُهُ
فِيْنَا وَطَابَ مَوْلَدُهُ
عَلَى الْبِلَادِ بَلَدُهُ
لُجَيْنُهُ وَعَسَجَ دُهُ
هَوَانٍ مَنْ يَسْتَرْفِدُهُ
حَرَرُهُ مُنْقَدُهُ
كَالرَّوْضِ وَالْغَيْثِ يَدُهُ
سُحْرُ فَايُنْ عَقْدُهُ
نَحْرُ الْعَدَا يُسَدُّهُ
يَهْزُهُ مَجْرَدُهُ
إِلَّا تَبَدَّلَتْ زُبْدُهُ
أَدَلَّكَ إِنْ يَعْجُدُهُ
جِي الْخَطْبِ وَهُوَ مُرْشِدُهُ
فِي الدَّهْرِ وَهُوَ يُسْعِدُهُ
يَتَعَبُّ مَنْ يُعَدُّهُ

لَيْسَ يُرَامُ سُودُّهُ
طِيَّيَّةٌ وَمَحْتَدُهُ
قَدْ خَانَتهُ تَجَلُّدُهُ
مَابِالْقَوَافِي أودُهُ
يُنْشَدُهُ بَلْ يَنْشُدُهُ
يُنْجَزُ يَوْمًا مَوْعَدُهُ
حَيَّ قَدْ عَدَا يُؤَكِّدُهُ
لَيْسَ يَخِيبُ مَقْصَدُهُ

وَمَنْ عَدَا بَيْنَهُمْ
يَا مَنْ غَدَتْ فُرُوعُهُ
مَوْلَايَ يَدْعُوكَ فَتَقِي
هِيَ هَاتِ أَنْ يَقُومَ يَوْمُ
ضَاعَ الْقَرِيضُ فَهُوَ لَا
مَابَالْ هَذَا الدَّهْرُ لَا
مَوْلَايَ لِي حَقٌّ وَمَدَّ
وَمَنْ عَدَوْتَ قَصْدُهُ

وقال فيه أيضاً: [من البسيط]

مَا كُلُّ وَفَتْ يُجِيدُ الشُّعْرَ نَاطِمُهُ
لَدَى الْأَرَاكِ وَلَمْ تَسْجَعْ حَمَائِمُهُ
فَوْقَ الْعُصُونِ وَمَا شَقَّتْ كَمَائِمُهُ
وَأَنْ عَدَا الرُّشْدُ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
عَنِ الرِّجَالِ وَقَدْ يُفْشِيهِ كَاتِمُهُ
كَمَا يُحَارِبُ مَنْ أَضْحَى يَسَالِمُهُ
كَمَا يَكُونُ وَضِيعُ الْقَدْرِ عَالِمُهُ
وَكَيْفَ يُنْصَفُ مَنْ ذَا الدَّهْرِ حَاكِمُهُ
جَهْلًا إِلَى بَابِ مَنْ عَزَّتْ دَرَاهِمُهُ
قَدْ اسْتَوَى الْيَوْمَ فِي عَيْنِي وَحَاتِمُهُ
أَعْرَضْتُهُ عَنْ شَارِيهِ وَسَائِمُهُ
مَا أَسْلَمْتَنِي إِلَى دَهْرِي عَوَاصِمُهُ
جَرَادَةٌ حَسْبُ أَمَالِي مَكَارِمُهُ
يَشْكُو لَكَ الدَّهْرُ إِذْ عَمَتْ مَظَالِمُهُ^(١)

هَبْ خَاطِرِي الْعَفْوُ إِنْ شَحَتْ عَمَائِمُهُ
وَطَالَمَا رَكَدَتْ رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا
وَرَبَّمَا جَادَ خَدَّ النَّورِ دَمْعُ حَيَا
/١٢٤٨/ لَا يَمَكُنُ الْمَرْءُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنَنِ
قَدْ يَكْتُمُ السَّرْمَنُ لَمْ يُخْفِهِ أَبَدًا
يُسَالِمُ الدَّهْرُ مَنْ أَضْحَى يُحَارِبُهُ
وَقَدْ يَكُونُ رَفِيعَ الْقَدْرِ جَاهِلُهُ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ دَهْرًا لَيْسَ يُنْصَفُنِي
كَمْ ذَا أَدَلَّ قَرِيضًا بَتَّ أَحْمَلُهُ
لَوْ لَا ضَرُورَاتُ دَهْرِي كَانَ مَا دَرُهُ
بَارَ الْقَرِيضُ بِمَضَرِ الْيَوْمِ فَهُوَ إِذَا
لَوْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ أَتَى الشَّامَ بِهِ
وَكُنْتُ أَدْرُكُ مَا أَرْجُوهُ بِأَبْنِ أَبِي
عَلَيْكَ يَا شَرَفَ الدِّينِ أَعْتِمَادُ فَتَى

(١) انتهت هذه الترجمة، وهذا الجزء، بهذا الشكل دون إشارة إلى نهايته كما اعتاد في بقية أجزاء الكتاب، ولعله أراد أن يتوسع في هذه الترجمة قبل ختام الجزء ولم يفعل، أو أن بقية الأوراق سقطت من المخطوطة!!

فهرس تراجم الجزء التاسع

رقم الترجمة

صاحب الترجمة

الصفحة

تتمة حرف النون

ذكر من اسمه نصر

- ٨٥٥ - نصرُ بنُ يوسفَ بنِ نصرِ بنِ عبدِ الرِّزَّاقِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ الخضرِ بنِ عبدِ الوهابِ بنِ الخضرِ بنِ عجلانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ ربيعةَ بنِ المقدَّمِ بنِ لبیدِ بنِ النابغةِ وهو قيسُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عدسٍ بنِ ربيعةَ بنِ جعدةَ بنِ كعبِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ بنِ منصورِ بنِ عكرمةَ بنِ خصفةَ بنِ قيسِ بنِ عيلانَ بنِ مضرٍ بنِ نزارِ بنِ معدٍ بنِ عدنانَ، أبو سعدِ البالسي، المعروفُ بابنِ قاضيِ بالس ٩
- ٨٥٦ - نصرُ بنُ أبي النجاة، أبو الفتحِ الأحميمي ٢١
- ٨٥٧ - أبو نصرِ بنِ اللعيبةِ الهمامي ٢٤

ذكر من اسمه نصر الله

- ٨٥٨ - نصرُ اللهِ بنُ أسعدَ بنِ نصرِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ أبي البركاتِ بنِ المجلي، أبو الفتحِ البلدي ٢٥
- ٨٥٩ - نصرُ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ نصرِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ القاهرِ بنِ المجلي، أبو الفتحِ بنُ أبي الحسنِ الموصلي، المعروفُ بابنِ السَّمين ٢٦
- ٨٦٠ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبي الفرجِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ، أبو البركاتِ الأنصاري، المعروفُ بابنِ الحنبلي ٢٧
- ٨٦١ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ بابا، أبو الفتحِ بنِ أبي بكرِ الأسعدي ٢٩
- ٨٦٢ - نصرُ اللهِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الواحدِ الشيباني، أبو الفتحِ بنِ أبي الكرمِ الوزيرِ الكاتبِ المنشيء، المعروفُ بابنِ الأثير ٣٥

- ٨٦٣ - نصرُ الله بنُ المظفر بن أبي طالب بن حمزة بن علي بن الحسين أبو الفتح بن أبي العز بن الصفار الشيباني المعروف بابن شقيشة ٥٣
- ٨٦٤ - نصرُ الله بن نصر الله، بن نصر الله، أبو الفتح الهيتي ٥٤
- ٨٦٥ - نصرُ الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن علي، أبو الفتح بن أبي العز الكاتب الرسائي، المعروف بابن بصافة وبزافة وبسافة كل يقال، الغفاري الكناني ٦٠
- ٨٦٦ - نصرُ الله بن يوسف بن أبي الفتح الكناني، أبو الفتح ٦٥
- ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف**
- ٨٦٧ - ناصح بن سعد بن ظفر، أبو الشرف الكاتب المنشئ الأديب الكاواني ٦٧
- ٨٦٨ - ناهض بن إدريس الوادآشي ٨١
- ٨٦٩ - نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد، أبو المعالي، المعروف بابن الزعفراني اليهودي ٨٢
- ٨٧٠ - نبهان بن محمود بن عثمان بن نبهان بن بهاج بن الحسين بن علي، أبو اليقظان الإربلي ٩٩
- ٨٧١ - نجم بن يوسف بن أحمد بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن أبي الفرج بن علي بن الحسن، أبو العلاء بن الحنبلي ١٠١
- ٨٧٢ - ندى بن عبد الغني بن علي المصري ١٠٢
- ٨٧٣ - نعمة بن يوسف بن بركات أبو الفضل الأنصاري الدمشقي، المعروف بالباقة ١٠٣
- ٨٧٤ - نما بن الخوجستاني ١٠٣
- ٨٨٥ - نوح بن أبي الفضل الدمشقي ١٠٤

حرف الهاء

ذكر من اسمه هاشم

- ٨٧٦ - هاشم بن حبيب، أبو الوليد، الأديب الفقيه النحوي الخطيب المقرئ الزاهد البيهقي ١٠٩
- ٨٧٧ - هاشم بن عبد السلام بن يوسف بن عمرو بن مندو أبو الفضل الإربلي ١١٠

- ٨٧٨ - هاشمُ بنُ محمد بن هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم، أبو طاهر بن أبي عبد الرحمن الأسدي ١١٢
- ٨٧٩ - هاشم بن يحيى بن سالم بن يوسف بن كامل بن نصار، أبو المفاخر بن أبي الفضل التنوخي ١١٥

ذكر من اسمه هبة الله

- ٨٨٠ - هبةُ الله بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الكندي، المعروف بابن مرآجل ١٢١
- ٨٨١ - هبةُ الله بن أبي البشر بن أبي المواهب بن شراقي، أبو البركات المصري ١٢١
- ٨٨٢ - هبةُ الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن رزين، القاضي السعيد، أبو القاسم بن أبي الفضل المصري ١٢٢
- ٨٨٣ - هبةُ الله بن حاتم بن عبد الجليل بن عبد الجبار بن جعفر بن علي بن سليمان بن سيد بن أبي قحافة، أبو القاسم الأنصاري ١٤٠
- ٨٨٤ - هبةُ الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب، أبو منصور النحوي اللغوي، الملقب بعميد الرؤساء ١٤١
- ٨٨٥ - هبةُ الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس بن بلوطس بن ييمك، أبو البركات النصراني ١٤٢
- ٨٨٦ - هبةُ الله بن أبي سعيد بن أبي الكرم بن أبي سعيد بن أبي الخير بن أبي اليمن، أبو البركات النصراني، المعروف بابن ستوتة ١٤٤
- ٨٨٧ - هبةُ الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن الشيرازي، يكتنى أبا الفضل ١٤٥
- ٨٨٨ - هبةُ الله بن علي بن عيسى بن المقلد بن علوي، أبو المعالي بن أبي القاسم النيلي ١٤٨
- ٨٨٩ - هبةُ الله بن محمد بن شكر، أبو البركات المصري، المعروف بابن العصار ١٤٩
- ٨٩٠ - هبةُ الله بن محمد المجدي ١٥١
- ٨٩١ - هبةُ الله بن محمد بن هبة الله بن منصور بن أبي سعد بن الحسن بن منصور، أبو الكرم القصاب، الشيرازي، الموصلي ١٥٢

- ٨٩٢ - هبة الله بن أبي المجدد الكاتب، أبو القاسم المصري ١٥٧
- ٨٩٣ - هبة الله بن يوسف بن خمر تاش، أبو الفتوح البغدادي ١٥٩

ذكر من اسمه هلال

- ٨٩٤ - هلال بن حبيب بن هلال بن جابر بن علي بن هبة الله بن سابور بن نعمان بن هردس بن حوشب، أبو البدر النصراني ١٦٠
- ٨٩٥ - هلال بن أبي الفضل بن هلال بن بخيار بن الحسن بن محمد بن عبد القادر بن كرم أبو النجم الحلاوي الجبلي ١٦١
- ٨٩٦ - هلال بن محفوظ بن هلال، أبو النجم الرسغني، المعروف بابن السراج ١٨٠

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

- ٨٩٧ - هارون بن الحسين بن كرجي بن هارون ١٨١
- ٨٩٨ - هذاب بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن هذاب، أبو المفاخر الأسعدي ١٨٤
- ٨٩٩ - هريز بن المعمر بن سنان بن غفيلة بن شبانة؛ أحد بني قديمة بن نباتة بن عامر بن ربيعة بن عقيل العقيلي ١٨٤
- ٩٠٠ - همام بن راجي الله بن سرايا بن أبي الفتوح ناصر المصري ١٨٥
- ٩٠١ - الهيثم بن جعفر، أبو المتوكل الأشيلي ١٨٧

حرف الواو

- ٩٠٢ - وثاب بن أبي الثريا بن عبد الرحمن الأزدي المالكي ١٨٩
- ٩٠٣ - وزير الجبلي ١٨٩
- ٩٠٤ - وسوان بن منصور بن وسوان بن ملكيشوا بن قحطان، أبو يعقوب الكردي ١٩٠

حرف الياء

ذكر من اسمه ياقوت

- ٩٠٥ - ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، الرومي، البغدادي، الحموي ١٩٧
- ٩٠٦ - ياقوت بن عبد الله أبو الدر الرومي العزي ٢٠٢

ذكر من اسمه يحيى

- ٩٠٧ - يحيى بن أحمد بن موسى، أبو زكريا الضرير المقرئ، الموصلي ٢٠٧
- ٩٠٨ - يحيى بن أحمد، بن يوسف بن أحمد، أبو زكريا الواعظ الحسني ٢١٠
- ٩٠٩ - يحيى بن إبراهيم بن محمد، أبو تراب بن أبي إسحاق البزاز البغدادي ٢١١
- ٩١٠ - يحيى بن إسحاق، الأمير، أبو زكريا الميورقي ٢١٢
- ٩١١ - يحيى بن أسعد بن يحيى بن موسى، أبو المفضل ٢١٢
- ٩١٢ - يحيى بن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم بن منصور بن العاص، أبو زكريا الموصلي ٢١٥
- ٩١٣ - يحيى بن أبي بكر بن مكي، أبو زكريا الكاتب التميمي ٢١٨
- ٩١٤ - يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد - ويلقب البطريق - ابن نصر بن حمدون بن ثابت بن مالك بن ليث بن عامر بن غنم بن فهر بن دلجة بن بشر بن معاوية بن بدر بن ثعلبة بن حبال بن نصر بن سواة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسين، وأبو زكريا الأسدي ٢١٩
- ٩١٥ - يحيى بن الحسن بن أحمد بن مروان بن علي بن سلامة بن مروان، أبو زكريا الطنزي ٢٢٢
- ٩١٦ - يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن القائد أبي علي يعرف بمؤيد الحق بن صالح بن علي بن سعد بن كريم بن محمد بن الحسن بن الحارث بن علي بن سعد بن مسعود بن يعقوب بن حارثة بن الأعصم بن غنم بن أسد بن سالم بن سعد بن الحارث بن صخر بن الحارث بن صخر بن الحارث بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد - وهو غسان - بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو زكريا بن أبي طي الأزدي ٢٢٤

- ٩١٧ - يحيى بن خالد بن مُحَمَّد بن نصر بن صغير بن خالد بن داغر، أبو جعفر بن أبي البقاء بن القيسراني، الكاتب المنشئ ٢٣١
- ٩١٨ - يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاعر بن عياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب الأنصاري - صاحب رسول الله ﷺ - بن عمرو بن المنهال بن عدي بن طريف بن عبيد بن شراد بن زيد بن حامد بن ليبد بن الأشجع ابن الحارث بن ربيعة بن ضبة بن جندب بن مرثد بن جشم بن مالك بن عوف بن سالم بن مرة بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي ٢٥٠
- ٩١٩ - يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء التكريتي ٢٥٣
- ٩٢٠ - يحيى بن سليمان بن شاور، أبو زكريا الحريزي اليهودي ٢٥٧
- ٩٢١ - يحيى بن عبد الله بن المقرج بن درع بن الحسن بن الخضر بن حامد، أبو زكريا ابن أبي القاسم التغلبي ٢٦١
- ٩٢٢ - يحيى بن عبد الرزاق بن يحيى بن عامر بن شجاع بن كامل، أبو البقاء الكناني المقدسي الخطيب ٢٦٥
- ٩٢٣ - يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، أبو الحسين المصري، المعروف بالجزار ٢٦٦
- فهرس تراجم الجزء التاسع ٢٨١